الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

١١

بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۱۱

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ ت۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

اشاره

«سوره النّور»

اشاره

فضل سوره النور:

جاء فی حدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قوله: «من قرأ سوره النور أعطی من الأجر عشر حسنات بعدد کل مؤمن و مؤمنه فیما مضی و فیما بقی».

و

جاء فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام: «حصنوا أموالکم و فروجکم بتلاوه سوره النّور و حصّنوا بها نساءکم،فإنّ من أدمن قراءتها فی کل یوم أو فی کل لیله لم یزن أحد من أهل بیته أبدا حتی یموت» (۱) .

و الاهتمام بمضمون السوره الذی دعا بطرق مختلفه إلی مکافحه عناصر الانحراف بالتزام العفّه،یوضح الغایه الاساسیه فی الحدیثین أعلاه و مفهومهما العملی.

محتوی سوره النّور:

اشاره

یمکن اعتبار هذه السوره خاصّه بالطهاره و العفه،و کفاح الانحطاط الخلقی، لأن محور تعالیمها ینصب علی تطهیر المجتمع بطرق مختلفه من الرذائل و الفواحش،و القرآن الکریم یحقق هذا الهدف عبر مراحل،هی:

المرحله الأولی:

بیان العقاب الشدید للمرأه الزانیه و الرجل الزانی،و هو ما ورد حاسما فی الآیه الثّانیه من هذه السوره.

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان للآیه موضع البحث،و کتاب ثواب الأعمال للصدوق(حسبما نقله نور الثقلین،المجلد الثّالث. صفحه ۵۶۸).

المرحله الثّانيه:

بيان حد الزنا الذى لا تنبغى إقامته إلّا بشروط مشدّده للغايه،إذ لا بدّ من أربعه شهود يشهدون أنّهم رأوا بأمّ أعينهم رجلا غريبا يزنى بامرأه غريبه عنه،يفعل بها فعل الزوج بزوجه ساعه مباشرته إيّاها.

و لو شهد الرجل على زوجته بالزّنا للاعن القاضى بينهما،أو يقرّ أحدهما أو كلاهما بالحق.

و من اتّهم محصنه و لم يأت بأربعه شهود جلده القاضى أربعه أخماس حدّ الزّنا،أى ثمانين جلده،لئلّا يتصوّر أحد أنّ بإمكانه الطّعن على الناس و هتك حرماتهم و هو فى منجّى عن العقاب.

ثمّ طرحت الآيه بهذه المناسبه الحديث المعروف باسم الإفك،و ما فيه من اتّهام إحدى نساء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.فعقّب القرآن المجيد على هذه المسأله موضحا للمسلمين مدى بشاعه الافتراء و التهمه،و فظاعه إشاعه الفاحشه عدوانا على الناس،و كاشفا عمّا ينتظر القائم بذلك من عقوبات إلهيه.

و فى المرحله الثّالثه:

تناولت الآيه أحد السبل المهمّه لاجتناب التدهور الأخلاقىّ،من أجل ألا يتصوّر أنّ الإسلام يهتم فقط بمعاقبه المذنبين.

فطرحت الآيه نظر الرجال إلى النساء بشهوه أو بالعكس،و حجاب المرأه المسلمه،لأنّ أحد أسباب الانحراف الجنسى المهمّه ناجم عن هاتين المسألتين.

و إذا لم تحل هاتان المسألتان جذريّا،لا يمكن القضاء على الانحطاط و التفسخ.

و فى المرحله الرّابعه:

كخطوه للنجاه من التلوث بما يخلّ بالشرف-دعا القرآن المجيد إلى الزواج اليسير التكاليف،ليحارب الإشباع الجنسى غير المشروع بإشباع مشروع.

و فى المرحله الخامسه:

بيّنت الآيات جانبا من آداب المعامله،و مبادئ تربيه الأولاد و عدم دخول الأبناء الغرفه المخصصه للوالدين فى ساعات الخلوه و الاستراحه إلّا بإذن منهما،بغيه المحافظه على أفكارهم من الانحراف.كما بيّنت

آداب الحياه الأسريّه عامّه.

و فی المرحله السادسه:

جاء ذكر مسائل خاصّه بالتوحيد و المبدأ و المعاد و الامتثال لتعاليم النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.كلّ ذلك خلال البحوث المطروحه.و من المعلوم أن الإعتقاد بالوحدانيه و النّبوّه و المبدأ و المعاد.يدعم مناهج التربيه الأخلاقيه فی الفرد و الجماعه،فذلك الإعتقاد هو الأصل،و ما عداه من أمور فروع عليه،تورق و تثمر إذا قوی الأصل و اشتدّ.

و تطرقت بحوث هذه الآيات إلی حكومه المؤمنين الصالحين العالميّه، و أشارت إلی تعاليم إسلاميه أخری،و هی تشكل-بمجموعها-وحده متكاملة شامله.

ص :٩

الآيات [سوره النور (۲۴): الآيات ۱ الى ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ سُورَةٌ أَنْزَلْنٰاهٰا وَ فَرَضْنٰاهٰا وَ أَنْزَلْنٰا فِيهٰا آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۱) اَلزّٰانِيَةُ وَ اَلزّٰانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وٰاحِدٍ مِنْهُمٰا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لاٰ تَأْخُذْكُمْ بِهِمٰا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اَللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذٰابَهُمٰا طٰائِفَةٌ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۲) اَلزّٰانِي لاٰ يَنْكِحُ إِلاّٰ زٰانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ اَلزّٰانِيَةُ لاٰ يَنْكِحُهٰا إِلاّٰ زٰانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ (۳)

التّفسير

اشاره

حد الزانی و الزانیه:

سمّيت هذه السوره بالنّور لأنّ آيه النور فيها من أهم آياتها،إضافه إلى أنّ مضمونها يشعشع في جوانح الرجل و المرأه و الأسره و البشر عفّه و طهاره،و حراره تقوى،و يعمر القلوب بالتوحيد و الإيمان بالمعاد و الاستجابه لدعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و أولى آيات هذه السوره المباركه بمثابه إشاره إلى مجمل بحوث السوره سُورَةٌ أَنْزَلْنٰاهٰا وَ فَرَضْنٰاهٰا وَ أَنْزَلْنٰا فِيهٰا آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

ص: ۱۰

«سوره»کلمه مشتقّه من«السور»أی الجدار المرتفع،ثمّ أطلقت علی الجدران التی تحیط بالمدن لحمایتها من مهاجمه الأعداء.و بما أنّ هـذه الجـدران کانت تعزل المـدینه عن المنطقه المحیطه بها، فقـد اسـتعملت کلمه«سوره»تـدریجیا فی کل قطعه مفصوله عن شیء،و منها استعملت لتعنی قسـما من القرآن.کما قال بعض اللغویین:إنّ«سوره»بناء جمیل مرتفع،و هـذه الکلمه تطلق أیضا علی قسم من بناء کبیر،و تطلق السوره علی أقسام القرآن المختلفه المفصوله بعضها عن بعض (۱) .

و علی کل حال فإنّ هذه العباره إشاره إلی کون أحکام و مواضیع هذه السوره -من اعتقادات و آداب و أوامر إلهیه-ذات أهمّیّه فائقه،لأنّها کلها من اللّه.

و تؤکّد ذلک عباره«فرضناها»،لأنّ«الفرض»یعنی قطع الشیء الصلب و التأثیر فیه کما یقول الراغب فی مفرداته.

و عباره آیاتٍ بَیِّناتٍ قـد تکون إشاره إلی الحقائق المنبعثه عن التوحیـد و المبـدأ و المعاد و النبوّه،التی تناولتها هذه السوره.و هی إزاء«فرضنا»التی تشیر إلی الأوامر الإلهیه و الأحکام الشرعیه التی بیّنتها هذه السوره.و بعباره أخری:

إحداها تشیر إلی الاعتقادات،و الأخری إلی الأحکام الشرعیه.

و یحتمل أن تغنی«الآیات البینات»الأدله التی استندت إلیها هذه الأحکام الشرعیه.

و عباره لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ تؤکّد أن جذور جمیع الاعتقادات الصحیحه، و تعالیم الإسلام التطبیقیه،تمکن فی فطره البشر.

و علی هذا الأساس فإن بیانها یعتبر نوعا من التذکیر.

و بعد هذا الاستعراض العام.تناولت السوره أوّل حکم حاسم للزانی و الزانیه

۱- ۱) -«لسان العرب»المجلد الرّابع،ماده«سور».

اَلزّانِیَهُ وَ الزّانِی فَاجْلِدُوا کُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَهَ جَلْدَهٍ

و لتأکید هذا الحکم قالت وَ لا تَأْخُذْکُمْ بِهِما رَأْفَهٌ فِی دِینِ اللّهِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ .

و أشارت الآیه فی نهایتها إلی مسأله أخری لإکمال الاستنتاج من العذاب الإلهی وَ لْیَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَهٌ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ .

و تشتمل هذه الآیه علی ثلاثه تعالیم:

۱-الحکم بمعاقبه النساء و الرجال الذین یمارسون الزنا.

۲-إقامه هذا الحکم الإلهی بعیدا عن الرأفه بمن یقام علیه،فهذه الرأفه الکاذبه تؤدّی إلی الفساد و انحطاط المجتمع.و تضع الآیه الإیمان باللّه و یوم الحساب مقابل الرأفه التی قد یحس بها أحد تجاه الزانی و الزانیه ساعه إقامه الحدّ علیهما،لأنّ أداء الأحکام الإلهیه من غیر تأثر بالعواطف دلیل علی صدق الإیمان بالمبدأ و المعاد،و الإیمان باللّه العالم الحکیم یعنی أنّ لکل حکم من أحکامه غایه و هدف حکیم،و الإیمان بالمعاد یشعر الإنسان بالمسؤولیه إزاء کل مخالفه.

و ذکر بهذا الصدد حدیث مهم

عن الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «یؤتی بوال نقص من الحدّ سوطا،فیقال له:لم فعلت ذلک؟فیقول:رحمه لعبادک،فیقال له:أنت أرحم بهم منّی؟!فیؤمر به إلی النار،و یؤتی بمن زاد سوطا،فیقال له:لم فعلت ذلک؟فیقول:

لینتهوا عن معاصیک!فیقول:أنت أحکم به منّی؟!فیؤمر به إلی النّار!». (۱)

۳-أوجب اللّه حضور عدد من المؤمنین فی ساحه معاقبه الزناه لیتعظ الناس بما یرون من إقامه حکم اللّه العادل علی المذنبین،و بملاحظه النسیج الاجتماعی للبشر نری أن انحطاط الشخص لا ینحصر فیه،بل یسری إلی الآخرین،و لإتمام التطهیر یجب أن یکون العقاب علنا مثلما کان الذنب علنا.

۱- ۱) -تفسیر الفخر الرّازی،المجلد الثّالث و العشرین،صفحه ۱۴۸.

و بهذا يتّضح الجواب عن السؤال:لم يعرّض الإسلام كرامه إنسان بين الناس إلى الخدش و الامتهان؟فيقال:ما دام الذنب سرّا لم يطّلع عليه أحد و لم يبلغ القضاء،فلا بأس بكتمانه فى النفس و استغفار اللّه منه،فإنّه تعالى يستره بلطفه و يحبّ من يستره،أمّا إذا ظهر الجرم بالأدلّه الشرعيّه،فلا بدّ من تنفيذ العقاب بشكل يبطل آثار الذنب السيئه،و يبعث على استفظاعه و بشاعته.و من الطبيعى أن يولى المجتمع السليم الأحكام اهتماما كبيرا،فتكرار التحدّى للحدود الشرعيّه يفقدها فاعليتها فى صيانه الطمأنينه و الاستقرار فى النفوس،و من هنا وجبت إقامه هذا الحدّ علنا ليمتنع الناس من تكرار فاحشه ساءت سبيلا.

و يجب أن لا ننسى أن كثيرا من الناس يهتم باطّلاع الناس على سوء فعله أكثر من اهتمامه بما ينزل به من العقاب على ذلك الفعل الشنيع.و لهذا وجبت إقامه الحدّ على الزّانى بحضور الناس،و هذا الإعلان لإقامه هذا الحدّ الإلهى أمام الناس قد يمنع المفسدين من الاستمرار فى الفساد و يكون بمثابه فرامل قويه امام التمادى فى ركوب الشهوات.

و بعد بيان حدّ الزّنا،جاء بيان حكم الزواج من هؤلاء فى الآيه الثّالثه و كما يلى اَلزّانِی لا يَنْكِحُ إِلاّ زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلاّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .

اختلف المفسّرون فى كون هذه الآيه بيانا لحكم إلهى،أو خبرا عن قضيّه طبيعيه.

فيرى البعض أنّ الآيه تبيّن واقعه ملموسه فقط،فالمنحطون يختارون المنحطات،و كذلك يفعلن هن فى اختيارهن،بينما يسمو المتطهّرون المؤمنون عن ذلك.و يحرّمون على أنفسهم اختيار الأزواج من ذلك الصنف تزكيه و تطهيرا، و هذا ما يشهد به ظاهر الآيه الذى جاء على شكل جمله خبريه.

إلاّ أنّ مجموعه أخرى ترى فى هذه العباره حكما شرعيا و أمرا إلهيا يمنع

المؤمنين من الزواج مع الزانيات،و يمنع المؤمنات من الزواج مع الزناه،لأنّ الانحرافات الأخلاقيه كالأمراض الجسميه المعديه فى الغالب.فضلا عن أنّ ذلک عار يأباه المؤمن و ينأى عنه.

مضافا إلى المصير المبهم و المشكوک للأبناء الذين ينشؤون فى احضان ملوثه و مشكوكه.ينتظر الأبناء من مثل هذا الزواج! و لهذه الأسباب و الخصوصيات منعه الإسلام.

و الشاهد على هذا التفسير جمله وَ حُرِّمَ ذٰلِکَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الّتى تدلّ على تحريم الزنا.

و الدليل الآخر أحاديث عديده رويت عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سائر الأئمّه المعصومين عليهم السّلام التى فسّرت هذه الآيه باعتبارها حكما إلهيا ينص على المنع.

و حتى أن بعض كبار المفسّرين كتب بشأن نزول هذه الآيه:إنّ رجلا من المسلمين استأذن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أن يتزوج«أم مهزول»و هى امرأه كانت تسافح و لها رايه على بابها،فنزلت الآيه (۱) ،عن عبد اللّه بن عباس و ابن عمر و مجاهد و قتاده و الزهرى،و المراد بالآيه النهى و إن كان ظاهرها الخبر.

و يؤيده ما

روى عن أبى جعفر عليه السّلام و أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّهما قالا: «هم رجال و نساء كانوا على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشهورين بالزنا،فنهى اللّه عن أولئک الرجال و النساء،و الناس على تلک المنزله،فمن شهر بشىء من ذلک و أقيم عليه الحد فلا تزوجوه حتى تعرف توبته» (۲) .

و لا بد أن نذكّر أن العديد من الأحكام جاء جملا خبريه.و لا ضروره لأن تكون إنشائيه آمره ناهيه.

و الجدير بالانتباه أنّ المشركين كانوا يعطفون على الزناه، و هذا يكشف عن

۱- ۱) -مجمع البيان،تفسير الآيه موضع البحث و القرطبى فى تفسيره لهذه الآيه.حيث رويا هذا الحديث.

۲- ۲) -مجمع البيان،من تفسير الآيه موضوع البحث.

أنّ الزّنا و الشّرک صنوان.

قال الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «لا یزنی الزانی حین یزنی و هو مؤمن،و لا یسرق السارق حسن یسرق و هو مؤمن،فإنه إذا فعل ذلک خلع عنه الإیمان کخلع القمیص» (۱) .

ملاحظات

اشاره

۱-الحالات التی یعدم فیها الزانی

ما ذکرته الآیه السابقه حکم عامّ یستثنی منه زنا المحصّن و المحصنه، فحدّهما القتل،إذا ثبت علیهما الجرم.

و یقصد بالمحصن الرجل الذی له زوجه تعیش معه،و المحصنه هی المرأه المتزوجه التی یعیش زوجها معها فمن توفر له السبیل المشروع لإرضاء الغریزه الجنسیه ثمّ یزنی فإنّ حدّه القتل.

کما أن الزنا بالمحرمات حکمه الإعدام.

و کذلک الزنا بالعنف و الإکراه،أی الاغتصاب فحکمه القتل أیضا.و فی بعض الحالات یحکم إضافه إلی الجلد بالنفی و أحکام أخری ذکرتها الکتب الفقهیه.

۲-لماذا ذکرت الزانیه أولا؟

لا شک فی أنّ ممارسه هذا العمل الذی یخالف العفه،هی فی غایه القبح، و تزداد قبحا و بشاعه بالنسبه للمرأه،فحیاؤها أکثر من حیاء الرجل،و الخروج علیه دلیل تمرد شدید جدّا.و إضافه إلی أنّ عاقبته المشؤومه بالنسبه لها أکبر رغم فداحته و وباله علی الطرفین کلیهما.

---

۱ – ۱) -الکافی،الأصول،المجلد الثانی،صفحه ۲۶(المطبعه الإسلامیه عام ۱۳۸۸).حسبما نقله صاحب نور الثقلین،المجلد الثالث،ص ۵۷۱.

و یحتمل أن تکون المرأه مصدر الوساوس فی اقتراف هذا الذنب،و تعتبر فی کثیر من الأحیان السبب الأصلی فیه.و لهذا کله ذکرت الآیه الزانیه أولا ثمّ الزانی.

إلاّ أن النساء و الرجال من أهل العفّه و الإیمان یجتنبون هذه الأعمال.

۳-لماذا تکون العقوبه علنیه؟

تستوجب الآیه السابقه-التی جاءت بصیغه الأمر-حضور طائفه من المؤمنین حین تنفیذ حدّ الزنا،لکنّ القرآن لم یشترط أن یجری ذلک فی الملأ العام،بل وقفه علی الظروف،و یکفی حضور ثلاثه أشخاص أو أکثر وفق ما یقرر القاضی (۱) .

و فلسفه هذا الحکم واضحه،لأنّه أوّلا: إنّ الهدف هو أن یکون هذا الحکم عبره للناس جمیعا،و سببا لتطهیر المجتمع.

و ثانیا:لیکون خجل المذنب مانعا له من ارتکاب هذا الذنب فی المستقبل.

و ثالثا:متی نفذ الحدّ بحضور مجموعه من الناس یتبرأ القاضی و القائمین علی تنفیذ الحدّ من أیه تهمه کالارتشاء أو المهادنه أو التفرقه أو ممارسه التعذیب و أمثال ذلک.

و رابعا:حضور مجموعه من الناس یمنع التعنت و الإفراط فی تنفیذ الحدّ.

و خامسا:حضور الناس یمنع المجرم من نشر الشائعات و الاتهامات ضد القاضی،کما یحول هذا الحضور من نشاط المجرم التخریبی فی المستقبل و غیر ذلک من الفوائد.

۱- ۱) -شکک عدد من المفسّرین فی ضروره حضور مجموعه من المؤمنین حین تنفیذ حدّ الزنا،فی حین أن الأمر بالحضور ظاهر من الآیه،و هی لا تقصد الاستحباب.

۴-ماذا کان حدّ الزانی سابقا؟

یستفاد من الآیتین(۱۵)و(۱۶)من سوره النساء أنّ الحکم قبل نزول سوره النّور کان السجن المؤیّد للزانیه فَأَمْسِکُوهُنَّ فِی الْبُیُوتِ حَتّٰی یَتَوَفّٰاهُنَّ الْمَوْتُ و إلحاق الأذی بالزناه غیر المحصنین فَآذُوهُمٰا و لم یحدد مقدار هذا الأذی حتی حددته هذه الآیه بمائه جلده.و علی هذا حلّ الإعدام محل السجن المؤید فی الحکم علی الزانیه المحصنه،و حدّد الأذی لغیر المحصن بمائه جلده (و لمزید من الاطّلاع راجع التّفسیر الأمثل فی تفسیر الآیتین(۱۵)و(۱۶)من سوره النساء).

۵-منع الإفراط و التفریط عند تنفیذ الحدّ!

لا ریب فی أنّ القضایا الإنسانیه و العاطفیه توجب بذل أقصی الجهود لمنع إصابه بریء بهذا العقاب،و إصدار العفو وفق الأحکام الإلهیه،أمّا إذا ثبت الذنب فلا بدّ من الحسم من غیر تأثر بالمشاعر الکاذبه و العواطف البشریه إلاّ بالحقّ، فهیجانها الجارف یلحق بالنظام الاجتماعی ضررا کبیرا.

و لا سیما و قد وردت فی الآیه عباره:«فی دین اللّه»أی:عند ما یکون الحکم من اللّه فهو أبصر و أحکم بمواقع الرأفه و الرّحمه،فحین ینهی عن الانفعال العاطفیّ فی إقامه حکم شرعی من أجل أنّ أکثریه الناس تتملّکهم هذه الحاله،فیحتمل غلبه عواطفهم و احساساتهم علی عقلهم و ایمانهم.و لا جدال فی وجود فئه قلیله من الناس تمیل إلی العنف،و هذا انحراف عمّا دعانا إلیه ربّ العزّه و الحکمه- سبحانه-من العدل و الإحسان اللذین لا یظهران إلاّ بإقامه أحکامه الرشیده،فلا ینبغی لمسلم أن یزید أو ینقص فی حکم اللّه سبحانه.

ص: ۱۷

۶-شروط تحریم الزواج بالزانیه و الزانی:

ذکرنا أن ظاهر الآیات السابقه یحرّم الزواج من الزانیه و الزانی،و خصصت الأحادیث الشریفه ذلک بالذین اشتهروا بالزنی و لم یتوبوا،و أمّا إذا لم یشتهروا بهذا العمل القبیح،أو أنّهم ترکوه و طهّروا أنفسهم منه،و حافظوا علی عفتهم، فلا مانع من الزواج منهم.

أمّا الدلیل علی الصوره الثّانیه،و هی حاله التوبه،فإنه لا ینطبق عنوان الزانی و الزانیه علی هؤلاء فکانت حاله مؤقّته زالت عنهم.أمّا فی الحاله الأولی فقد ورد هذا القید فی الروایات الإسلامیه و یؤیده سبب نزول الآیه السابقه. ففی حدیث معتبر

عن الإمام الصادق علیه السّلام أن الفقیه المعروف«زراره»سأله عن تفسیر اَلزّانِی لا یَنْکِحُ إِلاّ زانِیَةً .فقال الإمام علیه السّلام:«هن نساء مشهورات بالزنا و رجال مشهورون بالزنا،قد شهروا بالزنا و عرفوا به،و الناس الیوم بذلک المنزل،فمن أقیم علیه حد الزنا،أو شهر بالزنا،لا ینبغی لأحد أن یناکحه حتی یعرف منه توبته» (۱) .

کما جاءت أحادیث أخری بهذا المضمون.

۷-فلسفه تحریم الزنا:

لا یخفی علی أحد مساوئ هذا العمل القبیح علی الفرد و المجتمع،و مع ذلک نری من اللازم بیان هذا المعنی باختصار:إنّ ممارسه هذا العمل القبیح و انتشاره یعرّض النظام الأسریّ إلی الدمار.

و یجعل العلاقه بین الابن و أبیه غامضه و سلبیه.

و قد بیّنت لنا التجربه أنّ الأولاد المجهولی النسب یتحولون إلی جناه خطرین

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلد الرّابع عشر،ص ۳۳۵.

على المجتمع.

كما أنّ هذا العمل القبيح يؤدى إلى مصادمات بين أصحاب المطامع و الأهواء.

إضافه إلى انتشار أنواع الأمراض النفسيه و الجلديه.و ذلك ليس خافيا على أحد.

و من نتائجه المشؤومه الإجهاض و ارتكاب الجرائم من هذا القبيل(و لمزيد الاطلاع راجع التّفسير الأمثل آخر الآيه **۳۲** من سوره الإسراء).

ص :۱۹

الآيتان [سوره النور (۲۴): الآيات ۴ الی ۵]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ يَرْمُونَ اَلْمُحْصَنٰاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَهِ شُهَدٰاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمٰانِينَ جَلْدَهً وَ لاٰ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهٰادَهً أَبَداً وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۴) إِلاَّ اَلَّذِينَ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵)

التّفسير

اشاره

عقوبه البهتان:

قد يستغلّ المعترضون ما نصّت عليه الآيات السابقه من عقوبات شديده للزانی و الزانيه فيسيئون للمتطهّرين،فبيّنت الآيات اللاحقه هنا عقوبات شديده للذين يرمون المحصنات،و يسخّرون هذا الحكم لأغراضهم الدنيئه.فجاءت هاتان الآيتان لحفظ الحرمات الطاهره و صيانه الكرامات من عبث هؤلاء المفسدين.

تقول الآيه: وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنٰاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَهِ شُهَدٰاءَ فالأشخاص الذين يتّهمون النساء العفيفات بعمل ينافی العفّه(أی الزنا)،و لم يأتوا بأربعه شهود عدول لاثبات ادعائهم.فحكمهم فَاجْلِدُوهُمْ ثَمٰانِينَ جَلْدَهً و تضيف

الآیه حکمین آخرین: وَ لاٰ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهٰادَهً أَبَداً،وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ .

فهنـا لا یقع مثل هؤلاء الأشـخاص تحت طائله العقاب الفیزیقی الشدیـد فحسب،بل إنّ کلامهم و شـهادتهم یسـقطان عن الإعتبار أیضا،لکیلا یتمکنوا من التلاعب بسـمعه الآخرین و تلویث شـرفهم فی المسـتقبل،مضافا إلی أن وصمه الفسق تکتب علی جبینهم فیفتضح أمرهم فی المجتمع.و ذلک لمنعهم من تلویث سمعه الطاهرین.

و هـذا التشدیـد فی الحکم المشرّع لحفظ الشرف و الطهاره،لیس خاصا بهذه المسأله،ففی کثیر من التعالیم الإسـلامیه نراه ماثلا أمامنا للأهمیه البالغه التی یمنحها الإسلام لشرف المرأه و الرجل المؤمن الطاهر.

و

جاء فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام: «إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإیمان من قلبه کما ینماث الملح فی الماء» (۱) .

و لکنّ المولی العزیز الحکیم سبحانه و تعـالی لاـ یسـدّ بـاب رحمته فی وجه التائبین،الـذین تابوا من ذنوبهم و طهّروا أنفسـهم،و ندموا علی ما فرّطوا،و سعوا فی تعویض ما فاتهم من البرّ إِلاَّ الَّذِینَ تٰابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ .

و قد اختلف المفسّـرون فی کون هذا الاستثناء یعود إلی جمله أُولٰئِکَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ أو إلی جمله وَ لاٰ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهٰادَهً أَبَداً ،فإذا کـان الاسـتثناء عائـدا إلی الجملتین معـا،فمعنی ذلـک قبول شـهادتهم بعـد التوبه و إزالته الحکم بفسـقهم.أمّا إذا کان عائـدا إلی الجمله الأـخیره،فـإن الحکم علیهم بـالفسق سـیزول عنهم فی جمیع الأحکـام الإسـلامیه،إلاّ أن شـهادتهم تظل باطله لا تقبل منهم حتی آخر أعمارهم.

إلاّ أن المبادئ المعمول بها فی«أصول الفقه»تقول:«إن الاستثناء الوارد

۱- ۱) -أصول الکافی،المجلد الثانی،صفحه ۲۶۹،باب التهمه و سوء الظن.

بعد عدّه جمل يعود إلى الأخيره منها،إلاّ فی حاله وجود قرائن تنص على شمول هذه الجمل بهذا الاستثناء.و هنا يوجد مثل هذه القرينه،لأنّه عند ما يزول الحكم بالفسق عن الشخص بتوبته إلى اللّه،فلا يبقى دليل على ردّ شهادته لأنّ عدم قبول الشهاده كان من أجل فسقه.فإذا تاب و رجعت إليه ملكه العداله فلا يسمى فاسقا.

و جاءت أحاديث عن أهل البيت عليهم السّلام مؤكّده هذا المعنى،

فقد روى أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد و حماد عن القاسم بن سليمان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الرجل يقذف الرجل فيجلد حدا،ثمّ يتوب و لا نعلم منه إلاّ خيرا أ تجوز شهادته؟قال:«نعم.ما يقال عندكم؟».

قلت:يقولون:توبته فيما بينه و بين اللّه،و لا تقبل شهادته أبدا.

فقال:«بئس ما قالوا:كان أبی يقول:إذا تاب و لم نعلم منه إلاّ خيرا جازت شهادته» (1) .

كما رويت أحاديث أخرى فی هذا الباب بهذا المعنى،و لكن يوجد حديث واحد يحمل على التقيه.

و من الضروری أن نذكّر بأن كلمه«أبدا»فی جمله لاٰ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهٰادَةً أَبَداً دليل على عموميه الحكم.و كما نعلم فإنّ كل عام يقبل الاستثناء(خاصّه الاستثناء المتصل به)،فالرأی القائل أن لفظه(أبدا)تمنع تأثير التوبه خطأ مؤكّد.

بحوث

اشاره

١-المراد من كلمه«رمی»

«الرّمی»فی الأصل هو اطلاق السهم أو قذف الحجر و أمثالهما،و طبيعی أنه

١- ١) -وسائل الشيعه،المجلد ١٨ كتاب الشهادات،الباب ٣۶ صفحه ٢٨٢.

یؤذی فی معظم الأوقات،و قد استخدمت الکلمه هنا کنایه عن اتهام الأشخاص و سبابهم و وصفهم بما لا یلیق،لأن هذه الکلمات کالسهم یصیب الشخص و یجرحه.

و لعل ذلک هو السبب فی استخدام هذه الآیات-و الآیات المقبله-لهذه الکلمه بشکل مطلق،فلم ترد الآیه علی هذا النحو(و الذین یرمون المحصنات بالزنا)و إنّما جاءت وَ الَّذِینَ یَرْمُونَ الْمُحْصَنٰاتِ لأنّ مفهوم«یرمون»و خاصّه مع ملاحظه القرائن الکلامیه یستبطن معنی(الزنا)،و عدم التصریح به و لا سیما عند الحدیث عن النساء العفیفات نوع من الاحترام لهن.و هذا التعبیر مثال بارز لإکرام المتطهرین،و نموذج لاحترام الآداب و العفه فی الکلام.

۲-لماذا أربعه شهود؟

من المعلوم أن شاهدین عادلین یکفیان-فی الشریعه الإسلامیه-لإثبات حق،أو ذنب اقترفه شخص ما،حتی و إن کان قتل النفس.أمّا فی إثبات الزنا فقد اشترط اللّه تعالی أربعه شهود.و قد یکون ذلک لأن الناس یتعجلون الحکم فی هذه المسأله،و یتطاولون بإلصاق تهمه الزنا بمجرّد الشک،و لهذا شدّد الإسلام فی هذا المجال لیحفظ حرمات الناس و شرفهم.أمّا فی القضایا الأخری-حتی قتل النفس-فإن موقف الناس یختلف.

إضافه إلی أن قتل النفس ذو طرف واحد فی الدعوی،أی إنّ المجرم واحد، أمّا الزنا فذو طرفین،حیث یثبت الذنب علی شخصین أو ینفی عنهما،فإذ کان المخصص لکل طرف شاهدین،فیکون المجموع أربعه شهود.

و هذا الکلام تضمنه الحدیث التالی:

عن أبی حنیفه قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام أیّهما أشدّ الزنا أم القتل؟قال:فقال علیه السّلام:القتل:قال:فقلت:فما بال القتل جاز فیه شاهدان،و لا یجوز فی الزنا إلاّ أربعه؟فقال لی:ما عندکم فیه یا أبا حنیفه،قال:

قلت:ما عندنا فيه إلاّ حديث عمر،إنّ اللّه أجرى فى الشهاده كلمتين على العباد، قال:ليس كذلك يا أبا حنيفه و لكنّ الزنا فيه حدّان،و لا يجوز أن يشهد كلّ اثنين على واحد،لأنّ الرجل و المرأه جميعا عليهما الحدّ،و القتل إنّما يقام الحدّ على القاتل و يدفع عن المقتول (۱) .

و هناك حالات معينه فى الزنا،ينفذ الحد فيها على طرف واحد(كالزنا بالإكراه و أمثاله)إلاّ أنها حالات مستثناه و المتعارف فيه اتفاق الطرفين،و من المعلوم أن غايات الأحكام تتبع الغالب فى الأفراد.

۳-الشّرط المهم فى قبول التوبه

قلنا مرارا:إنّ التوبه ليست فقط بالندامه على ما اقترفه الإنسان و تصميمه على تركه فى المستقبل،بل تقتضى-إضافه إلى هذا-أن يقوم الشخص بالتعويض عن ذنوبه اقترفها،فإذا وجّه المرء تهمه لامرأه أو رجل طاهر ثمّ تاب،فيجب عليه أن يعيد الاعتبار إلى من تضرّر باتّهامه،و ذلك بأن يكذب هذه التهمه بين كل الذين سمعوها عنه.

فعباره وَ أَصْلَحُوا التى أعقبت عباره تابُوا هى إشاره إلى هذه الحقيقه، حيث أوجبت التوبه-كما قلنا-أولا،ثمّ إصلاح ما أفسده و إعاده ماء وجه الذى أساء إليه،و ليس صحيحا أن يتّهم إنسان أخاه ظلما فى ملأ عام،أو يعلن عن ذلك فى الصحّف و أجهزه الإعلام،ثمّ يستغفر فى خلوه داره-مثلا-و يطلب من اللّه الصفح عنه،و بالطبع لن يقبل اللّه مثل هذه التوبه.

لذلك

روى عن أئمّه المسلمين قال الرّاوى: سألته عن الذى يقذف المحصنات،تقبل شهادته بعد الحدّ إذا مات؟قال:نعم،قلت،و ما توبته؟قال:

ص: ۲۴

۱- ۱) -نور الثقلين،المجلد الثالث،ص ۵۷۴.

لا یجیء فیکذب نفسه عند الإمام و یقول:«قد افتریت علی فلانه و یتوب ممّا قال» (1) .

۴-أحکام القذف:

یوجد باب تحت عنوان«حد القذف»فی کتاب الحدود.

و«القـذف»علی وزن«فعـل»یعنی لغه رمی الشـیء نحو هـدف بعیـد،إلاّـ أنّه اسـتخدمت کلمه«رمی»کنـایه عن اتهام شـخص ما فی عرضه،أو بتعبیر آخر:هو سباب یرتبط بهذه الأمور.

و«القـذف»إذا جری بلفـظ صـریح،و بـأی لغه و أیه صوره فحـدّه-کمـا قلنـا سابقـا-هو ثمانون جلـده.و إذا لم یکن صـریحا فیعزّر القاذف.(و لم ترد فی الشریعه الإسلامیه حدود للتعزیر،بل و کل التعزیر إلی تقدیر القاضی،لیقرر حدودها وفق خصائص المذنب و کیفیه وقوع الذنب و الشروط الأخری).

و إذا وجه شـخص اتهاما لمجموعه من الناس،و کرره بالنسبه لکل واحد منهم،فإنه یواجه حدّ القذف لکل تهمه تفوّه بها،أمّا إذا اتهمهم مرّه واحـده،فینفّـذ بحقه حـدّ واحـد إن طالبوا القاضـی جمیعا مره واحـده.و أمّا إذا أقام کلّ واحـد منهم الـدعوی بصوره مستقله،فإنه یعاقب المذنب بعدد هذه الدعاوی.

و هـذا الموضوع من الأهمیه إلی درجه أنّه إذا اتهم شـخصا و مات المتهم، فلورثته الحق فی المطالبه باقامه الحـدّ علی الذی اتهم مورثّهم بشیء.و بما أن هذا الحکم مرتبط بحق الشخص،فلصاحب الحق العفو عن الذنب و إسقاط الحدّ عنه، باستثناء حاله تکرر هذا الذنب من شخص معین بحیث یعرض وجود و شرف المجتمع إلی الخطر،فیکون حسابه عسیرا.

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلد الثامن عشر،صفحه(۲۸۳)(أبواب الشهادات باب ۳۶ الحدیث ۴).

و إذا تسابّ شخصان سقط الحد عنهما،إلاّ أنّ حاكم الشرع يعزرهما، و لهذا لا يجوز للشخص ردّ السّباب بالمثل،بل له أن يطلب من حاكم الشرع معاقبه المذنب.

و على كل حال فإنّ هذا الحكم الإسلامى يرمى إلى المحافظه على سمعه الناس و شرفهم،و إلى الحيلوله دون انتشار المفاسد الاجتماعيه و الأخلاقيه التى يبتلى المجتمع بها عن هذا الطريق.و لو ترك المفسدون يعملون ما يحلو لهم يسبّون و يتهمون الأشخاص و المجتمع متى شاؤوا دون رادع،لتعرض شرف الناس و كرامتهم إلى الهتک،و لوصل الأمر بسبب هذه التهم الباطله إلى وقوع الريبه بين الزوج و زوجته،و سوء ظن الأب بشرعيه ولده إلى الخطر.و يسيطر الشک و سوء الظن على المجتمع كله.و تروّج الشائعات فتصيب الطاهرين أيضا.و هنا يستوجب العمل بحزم كبير مثلما عامل الإسلام هؤلاء المسيئين مروّجى التهم و الشائعات.

أجل،يجب أن يضربوا ثمانين جلده إزاء كل تهمه بالزنا ليقفوا عند حدّهم، و لتتم المحافظه على كرامه الناس و شرفهم.

ص :۲۶

الآيات [سوره النور (۲۴): الآيات ۶ الی ۱۰]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوٰاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدٰاءُ إِلاّٰ أَنْفُسُهُمْ فَشَهٰادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهٰادٰاتٍ بِاللّٰهِ إِنَّهُ لَمِنَ اَلصّٰادِقِينَ (۶) وَ اَلْخٰامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اَللّٰهِ عَلَيْهِ إِنْ كٰانَ مِنَ اَلْكٰاذِبِينَ (۷) وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا اَلْعَذٰابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهٰادٰاتٍ بِاللّٰهِ إِنَّهُ لَمِنَ اَلْكٰاذِبِينَ (۸) وَ اَلْخٰامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اَللّٰهِ عَلَيْهٰا إِنْ كٰانَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (۹) وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اَللّٰهَ تَوّٰابٌ حَكِيمٌ (۱۰)

سبب النّزول

روی ابن عباس أن سعد بن عباده(سید الأنصار)من الخزرج ،قال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بحضور جمع من الأصحاب:«یا رسول اللّه!لو أتیت لكاع(زوجته)و قد یفخذها رجل لم یكن لی أن أهیجه حتی آتی بأربعه شهداء،فو اللّه ما كنت لآتی باربعه شهداء حتی یفرغ من حاجته و یذهب،و إن قلت ما رأیت إن فی ظهری لثمانین جلده،فقال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ص: ۲۷

يا معشر الأنصار ما تسمعون إلى ما قال سيدكم؟ فقالوا:لا تلمه فإنّه رجل غيور.ما تزوج امرأه إلاّ بكرا،و لا طلّق امرأه له فاجترى رجل منّا أن يتزوجها.

فقال سعد بن عباده:يا رسول اللّه،بأبى أنت و أمّى،و اللّه إنّى لأعرف أنّها من اللّه،و أنّها حق،و لكن عجبت من ذلك لما أخبرتك.

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:فإنّ اللّه يأبى إلاّ ذاك.

فقال:صدق اللّه و رسوله.

فلم يلبثوا إلاّ يسيرا حتى جاء ابن عم له،يقال له:هلال بن أميه قد رأى رجلا مع امرأته ليلا،فجاء شاكيا إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:إنّى جئت أهلى عشاء فوجدت معها رجلا رأيته بعينى و سمعته بأذنى.

فكره ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى رؤيت الكراهه فى وجهه،فقال هلال:إنّى لأرى الكراهه فى وجهك،و اللّه يعلم إنّى لصادق،و إنّى لأرجو أن يجعل اللّه لى فرجا.

فهمّ رسول اللّه بضربه،و اجتمعت الأنصار و قالوا:ابتلينا بما قال سعد،أ يجلد هلال و تبطل شهادته؟فنزل الوحى و أمسكوا عن الكلام حين عرفوا أن الوحى قد نزل،فأنزل اللّه تعالى وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوٰاجَهُمْ الآيات،فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أبشر يا هلال،فإنّ اللّه تعالى قد جعل فرجا.

فقال:قد كنت أرجوا ذاك من اللّه تعالى. (١)

و بنزول الآيات السابقه علم المسلمون الحل السليم لهذه المشكله،و شرحها كما يأتى.

١- ١) -تفاسير مجمع البيان،و فى ظلال القرآن،و نور الثقلين،و الميزان،فى تفسير الآيات موضع البحث(مع بعض الاختلاف).

التّفسير

اشاره

عقاب توجيه التهمه إلى الزوجه!

يستنتج من سبب النّزول أنّ هذه الآيات فى حكم الاستثناء الوارد على حد القذف،فلا يطبق حدّ القذف(ثمانين جلده)على زوج يتّهم زوجته بممارسه الزنا مع رجل آخر،و تقبل شهادته لوحدها.و يمكن فى هذه الحاله أن يكون صادقا كما يمكن أن يكون كاذبا فى شهادته.و هنا يقدم القرآن المجيد حلا أمثل هو:

على الزوج أن يشهد أربع مرات على صدق ادعائه وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إِلاّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهادَهُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ وَ الْخامِسَهُ أَنَّ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَيْهِ إِنْ كانَ مِنَ الْكاذِبِينَ و بهذا على الرجل أن يعيد هذه العباره«اشهد باللّه إنى لمن الصادقين فيما رميتها من الزنا» أربع مرات لإثبات ادعائه من جهه،و ليدفع عن نفسه حد القذف من جهه أخرى.

و يقول فى الخامسه:«لعنه اللّه علىّ إن كنت من الكاذبين».

و هنا تقف المرأه على مفترق طريقين،فإمّا أن تقر بالتهمه التى وجهها إليها زوجها،أو تنكرها على وفق ما ذكرته الآيات التاليه.

ففى الحاله الأولى تثبت التهمه.

و فى الثّانيه وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكاذِبِينَ وَ الْخامِسَهَ أَنَّ غَضَبَ اللّهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصّادِقِينَ .و بهذا الترتيب تشهد المرأه خمس مرات مقابل شهادات الرجل الخمس-أيضا-لتنفى التهمه عنها.بأن تكرر أربع شهادات«أشهد باللّه إنّه لمن الكاذبين فيما رمانى من الزنا» و فى الخامسه تقول«أن غضب اللّه علىّ إن كان من الصادقين».

و هذه الشهادات منهما هى ما يسمّى ب«اللعان»،لاستخدام عباره اللعن فى الشهاده.

و ليترتب على هذين الزوجين أربعه أحكام نهائيه.

ص :۲۹

أوّلها:انفصالهما دون طلاق.

و ثانيها:تحرم الزوج على الزوجه إلى الأبد، أى لا يمكنهما العوده إلى الحياه الزوجيه معا بعقد جديد.

و ثالثها:سقوط حد القذف عن الرجل،و حد الزنا عن المرأه(و إذا رفض أحدهما تنفيذ هذه الشهادات يقام عليه حدّ القذف إن كان الرافض الرجل،و إن كانت المرأه يقام عليها حد الزنا.

و رابعها:الطفل الذى يولد بعد هذه القضيه لا ينسب إلى الرجل،و تحفظ نسبته للمرأه فقط.

و لم ترد تفاصيل الحكم السابق فى الآيات المذكوره أعلاه،و إنّما جاء فى آخر الآيه موضع البحث وَ لَوْ لاَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللّٰهَ تَوّٰابٌ حَكِيمٌ .

فهذه الآيه إشاره إجماليه إلى تأكيد الأحكام السابقه،لأنّها تدل على أن اللعان فضل من اللّه،إذ يحل المشكله التى يواجهها الزوجان،بشكل صحيح.

فمن جهه لا يجبر الرجل على التزام الصمت إزاء سوء تصرف زوجته و يمتنع من مراجعه الحاكم الشرعى.

و من جهه أخرى لا تتعرض المرأه إلى حدّ الزنا الخاص بالمحصنه بمجرّد توجيه التهمه إليها،بل يمنحها الإسلام حق الدفاع عن نفسها.

و من جهه ثالثه لا يلزم الرجل البحث عن شهود أربعه إن واجه هذه المشكله، لاثبات هذه التهمه النكراء و الكشف عن هذه الفضيحه المخزيه.

و من جهه رابعه يفصل بين هذين الزوجين و لا يسمح لهما بالعوده إلى الحياه الزوجيه بعقد جديد فى المستقبل أبدا،لتعذّر الاستمرار فى الحياه الزوجيه إن كانت التهمه صادقه، كما أن المرأه تصاب بصدمه نفسيه إن كانت التهمه كاذبه.

و تجعل الحياه المشتركه ثانيه صعبه للغايه و لا تقتصر على حياه بارده و خامله،بل ينتج عن هذه التهمه عداء مستفحل بينهما.

ص :٣٠

و من جهه خامسه توضح الآیه مستقبل الولید الذی یولد بعد توجیه هذه التهمه.

هـذا کله فضل من اللّه و رحمه منّ بها علی عباده.و حل هذه المشـکله بشـکل عادل یعبّر عن لطف اللّه بعباده و رحمته لهم.و لو دققنـا النظر فی الحکم لرأینـا أنّه لاـ یتقاطع مع ضـروره وجود شـهود أربعه فی هـذه القضـیه.إذ أن تکرار کل من الرجل و المرأه شهادتهما أربع مرات یعوض عن ذلک.

ملاحظات

اشاره

۱-لماذا استثنی الزوجان من حکم القذف؟

السّؤال الأوّل الـذی یطرح نفسه هنا:ما هی خاصـیه الزوجین،لیصدر هذا الحکم المسـتثنی بحقّهما؟ و نجد جواب هذا السؤال من جهه فی سبب نزول الآیه،و هو عدم تمکن الرجل من التزام الصمت إزاء مشاهدته لزوجته و هی تخونه مع رجل آخر.

کیـف لـه أن یمتنـع عن رد الفعـل إزاء الاعتـداء علی شـرفه؟و إذا تـوجّه إلی القاضـی و هـو یصـرخ و یسـتنجد،فقـد یـواجه حدّ القـذف،لعدم تیقن القاضـی من صدق دعواه.و إذا حاول إحضار أربعه شـهود،فإن ذلک صـعب علیه لمساسه بشـرفه،و قد تنتهی الحادثه و لا یمکنه إحضار شهوده فی الوقت المناسب.

و من جهه أخری،فإنّ الغرباء یتّهمون بعضهم بعضا بسهوله،و لکن الرجل و المرأه نادرا ما یتّهم أحدهما الآخر.

و لهذا السبب حکم الشارع فی هذه القضیه بوجوب إحضار أربعه شهود فی غیر الزوجین،و إلّا نفّذ حدّ القذف علی الذی یوجه تهمه الزنا،و لیس الأمر کذلک بالنسبه للزوجین،و لهذا خصّهما الحکم المذکور لما فیهما من میزات خاصّه فی هذه الحاله.

۲-کیفیه اللعان

توصلنا بعد الإیضاحات التی ذکرناها خلال تفسیر هذه الآیات،إلی وجوب تکرار الرجل شهادته أربع مرات لیثبت صحه دعواه فی اتهامه لزوجته بالزنا، و لینجو من حدّ القذف.و بهذا فإن هذه الشهادات الأربع من الزوج بمثابه أربعه شهود،و فی الخامسه یتقبل لعنه اللّه علیه إن کان کاذبا.

و مع الالتفات إلی أن تنفیذ هذه الأحکام یتم عاده فی محیط اسلامی ملتزم و بیئه متدیّنه،و یری الزوج نفسه مضطرا للوقوف بین یدی الحاکم الشرعی،لیدلی بشهادته أربع مرات بشکل حاسم لا یقبل الشک و التردید،و فی الخامسه یطلب من اللّه أن یلعنه إن کان کاذبا،فهذا کله یمنع الرجل من التهوّر و توجیه اتهام باطل إلی زوجته.

أمّا المرأه التی ترید الدفاع عن نفسها و تری نفسها بریئه من هذه التهمه، فعلیها تکرار شهادتها أربع مرات و تشهد أن التهمه باطله،لإیجاد موازنه بین شهادتی الرجل و المرأه،و بما أن التّهمه موجهه للمرأه،فإنّها تدافع عن نفسها بعباره أقوی فی المرحله الخامسه،حیث تدعو اللّه أن ینزل غضبه علیها إن کانت کاذبه.

و کما نعلم فإنّ«اللعنه»ابتعاد عن الرحمه.

و أمّا«الغضب»فإنّه أمر أشد من اللعنه،لأنّ الغضب یستلزم العقاب،فهو أکثر من الابتعاد عن الرحمه.

و لهذا قلنا فی تفسیر سوره الحمد:إنّ اَلْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ هم أسوأ من اَلضّالِّینَ علی الرغم من أنّ الضالّین هم بالتأکید بعیدون عن رحمه اللّه تعالی.

۳-العقاب المحذوف فی الآیه:

جاءت الآیه الأخیره-ممّا نحن بصدده-جمله شرطیه لم یذکر جزاءها

حیث تقول: وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللّٰهَ تَوّٰابٌ حَكِيمٌ .لکنّها لم تـذکر نتیجه ذلک.و بملاحظه القرائن فیها یتّضـح لنا جواب الشرط.و الصمت إزاء مسأله ما یکشف عن أهمیتها البالغه،و یثیر فی مخیله المرء تصورات عدیده لها.و کل تصور منها له مفهوم جدید.فهنا قد یکون جواب الشرط:لولا فضل اللّه و رحمته علیکم،لکشف عن أعمالکم و فضحکم.

أو:لولا فضل اللّه و رحمته علیکم،لعاقبکم فورا و أهلککم.

أو:لولا هذا الفضل،لما وضع اللّه سبحانه و تعالی مثل هذه الأحکام الدقیقه من أجل تربیتکم.

و فی الواقع فإن حذف جواب الشرط یثیر فی فکر القارئ کل هذه الأمور (۱) .

۱- ۱) -ذکر تفسیر«المیزان»جواب الشرط بشکل یشمل التفاسیر الأخری قال:«لولا ما أنعم اللّه علیکم من نعمه الـدین و توبته لمذنبیکم و تشریع الشرائع لنظم أمور حیاتکم،لزمتکم الشقوه،و أهلکتکم المعصیه و الخطیئه،و اختل نظام حیاتکم بالجهاله».

الآیات [سوره النور (۲۴): الآیات ۱۱ الی ۱۶]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ جٰاؤُ بِالْإِفْکِ عُصْبَهٌ مِنْکُمْ لاٰ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَکُمْ بَلْ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ لِکُلِّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اِکْتَسَبَ مِنَ اَلْإِثْمِ وَ اَلَّذِی تَوَلّٰی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۱۱) لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَیْراً وَ قٰالُوا هٰذٰا إِفْکٌ مُبِینٌ (۱۲) لَوْ لاٰ جٰاؤُ عَلَیْهِ بِأَرْبَعَهِ شُهَدٰاءَ فَإِذْ لَمْ یَأْتُوا بِالشُّهَدٰاءِ فَأُولٰئِکَ عِنْدَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْکٰاذِبُونَ (۱۳) وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِی اَلدُّنْیٰا وَ اَلْآخِرَهِ لَمَسَّکُمْ فِیمٰا أَفَضْتُمْ فِیهِ عَذٰابٌ عَظِیمٌ (۱۴) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِکُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِکُمْ مٰا لَیْسَ لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَیِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اَللّٰهِ عَظِیمٌ (۱۵) وَ لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مٰا یَکُونُ لَنٰا أَنْ نَتَکَلَّمَ بِهٰذٰا سُبْحٰانَکَ هٰذٰا بُهْتٰانٌ عَظِیمٌ (۱۶)

سبب النّزول

اشاره

ذکر سببین لنزول الآیات السابقه:

أوّلهما:ما

روته عائشه زوجه الرّسول قالت: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا أراد أن

يخرج إلى سفر أقرع بين أزواجه فأيّتهنّ خرج سهمها خرج بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معه.قالت عائشه: فأقرع بيننا فى غزوه (۱) غزاها فخرج سهمى فخرجت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ما نزل الحجاب و أنا أحمل فى هودجى و أنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من غزوته تلك و قفل.

فدنونا من المدينه قافلين آذن ليله بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلمّا قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى فإذا عقد لى من جزع ظفار (۲) .قد انقطع فالتمست عقدى و حبسنى ابتغاؤه و أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب،و هم يحسبون أنى فيه،و كانت النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم إنّما تأكل المرأه العلقه (۳) من الطعام فلم يستنكر القوم خفه الهودج حين رفعوه و كنت جاريه حديثه السن فبعثوا الجمل فساروا فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم و ليس بها داع و لا مجيب فيممت منزلى الذى كنت به فظننت أنّهم سيفقدونى فيرجعون إلىّ فبينا أنا جالسه فى منزلى غلبتنى عينى فنمت.

و كان صفوان بن المعطل السلمى ثمّ الذكر إنّى من وراء الجيش فأدلج (۴) فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى و كان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى و اللّه ما كلمنى كلمه واحده و لا سمعت منه كلمه غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطّى على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحله حتى أتينا الجيش بعد أن نزلوا موغرين فى نحر الظهيره فهلك فى من هلك.

۱- ۱) -هى غزوه بنى المصطلق فى العام الخامس للهجره.

۲- ۲) -ظفار كقطام بلد باليمين قرب صنعاء،و جزع ظفارى منسوب إليها و الجزع الخرز و هو الذى فيه سواد و بياض.

۳- ۳) -العلقه من الطعام ما يمسك به الرمق.

۴- ۴) -أدلج القوم:ساروا الليل كله أو فى آخره.

و کان الذی تولی الإفک عبد اللّه بن أبیّ بن سلول فقدمنا المدینه فاشتکیت حین قدمت شهرا و الناس یفیضون فی قول أصحاب الإفک لا أشعر بشیء من ذلک،و هو یریبنی فی وجعی أنی لا أعرف من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اللطف الذی کنت أری منه حین اشتکی إنّما علیّ فیسلم ثمّ یقول:کیف تیکم؟ثمّ ینصرف فذاک الذی یریبنی و لا أشعر بالشر حتی خرجت بعد ما نقهت و خرجت معی أم مسطح قبل المناصع (۱) و هی متبرزنا و کنّا لا نخرج إلاّ لیلا إلی لیل،و ذلک قبل أن نتخذ الکنف قریبا من بیوتنا و أمرنا أمر العرب الأوّل فی التبرّز قبل الغائط فکنّا نتأذی بالکنف أن نتخذها عند بیوتنا.

فانطلقت أنا و أم مسطح فأقبلت أنا و أم مسطح قبل بیتی قد أشرعنا (۲) من ثیابنا فعثرت أم مسطح فی مرطها (۳) فقالت:تعس مسطح فقلت لها:بئس ما قلت أ تسبین رجلا شهد بدرا؟قالت:إی هنتاه (۴) أو لم تسمعی ما قال؟قلت:و ما قال:

فأخبرتنی بقول أهل الإفک فازددت مرضا علی مرضی.

فلما رجعت إلی بیتی دخل علیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسلم ثمّ قال:کیف تیکم؟ فقلت:أ تأذن لی أن آتی أبوی؟-قالت:و أنا حینئذ أرید أن أستیقن الخبر من قبلهما-قالت:فأذن لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فجئت لأبوی فقلت لأمی:یا أمتاه ما یتحدث الناس؟قالت یا بنیه هونی علیک فو اللّه لقلما کانت امرأه قط وضیئه عند رجل یحبّها و لها ضرائر إلاّ أکثرن علیها فقلت:سبحان اللّه و لقد تحدث الناس بهذا؟فبکیت تلک اللیله حتی أصبحت لا یرقا لی دمع و لا أکتحل بنوم ثمّ أصبحت أبکی.

۱- ۱) -المناصع:المواضع یتخلی فیها لبول أو حاجه.

۲- ۲) -أی رفعنا ثیابنا.

۳- ۳) -المرط-بالکسر-کساء واسع یؤتزر به و ربما تلقیه المرأه علی رأسها و تتلفع به.

۴- ۴) -خطاب للمرأه یقال للرجل یا هناه.

و دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على بن أبى طالب و أسامه بن زيد حين استلبث الوحى يستأمرهما فى فراق أهله،فأمّا اسامه فأشار على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالذى يعلم من براءه أهله و بالذى يعلم لهم فى نفسه من الودّ فقال:يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أهلك و لا نعلم إلاّ خيرا،و أمّا على بن أبى طالب فقال:يا رسول اللّه لم يضيّق اللّه عليك،و النساء سواها كثيره و إن تسأل الجاريه تصدقك،فدعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بريره فقال:أى بريره هل رأيت شيئا يريبك؟قال بريره:لا و الذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا أغمضه أكثر من أنّها جاريه حديثه السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله.

فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاستعذر يومئذ من عبد اللّه بن أبى فقال و هو على المنبر:

يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهل بيتى فو اللّه ما علمت على أهلى إلاّ خيرا،و لقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلاّ خيرا و ما كان يدخل على أهلى إلاّ معى.

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال:يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه و إن كان من إخواننا من بنى الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک، فقام سعد بن عباده و هو سيد الخزرج و كان قبل ذلک رجلا صالحا و لكن احتملته الحميّه ابن عم سعد فقال لسعد بن عباده:كذبت لعمر اللّه ما تقتله و لا تقدر على قتله،فقام أسيد بن خضير و هو ابن عم سعد بن عباده،قال:كذبت لنقتلنه فإنّک منافق تجادل عن المنافقين،فتثاورا الحيّان:الأوس و الخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائم على المنبر فلم يزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخفضهم حتى سكنوا و سكت.

فبكيت يومى ذلک فلا يرقا لى دمع و لا أكتحل بنوم فأصبح أبواى عندى و قد بكيت ليلتين و يوما لا أكتحل بنوم و لا يرقا لى دمع و أبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى.

ص :٣٧

فبینما هما جالسان عندی و أنا أبکی فاستأذنت علیّ امرأه من الأبصار فأذنت لها فجلست تبکی معی فبینما نحن علی ذلک دخل علینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثمّ جلس و لم یجلس عندی منذ قیل فیّ ما قیل قبلها و قد لبث شهرا لا یوحی إلیه فی شأنی بشیء،فتشهد حین جلس ثمّ قال:أمّا بعد یا عائشه إنّه بلغنی عنک کذا و کذا فإن کنت بریئه فسیبرؤک اللّه،و إن کنت ألممت بذنب فاستغفری اللّه و توبی إلیه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثمّ تاب تاب اللّه علیه.

فلمّا قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مقالته قلص (۱) دمعی حتی ما أحس منه قطره، فقلت لأبی:أجب عنّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.قال:و اللّه ما أدری ما أقول لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فقلت لامی:أجیبی عنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،قالت:و اللّه ما أدری ما أقول لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

فقلت و أنا جاریه حدیثه السن لا أقرأ کثیرا من القرآن:إنّی و اللّه لقد علمت أنّکم سمعتم هذا الحدیث حتی استقر فی أنفسکم و صدّقتم به فلئن قلت لکم:إنّی بریئه و اللّه یعلم أنی بریئه لا تصدّقونی،و لئن اعترفت لکم بأمر و اللّه یعلم أنّی منه بریئه لتصدّقنّی،و اللّه لا أجد لی و لکم مثلا إلاّ قول أبی یوسف:فصبر جمیل و اللّه المستعان علی ما تصفون.

ثمّ تحوّلت فاضطجعت علی فراشی و أنا حینئذ أعلم أنی بریئه و أن اللّه مبرّئی ببراءتی و لکن و اللّه ما کنت أظن أن اللّه منزل فی شأنی وحیا یتلی،و لشأنی فی نفسی کان أحقر من أن یتکلم اللّه فی بأمر یتلی،و لکن کنت أرجو أن یری رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رؤیا یبرّئنی اللّه بها.

قالت:فو اللّه ما رام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مجلسه و لا خرج أحد من أهل البیت حتی أنزل علیه فأخذه ما کان یأخذه من البرحاء عند الوحی حتی أنه لیتحدّر منه

۱- ۱) -قلص:اجتمع و انقبض.

مثل الجمان من العرق و هو فى يوم شات من ثقل القول الـذى أنزل عليه فلمّا سـرى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم سرى عنه و هو يضـحك فكان أوّل كلمه تكلم بها أن قال:أبشـرى يا عائشه أمّا اللّه فقد برّأك،فقالت أمى:قومى إليه،فقلت:و اللّه لا أقوم اليه و لا أحمد إلاّ اللّه الذى أنزل براءتى،و أنزل اللّه:«إن الذين جاؤا بالإفك عصبه منكم»العشر الآيات كلها.

فلما أنزل اللّه هذا فى براءتى قال أبو بكر،و كان ينفق على مسـطح بن أثاثه لقرابته منه و فقره:و اللّه لا أنفق على مسـطح شيئا أبدا بعـد الـذى قـال لعـائشه مـا قـال فـأنزل اللّه:«و لاـ يأتـل أولو الفضل منكم و السعه أن يؤتوا أولى القربى و المساكين- إلى قوله- رحيم»قال أبو بكر:و اللّه إنّى أحبّ أن يغفر اللّه لى فرجع إلى مسطح النفقه التى كان ينفق عليه،و قال:و اللّه لا أنزعها منه أبدا.

قالت عائشه:فكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يسأل زينب ابنه جحش عن أمرى فقال:

يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟فقالت:يا رسول اللّه أحمى سـمعى و بصـرى ما علمت إلاّ خيرا،قالت:و هى التى كانت تسامينى من أزواج النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فعصـمها اللّه بالورع،و طفقت أختها حمنه تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصـحاب الإفك. (۱)

إمـام باقر عليه السّـلام يقول:لما هلك إبراهيم بن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم حزن عليه حزنا شديـدا فقالت عائشه:ما الذى يحزنك عليه؟ما هو إلاّ ابن جريح،فبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا عليه السّلام و أمره بقتله.

فذهب على عليه السّـلام و معه السيف و كان جريح القبطى فى حائط فضرب على عليه السّلام باب البستان فأقبل جريح له ليفتح الباب فلما رأى عليّا عليه السّـلام عرف فى وجهه الغضب فأدبر راجعا و لم يفتح باب البسـتان فوثب على عليه السّلام على الحائط و نزل إلى البستان و اتبعه و ولى جريح مدبرا فلما خشى أن يرهقه (۲) صعد فى نخله و صعد

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۱۵،ص ۹۶-۱۰۰.

۲- ۲) -أرهقه:أدركه.

علی علیه السّلام فی أثره فلما دنا منه رمی بنفسه من فوق النخله فبدت عورته فإذا لیس له ما للرجال و لا له ما للنساء.

فانصرف علی علیه السّلام إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال له:یا رسول اللّه إذا بعثتنی فی الأمر أکون کالسمار المحمیّ فی الوبر أم أثبّت؟قال:لا-بل تثبّت.قال:و الذی بعثک بالحق ما له ما للرجال و ما له ما للنساء،فقال:الحمد للّه الذی صرف عنّا السوء أهل البیت. (۱)

تحقیق المسأله:

علی رغم ممّا ذکرته معظم المصادر الإسلامیه لهذین السببین فإن هناک أمورا غامضه فی السبب الأوّل تثیر النقاش،منها:

۱-یستفاد من تعابیر هذا الحدیث-رغم تناقضاته-أنّ الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم وقع تحت تأثیر الشائعه، و أدی ذلک إلی مشاورته أصحابه و تغییر سلوکه مع عائشه حتی ابتعد عنها لمدّه طویله.

و هذا الموضوع لا ینسجم مع عصمه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و حسب،بل کل مسلم ثابت الإیمان لا ینبغی أن یقع تحت تأثیر الشائعات دون مبرر،و إذا تأثّر بالشائعه فعلیه ألا یغیّر سلوکه عملیا،و لا یستسلم للشائعه و أثرها فکیف بالمعصوم.

فهل یمکن التصدیق أنّ العتاب الشدید الذی ذکرته الآیات التالیه و تساءلت:

لماذا وقع بعض المؤمنین تحت تأثیر هذه الشائعه،و لماذا لم یطلبوا شهودا أربعه، یشمل النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟هذه تساؤلات تدفعنا فی أقل تقدیر إلی الشک فی صحه سبب النّزول الأول.

۱- ۱) -المصدر السابق،ص ۱۰۳.

۲-رغم أن ظاهر الآيات يدلّ على أن حكم القذف(الاتهام بعمل مخل بالشرف و العفه)نزل قبل حديث الإفک،فلما ذا لم یستدع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عبد اللّه بن أبی سلول و عددا آخر ممّن نشروا هذه الشائعه لیجری الحد الذی فرضه اللّه؟(الاّ أن یقال بأن آیات القذف و الافک نزلت سویه،و أن حکم القذف قد شرح حینذاک لتناسبه مع الموضوع،ففی هذه الصوره ینتفی هذا الإشکال و لکن یبقی الأوّل علی قوّته).

أمّا بالنسبه لسبب النّزول الثّانی،فإنّ ما یثیر فیه النقاش هو عدّه أمور،منها:

۱-إن الذی وجه التهمه-وفقا لسبب النّزول هذا- هو شخص واحد لا غیر، فی الوقت الذی ذکرت الآیات فیه أنّهم مجموعه،و قد روّجوا لها لدرجه شیوعها تقریبا فی المدینه کلها.لهذا استخدمت الآیات ضمیر جمع للمؤمنین الذی عاتبتهم بشدّه،و الذین تورّطوا فی تصدیق و ترویج هذه الشائعه،و هذا لا ینسجم أبدا مع سبب النّزول الثّانی.

۲-یبقی سؤال هو:إذا کانت عائشه ارتکبت هذا الإثم(القذف)ثمّ ثبت خلاقه،فلما ذا لم ینفّذ النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حدّ القذف بحقها؟ ۳-کیف یمکن للنبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یصدر حکم القتل بحق شخص بشهاده امرأه واحده؟مع أنّ التنافس بین زوجات رجل واحدا أمرا اعتیادیّا،و الانحراف عن الحق و العدل أو ارتکاب إحداهن لخطأ علی الأقل ممکن.

و لیس مهما ما یکون سبب النّزول،بل المهم أن نعلم من مجموع الآیات هو أنه قد اتهم شخص بریء بعمل مخلّ بالعفه و الشرف حین نزول هذه الآیات،و أن الشائعات کانت منتشره فی المدینه،کما یفهم من الدلائل الموجوده فی هذه الآیه، أن هذه التهمه کانت موجهه لشخص له أهمیه خاصّه فی المجتمع آنذاک.و أن مجموعه من المنافقین المتظاهرین بالإسلام أرادوا الإخلال بالمجتمع الإسلامی بترویجهم هذه الشائعه،فنزلت هذه الآیات،و تصدّت لهذه الحادثه بقوه،و دفعت

المنحرفين و المنافقين الحاقدين إلى جحورهم.

و مهما يكن سبب نزول هذه الأحكام،فإنها لا تخص سبب النّزول وحده، و لا تنصرف لزمانه و مكانه فقط،بل هى أحكام نافذه فى كلّ بيئه و زمان.

بعد هذا الحديث نشرع فى تفسير هذه الآيات لنرى كيف يتابع القرآن بفصاحته و بلاغته هذه الحادثه الخاصّه، و كيف يبحث تفاصيلها بدقه.

التّفسير

اشاره

حديث الافک المثير:

تقول أوّل آيه من الآيات موضع البحث،دون أن تطرح أصل الحادثه إِنَّ الَّذِينَ جٰاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لأن من علائم الفصاحه و البلاغه،حذف الجمل الزائده،و الاكتفاء بما تدلّ عليه الكلمات من معان شامله.

كلمه«الإفک»على وزن«فكر»كما يقول الراغب الأصفهانى:يقصد بها كل مصروف عن وجهه،الذى يحق له أن يكون عليه،و منه قيل للرياح العادله عن المهاب«مؤتفكه»ثمّ أطلقت على كل كلام منحرف عن الحق و مجانب للصواب، و من ذلک يطلق على الكذب«أفک».

و يرى«الطبرسى»فى مجمع البيان أن الإفک لا يطلق على كل كذبه بل الكذبه الكبيره التى تبدل الموضوع عن حالته الأصليه،و على هذا يستفاد أن كلمه «الإفک»بنفسها تبيّن أهميه هذه الحادثه و كذب التهمه المطروحه.

و أمّا كلمه«العصبه»فعلى وزن«فعله»مشتقّه من العصب،و جمعها أعصاب، و هى التى تربط عضلات الجسم بعضها مع بعض،و على شكل شبكه منتشره فى الجسم،ثمّ أطلقت كلمه«عصبه»على مجموعه من الناس متحده و ذات عقيده واحده.

و استخدام هذه الكلمه يكشف عن الارتباط الوثيق بين المتآمرين المشتركين فى ترويج حديث الإفك، حيث كانوا يشكلون شبكه قويه منسجمه و مستعده لتنفيذ المؤامرات.

و قال البعض:إن هذه المفرده تستعمل فى عشره إلى أربعين شخصا (١) .

و على كل حال فإن القرآن طمأن و هدّأ روع المؤمنين الذين آلمهم توجيه هذه التهمه إلى شخصيه متطهره لاٰ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ،لأنّه كشف عن حقيقه عدد من الأعداء المهزومين أو المنافقين الجبناء،و فضح أمر هؤلاء المرائين،و سوّد وجوههم إلى الأبد.

و لو لم تكن هذه الحادثه،لما افتضح أمرهم بهذا الشكل،و لكانوا أكثر خطرا على المسلمين.

إنّ هذا الحادث علّم المسلمين أن اتّباع الذين يروّجون الشائعات يجرّهم إلى الشقاء،و أنّ عليهم أن يقفوا بقوّه امام هذا العمل.كما علّم هذا الحادث المسلمين درسا آخر،و هو أنّ لا ـ ينظروا إلى ظاهر الحادث المؤلم،بل عليهم أن يتبحّروا فيه،فقد يكون فيه خيرا كثيرا رغم سوء ظاهره.

و ممّا يلفت النظر أنّ ذكر ضمير«لكم»يعمّ جميع المؤمنين فى هذا الحادث، و هذا حقّ،لأن شرف المؤمنين و كيانهم الاجتماعى لا ينفصل بعضه عن بعض، فهم شركاء فى السرّاء و الضرّاء.

ثمّ تعقّب هذه الآيه بذكر مسألتين:

أوّلاهما: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ إشاره إلى أنّ المسؤوليه الكبرى التى تقع على عاتق كبار المذنبين لا تحول دون تحمل الآخرين لجزء من هذه المسؤوليه،و لهذا يتحمل كلّ شخص مسئوليته إزاء أيه مؤامره.

ص: ۴۳

١- ١) -نقل تفسير«روح المعانى»هذا المعنى عن كتاب«الصحاح».

و المسأله الثّانيه: وَ الَّذِي تَوَلّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ قال بعض المفسّرين:إن الشخص المقصود هو«عبد اللّه بن أبى سلول»قائد أصحاب الإفك.

و قال آخرون:إنّه مسطح بن أثاثه.و حسان بن ثابت كمصاديق لهذا الخطاب.

و على كل حال،فإنّ الذى نشط فى هذا الحادث أكثر من الآخرين،و أضرم نار الإفك،هو قائد هذه المجموعه الذى سيعاقب عقابا عظيما لكبر ذنبه.(و يحتمل أن كلمه«تولى»يقصد بها رأس مروجى حديث الإفك).

ثمّ توجّهت الآيه التاليه:إلى المؤمنين الذين انخدعوا بهذا الحديث فوقعوا تحت تأثير الشائعات،فلا متهم بشدّه لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً .

أى:لماذا لم تقفوا فى وجه المنافقين بقوّه،بل استمعتم إلى أقوالهم الّتى مسّت مؤمنين آخرين كانوا بمنزله أنفسكم منكم.و لماذا لم تدفعوا هذه التهمه و تقولوا بأن هذا الكلام كذب و افتراء: وَ قٰالُوا هٰذٰا إِفْكٌ مُبِينٌ .

أنّكم كنتم تعرفون جيدا الماضى القبيح لهذه المجموعه من المنافقين، و تعرفون جيدا طهاره الذى اتّهم،و كنتم مطمئنين من عدم صدق هذه التهمه وفق الدلائل المتوفره لديكم.

و كنتم تعلمون أيضا بما يحاك من مؤامرات ضدّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قبل الأعداء و المنافقين،لذا فإنّكم تستحقون اللوم و التأنيب لمجرد هذه الشائعات الكاذبه، و لالتزامكم الصمت إزاءها،فكيف بكم و قد اشتركتم فى نشر هذه الشائعه بوعى أو دون وعى منكم؟ و ممّا يلفت النظر أن الآيه السابقه بدلا من أن تقول:عليكم أن تحسنوا الظن بالمتهم و تصدقوا تهمته،فإنها تقول ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً و هذه العباره-كما قلنا-إشاره إلى أنّ أنفس المؤمنين كنفس واحده،فإذا اتهم

أحدهم،فكأن التهمه موجهه لجميعهم،و مثالهم فی ذلک کمن اشتکی عضو منه فهبت بقیه الأعضاء لنجدته.

و هکذا یجب أن یهب المسلم للدفاع عن إخوته و أخواته فی الدین مثلما یدافع عن نفسه (۱) .

و قد استعملت کلمه«الأنفس»فی آیات أخری من القرآن فی هذا المعنی أیضا-فی مثل هذه الحالات-کما هو فی الآیه(۱۱)من سوره الحجرات وَ لاٰ تَلْمِزُوا أَنْفُسَکُمْ ! أمّا الاستناد إلی الرجال و النساء المؤمنین فیشیر إلی قدره الإیمان علی ردع سوء الظن بالآخرین.

و حتی هذه اللحظه کانت الملامه ذات طابع أخلاقی و معنوی،و تقضی بعدم التزام المؤمنین جانب الصمت إزاء مثل هذه التهم القبیحه،أو أن یکونوا وسیله بید مروّجی الشائعات.

ثمّ تهتم الآیات بالجانب القضائی للمسأله فتقول: لَوْ لاٰ جٰاؤُ عَلَیْهِ بِأَرْبَعَهِ شُهَدٰاءَ أی لماذا لم تطلبوا منهم الإتیان بأربعه شهود. فَإِذْ لَمْ یَأْتُوا بِالشُّهَدٰاءِ فَأُولٰئِکَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ الْکٰاذِبُونَ .

إنّ هذه الملامه تبیّن أن الحکم بأداء أربعه أشخاص لشهادتهم،و کذلک حد القذف فی حاله عدمه قد نزل قبل الآیات التی تناولت حدیث الإفک.

و أمّا الجواب عن سؤال:کیف لم یقدم النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی تنفیذ هذا الحدّ؟فإنّه واضح،لأنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یقدم علی شیء ما لم یسند من قبل الناس،فالتعصب القبلی قد یؤدی إلی مقاومه سلبیه لبعض أحکام اللّه و لو بصوره مؤقته،و قد ذکر المؤرخون أنّ الأمر کان هکذا فی هذه القضیه.

و أخیرا جمعت الآیه التالیه هذه الملامات،فقالت

۱- ۱) -و أما قول البعض بأن المضاف محذوف و تقدیره«ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفس بعضهم خیرا»لیس صائبا و یفقد الآیه جمالها و روعتها.

وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ لَمَسَّكُمْ فِيمٰا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ

.

و نظرا لأن«أفضتم»مشتقه من الإفاضه،بمعنى خروج الماء بكثره، و استعملت فى حالات أخرى للتوغل فى الماء،نتج من هذه العباره أنّ شائعه الاتهام توسعت بشكل شملت المؤمنين مضافا إلى مروجيها الأصليين (المنافقين).

و تبيّن الآيه التاليه-فى الحقيقه-البحث السابق.و هو كيف ابتلى المؤمنين بهذا الذنب العظيم نتيجه تساهلهم؟فتقول إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ أى تذكّروا كيف رحبتم بهذه التهمه الباطله فتناقلتموها وَ تَقُولُونَ بِأَفْوٰاهِكُمْ مٰا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيمٌ .

و تشير هذه الآيه إلى ثلاثه أنواع من ذنوبهم العظيمه فى هذا المجال:

الأوّل:تقبّل الشائعه:استقبالها و تناقلها.

الثّانى:نشر الشائعه دون أى تحقيق أو علم بصدقها.

الثّالث:استصغار الشائعه و اعتبارها وسيله للّهو و قضاء الوقت،فى وقت تمس فيه كيان المجتمع الإسلامى و شرفه،إضافه إلى مساسها بشرف بعض المسلمين.

و ممّا يلفت النظر أنّ الآيه استعملت تعبير«بألسنتكم»تاره أخرى تعبير «بأفواهكم»على الرغم من أنّ جميع الكلام يصدر عن طريق الفم و اللسان، إشاره إلى أنّكم لم تطلبوا الدليل على الكلام الذى تقبلتموه، و لا تملكون دليلا يسوّغ لكم نشره،و الأمر الوحيد الذى كان بأيديكم هو لقلقه لسانكم و حركات أفواهكم.

و نظرا لهول هذه الحادثه التى استصغرها بعض المسلمين،أكدتها الآيه ثانيه، فأنّبتهم مرّه أخرى و لذعتهم بعباراتها إذ قالت وَ لَوْ لاٰ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مٰا يَكُونُ لَنٰا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذٰا سُبْحٰانَكَ هٰذٰا بُهْتٰانٌ عَظِيمٌ .

ص :۴۶

و سبق لهـذه الآيه أن وجهت اللوم لهم لسوء ظنهم بالـذى وجه إليه الاتهام باطلا،و هنا تقول الآيه:إضافه إلى وجوب حسن الظن بالمتهم يجب ألا تسمحوا لأنفسكم بالتحدث عنه،و لا تتناولوا التهمه الموجهه إليه،فكيف بكم و قد كنتم سببا لنشرها! عليكم أن تعجبوا لهـذه التهمه الكبيره،و أن تـذكروا اللّه سبحانه و تعالى،و أن تلجأوا إلى اللّه يطهركم من نشـر هذه التهمه و إشاعتها.و مع كل الأسف استصغرتموها و نشرتموها بكل يسر،فأصبحتم بذلك آله بيد المنافقين المتآمرين المروجين للشائعات.

هذا و سنتناول بالبحث-خلال تفسير الآيات القادمه-ذنب اختلاق الشائعه و دوافعها،و السبيل إلى مكافحتها،بعون اللّه و توفيقه.

ص :۴۷

الآيات [سوره النور (۲۴): الآيات ۱۷ الی ۲۰]

اشاره

يَعِظُكُمُ اَللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷) وَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ لَكُمُ اَلْآيَاتِ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱۸) إِنَّ اَلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ اَلْفٰاحِشَةُ فِي اَلَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ فِي اَلدُّنْيٰا وَ اَلْآخِرَهِ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۱۹) وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اَللّٰهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۲۰)

التّفسیر

اشاره

حرمه إشاعه الفحشاء:

تحدثت هذه الآيات أيضا عن حديث الإفك،و النتائج المشؤومه و الأليمه لاختلاق الشائعات و نشرها، و اتهام الأشخاص الطاهرين بتهمه تمس شرفهم و عفتهم.و هذه القضيه مهمه بدرجه أن القرآن المجيد تناولها عدّه مرات،و عرض لها من طرق مختلفه مؤثره،باحثا محللا لها من أجل ألاّ تتكرر مثل هذه الواقعه الأليمه في المجتمع الإسلامى،فذكر أولا يَعِظُكُمُ اللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ (۱) .

ص: ۴۸

---

۱ – ۱) -لهذه الجمله كلمه محذوفه هى حرف«لا»و تقديرها:«يعظكم اللّه أن لا تعودوا لمثله أبدا»و إذا لم نقدّر محذوفا،فإن عباره«يعظكم»تعنى ينهاكم.أى إن اللّه ينهاكم من العوده إلى مثل هذا العمل.

أى أن من علامات الإيمان أن لا يتوجه الإنسان نحو الذنوب العظام،و إذا ارتكبها فذلك يدلّ على عدم إيمانه أو ضعفه،و الجمله المذكوره تشكل-فى الحقيقه-أحد أركان التوبه،إذ أنّ الندم على الماضى لا يكفى،بل يجب التصميم على عدم تكرار ارتكاب الذنوب فى المستقبل،لتكون توبه كامله.

و لتأكيد أكثر على أنّ هذا الكلام ليس اعتياديا،بل صادر عن اللّه العليم الحكيم،و لبيان الحقائق ذات الأثر الفعّال فى مصير الإنسان،يقول سبحانه و تعالى وَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

فهو يعلم تفاصيل أعمالكم تمام العلم،و يصدر أحكامه بمقتضى حكمته الهاديه لكم. و بتعبير آخر:إنه يعلم حاجاتكم و ما يضرّكم و ما ينفعكم بمقتضى علمه الواسع،و يصدر أحكامه و أوامره المتناسبه لاحتياجاتكم بمقتضى حكمته.

و لتثبيت الأمر نقل الكلام من مورده الخاص إلى بيان عام لقانون شامل دائم، فقال: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ .

و ممّا يلفت النظر أنّ القرآن الكريم لم يقل«الذين يشيعون الفاحشه،بل قال:

اَلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَهُ

و هذا يحكى عن الأهميه القصوى التى يدليها القرآن لذلك.و بعباره أخرى:أنّه لا ينبغى توهم أن ذلك كان من أجل زوجه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو شخص آخر بمنزلتها،بل من أجل كلّ مؤمن و مؤمنه،فلا خصوصيه فى ذلك،إنّما هى عامّه للجميع على الرغم من أن كل حاله لها خصائصها،و قد تزيد الواحده على الأخرى فى الخصائص أو تنقص.

كما يجب الانتباه إلى أن إشاعه الفحشاء لا تنحصر فى ترويج تهمه كاذبه ضد مسلم مؤمن،يتهم بعمل مخل بالشرف،بل هذه مصداق من مصاديقها و لهذا التعبير مفهوم واسع يضم كل عمل يساعد فى نشر الفحشاء و المنكر.

و قد وردت فى القرآن المجيد كلمه«الفحشاء»غالبا للدلاله على العمل

المخل بـالعفّه و الشرف.و لكن من النـاحيه اللغويه،فقـد ذكر الراغب الإصـفهانى مفهومـا واسـعا لهـا فقال: الفحش و الفحشاء و الفاحشه،ما عظم قبحه من الأفعال و الأقوال.

و يستعمل القرآن أحيانا هذا المفهوم الواسع،حيث يقول وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوٰاحِشَ . (۱)

و بهذا يتّضح المفهوم الواسع للآيه:

أمّا قول القرآن الكريم: لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ فِی الدُّنْيٰا فقد يكون إشاره إلى الحدود و التعزيرات الشـرعيه.و ردود الفعل الاجتماعيه،و مـا يبتلى به النـاس فى هـذه الـدنيا من مظـاهر مشؤومه بسـبب أعمـالهم القبيحه،إضافه إلى عـدم تقبل أيه شـهاده منهم،و إدانتهم بالفسق و الفجور و افتضاح أمرهم.كل ذلك من النتائج الدنيويه التى تترتب على أقوالهم و أعمالهم القبيحه.

و أمّا عذابهم الأليم فى الآخره،فيكون فى ابتعادهم عن رحمه اللّه، و استحقاقهم غضب اللّه و عذاب النار.

و تختم الآيه بـالقول وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ أجـل،و إن اللّه يعلم بالعـاقبه المشؤومه التى تنتظر الـذى يشـيعون الفحشاء فى الدنيا و الآخره،و لكنّكم لا تعلمون أبعاد هذه القضيه.

إنّه يعلم الـذين يبيتون فى قلوبهم حب هـذا الـذنب،و يعلم الذين يمارسونه تحت واجهات خداعه،أمّا أنتم فلا تعلمون ذلك و لا تدركونه.

أجل،يعلم اللّه كيف ينزل أحكامه ليحول دون ارتكاب هذه الأعمال القبيحه.

و كررت الآيه الأخيره-ممّا نحن بصدده من الآيات التى تناولت حديث الافک و مكافحه إشاعه الفحشاء،و قذف المؤمنين المتطهرين-هذه الحقيقه

ص: ۵۰

۱- ۱) -سوره الشورى،۳۷.

لتؤكّد القول وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللّٰهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ . (۱)

بحوث

اشاره

۱-ما معنی إشاعه الفحشاء؟

بمـا أن الإنسان مخلوق اجتماعی،فالمجتمع البشـری الـذی یعیش فیه له حرمه یجب أن لا تقلّ عن حرمته الشخصـیّه،و طهاره کلّ منهما تساعـد فی طهاره الآخر،و قبـح کلّ منهما یسـری إلی صاحبه.و بموجب هـذا المبـدأ کافـح الإسـلام بشدّه کلّ عمل ینشـر السموم فی المجتمع،أو یدفعه نحو الهاویه و الانحطاط.

و لهذا السبب حارب الإسلام-بقوه-الغیبه و النمیمه،لأن الغیبه تکشف العیوب الخفیه،و تسیء إلی حرمه المجتمع.

أوجب الإسـلام سـتر العیـوب و السـبب فی ذلـک هـو مـا تقـدم من الحیلوله دون انتشـار الـذنوب فی المجتمع،و اکتسابهـا طـابع العمومیه و الشمول.

و عند ما نری اختصاص الذنب العلنی بأهمیه أکثر من الذنب الذی یرتکب فی الخفاء،حتی

أن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام قال: «المذیع بالسیئه مخذول و المستتر بالسیئه مغفور له» (۲) . فالسبب هو ما ذکرنا.

و هکـذا لنفس السـبب یـدین القرآن-بشـدّه-ارتکـاب الـذنوب فی العلن، کإشاعه الفحشاء التی ذکرتها الآیات السابقه فارتکاب الذنوب کالنار التی تسری فی الهشـیم،تأتی علی المجتمع من أساسه فتنخره حتی تهدمه و تذروه،لهذا یجب الإسراع لإطفاء هذه النار،أو لمحاصرتها علی الأقل.أمّا إذا زدنا النار لهیبا،

۱- ۱) -لهذه الجمله محذوف کما یبدو فی آیات أخری سبقت،و تقدیره«لو لا فضل اللّه علیکم لمسّکم فیما أفضتم فیه عذاب عظیم».

۲- ۲) -أصول الکافی،المجلد الثانی،باب ستر العیوب.

و نقلناها من مكان إلى آخر،فإنّها ستحرق الجميع،و لا يمكن بعدئذ إطفاؤها أو السيطره عليها.

و إضافه إلى ذلك،فإنّه لو عظم الـذنب فى نظر عامّه الناس،و تمّت المحافظه على سـلامه ظاهر المجتمع من التلوث و الفساد،فإن ذلك يمنع انتشار الفاحشه بصوره مؤكـده.أمّا اشاعه الفحشاء و الذنوب و التجاهر بالفسق،فمن نشأنها أن تحطم هذا السد الحاجز للفساد.و يستصغر شأن الذنوب من قبل الناس،و يسهل التورط فيها.

و

قد جاء فى حديث للرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله «من أذاع فاحشه كان كمبتدئها» (۱) .

و

جاء فى حديث آخر عن محمد بن الفضيل الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام قال:

قلت له:جعلت فداك الرجل من إخوانى بلغنى عنه الشـيء الذى أكرهه فاسأله عنه فينكر ذلك و قد أخبرنى عنه قوم ثقات؟فقال الإمام عليه السّلام لى:«يا محمّد كذب سمعك و بصرك عن أخيك،و إن شهد عندك خمسون قسامه.و قال لك قول فصدقه و كذبهم،و لا تذيعن عليه شـيئا تشينه به و تهدم به مروءته،فتكون من الذين قال اللّه عزّ و جلّ: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَهُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ (۲) (۳) .

و ممّا يلزم ذكره أنّ لإشاعه الفحشاء صورا عديده فتاره يكون من قبيل افتعال تهمه كاذبه و نقلها بين الناس.

و اخرى يكون بإنشاء مراكز للفساد و نشر الفحشاء.

۱- ۱) -أصول الكافى،المجلد الثانى،باب القبح.

۲- ۲) كتاب ثواب الأعمال،حسبما ذكره تفسير نور الثقلين،المجلد الثّالث،صفحه ۵۸۲.

۳- ۳) -لهذه القضـيه اسـتثناءات،منها موضوع الشهاده فى المحكمه،أو حالات النهى عن المنكر حيث لا سبيل إلاّ بكشف العمل القبيح الذى يرتكبه شخص ما و الشهاده ضده.

و ثالثه بتوفير وسائل المعصيه للناس،أو تشجيعهم على ارتكاب الذنوب.

و رابعه يرتكب الـذنب فى العلن دون ملاحظه الـدين،و لا رعـايه لقـانون و لا التفـات لآداب عامّه،و كل هـذه مصاديق لإشاعه الفحشاء،لأنّ لهذه الكلمه مفهوما واسعا(فتأملوا جيدا).

۲-مصيبه الشائعات

إن اختلاق و نشر الشائعه الكاذبه يودّى إلى سيطره القلق و استبداد الاضطراب و انعدام الثقه،و هذه من أهمّ ما ترمى إليه الحرب النفسيّه للمستعمرين بغيه إثاره البلبله و نشر الفزع،ليتسنى لهم التّغلّب العسكرىّ و السياسىّ.

فعنـد ما يعجز العـدو عن إلحاق الضـرر بصوره مباشـره،يقوم بنشـر الشائعات، لبث الرعب و القلق فى الناس،ليشـغلهم بأنفسـهم،و ليحرفهم عن أهم قضايـاهم حساسـيه،و ليتسـنّى له الظهور عليهم و التمكّن منهم فى كـل مجـال. و اختلاـق الشـائعه من الأسـلحه المخربه المستعمله ضدّ الصالحين و الطيبين،لعزلهم و إقصاء الناس عنهم.

و بحسب أسباب النّزول المعروفه بشأن الآيات موضع البحث لجأ المنافقون إلى أخسّ السبل لتلويث سمعه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الحط من شأنه المقـدّس لـدى الناس، باختلاق شائعه تمسّ طهاره و عفه إحـدى زوجاته مسـتغلين فى ذلك فرصـه سنحت لهم،ممّا أدى إلى تشويش أفكار المسـلمين،و إدخال الحزن إلى قلوبهم، بحيث اضـطرب الجميع.و أصاب المؤمنين القلق الشديد حتى نزل الوحى و أنقذهم من هذه الحاله،و مرّغ أنوف المنافقين فى الوحل بما اختلقوا هذه الشائعه.

و جعلهم عبره للآخرين.

و رغم أن اختلاـق الشـائعه يعـد نوعا من الكفاح فى المجتمعات التى تسودها الـدكتاتوريه و يفتقـد الناس فيها الحريه إلاّ أن من أسبابها و دوافعها الانتقام،

ص:۵۳

و تصفیه الحساب مع أشخاص معنیین،و إزاله الثقه العامّه بالشخصیات الکبیره.

و حرف الرأی العام عن القضایا الجوهریه.

و لا یهمنا أن نعلم دوافع اختلاق الشائعات،إنّما المهم تحذیر المجتمع من مغبه الوقوع فی برائن الذین یختلقون الشائعات و ینشرونها بین الناس،و بذلک یدمرون المجتمع و أنفسهم بأیدیهم!و أن نعلّم الناس بأن یدفنوا الشائعه فی مهدها،و إلاّ فقد أدخلنا السرور إلی قلب العدو،و عرضنا أنفسنا إلی عذاب الدنیا و الآخره کما نصت علیه الآیات السابقه.

۳-استصغار الذنب

یستفاد من الآیات السابقه أنها استنکرت استصغار نشر البهتان و التهمه،و هو خطأ فادح و جرم عظیم و فی الحقیقه إن استصغار الذنب بذاته ذنب آخر.فالذی یرتکب الذنب و یشعر بعظمه ذنبه،و یندم علی ما فعل هو الذی یؤمل فیه التوبه و الجبران.

أمّا الذی یستصغر الذنب و یقول:ما أسعدنی إن کان ذنبی هذا فقط فهذا الشخص یسیر فی طریق خطر و قد یواصل ارتکاب ذنبه،لهذا نقرأ

فی حدیث للإمام علی علیه السّلام قوله: «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه» (۱) .

۱- ۱) -نهج البلاغه،الکلمات القصار،رقم ۳۴۸.

الآیات [سوره النور (۲۴): الآیات ۲۱ الی ۲۶]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ اَلشَّیْطانِ وَ مَنْ یَتَّبِعْ خُطُواتِ اَلشَّیْطانِ فَإِنَّهُ یَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ اَلْمُنْکَرِ وَ لَوْ لا فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ وَ
رَحْمَتُهُ ما زَکی مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لکِنَّ اَللّٰهَ یُزَکِّی مَنْ یَشاءُ وَ اَللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۲۱) وَ لا یَأْتَلِ أُولُوا اَلْفَضْلِ مِنْکُمْ وَ اَلسَّعَهِ أَنْ
یُؤْتُوا أُولِی اَلْقُرْبی وَ اَلْمَساکِینَ وَ اَلْمُهاجِرِینَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اَللّٰهُ لَکُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ
(۲۲) إِنَّ اَلَّذِینَ یَرْمُونَ اَلْمُحْصَناتِ اَلْغافِلاتِ اَلْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِی اَلدُّنْیا وَ اَلْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ (۲۳) یَوْمَ تَشْهَدُ عَلَیْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ
وَ أَیْدِیهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ (۲۴) یَوْمَئِذٍ یُوَفِّیهِمُ اَللّٰهُ دِینَهُمُ اَلْحَقَّ وَ یَعْلَمُونَ أَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْحَقُّ اَلْمُبِینُ (۲۵) اَلْخَبِیثاتُ
لِلْخَبِیثِینَ وَ اَلْخَبِیثُونَ لِلْخَبِیثاتِ وَ اَلطَّیِّباتُ لِلطَّیِّبِینَ وَ اَلطَّیِّبُونَ لِلطَّیِّباتِ أُولئِکَ مُبَرَّؤُنَ مِمّا یَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ (۲۶)

ص: ۵۵

التّفسیر

اشاره

للعقوبات حساب!

علی الرغم من عـدم متابعه هـذه الآیات حـدیث الإفک بصـراحه،إلاّ إنّها تعتبر مکمله لمضـمون ذلک البحث، و تحذّر المؤمنین جمیعـا من تـأثیر الأفکـار الشـیطانیه التی تبـدو أوّلا فی صوره باهته،فلا بـدّ من الانتباه إلیها،و إلاّ فالنتیجه سـیئه للغایه، و لا یمکن تلافیهـا بسـهوله فعلی هـذا حینما یشـعر الفرد بأوّل وسوسه شـیطانیه بإشاعه الفحشاء أو ارتکاب أی ذنب آخر فیجب التصـدی له بقوّه حاسمه،حتی یمنع من انتشاره و توسعه.

و تخـاطب الآـیه الأـولی المـؤمنین،فتقول یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ وَ مَنْ یَتَّبِعْ خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ فَإِنَّهُ یَأْمُرُ بِالْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ (۱) .

و إذا فسّرنا الشیطان بأنه کل مخلوق مؤذ و فاسد و مخرّب،یتّضح لنا شمولیه هذا التحذیر لأبعاد حیاتنا کلها،و حیث لا یمکن جرّ أی إنسان مؤمن متطهر مرّه واحده إلی الفساد،فإنّ ذلک یتمّ خطوه بعد أخری فی طریق الفساد:

الخطوه الأولی:مرافقه الملوثین و المنحرفین.

الخطوه الثّانیه:المشارکه فی مجالسهم.

الخطوه الثّالثه:التفکیر بارتکاب الذنوب.

الخطوه الرّابعه:ارتکاب الأعمال المشتبه بها.

الخطوه الخامسه:ارتکاب الذنوب الصغیره.

و أخیرا الابتلاء بالکبائر. و کأنّ الإنسان فی هذه المرحله یسلّم نفسه لمجرم

۱- ۱) -هناک محـذوف لجمله وَ مَنْ یَتَّبِعْ خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ فَإِنَّهُ یَأْمُرُ بِالْفَحْشٰاءِ و هو جواب الشـرط و تقـدیره«و من یتبع خطوات الشـیطان ارتکب الفحشـاء و المنکر فـإنّه یـأمر بهما»(روح المعانی،المجلـد الثامن عشـر،صـفحه ۱۱۲ تفسـیر آخر الآیات موضـع البحث)و یجب الانتباه إلی أن جمله فإنه یأمر بالفحشاء،لا یمکن اعتبارها جوابا للشرط.

ليقوده نحو الهاويه،أجل هذه خُطُواتِ الشَّيْطانِ (۱) .

ثمّ تشير الآيه إلى أهم النعم الكبيره التى منّ اللّه بها على الإنسان فى هدايته فتقول: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لكِنَّ اللّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

و لا شك فى أنّ الفضل و الرحمه الإلهيه ينقذان الإنسان من الانحطاط و الانحراف من الذنوب جميعا،فاللّه منحه العقل،و لطف به فأرسل إليه الرّسل، و يسّر له سبل الارتقاء و الاهتداء،و أعانه على استكمال الخير.و إضافه إلى هذه المواهب شمل اللّه الذين تطهروا بتوفيقاته الخاصّه،و إمداداته التى يستحقونها، و التى تعتبر أهم عنصر فى تطهير و تزكيه النفس.

و كما أسلفنا.مرارا،فإنّ عباره«من يشاء»لا تعنى المشيئه دون مبرّر،بل إنّ اللّه يهدى عباده الذين يسعون فى نيلها،الذين يسيرون فى الطريق إلى اللّه، و يجاهدون فى سبيله،فيمسك اللّه بيدهم و يحفظهم من وساوس الشيطان و كيده حتى يبلغهم الهدف الأسمى.

و بعباره أخرى:إنّ الفضل و الرحمه الإلهيه تاره يكون لهما جانب تشريعى عن طريق الرسل عليهم السّلام و الكتب السماويه و ما فيها من تعاليم إلهيه و بشارات و إنذارات سماويه.و أخرى يتخذ الفضل و الرحمه الإلهيه جانبا تكوينيا عن طريق الإمدادات المعنويه الإلهيه.

و الآيات موضع البحث استهدفت القسم الثّانى،بدليل عباره«من يشاء»، و يجب الانتباه إلى أن«الزكاه»و«التزكيه»تعنى فى الأصل النمو،و العمل من أجل النمو،إلاّ أنها وردت غالبا بمعنى التطهّر و التطهير.

و يمكن إرجاعها إلى أصل واحد،إذ أنّ النمو و الرشد لا يمكن أن يتحققا إلاّ

۱- ۱) -بحثنا الفرق بين الفحشاء و المنكر فى تفسير الآيه(۹۰)من سوره النحل.

بزوال الحواجز و التطهير من المفاسد و الرذائل.

و ذكر عدد من المفسّرين سببا لنزول الآيه الثّانيه-من الآيات موضع البحث -يكشف عن تلاحمها مع الآيات السابقه،قال:إنّ هذه الآيه نزلت بشأن عدد من الصحابه أقسموا على عدم تقديم مساعده ماليه إلى الذين تورّطوا فى هذه القضيه و أشاعوا هذه التهمه بين الناس،و ألا يشاركوهم همومهم،فنزلت هذه الآيه لتمنعهم من ردّ فعل قاس،و أمرتهم بالعفو و السماح.

و قد روى سبب النّزول هذا«القرطبى»فى شأن نزول هذه الآيات فى تفسيره عن ابن عباس و الضحاك،و رواه المرحوم«الطبرسى»عن ابن عبّاس،و رواه آخرون لدى تفسير الآيات موضع البحث،و هو يمتاز بعموميته.

إلّا أن مجموعه من مفسّرى أهل السنه يصرّون على أن هذه الآيه نزلت بخصوص«أبى بكر»حيث أقسم بعد حادث الإفك على عدم تقديم أيه مساعده ماليه ل-«مسطح بن أثاثه»الذى كان ابن خالته،أو ابن أخته،و هو الذين نشر شائعه الإفك،فى حين أنّ الضمائر التى استعملتها الآيه،جاءت بصيغه الجمع، و تبيّن أنّ مجموعه من المسلمين اتخذوا قرارا بقطع مساعداتهم عن هؤلاء المجرمين،إلّا أنّ هذه الآيه نهتهم عن العمل.

و من المعلوم أنّ الآيات القرآنيه لا تختص بسبب النّزول فقط،بل تشمل جميع المؤمنين إلى يوم القيامه،فهى توصى المسلمين جميعا بألّا يستسلموا لعواطفهم، و ألّا يتخذوا مواقف عنيفه إزاء أخطاء الآخرين.

نعود الآن إلى تفسير الآيه بملاحظه سبب النّزول هذا:

يقول القرآن وَ لاٰ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَهِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبىٰ وَ الْمَسٰاكِينَ وَ الْمُهٰاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ .

إنّ هذا التعبير يكشف أنّ عددا ممن تورّط فى قضيه الإفك كانوا من المهاجرين فى سبيل اللّه إذ خدعهم المنافقون،و لم يجز اللّه طردهم من المجتمع

ص :58

الإسلامی لماضیهم المجید،کما لم یسمح بعقابهم أکثر ممّا یستحقونه.

کلمه«یأتل»مشتقّه من«ألیّه»(علی وزن عطیّه)أی الیمین،أو إنّها مشتقه من «ألو»(علی وزن دلو)بمعنی التقصیر و الترک.

و علی هذا،فإنّ الآیه تعنی وفق المعنی الأوّل النّهی عن هذا القسم بقطع مثل هذه المساعدات (۱) ،و علی المعنی الثّانی النهی علی التقصیر فی مساعدتهم و ترک مثل هذا العمل.

ثمّ تضیف الآیه وَ لْیَعْفُوا وَ لْیَصْفَحُوا لتشجیع المسلمین و ترغیبهم فی العفو و الصفح بقولها: أَ لاٰ تُحِبُّونَ أَنْ یَغْفِرَ اللّٰهُ لَکُمْ .

فإنّکم مثلما تأملون من اللّه العفو عنکم و أن یغفر خطایاکم،یجب علیکم العفو و الصفح عن الآخرین وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ .

و المثیر للدهشه أنّ أصحاب الإفک أدینوا بشدّه فی آیات شدیده اللهجه،إلاّ أنّها تسیطر علی مشاعر المفرطین لمنعهم من تجاوز الحدّ فی العقوبه بثلاث جمل ذات تشعشع أخّاذ،الأول:الأمر بالعفو و السماح.

ثمّ تقول:ألا تحبّون أن یغفر اللّه لکم؟فینبغی علیکم أن یعفوا و تصفحوا کذلک.

و لتأکید ذلک تذکر الآیه صفتین من صفات اللّه«الغفور»و«الرحیم».

و هکذا تقول الآیه للناس:لا یمکنکم أن تکونوا أحرص من اللّه الذی هو صاحب هذا الحکم،و هو یأمرکم بألاّ تقطعوا مساعداتکم.

ممّا لا شک فیه أن جمیع المسلمین الذین تورطوا فی حادثه الإفک لم یکونوا مشارکین فی التآمر بهذا الصدد،و لکن المنافقین هم الذین وضعوا أساس فتنه الإفک و تبعهم مسلمون مضلّلون.

و لا شک فی أنّهم جمیعا مقصّرون و مذنبون،و لکن بین هاتین المجموعتین

۱- ۱) -فی هذه الحاله یجب تقدیر وجود حرف«لا»قبل«یؤتوا»فیکون التقدیر«و لا یأتل...أن لا یؤتوا».

فرق کبیر،و علی هذا یجب أن لا یعامل الجمیع سواسیه.

و علی کل حال،ففی الآیات السابقه درس کبیر لحاضر المسلمین و مستقبلهم،و تذکیر لهم بأن لا یتجاوزوا الحدّ المقرّر فی معاقبه المذنبین، و لا ینبغی طردهم من المجتمع الإسلامی،أو إغلاق باب المساعده فی وجوهم، ذلک من أجل المحافظه علیهم کی لا یزدادوا انحرافا فیقعوا فی أحضان العدو،أو ینحازوا إلی جانبه.

و ترسم هذه الآیات صوره للتعادل الإسلامی فی جذبه و دفعه،و تشکل آیات الإفک و العقوبات الشدیده التی تفرض علی الذین یتهمون الآخرین فی شرفهم«قوه الدفع».و أمّا الآیه موضع البحث التی تتحدث عن العفو و الصفح و کون اللّه غفورا رحیما.فإنها تکشف عن«قوه الجذب»! ثمّ تعود الآیه إلی قضیه القذف و اتّهام النساء العفیفات المؤمنات فی شرفهن، فتقول بشکل حازم: إِنَّ الَّذِینَ یَرْمُونَ الْمُحْصَنٰاتِ الْغٰافِلاٰتِ الْمُؤْمِنٰاتِ لُعِنُوا فِی الدُّنْیٰا وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِیمٌ .

ذکرت هذه الآیه المبارکه ثلاث صفات لهؤلاء النسوه،کلّ واحده تشکل دلیلا علی مدی الظلم الذی تعرضن إلیه باتهامهنّ فی شرفهنّ:«المحصنات»أی العفیفات الطاهرات الذیل و«الغافلات»البعیدات عن کل تهمه و تلوّث و«المؤمنات»،کما تکشف العذاب العظیم الذی ینتظر من یقترف هذا العمل (۱) .

کما أنّ عباره-«غافلات»تلفت النظر،لأنّها تکشف عن منتهی طهارتهنّ من أی انحراف و تلوّث،أی أنهن غافلات عن کل تلوث جنسی إلی درجه و کأنّهن لا یعلمن بوجود مثل هذا العمل فتاره یکون الإنسان فی مقابل الذنب أن لا یخطر علی ذهنه وجود مثل هذا الذنب فی الخارج و هذه مرحله عالیه من التقوی.

۱- ۱) -المیزان،تفسیر الآیات موضع البحث،المجلد ۱۵،صفحه ۱۲۲.

و یحتمل أن یکون المراد من«الغافلات»أنهن لا یعلمن بما ینسب الیهنّ من بهتان فی الخارج،و لهذا السن فی صدد الدفاع عن أنفسهنّ،و فی النتیجه فإنّ الآیه تطرح موضوعا جدیدا للبحث،لأن الآیات السابقه تحدثت عن مثیری التهم الذین یمکن التعرف علیهم و معاقبتهم، إلاّ أنّ الحدیث هنا یدور حول مثیری الشایعات الذین أخفوا أنفسهم عن العقاب و الحدّ الشرعی:فتقول الآیه:أنّ هؤلاء لا یتصوروا أنّهم بهذا العمل سیکون بإمکانهم تجنب العقاب الإلهی دائما،لأنّ اللّه تعالی سیبعدهم عن رحمته فی هذه الدنیا.کما ینتظرهم العذاب العظیم فی الآخره.

إن هذه الآیه رغم مجیئها بعد حدیث الإفک،و ظهورها بمظهر الارتباط بذلک الحادث،فإنها کبقیه الآیات التی تنزل لسبب خاص،و هی ذات مفهوم عامّ، لا تختص بحاله معینه.

و الذی یثیر الدهشه هو إصرار بعض المفسّرین کالفخر الرازی فی«التّفسیر الکبیر»،و آخرین،علی أنّ مفهوم هذه الآیه خاص باتهام نساء النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یجعلون هذا الذنب بدرجه الکفر،و یستدلون بکلمه«اللعن»التی ذکرتها الآیه، فی الوقت الذی لا یمکن فیه اعتبار توجیه التهمه-حتی إن کان هذا الذنب عظیما کاتهام نساء النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لوحده سببا للکفر.لهذا لم یعامل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أصحاب الإفک معامله المرتدین عن دینهم.بل إن الآیات التالیه التی بیّنا شرحها توصی بعدم تجاوز الحد المقرر لهم و عدم الإفراط فی عقابهم،فذنبهم لا یوازی الکفر باللّه.

و أمّا«لعنه اللّه»فهی تصدق علی الکافرین و مرتکبی الکبائر أیضا،و علیه أوردت هذه الآیات المتحدّثه عن حدّ القذف(فی الأحکام الخاصّه باللعان) مرتین کلمه«لعن»ضد الکذابین المسیئین للناس.کما استعملت الأحادیث الإسلامیه کرارا کلمه«اللعن»ضد مرتکبی الذنوب الکبیره.و حدیث«لعن اللّه فی الخمر عشر طوائف...»معروف.

و تحدد الآيه التاليه وضع الذين يتهمون الناس بالباطل فی ساحه العدل الإلهی،قائله يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ .

تـدور ألسـنتهم بما لا تشـتهی أنفسـهم لتسـتعرض الحقائق.و عنـد ما يجـد المجرمون الدلائل و الشواهد العينيه على ما اقترفوه من أعمـال إجراميه،تراهم يعرفون بـذنوبهم و يفضـحون أمرهـم خلافـا لرغبتهم البـاطنيه،حيث لاـ ينفع فی ذلك اليوم إنكارهم للتهم الموجهه إليهم.

و تشـهد أيـديهم و أرجلهم،و كمـا ذكرت الآيـات القرآنيه:تنطق جلودهم و كأنّهـا شـريط مسـجّل،تنطق بمـا اقترف صاحبهـا من ذنوب،حيث رسمت آثار الجرائم عليها طوال عمره،حقا إنّه يوم البروز و الافتضاح،و يوم تنكشف فيه السرائر.

و إذا وجـدنا فی بعض آيات القرآن إشاره إلى يوم القيامه تـذكر اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوٰاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنٰا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْـهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ (١) فـإنّه لاـ خلاـف فيها مع هـذا البحث،إذ يمكن أن تتعطل الأفواه عن الكلام أولا،فتشـهد سائر أعضاء الجسم.و عندها تكشف الأيدی و الأرجل الحقائق،ينطق اللسان بما جرى و يعترف بالذنوب كلّها.

بحوث

اشاره

١-من هن الخبيثات و من هم الخبيثون؟

ذكر المفسّرون تعاريف مختلفه ل«الخبيثات»و«الخبيثون»و«الطيبات» و«الطيبون».

١-قيل أنّ المراد هو الكلام السیء و التهمه و الافتراء و الكذب الصادر عن

١- ١) -سوره يس،الآيه ۶۵.

المخطئين و المذنبين من الناس،و على العكس من ذلك الكلام الطيّب ما يصدر عن الطيّبين المتطهرين،و حسبما يقول المثل المأثور«ينضح الإناء بما فيه».

۲-و قيل إن كلمه«الخبيثات»تعنى«السيئات»و كل الأعمال السيئه و غير المرغوب فيها التى تصدر عن الخبيثات من الناس،و على العكس من ذلك «الحسنات»الخاصّه بالطيبين من الناس.

۲-«الخبيثات»و«الخبيثون»تعنيان النساء و الرجال الساقطين،و هم عكس(الطيبات)و(الطيبون)الخاصتين بالنساء و الرجال المتطهرين.

و ظاهر الآيه قصد هذا المعنى بذاته،حيث هناك قرائن تؤكّد هذا المعنى:

أ-جاءت هذه الآيات إثر آيات الإفك-و بعد آيه اَلزّانِی لا یَنْکِحُ إِلاّ زانِیَهً أَوْ مُشْرِکَهً وَ الزّانِیَهُ لا یَنْکِحُها إِلاّ زانٍ أَوْ مُشْرِکٌ وَ حُرِّمَ ذلِکَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ و هذا التّفسير ينسجم مع مفهوم تلك الآيات.

ب-إن جمله أُولئِکَ مُبَرَّؤُنَ مِمّا یَقُولُونَ التى تقصد الرجال و النساء الطاهرين من الدنس دليل آخر على صحه هذا التّفسير.

ج-قرينه المقابله لجمع المذكر السالم فى«الخبيثون»حيث يقصد بها الرجال الخبيثون،فمن ذلك يعلم أن الخبيثات جمع مؤنث حقيقى،و تعنى النساء الساقطات.

د-إضافه إلى ذلك

روى حديث عن الإمامين الباقر و الصّادق عليهما السّلام «إنّ هذه الآيه كآيه اَلزّانِی لا یَنْکِحُ إِلاّ زانِیَهً أَوْ مُشْرِکَهً همّ رجال و نساء كانوا على عهد رسول اللّه ۶ مشهورين بالزنا فنهى اللّه عن أولئك الرجال و النساء و الناس على تلك منزله..». (۱)

كما نقرأ فى روايات كتاب النكاح،كيف كان أصحاب الإمام يستفسرون منه

۱- ۱) -مجمع البيان،فى تفسير الآيات موضع البحث.

أحيانـا عن الزواج بالخبيثـات فيجيبهم سـلبا.و هـذا يـدل على أن الخـبيثه تعنى المرأه السـاقطه،و ليس الكلاـم السـىء و لاـ العمل المنحط (۱) .

و السؤال الآخر:هل أن خبث هذه المجموعه من النساء و الرجال أو طيبهم يراد به الشـرف و العفّه،أو يتعلّق بانحطاط فى الفكر أو العمـل أو القول؟ إنّ المفهوم الأـوّل للآـيه هو الأـصوب،لأـنّه يطـابق مـا جاء فى الآيات و الأحاديث،لكنّ بعض الأحاديث يعطى معنى واسعا لكلمتى الخبيث و الطيب اللتين وردتا فى هذه الآيات،و لا يحصرهما بالانحطاط الخلقى و طهاره الشخص.

و على هـذا فلاـ يبعـد أن يكون مفهوم الآـيه الأـولى خاصـا بـذلك المعنى الخاص،إلّا أنه بملاحظه الملاك و الغايه من الحكم يمكن تعميمه و توسعته.

و بتعـبير آخر:إن الآـيه السـابقه بيـان لميـل الصـنو إلى صـنوه،رغـم اختصاصـها مـن حيـث الموضـوع يبحـث العفّـه و الانحطـاط الخلقى،«تأملوا جيدا».

۲-هل هذا حكم تكوينى أم تشريعى؟

لا شكّ فى أن الأمثال التاليه تشـير إلى سنه تكوينيّه تطبق على المخلوقات جميعا،حتى على ذرات الوجود فى الأرض و السماء،و هى جذب الشىء لنظيره كما يجذب الكهرب التبن.

أصحاب النور ينجذبون إلى أصحاب النور.

و أصحاب النّار يميلون إلى أصحاب النّار.

و«السنخيه علّه الانظمام»كما يقول المثل.

و على كل حال،فإن كل صنو يتبع صنوه،و كل مجموعه متجانسه ترتاح

۱- ۱) -وسائل الشيعه،المجلد ۱۴،صفحه ۳۳۷،الباب ۱۴ من أبواب ما يحرم بالمصاهره.

لأفرادها،إلاّ أنّ هذه الحقيقه لا تمنع من كون الآيه السابقه كما هى عليه الآيه اَلزّانِيَهُ لاٰ يَنْكِحُهٰا إِلاّ زٰانٍ أَوْ مُشْرِكٌ إشاره إلى حكم شرعى يمنع الزواج من النساء اللواتى اشتهرن بالعمل المخلّ بالشرف.

أليس لجميع الأحكام التشريعيه جذور تكوينيه؟ أليس هناك انسجام بين السنن الإلهيه،التشريعيه منها و التكوينيه؟(لإيضاح أكثر راجع شرح الآيه التى ذكرناها).

۳-جواب استفسار:

الاستفسار هو:إننا نشاهد عبر التاريخ أو فى حياتنا حالات لا تنسجم مع القانون السابق؟و مثال ذلك ما جاء فى القرآن المجيد ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كٰانَتٰا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبٰادِنٰا صٰالِحَيْنِ فَخٰانَتٰاهُمٰا (۱) ...

و مقابل هذه الحاله ذكر القرآن المجيد زوجه فرعون مثالا للإيمان و الطهاره:

وَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قٰالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّهِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ

(۲)

.

كما شوهد نظير هاتين الحالتين فى صدر الإسلام،حيث ابتلى بعض قاده المسلمين بنساء سيئات،و آخرون من اللّه عليهم بنساء مؤمنات جاء ذكرهن فى كتب التاريخ الإسلامى.

و فى الجواب عن ذلك نقول أنّه مضافا إلى أنّ لكل قانون استثناءات،فلا بدّ من ذكر مسألتين:

۱-قلنا خلال تفسير الآيه موضع البحث:إنّ القصد من الخبث الانحطاط الخلقى و السقوط بارتكاب أعمال مخله بالشرف،و الطيب ضد الخبث،و على

۱- ۱) -سوره التحريم،۱۰.

۲- ۲) -سوره التحريم،۱۱.

هذا فجواب السؤال السابق يكون واضحا،لأن نساء الأنبياء و الأئمه الأطهار عليهم السّلام.

لم ينحرفن و الم يخبثن أبدا،و إنّما القصد من الخيانه فى قصه نوح و لوط عليهما السّلام، التجسس لمصلحه الكفّار و ليس خيانه شرفهما،و أساسا إن هذا العيب من العيوب المنفّره و نعلم أن المحيط العائلى للأنبياء عليهم السّلام يجب أن يكون طاهرا من أمثال هذه العيوب المنفره للناس حتى لا يتقاطع مع هدف النّبوه فى جذب الناس إلى الرساله الإلهيه.

۲-إضافه إلى ذلك،فإنّ نساء الأنبياء و الأئمّه عليهم السّلام،لم يكنّ كافرات منذ البدايه،بل يصبن بالضلال أحيانا فيما بعد،و لهذا تستمر علاقه الأنبياء و الأولياء بهنّ على ما كانت عليه قبل ضلالهنّ،كما أنّ امرأه فرعون لم تكن مؤمنه بربّ موسى حين زواجها،إذ أنّ موسى عليه السّلام لم يكن قد ولد بعد،و قد آمنت برسالته السماويه بعد أن بعثه اللّه،و لم يكن لها مخرج إلاّ بمواصله حياتها الزوجيه و الكفاح،حتّى انتهت حياتها باستشهادها.

الآيات [سوره النور (۲۴): الآيات ۲۷ الى ۲۹]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لا تَـدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّٰى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِها ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ (۲۷) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَـدْخُلُوها حَتّٰى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ اِرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكىٰ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (۲۸) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ (۲۹)

التّفسير

اشاره

لا تدخلوا بيوت الناس حتّى يؤذن لكم:

بيّنت هذه الآيات جانبا من أدب المعاشره،و التعاليم الإسلاميه الاجتماعيه التى لها علاقه وثيقه بقضايا عامّه حول حفظ العفّه،أى كيفيه الدخول إلى بيوت الناس،و كيفيه الاستئذان بالدخول إليها.

حيث تقول أوّلا: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّٰى

ص: ۶۷

تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِها

.و بهذا الترتيب عند ما تعزمون على الدخول لا بدّ، من إخبار أصحاب البيت بذلك و نيل موافقتهم.

و الـذى يلفت النظر فى هـذه الجمله اسـتعمالها«تسـتأنسوا»و لم تسـتعمل «تسـتأذنوا»لأنّ الجمله الثّانيه لبيـان الاستئـذان بالـدخول فقط،فى الوقت الـذى تكون الجمله الأولى مشـتقّه من«أنس»أى الاستئذان المرافق للمحبّه و اللطف و المعرفه و الإخلاص،و تبيّن كيـف يجب أن يكـون الاستئـذان برفق و أدب و صـداقه،بعيـدا عن أى حـدّه و سوء خلق.و لو تبحرنـا فى هـذه الجمله على هـذا الأسـاس لوجـدنا فيهـا الكثير من الأدب الـذى يـدور حول هـذا الموضوع،و هو يعنى ألاـ تصـرخوا و ألاّ تقرعوا الباب بقوه،و ألا تستأذنوا بعبارات حادّه،و ألا تدخلوا حتى يؤذن لكم،فتسلّموا أوّلا سلاما يستبطن مشاعر السّلام و الود و رساله المحبه و الصداقه.

و ممّا يلفت النظر فى هـذا الحكم الذى يتصف بأبعاد إنسانيه و عاطفيه واضـحه، مرافقته لجملتين أولاها: ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ و ثانيها: لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ .و هـذا بحـدّ ذاته دليل على أن لهـذه الأحكام جذورا فى أعماق العواطف و العقول الإنسانيه، و لو دقق الإنسان النظر فيها لتذكر أن فيها الخير و الصلاح.

و تمّ هذا الحكم بجمله أخرى فى الآيه التاليه: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلاٰ تَدْخُلُوهٰا حَتّٰى يُؤْذَنَ لَكُمْ .

قـد يكون المراد من هـذه العباره أنّه ربّما كان فى المنزل أحـد،و لكن من لـديه حقّ إعطاء الإذن بالدخول غير موجود،ففى هذه الحاله لا يحق للمرء الدخول إلى المنزل.

أو قـد لاـ يوجـد أحـد فى المنزل،و لكن صـاحب المنزل على مقربه من ذلـك المكان،أو فى منزل الجيران بحيث لو طرق المرء الباب أو نادى صاحبه فقد يسمعه،ثمّ يحضر ليسمح له بالدخول،و على أى حال،فالمسأله المطروحه أن

لا ندخل منزلا دون إذن.

ثمّ تضيف الآيه وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ إشاره إلى أنّه لا لزوم لانزعاج المرء إن لم يؤذن له بالدخول،فلعلّ صاحب المنزل فى وضع غير مريح،أو أن منزله لم يهيأ لاستقبال الضيوف! و بما أن بعض الناس قد يدفعهم حبّ الاطلاع و الفضول حين رفضهم استقباله على استراق السمع،أو التجنس من ثقب الباب لكشف خفايا أهل المنزل و ليطلع على أسرارهم،لهذا قالت الآيه: وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .

و بما أن لكل حكم استثناء،لرفع المشكلات و الضرورات بشكل معقول عن طريقه،تقول آخر آيه موضع البحث: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَهٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ .

و تضيف فى الختام وَ اللّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ .و لعل ذلك إشاره إلى استغلال البعض هذه الاستثناءات،فيتذرّع بأنّ المنزل غير مسكون فيدخله بهدف الكشف عن بعض الأسرار،أو الدخول إلى منازل مسكونه متذرعا بعدم علمه بأنّها مسكونه،إلاّ أنّ اللّه يعلم بكلّ هذه الأعمال،و يعلم الذين يسيئون الاستفاده من هذا الاستثناء.

بحوث

اشاره

۱-الأمن و الحريه فى حريم المنزل

لا ريب فى أن لوجود الإنسان بعدين:بعد فردى،و آخر اجتماعى،و لهذا فله نوعان من الحياه:حياه خاصّه،و أخرى عامّه.و لكل واحده خصائصها و آدابها، حيث يضطر الإنسان فى البيئه الاجتماعيه إلى تحمل قيود كثيره من حيث اللباس و الحركه،و مواصله الإنسان حياته على هذا النسق وحده-خلال الأربع

و العشرين ساعه-متعب و يبعث على الضجر، إذ أنّه يرغب فى أن يكون حرا خلال فتره من الليل و النهار ليستريح بعيدا عن هذه القيود،مع أسرته و بين أولاده،لهذا يلجأ إلى منزله الخاص به،و ينعزل بذلك عن المجتمع بشكل مؤقت، ليتخلص من قيوده،فيجب أن يكون محيط المنزل آمنا إلى حدّ كاف.

و أمّا إذا أراد كلّ عابر الدخول إلى منازل الآخرين،فلا تبقى حرمه لمنازل الناس،و يسلب منها أمنها و حريتها،و بهذا تتحول إلى بيئه عامّه كالسوق و الشارع.و لهذا السبب كانت بين الناس-على مرّ العصور-أعراف خاصّه فى هذا المجال.حتى أن جميع قوانين العالم تمنع الدخول إلى منازل الآخرين دون استئذان و تعاقب عليه،و حتى فى حالات الضروره القصوى و لغرض حفظ الأمن و غايات أخرى أجيز عدد قليل على وفق القانون بالدخول إليها.

و نصّت الأحكام الإسلاميه على تعاليم و آداب خاصّه فى هذا المجال، لا يشاهد نظيرها إلّا نادرا.

نقرأ

فى حديث أن الصحابى الجليل أبا سعيد الخدرى استأذن على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو مستقبل الباب فقال عليه الصلاه و السّلام:«لا تستأذن و أنت مستقبل الباب». (۱)

و

جاء فى حديث آخر أن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب.

من تلقاء وجهه و لكن من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول:السّلام عليكم، و ذلك لأنّ الدور لم يكن عليها حينئذ ستور.

و جاء فى الأحاديث الإسلاميه ضروره استئذان المرء حين دخوله إلى منزل والده أو والدته،و حتى حين الدخول إلى منزل ولده. (۲)

و

جاء فى حديث عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جوابا على استفسار رجل:قال:أستأذن

۱- ۱) -تفسير فخر الرازى،المجلد ۲۳،ص ۱۹۸،آخر آيه موضع البحث.

۲- ۲) -المصدر السابق.

على امى؟أجاب صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:نعم.قال:إنّها ليس لها خادم غيرى أ فأستأذن عليها كلما دخلت؟قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أ تحب أن تراها عريانه؟قال الرجل لا،فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

فاستأذن عليها (۱) .

و

جاء فى حديث آخر عن الامام الباقر عليه السّلام عن جابر بن عبد اللّه الانصارى قال: «خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يريد فاطمه عليها السّلام و أنا معه فلما انتهينا إلى الباب وضع يده فدفعه ثمّ قال:السّلام عليكم،فقالت:فاطمه عليها السّلام:عليك السّلام يا رسول اللّه، قال:أدخل؟قالت:ادخل يا رسول اللّه،قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أدخل و من معى؟قالت:

يا رسول اللّه ليس علىّ قناع،فقال:يا فاطمه خذى فضل ملحفتك فقنعى به رأسك ففعلت،ثمّ قال:السّلام عليكم،فقالت:و عليك السّلام يا رسول اللّه،قال أدخل قالت:نعم يا رسول اللّه،قال أنا و من معى؟قالت:و من معك،قال جابر:فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فدخلت...» (۲) و هذا الحديث يبيّن لنا كيف كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو القدوه للمسلمين كافه، يراعى هذه الأمور بدقه،و حتى جاء فى حديث.

عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام قال: «الاستيذان ثلاثه:أوّلهنّ يسمعون،و الثّانيه يحذرون،و الثّالثه إن شاؤوا أذنوا و إن لم يفعلوا فيرجع المستأذن». (۳)

و يرى بعض المفسّرين ضروره وجود فواصل زمنيه بين كل استئذان و آخر، إذ قد يكون صاحب المنزل لم يتهيأ-بعد-بلباس مناسب،أو يريد تغيير هيئه أو إعداد منزله،فيجب إعطاءه فرصه ليعدّ نفسه و منزله لاستقبال ضيفه،و على الضيف الانصراف دون انزعاج أو توتّر إن لم يسمح له بالدخول.

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،المجلد الثالث،الصفحه ۵۸۶.

۲- ۲) -نور الثقلين،المجلد الثّالث،صفحه ۵۸۷.

۳- ۳) -وسائل الشيعه المجلد الرّابع عشر،صفحه ۱۶۱،أبواب مقدمات النكاح،الباب ۲۳.

۲-ما المقصود بالبیوت غیر المسکونه؟

فی معرض الإجابه علی هذا السؤال لا بدّ من الإشاره إلی اختلاف المفسّرین فی ذلک،فقد قال البعض:یقصد بها المبانی التی لا یسکنها شخص معین،و هی لعموم الناس،کالمنازل العامّه فی الطرق البریه و الفنادق و الحمامات العامّه و أمثالها.و قد جاء هذا المعنی بصراحه فی حدیث للإمام الصادق علیه السّلام (۱) .

و فسّر البعض ذلک بالخرائب التی لیست لها جدران و لا أبواب،یدخلها من یشاء،غیر أنّ هذا التفسیر یبدو بعیدا جدا عن الصواب،فلا أحد یضع متاعه فی هذه المنازل.

و قال آخرون:إنّها إشاره إلی مخازن التجار و حوانیتهم،التی احتوت علی متاع الناس أمانه لدیهم لغرض البیع،و یمکن لکلّ صاحب متاع الدخول إلی هذا المخزن لیأخذ متاعه، و هذا التّفسیر أیضا یبدو غیر منسجم مع ما قصدته الآیه.

کما یحتمل أنّها قصدت المنازل التی لیس فیها أحد،و یضع المرء متاعه فیها أمانه بعد علمه برضا صاحبها ضمنا فی حراستها و رفعها عند الحاجه.

و بعض هذه التفاسیر لا یتناقض مع غیره،إلاّ أنّ التّفسیر الأوّل ینسجم انسجاما أفضل مع معنی الآیه و قصدها،و یتّضح بذلک أنّه لا یجوز لشخص له متاع فی منزل أن یدخل المنزل دون استئذان من صاحبه حتی لو لم یکن فی البیت أحد حینذاک.

۳-عقاب من یتلصّص علی منازل الناس:

جاء فی کتب الفقه و الحدیث.إذا تلصّص شخص علی داخل منزل و شاهد امرأه فیه لم تتحجب،فلأهل الدار أوّلا نهیه عن هذا العمل،و إن امتنع رموه

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلد الرّابع عشر،صفحه ۱۶۱.

بالحجاره.و إن عاود،فبإمكانهم الدفاع عن أعراضهم بآله جارحه،فلو قتل هذا الشخص فى هذه الحاله فدمه هدر و لا ديّه له.

و طبيعى أنّه لا بدّ من تتبع هذه الخطوات أوّلا بأول.أى:عليهم أوّلا إتباع السبيل اليسير لمنعه،ثمّ اتباع أسلوب العنف.

الآیتان [سوره النور (٢۴): الآیات ٣٠ الی ٣١]

اشاره

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصـٰارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ خَبِيرٌ بِمٰا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنٰاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصـٰارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لاٰ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّٰ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلىٰ جُيُوبِهِنَّ وَ لاٰ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاّٰ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبٰائِهِنَّ أَوْ آبٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنٰائِهِنَّ أَوْ أَبْنٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوٰانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوٰانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوٰاتِهِنَّ أَوْ نِسٰائِهِنَّ أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُنَّ أَوِ اَلتّٰابِعِينَ غَيْرِ أُولِي اَلْإِرْبَةِ مِنَ اَلرِّجٰالِ أَوِ اَلطِّفْلِ اَلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلىٰ عَوْرٰاتِ اَلنِّسٰاءِ وَ لاٰ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مٰا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اَللّٰهِ جَمِيعاً أَيُّهَا اَلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

سبب النّزول

جاء فی کتاب الکافی حول سبب نزول أوّل آیه من الآیات السابقه،عن

ص :٧۴

الإمام الباقر علیه السّلام قال: استقبل شاب من الأنصار امرأه بالمدینه و کان النساء یقنعن خلف آذانهن،فنظر إلیها و هی مقبله،فلمّا جازت نظر إلیها و دخل زقاق قد سمّاه یعنی فلان،فجعل ینظر خلفها و اعترض وجهه عظم فی الحائط أو زجاجه فشقّ وجهه،فلمّا مضت المرأه نظر فإذا الدماء تسیل علی ثوبه و صدره،فقال: و اللّه لاتین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لأخبرنّه،قال:فأتاه فلمّا رآه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال له:ما هذا فأخبره،مهبط جبرئیل علیه السّلام بهذه الآیه: قُلْ لِلْمُؤْمِنِینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ وَ یَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِکَ أَزْکیٰ لَهُمْ إِنَّ اللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا یَصْنَعُونَ . (۱)

التّفسیر

اشاره

مکافحه السفور و خائنه الأعین:

قلنا فی البدایه:إنّ هذه السوره-فی الحقیقه-اختصت بالعفه و الطهاره و تطهیر الناس من جمیع الانحرافات الجنسیه،و بحوثها منسجمه،و هی تدور حول الأحکام الخاصّه بالنظر إلی الأجنبیه و الحجاب،و لا یخفی علی أحد ارتباط هذا البحث بالبحوث الخاصّه بالقذف.

تقول الآیه أوّلا: قُلْ لِلْمُؤْمِنِینَ یَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ وَ یَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ .

و کلمه«یغضوا»مشتقّه من«غضّ»من باب«ردّ»و تعنی فی الأصل التنقیص، و تطلق غالبا علی تخفیض الصوت و تقلیل النظر.لهذا لم تأمر الآیه أن یغمض المؤمنون عیونهم.بل أمرت أن یغضّوا من نظرهم.و هذا التعبیر الرائع جاء لینفی غلق العیون بشکل تام بحیث لا یعرف الإنسان طریقه بمجرّد مشاهدته امرأه لیست من محارمه،فالواجب علیه أن لا یتبحّر فیها، بل أن یرمی ببصره إلی الأرض،و یصدق فیه القول أنه غضّ من نظره و أبعد ذلک المنظر من مخیلته.

---

۱ - ۱) -وسائل الشیعه،المجلد الرّابع عشر،صفحه ۳۹،تفسیر نور الثقلین،و المیزان،و روح المعانی مع بعض الاختلاف فی تفسیر الآیه موضع البحث.

و ممّـا يلفت النظر أنّ القرآن الكريم لم يحـدد الشـيء الـذى يسـتوجب غضّ النظر عنه.(أى أنه حـذف متعلّق الفعل)ليكون دليلا على عموميته.أى غضّ النظر عن جميع الأشياء التى حرم اللّه النظر إليها.

و لكن سـياق الكلام فى هـذه الآيات،و خاصّه فى الآيه التاليه التى تتحـدث عن قضـيه الحجاب،يوضـح لنا جيدا أنها تقصد النظر إلى النساء غير المحارم، و يؤكّد هذا المعنى سبب النّزول الذى ذكرناه (١) سابقا.

و يتّضـح لنـا ممّا سـبق أن مفهوم الآيه السابقه ليس هو حرمه النظر الحاد إلى النساء غير المحارم،ليتصور البعض أنّ النظر الطبيعى إلى غير المحارم مسموح به،بل إن نظر الإنسان يمتدّ إلى حيّز واسع و يشمل دائره واسعه،فإذا وجد امرأه من غير المحارم عليه أن يخرجها عن دائره نظره.و ألّا ينظر إليها،و يواصل السير بعين مفتوحه،و هذا هو مفهوم غضّ النظر.(فتأملوا جيدا).

الحكم الثّانى فى الآيه السابقه:هو«حفظ الفروج».و«الفرج»-كما قلنا سابقا-يعنى الفتحه و الفاصله بين شيئين،إلّا أنّها هنا ورد كنايه عن العوره.

و القصد من حفظ الفرج-كما ورد فى الأحاديث-هو تغطيته عن الأنظار، و

قد جاء فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام قوله: «كلّ آيه فى القرآن فيها ذكر الفروج فهى من الزنا،إلّا هذه الآيه فإنّها من النظر» (٢) .

إن الإسـلام نهى عن هـذا العمـل المنـدفع مع الأـهواء النفسيه و الشـهوات،لأـنّ ذلـك أَزْكىٰ لَكُمْ كمـا نصّت عليه الآيه-موضـع البحث-فى ختامها.

ثمّ تحذر الآيه أولئك الذين ينظرون بشهوه إلى غير محارمهم،و يبررون عملهم هذا بأنّه غير متعمّد فتقول: وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَصْنَعُونَ .

---

١ - ١) -اختلف المفسّـرون فى تعليـل وجود«من»فى جمله يَغُضُّوا مِنْ أَبْصٰارِهِمْ فقـال بعضـهم إنّهـا للتبعيض و قيـل:إنّها زائـده،و قيل:ابتدائيه.و لكن الظاهر هو المعنى الأوّل.

٢- ٢) -أصول الكافى،و تفسير على بن إبراهيم(وفق ما نقله نور الثقلين المجلد الثالث،صفحه ٥٨٧،٥٨٨).

و تناولت الآیه التالیه شرح واجبات النساء فی هذا المجال،فأشارت أوّلا إلی الواجبات التی تشابه ما علی الرجال،فتقول: وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنٰاتِ یَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصٰارِهِنَّ وَ یَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .

و بهذا حرم اللّه النظر بریبه علی النساء أیضا مثلما حرّمه علی الرجال، و فرض تغطیه فروجهن عن أنظار الرجال و النساء مثلما جعل ذلک واجبا علی الرجال.

ثمّ أشارت الآیه إلی مسأله الحجاب فی ثلاث جمل:

١- وَ لاٰ یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلاّٰ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا .

اختلف المفسّرون فی تفسیر الزینه التی تجب تغطیتها،و الزینه الظاهره التی یسمح باظهارها.

فقال البعض:إنّ الزینه المخفیه هی الزینه الطبیعیه فی المرأه(جمال جسم المرأه)فی حین أن استخدام هذه الکلمه بهذا المعنی قلیل.

و قال آخرون:إنّها تعنی موضع الزینه:لأن الکشف عن أداه الزینه ذاتها کالعضد و القلاده مسموح به،فالمنع یخص موضعها،أی الیدین و الصدر مثلا.

و قال آخرون:خصّ المنع أدوات الزینه عند ما تکون علی الجسم،و بالطبع یکون الکشف عن هذه الزینه مرادفا للکشف عن ذلک الجزء من الجسم.(و هذین التّفسیرین الأخیرین لهما نتیجه واحده علی الرغم من متابعه القضیه عن طریقین مختلفین).

و الحق أنّنا یجب أن نفسر الآیه علی حسب ظاهرها و دون حکم مسبّق، و ظاهرها هو التّفسیر الثّالث.

و علی هذا،فلا یحق للنساء الکشف عن زینتهن المخفیه،و إن کانت لا تظهر أجسامهن،أی لا یجوز لهن الکشف عن لباس یتزیّن به تحت اللباس العادی أو العباءه،بنصّ القرآن الذی نهاهنّ عن ذلک.

و ذکرت الأحادیث التی رویت عن أهل البیت علیهم السّلام هذا المعنی، فقد فسّروا الزینه المخفیه بالقلاده و الدملج(حلی یشدّ أعلی الساعد)و الخلخال (۱) .

و قد فسّرت أحادیث عدیده أخری الزینه الظاهره بالخاتم و الکحل و أمثاله، لهذا نفهم بأنّ المراد من الزینه المخفیه الزینه التی تحت الحجاب(فتأملوا جیدا).

۲-و ثانی حکم ذکرته الآیه هو: وَ لْیَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلیٰ جُیُوبِهِنَّ و کلمه «خمر»جمع«خمار»علی وزن«حجاب»فی الأصل تعنی«الغطاء»،إلّا أنّه یطلق بصوره اعتیادیه علی الشیء الذی تستخدمه النسوه لتغطیه رؤوسهن.

و«الجیوب»جمع«جیب»علی وزن«غیب»بمعنی یاقه القمیص،و أحیانا یطلق علی الجزء الذی یحیط بأعلی الصدر لمجاورته الیاقه.

و یستنتج من هذه الآیه أنّ النساء کنّ قبل نزولها،یرمین أطراف الخمار علی أکتافهن أو خلف الرأس بشکل یکشفن فیه عن الرقبه و جانبا من الصدر،فأمرهن القرآن برمی أطراف الخمار حول أعناقهن أی فوق یاقه القمیص لیسترن بذلک الرقبه و الجزء المکشوف من الصدر.(و یستنتج هذا المعنی أیضا عن سبب نزول الآیه الذی ذکرناه آنفا).

۳-و تشرح الآیه فی حکمها الثّالث الحالات التی یجوز للنساء فیها الکشف عن حجابهنّ و إظهار زینتهنّ،فتقول وَ لاٰ یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلاّ .

۱- لِبُعُولَتِهِنَّ .

۲- أَوْ آبٰائِهِنَّ .

۳- أَوْ آبٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ .

۴- أَوْ أَبْنٰائِهِنَّ .

۵- أَوْ أَبْنٰاءِ بُعُولَتِهِنَّ .

۱- ۱) -تفسیر علی بن إبراهیم لآخر الآیه موضع البحث.

۶- أَوْ إِخْوَانِهِنَّ .

۷- أَوْ بَنِی إِخْوَانِهِنَّ .

۸- أَوْ بَنِی أَخَوَاتِهِنَّ .

۹- أَوْ نِسَائِهِنَّ .

۱۰- أَوْ مَا مَلَکَتْ أَیْمَانُهُنَّ .

۱۱- أَوِ التَّابِعِینَ غَیْرِ أُولِی الْإِرْبَهِ مِنَ الرِّجَالِ أی الرجال الذین لا رغبه جنسیه عندهم أصلا بالعنن أو بمرض غیره.

۱۲- أَوِ الطِّفْلِ الَّذِینَ لَمْ یَظْهَرُوا عَلَی عَوْرَاتِ النِّسَاءِ .

۴-و تبیّن الآیه رابع الأحکام فتقول وَ لاٰ یَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِیُعْلَمَ مَا یُخْفِینَ مِنْ زِینَتِهِنَّ أی علی النساء أن یتحفّظن کثیرا،و یحفظن عفّتهنّ،و یبتعدن عن کلّ شیء یثیر نار الشهوه فی قلوب الرجال،حتی لا یتهمن بالانحراف عن طریق العفه.

و یجب أن یراقبن تصرفهن بشدّه بحیث لا یصل صوت خلخالهن إلی آذان غیر المحارم،و هذا کله یؤکّد دقّه نظر الإسلام إلی هذه الأمور.

و انتهت الآیه بدعوه جمیع المؤمنین رجالا و نساء إلی التوبه و العوده إلی اللّه لیفلحوا وَ تُوبُوا إِلَی اللّٰهِ جَمِیعاً أَیُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ و توبوا أیّها الناس ممّا ارتکبتم من ذنوب فی هذا المجال،بعد ما اطلعتم علی حقائق الأحکام الإسلامیه، و عودوا إلی اللّه لتفلحوا،فلا نجاه لکم من کلّ الانحرافات الخطره إلاّ بلطف من اللّه و رحمته،فسلّموا أمرکم إلیه! صحیح أنّه لا معنی للذنوب و المعاصی-فی هذه المسأله-قبل نزول هذه الأحکام من اللّه،إلاّ أنّنا نعلم بأنّ قسما من المسائل الخاصّه بالانحطاط الخلقی ذا جانب عقلانی و کما فی الاصطلاح أنها من«المستقلات العقلیه»و یکفی لوحده فی تحدید المسؤولیه.

بحوث

اشاره

۱-فلسفه الحجاب

اشاره

ممّا لا شكّ فيه أنّ الحديث عن الحجاب للمتغربين فی عصرنا الذی سمّوه بعصر التعری و الحریه الجنسیه،لیس حدیثا سارّا حیث یتصوّرونه أسطوره یعود لعصور خلت.

إلاّ أنّ الفساد الذی لا حدّ له،و المشاكل المتزایده و الناتجه عن هذه الحرّیات التی لا قید لها و لا حدود،أدی بالتدریج إلی إیجاد الأذن الصاغیه لهذا الحدیث.

و قد تمّ حلّ كثیر من القضایا فی بیئات إسلامیه و دینیه أخری،خاصّه فی أجواء إیران بعد الثوره الإسلامیه،و أجیب عن الكثیر من هذه الأسئله بشكل مقنع.

و مع كل هذا تستوجب أهمیه الموضوع بحث هذه القضیه بحثا واسعا و عمیقا.

و القضیه المطروحه(نقولها مع الاعتذار):هل من الصحیح أن تستغل النساء للتلذّذ من جانب الرجال عن طریق السمع و النظر و اللمس(باستثناء المجامعه) و أن یكن تحت تصرف جمیع الرجال،أو أن تكون هذه الأمور خاصّه لأزواجهنّ؟ إنّ النقاش یدور حول هذا السؤال:هل یجب بقاء النساء فی سباق لا نهایه له فی عرض أجسامهنّ،و تحریك شهوات و أهواء الرجال؟أو یجب تصفیه هذه الأمور من أجواء المجتمع،و تخصیصها بالأسره و الحیاه الزوجیه؟! الإسلام یساند الأسلوب الثّانی.و یعتبر الحجاب جزءا من هذا الأسلوب،فی الوقت الذی یساند فیه الغربیون و المتغربون الشهوانیون الأسلوب الأوّل! یقول الإسلام:إنّ الأمور الجنسیه سواء كانت مجامعه أو استلذاذا عن طریق السمع أو البصر أو اللمس خاصّ بالأزواج،و محرّم علی غیرهم،لأنّ ذلك یؤدّی إلی تلویث المجتمع و انحطاطه،و عباره هُوَ أَزْكیٰ لَكُمْ التی جاءت فی الآیه

ص:۸۰

السابقه تشير إلى هذه المسأله.

إنّ فلسفه الحجاب ليست خافيه على أحد للأسباب التاليه:

١-إنّ تعرى النساء و ما يرافقه من تجميل و تـدلل-و ما شاكل ذلك-يحرك الرجال-خاصّه الشباب-و يحطّم أعصابهم،و تراهم قد غلب عليهم الهياج العصبى،و أحيانا يكون ذلك مصدرا للأمراض النفسيه،فأعصاب الإنسان محدوده التحمّل،و لا تتمكن من الاستمرار فى حاله الهيجان؟ ألم يقل أطباء علم النفس بأنّ هذه الحاله من الهيجان المستمر سبب للأمراض النفسيه؟ خاصّه إذا لاحظنا أنّ الغريزه الجنسيه،أقوى الغرائز فى الإنسان و أكثرها عمقا،و كانت عبر التاريخ السبب فى أحداث داميه و إجراميه مرعبه،حتى قيل:إنّ وراء كلّ حادثه مهمّه امرأه! أليس إثاره الغرائز الجنسيه لعبا بالنار؟ و هل هذا العمل عقلانى؟ الإسلام يريد للرجال و النساء المسلمين نفسا مطمئنه و أعصابا سليمه و نظرا و سماعا طاهرين،و هذه واحده من فلسفات الحجاب.

٢-تبيّن إحصاءات موثقه ارتفاع نسب الطلاق و تفكّك الأسره فى العالم، بسبب زياده التعرّى،لأنّ الناس أتباع الهوى غالبا،و هكذا يتحوّل حبّ الرجل من امرأه إلى أخرى،كلّ يوم،بل كل ساعه.

أمّا فى البيئه التى يسودها الحجاب(و التعاليم الإسلاميه الأخرى)فالعلاقه وثيقه بين الزوج و زوجته،و مشاعرهما و حبهما مشترك.

و أمّا فى سوق التعرى و الحريه الجنسيه،حيث المرأه سلعه تباع و تشترى، أو فى أقل تقدير موضع نظر و سمع الرجال،عندها يفقد عقد الزواج حرمته، و تنهار أسس الأسر بسرعه كانهيار بيت العنكبوت،و يتحمل هذه المصيبه الأبناء

بعد أن يفقدوا أولياءهم و يفقدوا حنان الأسره.

٣-انتشار الفحشاء و ازدياد الأبناء غير الشرعين يعتبران من أنكى نتائج إلغاء الحجاب،و لا حاجه إلى إحصائيه بهذا الصدد،فشواهدها ظاهره فى المجتمع الغربىّ،واضحه بدرجه لا تحتاج إلى بيان.

لا نقول:إنّ السبب الرئيسى فى ازدياد الفحشاء و الأبناء غير الشرعيين ينحصر فى إلغاء الحجاب و عدم الستر،و لا نقول:إنّ الاستعمار المشؤوم و القضايا السياسيه المخربه ليس لها دور قوى فيه،بل نقول:إن التعرى من الأسباب القويه لذلك.

و كما نعلم فإن انتشار الفحشاء و ازدياد الأبناء غير الشرعيين مصدر أنواع الجرائم فى المجتمعات البشريه قديما و حديثا.

و بهذا تتضح الأبعاد الخطره لهذه القضيه.

و عند ما نسمع أنّ الولادات غير الشرعيه فى بريطانيا بلغت بحسب إحصائياتهم خمسمائه ألف طفل كلّ عام،و أنّ علماءها حذّروا المسؤولين من مغبه هذا الوضع،ليس لأنّه-كما يقولون-بسبب مخالفته للقضايا الأخلاقيه و الدينيه،و إنّما بسبب الخطر الذى أوجده هؤلاء الأبناء لأمن المجتمع،فقد وجدوا أنّهم يمثّلون القسم الأعظم من ملفات القضايا الخاصّه بالجرائم.

و من هنا ندرك أهميه هذه القضيه،و أنّها كارثه حتى للذين لا يؤمنون بدين و لا يهتمون بأخلاق.

و كلّما انتشر الفساد الجنسى فى المجتمعات البشريه اتّسع التهديد لهذه المجتمعات و تعاظم الخطر عليها،و قد برهنت دراسات العلماء فى التربيه على ظهور الأعمال المنافيه للعفه،و تفشّى الإهمال فى العمل و التأخر،و عدم الشعور بالمسؤوليه،فى المدارس المختلطه و المنشئات التى يعمل فيها الرجال و النساء بشكل مختلط.

۴-قضيه«ابتذال المرأه»و سقوط شخصيتها فى المجتمع الغربى ذات أهميه كبيره لا تحتاج إلى أرقام،فعند ما يرغب المجتمع فى تعرى المرأه، فمن الطبيعى أن يتبعه طلبها لادوات التجميل و التظاهر الفاضح و الانحدار السلوكى،و تسقط شخصيّه المرأه فى مجتمع يركز على جاذبيتها الجنسيه،ليجعلها وسيله إعلاميّه يروّج بها لبيع سلعه أو لكسب سائح.

و هذا السقوط يفقدها كلّ قيمتها الإنسانيه،إذ يصبح شبابها و جمالها و كأنّه المصدر الوحيد لفخرها و شرفها،حتى لا يبقى لها من إنسانيتها سوى أنّها أداه لاتباع شهوات الآخرين،الوحوش الكاسره فى صور البشر! كيف يمكن للمرأه فى هذا المجتمع أن تبرز علميا و تسمو أخلاقيا؟! و من المؤسف أن تلعب المرأه باسم الفن،و تشتهر و تكسب المال الوفير، و تنحطّ إلى حد الابتذال فى المجتمع،ليرحب بها مسيّر و هذا المجتمع المنحط خلقيّا،فى المهرجانات و الحفلات الساهره؟! هكذا حال المرأه فى المجتمع الغربى،و قد كان مجتمعنا قبل انتصار الثوره الإسلاميه كذلك،و نشكر اللّه على إنهاء تلك المظاهر المنحطه فى بلادنا بعد تأسيس الجمهوريه الإسلاميه،فقد عادت المرأه إلى مكانتها الساميه التى أرادها اللّه لها،و ها هى ذى تمارس دورا إيجابيا فى المجتمع مع محافظتها على حجابها الإسلامى،حتى أنها ساهمت بشكل فعّال خلف جبهات الحرب بمختلف الأعمال لدعم الجبهه و الجهاد فى سبيل اللّه.

و كان هذا جانبا من الفلسفه الحيويه لموضوع الحجاب فى الإسلام.و هو ينسجم مع تفسيرنا.

الإشكال الذى يورده معارضو الحجاب:

نصل هنا إلى الانتقادات التى يطرحها معارضو الحجاب،فنبحثها بشكل

مضغوط:

۱-أهم الانتقادات التی یذکرها معارضو الحجاب أنّ النساء یشکلن نصف المجتمع،و الحجاب یجعلهنّ فی معزل عن المجتمع،و یکون ذلک سببا فی تأخّرهنّ الثقافی،و انعدام الاستفاده من هذه الطاقات العظیمه فی ازدهار الإقتصاد.و إذا شغر مکانهنّ فی المنشئات الثقافیه و الاجتماعیه أصبحن موادّ استهلاکیه لیست بذات جدوی للمجتمع.

إلاّ أنّ هؤلاء المتمسّکین بهذا المنطق غفلوا عن عدّه أمور،أو تغافلوا عنها، للأسباب التالیه:- أوّلا:من الذی قال:إنّ الحجاب الإسلامی یعزل المرأه عن المجتمع؟ لئن صعب علینا الجواب عن هذا السؤال فی السابق،فما نظن أنّنا بعد قیام الجمهوریه الإسلامیه المبارکه بحاجه إلی دلیل علی نهضه المرأه نهضه کریمه و مشارکتها فی تشیید المجتمع الإسلامی المنشود مشارکه تحقق النفع للمرأه و الأسره و الحکومه و الأمه،فهی مسئوله فی الدوائر و المصانع و المتاجر،و فی النشاط السیاسی فی المسیرات و المظاهرات،فی الإذاعه و التلفزیون،و فی المراکز الصحیّه-خاصّه فی معالجه جرحی الحرب-و فی المدارس و الجامعات، حتّی فی ساحه الحرب و مجاهده العدو.

و باختصار:إنّ الواقع الاجتماعی فی بلدنا خیر جواب عن هذا السؤال:و إذ کنّا نتحدث فی السابق عن إمکانیه حدوث ذلک،فإنّنا الیوم نراه ماثلا بین أعیننا.

و کما یقول الفلاسفه:خیر دلیل علی إمکان وجود الشیء حدوثه،و لا حاجه للبرهنه علی وجود الواقع.

ثانیا:إضافه إلی ذلک،ألا تعتبر إداره المنزل و تربیه الأبناء الأصحّاء رجال المستقبل-الذین یدیرون عجله الإقتصاد و السیاسه فی البلاد-عملا؟ إن الذین لا یعدّون هذه المسؤولیه للمرأه أمرا ایجابیا جاهلون بحقیقه دور

المرأه فی الأسره و فی التربیه،و فی بناء مجتمع سلیم فعّال،بل لا یعترفون إلّا بمغادره الرجال و النساء المنازل صباحا-کالغربیین-لیلتحقوا بالدوائر و المصانع.و یجعلون أبناءهم تحت رعایه الآخرین،فی دور الحضانه،أو یغلقوا علیهم المنازل لیعیشوا فی معتقل دون رعایه،حتی یعود الوالدان من العمل و قد أرهقهما التعب! هؤلاء غافلون عن أنّ افتقاد الأطفال للرعایه و العطف،یؤدی إلی تحطّم شخصیتهم و یعرض المجتمع إلی الخطر.

۲-کما یتذرع معارضو الحجاب بادعائهم بأنّه یعوق المرأه عن نشاطها الاجتماعی و لا ینسجم مع العصر الحدیث،و یقولون:کیف تحفظ المرأه حجابها و طفلها و عملها فی آن واحد؟! إنّهم غافلون عن أنّ الحجاب لیس العباءه و نحوها،بل هو غطاء الجسم،فإن تسنی للمرأه الاحتجاب بالعباءه فذلک حسن،و إلاّ کفاها غطاء الرأس و اللباس المحتشم حجابا.و قد لبّت نساؤنا الریفیات و خاصّه العاملات-فی مزارع الرز المملوکه لعوائلهن-هذا اللباس،حیث یمارسن الحراثه و البذار و الاهتمام بالزرع ثمّ حصاده،و برهنّ عملیّا علی إمکانیه محافظه المرأه علی حجابها دون أن یمنع ذلک ممارستها لاشقّ الأعمال.

۳-یعترض المخالفون للحجاب قائلین: إنّ الحجاب یفصل بین الرجال و النساء،و یزید فی حرص الرجال بدلا من إخماد هذا الحرص،لأنّ(المرء حریص علی ما منع).

و هذه سفسطه واضحه،فلو قارن المرء بین مجتمعنا علی عهد الطاغوت و الیوم لتجلّی له الحقّ صریحا،فبالأمس کان نزع الحجاب إجباریا،و الیوم یسود الحجاب الإسلامی مجتمعنا کله،و الفساد کان ینتشر بالأمس فی کل أنحاء البلاد، و یسیطر التسیب علی معظم الأسر،و یزداد الطلاق بنسبه عالیه،و ترتفع نسبه

المواليـد غير الشـرعيه،و آلاف المصائب الأخرى.و نحن لا نجزم بأنّ كل الفساد قد زال فى بلادنا و اقتلعت جذوره،إلّا أنّه ممّا لا شک فيه أنّه قد انخفض بدرجه کبيره، و استعاد مجتمعنا سلامته بدرجه کبيره.

و إذا اسـتمر الوضع على هـذا المنوال بعون من اللّه،فإنّنا سـنتمكن من حلّ جميع المشاكل.و يبلغ مجتمعنا مرتبه الطهاره الكامله،و يحفظ للمرأه مكانتها الرفيعه.

٢–استثناء الوجه و الكفلين

هناک اختلاف فى الرأى بين الفقهاء حول شـمول حكم حجاب الوجه و الكفين من الرسغ إلى أطراف الأصابع،أم لا؟ الكثير من الفقهـاء يرى أنّ تغطيه الوجه و الكفين مسـتثنى من حكم الحجـاب، فى الوقت الـذى أفتى آخرون بوجوب تغطيتهـا،أو فى الأقل احتاطوا فى وجوب تغطيتها،و طبيعى أنّ القول باسـتثناء وجوب الحجاب على الوجه و الكفين هو فى حاله عدم نشوب فساد،و إلّا فيجب تغطيتها.

و هناک قرائن فى الآيه الشريفه تؤيد هذا الاستثناء و يؤيد الرأى الأوّل:

أ–اسـتثناء الزينه الظـاهر فى الآيه السابقه، سواء دلت على أنّها تقصـد موضع الزينه أو الزينه ذاتها،تكشف عن عـدم وجوب تغطيه الوجه و الكفين.

ب–إن حكـم الآـيه السـابقه بوجـوب رمى أطراف خمـار المرأه على طرفى اليـاقه يفهـم منه تغطيه جميـع أجزاء الرأس و الرقبه و الصدر.و لم يتحدث هذا الحكم عن تغطيه الوجه،و هذا دليل آخر على هذا الرأى.

و لإيضـاح ذلک نقول:كانت بعض نساء العرب يلبسن الخمار و يرمين طرفيه على الكتفين بشـكل تبقى الرقبه و جزء من الصـدر مكشوفين،و قد أصلح الإسلام هذه الحاله،فأمر بتغطيه الرقبه و الصدر برمى طرفى الخمار على جانبى ياقه

الثوب،لتبقى دائره الوجه وحدها مكشوفه.

ج-كما جاءت أحاديث إسلاميه عديده فى هذا المجال تؤكّد ما ذهبنا إليه (۱) مع وجود أحاديث معارضه لها،و لكنّها ليست بتلك الدرجه من الصراحه،و الجمع بينهما بالقول باستحباب تغطيه الوجه و الكفين-عند خشيه الفساد و الانحراف- أمر ممكن.كما تدل شواهد تاريخيه على أنّ تغطيه الوجه بقناع لم تكن عامّه فى صدر الإسلام(ذكر شرح مفصل فقهى و روائى عن هذه القضيه فى البحوث الفقهيه عن النكاح).

إلّا أنّنا نؤكّد ثانيه أنّ هذا الحكم فى وقت لا يؤدى إلى استغلال أو انحراف.

كما يجب القول:إنّ استثناء الوجه و الكفين من حكم الحجاب لا يعنى جواز النظر بشكل عمومى من قبل الرجال، و إنّما هو نوع من التسهيلات التى منحت للمرأه فى الحياه.

۳-ما المقصود من نسائهنّ؟

ذكرنا فى تفسير الآيه السابقه أنّ تاسع مجموعه مستثناه بالاطلاع على زينه النساء هنّ النساء الأخريات،و بملاحظه عباره«نسائهنّ»ندرك أنّها تقصد النساء المسلمات،و لا يكشفن عن زينتهنّ لغير المسلمات،و فلسفه ذلك،أنّه من المحتمل أن يصفن-غير المسلمات-لأزواجهنّ ما شاهدنه من زينه النساء المسلمات.

و هذا ليس عملا صائبا من قبل المسلمات.

و

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام فى كتاب(من لا يحضره الفقيه): «لا ينبغى للمرأه أن تكشف بين يدى اليهوديه و النصرانيه فإنّهنّ يصفن ذلك لأزواجهنّ» (۲) .

ص: ۸۷

۱- ۱) -كتاب وسائل الشيعه،المجلد ۱۴،صفحه ۱۴۵،الباب ۱۰۹،من أبواب مقدمات النكاح.

۲- ۲) -من لا يحضره الفقيه،حسبما ذكره تفسير نور الثقلين،المجلد ۳،صفحه ۵۹۳.

۴-تفسير عباره أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُنَّ

لظاهر هذه العباره مفهوم واسع،و يدل على أنّه بإمكان المرأه الظهور دون حجاب بحضور عبدها،إلّا أنّ بعض الأحاديث صرّحت بأنّ ذلك يعنى فقط الظهور بين الجوارى حتى لو كنّ غير مسلمات،و لا يشمل هذا الحكم العبيد.

ففى حديث للإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام: «لا ينظر العبد إلى شعر سيّدته» (۱) .

و يستفاد من أحاديث أخرى تعميم هذا الحكم على الجوارى و العبيد،إلّا أنّ ذلك خلافا للاحتياط.

۵-تفسير أُولِي الْإِرْبَهِ مِنَ الرِّجٰالِ

«الإربه»فى الأصل مشتقه من«أرب»على وزن«عرب»و كما يقول الراغب الأصفهانى فى مفرداته،شدّه الحاجه التى تدفع بالإنسان إلى إيجاد حلّ لها.

كما استعملت بمعنى الحاجه بشكل عامّ.و القصد هما من«أولى الإربه من الرجال»الذين لهم رغبه جنسيه و هم بحاجه إلى زوجه،و على هذا،فإنّ«غير أولى الإربه»هم الرجال الذين لا رغبه جنسيه لديهم أصلا.

و لكن من المقصود بذلك؟ هنالك اختلاف بين المفسّرين.

قال البعض منهم:إنّهم كبار السنّ الذين خمد لديهم دافع الشهوه الجنسيه، (كالقواعد من النساء و النسوه اللاتى تجاوزت أعمارهن حدّ الزواج و هنّ كالمتقاعدات فى هذا المجال).

و قال آخرون:إنّ المقصود هو الخصى من الرجال.

و قال بعض المفسّرين:إنّه الرجل الخنثى،أى:الذى لا يمتلك آله الرجوله.

۱- ۱) -وسائل الشيعه،الباب ۱۲۴،من مقدمات النكاح،الحديث الثامن.

إلّا أنّ التّفسير الذى يمكن الاعتماد عليه.هو الذى جاء فى أحاديث مؤكّده

عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام: «هو الأحمق الذى لا يأتى النساء» من أنّ القصد هنا هو الأبله من الرجال الذى لا يحسّ برغبه جنسيه أبدا،و يستفاد منهم فى الأعمال البسيطه و خدمه الأفراد،و عباره«التابعين»تؤكّد هذا المعنى (۱) .

و بما أن هذا الوصف-أى عدم الشعور بالرغبه الجنسيه-فئه خاصّه من المسنين يصدق على.فلا نستبعد إمكانيه توسعه مفهوم الآيه ليشمل هذه الفئه، و قد روى حديث عن الإمام الكاظم عليه السّلام يؤكّد ذلك،بيد أنّ ذلك لا يعنى أنّهم يصبحون من المحارم،غايه الأمر هو عدم وجوب تغطيه الرأس أو جزء من اليدين بحضور هذه المجموعه.

۶-أى طفل مستثنى من هذا الحكم؟

ذكرنا أنّ المجموعه الثّانيه عشره-أى الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم- مستثنون من حكم الحجاب.

و عباره«لم يظهروا»تعنى أحيانا«لم يطلعوا»و أحيانا أخرى«لم يعتدوا» لأنّها جاءت بهذين المعنيين،حيث استعملها القرآن مرّه بهذا المعنى،و أخرى بالمعنى الثّانى،و مثال ذلك ما جاء فى الآيه(۲۰)من سوره الكهف إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ .

و نقرأ فى الآيه الثّانيه من سوره التوبه كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً .

إلّا أنّ هذا الفرق ليس له أثر كبير بالنسبه للآيه موضع البحث.حيث المقصود فيها الأطفال الذين ليس لهم ميول جنسيه،بسبب عدم قدرتهم و عدم اطلاعهم

---

۱ - ۱) -لتوضيح أكثر يراجع جواهر الكلام،المجلد ۲۹،صفحه ۹۴،و كذلك الوسائل الباب ۱۱۱،من مقدمات النكاح(المجلد ۱۴،ص ۱۴۸)و كذلك التهذيب المجلد السابع،صفحه ۴۶۸.

و على هـذا يجب على النسـاء المسـلمات أن يتحجبن بحضور الأطفال الـذين بلغوا مرحله برزت فيها رغبتهم الجنسـيه و قـدرتهم على ذلک.

۷–لماذا لم يذكر العم و الخال ضمن المحارم؟

يطرح هـذا السؤال بعـد دراسه الآيـات السـابقه:لمـاذا لم يـذكر العم و الخـال ضـمن المحـارم–قط–و هم من المحارم؟ ربّما كان القرآن قد اسـتهدف البلاغه فى تعابيره بعدم ذكر أيّه كلمه إضافيه، فقد دلّ اسـتثناء ابن الأخ و ابن الأخت على أنّ العمّه و الخاله تعتبران من محارم الرجل،و يتّضح بذلک أن العم و الخال لإحدى النساء هما من محارمها.

و بعبـاره أخرى:إنّ الحرمه ذات جـانبين،فمن جهه بنـات الأـخت و بنـات الأـخ من محـارم الرجال،و إنّه من الطبيعى سـيكون من الجهه الثّانيه العمّ و الخال من المحارم«فتدبّر».

۸–تحريم سبل الإثاره!

آخر كلام فى هذا المجال هو أنّ الآيه السابقه نصّت على حرمه المشى بقوّه من قبل النساء ليسمعن صوت الخلخال.

و هذا يدل على دقّه الأحكام الإسـلاميه و مبلغ اهتمامها بالقضايا الخاصّه بعفّه الناس و شـرفهم،بحيث لا يسـمح معها بالقيام بمثل هذه الأعمال.

و من البداهه أن لا يسـمح الإسـلام بإثاره شهوات الشباب،عن طريق نشر الصور الخلاعيه،و الأفلام المثيره للشهوات،و القصص و الروايـات الجنسـيه، و لاـ ريب فى أنّ البيئه الإسـلاميه يجب أن تكون طاهره سـليمه من هـذه الأمور التى تجرّ أفرادها إلى مهاوى الفساد و ظلماته،و تدفع بالشباب و الشابات نحو الانحطاط الخلقى و الرذيله.

ص: ۹۰

الآیات [سوره النور (۲۴): الآیات ۳۲ الی ۳۴]

اشاره

وَ أَنْکِحُوا اَلْأَیٰامیٰ مِنْکُمْ وَ اَلصّٰالِحِینَ مِنْ عِبٰادِکُمْ وَ إِمٰائِکُمْ إِنْ یَکُونُوا فُقَرٰاءَ یُغْنِهِمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اَللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ (۳۲) وَ لْیَسْتَعْفِفِ اَلَّذِینَ لاٰ یَجِدُونَ نِکٰاحاً حَتّٰی یُغْنِیَهُمُ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اَلَّذِینَ یَبْتَغُونَ اَلْکِتٰابَ مِمّٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُکُمْ فَکٰاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِیهِمْ خَیْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مٰالِ اَللّٰهِ اَلَّذِی آتٰاکُمْ وَ لاٰ تُکْرِهُوا فَتَیٰاتِکُمْ عَلَی اَلْبِغٰاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ اَلْحَیٰاةِ اَلدُّنْیٰا وَ مَنْ یُکْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اَللّٰهَ مِنْ بَعْدِ إِکْرٰاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۳۳) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکُمْ آیٰاتٍ مُبَیِّنٰاتٍ وَ مَثَلاً مِنَ اَلَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِینَ (۳۴)

التّفسیر

اشاره

الترغیب فی زواج یسیر التکالیف:

طرحت هذه الآیه-منذ بدایتها حتی الآن-سبلا أمینه متعدّده للحیلوله دون الانحطاط الخلقی و الفساد،فکلّ واحد من هذه السبل یرتقی بالأمّه فردا و جماعه

ص:۹۱

إلی عالم أرحب من الطّهر و الاستقامه،و یحول دون تقهقرها أو انحدارها فی مهاوی الرّذیله،و قد أشارت الآیات-موضع البحث-إلی أهم طرق مکافحه الفحشاء،ألا و هو الزواج الیسیر الذی یتمّ بعیدا عن أجواء الریاء و البذخ،لأنّ إشباع الغرائز بشکل سلیم و شرعی خیر سبیل لاقتلاع جذور الذنوب،أو بعباره أخری:کل مکافحه سلبیه لا بدّ أن ترافقها مکافحه إیجابیه.

لهذا تقول بدایه الآیه موضع البحث: وَ أَنْکِحُوا الْأَیٰامیٰ مِنْکُمْ وَ الصّٰالِحِینَ مِنْ عِبٰادِکُمْ وَ إِمٰائِکُمْ .

و«الأیامی»جمع«أیّم»علی وزن«قیّم»و تعنی فی الأصل المرأه التی لا زوج لها،و کذلک تطلق هذه الکلمه علی الرجل الذی لا زوجه له،فیدخل فی هذا المفهوم کلّ من لیس له زوج،سواء کان بکرا أم ثیّبا.

و عباره«أنکحوا»أی«زوّجوا»-و بما أنّ الزواج یتمّ بالتراضی و حریه الإختیار الطرفین،فالمراد من هذا الأمر بالتزویج التمهید للزواج،عن طریق تقدیم العون المالی عند الحاجه،أو العثور علی زوجه مناسبه،أو التشجیع علی الزواج و الاستفاده من وساطه الأشخاص لحلّ المشاکل المستجده.

و باختصار:إنّ مفهوم الآیه واسع،حتی أنّه لیضم کلّ خطوه و حدیث فی هذا المجال.و لا اختلاف فی أنّ أصل التعاون الإسلامی یوجب تقدیم العون من قبل المسلمین بعضهم لبعض.

و جاء ذلک هنا بصراحه لیؤکّد أهمیّه الزواج الخاصّه.و هی أهمیّه بالغه المدی،إذ

ورد حدیث بصددها عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام قوله: «أفضل الشفاعات أن تشفع بین اثنین فی نکاح حتی یجمع اللّه بینهما». (1)

و

جاء فی حدیث آخر عن الإمام موسی الکاظم علیه السّلام قوله: «ثلاثه یستظلون

1- 1) -وسائل الشیعه،المجلد 14،صفحه 27(الباب 12 من أبواب مقدمات النکاح).

بظلّ عرش اللّه يوم القيامه،يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه،رجل زوّج أخاه المسلم،أو خدمه، أو كتم له سرّا» (۱) .

كما

جاء فی حدیث عن الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قوله فی الذی یسعی لزواج أخیه المسلم«کان له بکلّ خطوه خطاها،أو بکلّ کلمه تکلم بها فی ذلک عمل سنه قیام لیلها و صیام نهارها» (۲) .

و بما أنّ بعض الإعذار کالفقر أو عدم وجود و توفّر الإمکانات اللازمه قد تقف حائلا دون الزواج،أو هو عذر للفرار من الزواج و تشکیل الأسره.یقول القرآن بهذا الصدد: إِنْ یَکُونُوا فُقَرٰاءَ یُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ .

إنّ قدره اللّه واسعه سعه تشمل عالم الوجود کلّه،و علمه واسع یحیط بما خفی و بما ظهر من المقاصد و الأفعال،خاصّه الذین یقدمون علی الزواج ابتغاء المحافظه علی عفتهم و طهارتهم،و بهذا یشمل اللّه الجمیع بفضله و کرمه.

و لنا فی هذا المجال دراسه و تحلیل،و سنذکر أحادیث عدیده فی نهایه هذا البحث.

و لکن أحیانا بالرغم من بذل الجمیع جهودهم لتهیئه مستلزمات زواج إنسان ما لا یفلحون فی ذلک،ممّا یضطره إلی مضی فتره من الزمن محروما من الزواج، و لکی لا یظنّ أن إقدامه علی الفساد أمرا مباحا تقتضیه الضروره أسرعت الآیه التالیه لتأمره بالطهاره و العفّه فقالت: وَ لْیَسْتَعْفِفِ الَّذِینَ لاٰ یَجِدُونَ نِکٰاحاً حَتّٰی یُغْنِیَهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ .

فیجب علیه تجنّب التلوث و الفساد فی هذه المرحله المتأزّمه و مواجهه الامتحان الإلهی،حیث لا یقبل أی عذر منه،فلا بدّ أن یمتحن قوّه إیمانه و شخصیته و تقواه فی هذه المرحله.

ص :۹۳

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلد ۱۴،صفحه ۲۷(الباب ۱۲ من أبواب مقدمات النکاح).

۲- ۲) -المصدر السابق.

و یهتم الإسلام کعادته بالعبید الضعفاء اجتماعیا من أجل تیسیر حریتهم، فیتناول القرآن المجید مسأله المکاتبه(و هی تعهد الغلام بتوقیعه اتفاقا ینص علی القیام بعمل معیّن أو دفع مبلغ مقابل عتقه)،فتقول الآیه وَ الَّذِینَ یَبْتَغُونَ الْکِتابَ مِمّا مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ فَکاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِیهِمْ خَیْراً .

و تقصد عباره عَلِمْتُمْ فِیهِمْ خَیْراً أی قد بلغوا من النمو الجسمی و وجدتم فیهم صلاحیه لإبرام العقد،و قدرتهم علی إنجاز ما تعهدوا به.

أمّا إذا لم یتمکنوا من الوفاء بما عاهدوا علیه،فلا ینبغی مکاتبتهم و عتقهم، لأنّ فی ذلک ضررا علیهم و علی المجتمع،فیجب تأجیل ذلک إلی وقت آخر یؤهّلهم من حیث القدره و الصلاحیه،و لأجل ألا یقع العبید فی مشاکل لا یتمکنون من حلّها و یعجزون عن تسدید ما بذمتهم،یدعو القرآن الکریم إلی مساعدتهم فیقول: وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللّهِ الَّذِی آتاکُمْ .

هناک اختلاف حول هذا المال بین المفسّرین:فقال عدد کبیر منهم:-إنّه حصه من الزکاه،مثلما نصت علیه الآیه(۶۰)من سوره التوبه.لیتمکن العبید من الوفاء بدینهم و انعتاقهم.

و قال آخرون:علی مالک الغلام أن یتبرع بقسم من أقساط الدّین،أو یساعده بإعادته إلیه،لیتمکن من الحیاه الحرّه.

کما یحتمل أن المقصود هنا منح العبید فی البدایه مبلغا للإنفاق،أو جعله رأسمال لهم لیمکنهم من التجاره و العمل و إداره شؤونهم الخاصّه،و دفع الأقساط التی بذمّتهم،و طبیعی أنّ التفاسیر الثلاثه هذه غیر متناقضه.و یمکن للآیه السابقه أن تستوعبها جمیعا.

و الهدف الحقیقی هو أن یشمل المسلمون هذه الطبقه المستضعفه بمساعداتهم لتتحرر بأسرع وقت ممکن.

و

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر هذه الآیه: «تضع عنه من نجومه

التی لم تکن ترید أن تنقصه،و لا تزید فوق ما فی نفسک» (۱) .

إشاره إلی مجموعه من الناس کانوا یکاتبون عبیدهم بمبالغ أکبر ممّا یعطونهم،و یتظاهرون بمساعدتهم. و قد نهی الإمام الصادق علیه السّلام عن ذلک مبیّنا أنّه یجب أن یکون التخفیض حقیقیّا.

و عقّبت هذه الآیه بإشاره إلی أحد الأعمال القبیحه التی کان یمارسها عبّاد الدنیا إزاء جواریهم: وَ لاٰ تُکْرِهُوا فَتَیٰاتِکُمْ عَلَی الْبِغٰاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا .

قال بعض المفسّرین فی سبب نزول هذه الآیه:کان عبد اللّه بن أبی یملک ست جوار یجبرهن علی البغاء،و عند ما نزلت آیات قرآنیه تنهی عن الفحشاء جئن إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عرضن شکواهن علی سیّدهنّ عنده،فنزلت الآیه أعلاه و نهت عن ارتکاب هذا الإثم (۲) .

و هذه الآیه تکشف عن مدی الرذیله و الانحطاط الخلقی الذی کان سائدا فی عهد الجاهلیه.و قد واصل البعض أعماله القبیحه هذه حتی بعد ظهور الإسلام، حتی نزلت الآیه السابقه،و أنهت هذه الأعمال.

و مع بالغ الأسف نجد عصرنا الذی سمی بجاهلیه القرن العشرین،تمارس البشریه هذا العمل بقوه و علی قدم و ساق فی بلدان تدّعی المدنیه و الحضاره و الدفاع عن حقوق الإنسان.و کذلک کان الوضع فی بلادنا علی عهد الطاغوت،إذ کان هذا العمل القبیح یمارس ببشاعه و مراره،و کان البعض یخدع البنات البریئات و النساء الجاهلات،و یدفع بهنّ إلی مراکز الفساد،و یجبرهنّ علی القیام بأعمال الرذیله و الفساد،و یغلق أبواب النجاه بوجوههنّ لیجنی ثروات طائله و تفصیل الکلام فی ذلک مؤلم و خارج عن عهده هذا الکتاب.

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،المجلد الثالث،صفحه ۶۰۱.

۲- ۲) -مجمع البیان فی تفسیر آخر الآیه موضع البحث،و تفسیر القرطبی(مع بعض الاختلاف).

و بالرغم من أن العالم المعاصر يدّعى التحضّر و إزاله معالم العبوديه القديمه، إلاّ أنّ الجرائم و المفاسد الخلقيه تشيع بشكل أكثر توحّشا من كلّ ما حدث فى غابر الأيّام،و نسأل اللّه أن يحفظ الإنسانيه من شرّ هؤلاء الذين يدّعون التمدّن.

كما نحمده و نشكره على زوال هذه المعالم من إيران بعيد انتصار الثوره الإسلاميه.

و جدير بالذكر أنّ عباره إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لا تعنى فى مفهومها أنهنّ إن رغبن فى الفساد فلا مانع من إجبارهن،بل تعنى نفى الموضوع بشكل تامّ من قبيل السالبه بانتفاء الموضوع،لأنّ مسأله الإكراه تصدق فى حاله عدم الرغبه فيه.و إلاّ فبيع الجسد و إشاعه هذا الفعل بأيه صوره كانت هو من كبائر الذنوب.

و جاءت هذه العباره لتثير غيره مالكى الجوارى إن كان لهم أدنى غيره، و مفهومها أنّ الجوارى مع أنهنّ من الطبقه الدانيه و لكن لا يرغبن فى ارتكاب الفاحشه.فلما ذا ترتكبون هذه الأعمال المنحطه على الرغم من تصوركم أنّكم طبقه راقيه؟ و فى الختام-على حسب الأسلوب الذى يتبعه القرآن-يفتح طريق التوبه للمذنبين،و يشجعهم على إصلاح أنفسهم: وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

و يمكن أن تكون هذه الجمله-كما قلنا-إشاره إلى الوضع السائد بين ملاّك الجوارى الذين غلب عليهم الندم،و استعدوا للتوبه و إصلاح أنفسهم.

أو تكون هذه الجمله إشاره إلى النسوه اللواتى يرتكبن هذا العمل القبيح بإكراه من قبل أسيادهنّ.

و على نهج القرآن،نجد آخر الآيات-موضع البحث-تستنتج و تلخّص الموضوع المطروح خلال إشارتها إلى البحوث السابقه: وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ و كذلك دروس و عبر من الأقوام الماضيه تنفعكم فى يومكم هذا: وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ .

مسائل مهمّه:

اشاره

١-الزواج سنّه إلهيه

على الرغم من أن الزواج فى الوقت الحاضر قد تعقد بما أحاطته الأعراف الاجتماعيه من عادات خاطئه و خرافيه أحيانا،فأصبح طريقا صعبا لا يتمكن الشاب من سلوكه،فإنّه لو اجتزنا هذه العراقيل لأدركنا أنّ الزواج تعبير فطرى منسجم مع قانون الخليقه و ضرورى لبقاء نسل الإنسان،و سكن لروحه،و راحه لجسمه،و حل للمشاكل النفسيه و الاجتماعيه.فالإسلام يخطو بانسجام مع الخلق، و له تعابير جميله مؤثره،و من جملتها

حديث مشهور عن الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «تناكحوا و تناسلوا تكثروا.فإنّى أباهى بكم الأمم يوم القيامه و لو بالسقط» (١) .

و نقرأ

حديثا آخر له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق اللّه فى النصف الباقى» (٢) .

و السبب فى كلّ هذا الاهتمام هو أنّ الغريزه الجنسيه من أقوى و أشرس الغرائز فى الإنسان،و تنافس الغرائز الأخرى بأجمعها،و انحرافها يعرّض دين المرء إلى الخطر، و لذا يعلو صوت

حديث نبوى آخر: «شراركم عزّابكم» (٣) لهذا شجعت الآيات-موضع البحث-و أحاديث عديده المسلمين على التعاون فى تزويج العزّاب،و تقديم ما بوسعهم من مساعدات فى هذا السبيل.

و قد حمّل الدّين الإسلامى الآباء مسئوليه كبيره عن أبنائهم،و الآباء الذين يتصرّفون دون مبالاه إزاء هذه القضيه،فإنّهم يشاركون فى انحراف أبنائهم.كما نقرأ

فى حديث للرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «من أدرك له ولد و عنده ما يزوجه فلم

١- ١) -سفينه البحار،المجلد الأول،صفحه ٥٦١(ماده الزوج).

٢- ٢) -المصدر السابق.

٣- ٣) -مجمع البيان،فى تفسير الآيه موضع البحث.

يزوجه،فأحدث،فالإثم بينهما!» (۱) .

و قد أكّدت تعاليم الإسلام-لهذا السبب أيضا-بالتيسير فى نفقات الزواج و المهر،لإزاله الحواجز من طريق العزّاب.خاصّه إذا علمنا أنّ المهر الغالى يقف حجر عثره فى وجه زواج العزّاب.

ففى حديث للرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «من شؤم المرأه غلاء مهرها» (۲) .

و

جاء فى حديث آخر أعقب الحديث السابق: «من شؤمها شدّه مؤونتها» (۳) .

و قد صرّحت الآيه السابقه بأنّ الفقر لا يمكن أن يكون مانعا للزواج،و قد يغنى اللّه المرء بالزواج.

و بهذا حكمت الآيه و أدانت الذين يفرون من الزواج بحجّه أنّهم فقراء،و لا يتحملون هذه المسؤوليه الإلهيه و الإنسانيه،بأعذار واهيه.

و السبب فى التأكيد على الزواج،هو أنّ المرء يشعر بعد زواجه بمسؤوليته فى الحياه،فيزج قواه للكسب الحلال.بينما نجد العزاب فى معظم الحالات مشردين! لعدم شعورهم بالمسؤوليه.و المتزوج يكتسب شخصيه اجتماعيه،حيث يجد نفسه مسئولا عن المحافظه على زوجته،و ماء وجه أسرته،و تأمين حياه سعيده و مستقبل زاهر لها.و يستغلّ المتزوج جميع طاقاته للحصول على دخل معتبر، فتراه يقتصد فى نفقاته ليتغلّب على الفقر بأسرع وقت ممكن،لهذا

ذكر الإمام الصادق عليه السّلام «الرزق مع النساء و العيال» (۴) .

جاء فى حديث للرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين شكا رجل إليه فقره فأجابه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«تزوّج». فتزوّج فوسع له (۵) .

۱- ۱) -مجمع البيان فى تفسير الآيه موضوع البحث.

۲- ۲) -وسائل الشيعه،المجلد الخامس عشر،الباب الخامس من أبواب المهور صفحه ۱۰.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -تفسير نور الثقلين،المجلد الثالث،صفحه ۵۹۵.

۵- ۵) -وسائل الشيعه،المجلّد الرّابع عشر،صفحه ۲۵،الباب ۱۱«من أبواب مقدمات النكاح».

و لا جدال فی أنّ الإمدادات الإلهیه و القوی الروحیه الخفیه تساعد هذا الشخص الذی تزوج لیحفظ نفسه و یطهرها.و علی کلّ مؤمن أن یطمئن لما وعده اللّه، فقد

ذکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «من ترک التزویج مخافه العیله فقد ساء ظنّه باللّه،إن اللّه عزّ و جلّ یقول: إِنْ یَکُونُوا فُقَرٰاءَ یُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ (۱) .

و هناک أحادیث عدیده فی هذا المجال،لو تناولناها جمیعا بالبحث لخرجنا عن بحثنا التّفسیری هذا.

۲-المراد من عباره وَ الصّٰالِحِینَ مِنْ عِبٰادِکُمْ وَ إِمٰائِکُمْ .

ممّا یلفت النظر فی الآیات موضع البحث أنّها حین التحدّث عن زواج الرجال و النساء الأیامی تأمر بالتعجیل فی الزواج،و عدم وضع العراقیل فی وجهه،أمّا بالنسبه للعبید و الجواری،فتطلب توفر شرط الصلاح فیهم للزواج.

و ذهب عدد من المفسّرین(کالکاتب العظیم صاحب تفسیر المیزان،و کذلک صاحب تفسیر الصافی)إلی صلاحیتهم للزواج فی حین أن هذا الشرط یجب أن یتوفر فی النساء و الرجال الأحرار أیضا.

و قال البعض الآخر:إنّه یقصد الصلاح من ناحیه الأخلاق و العقیده،لأنّ الصالحین یتمتعون بمکانه خاصّه من هذه الجهه،و لکن السؤال یبقی علی حاله:

لماذا لم یرد هذا الشرط فی الأحرار؟ و یحتمل أن یکون المراد غیر هذا:-إذ أنّ أکثر العبید فی تلک الفتره فی مستوی ثقافی و أخلاقی واطئ، فلا یشعرون بأیّه مسئولیه،و لا یقدرون المشاعر المشترکه فی الحیاه.فلو تزوجوا لترکوا زوجاتهم بسهوله،و من هنا استوجبت الآیه التأکد من صلاحیتهم للزواج.

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلد الرّابع عشر،صفحه ۲۴،الباب ۱۰«من أبواب مقدمات النکاح».

و مفهوم هـذه الآيه أن يعـدّوا العبيـد للزواج أوّلا بتهـذيب أخلاقهم و زياده صـلاحهم،ليكونوا بمسـتوى المسؤوليه التى تقع على عاتقهم بعد الزواج.

٣-ما هو عقد المكاتبه؟

قلنـا:إنّ الإسـلام وضـع برنامـج التحرر التـدريجى للعبيـد،و اسـتفاد مـن كـل فرصه لعتقهم،فكـانت قضـيه«المكـاتبه»حكمـا يجب اتباعه،كما نصّت عليه الآيات موضع البحث.

و تشـتق«المكـاتبه»من الكتـابه،و الكتـابه فى الأصل مشـتقّه من«كتب»بمعنى «الجمع»أى:جمع الحروف و الكلمات.و بما أنّ العقد بين المـولى و العبـد يتمّ بكتـابه مـوادّ يتفـق عليهـا،فلـذلك سـمّيت«مكـاتبه».فعقـد المكـاتبه نوع من الاتفاقـات يتمّ بين المولى و عبده،يلتزم العبد فيه بإعداد مبلغ من المال من عمل حرّ،ليدفع أقساطا لسيّده،فإذا دفع آخر قسط ينال حريته.

و أمر الإسلام ألا تتجاوز هذه الأقساط ثمن العبد نفسه.

و إذا عجز العبـد لسـبب ما عن دفع الأقساط المترتبه بـذمّته،وجب أن تسدّد هذه الأقساط من بيت المال أو من الزكاه ليعتق،حتّى أنّ بعض الفقهاء قال بصـراحه:إذا تعلقت زكاه بـذمّه السيّد،وجب عليه احتساب هذه الأقساط منها، و هذا العقد لازم التنفيذ،و لا يمكن فسخه من أىّ طرف من طرفى العقد.

و يتّضـح بـذلك كيف يجعـل هـذا المشـروع عتق العبيـد يسـيرا،ليعيشوا أحرارا مسـتقلين حـتى فى فتره إعـداد الأقسـاط،كمـا أن أسيادهم لا يتضررون بذلك، فلا يدفعهم هذا إلى إلحاق الأذى بعبيدهم.

و لعقد المكاتبه أحكام و فروع عديده مذكوره فى الكتب الفقهيه فى باب المكاتبه.

ص:١٠٠

الآيات [سوره النور (۲۴): الآيات ۳۵ الی ۳۸]

اشاره

اَللّهُ نُورُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاهٍ فِيها مِصْباحٌ اَلْمِصْباحُ فِي زُجاجَهٍ اَلزُّجاجَهُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لا شَرْقِيَّهٍ وَ لا غَرْبِيَّهٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اَللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اَللّهُ اَلْأَمْثالَ لِلنّاسِ وَ اَللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۳۵)
فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اَللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اِسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصالِ (۳۶)
رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّهِ وَ إِقامِ اَلصَّلاهِ وَ إِيتاءِ اَلزَّكاهِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ اَلْقُلُوبُ وَ اَلْأَبْصارُ (۳۷)
لِيَجْزِيَهُمُ اَللّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اَللّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ (۳۸)

التّفسير

اشاره

آیه النور!

تحدث الفلاسفه و المفسّرون و العرفاء الإسلاميون كثيرا عن مقاصد الآيات

ص: ۱۰۱

أعلاه،و هی مرتبطه بما سبقها من الآیات الشریفه التی عرضت لقضیه العفه و مکافحه الفحشاء بمختلف السبل.

و بما أنّ ضمانه تنفیذ الأحکام الإلهیه،و خاصّه السیطره علی الغرائز الثائره، و لا سیّما الغریزه الجنسیه التی هی أقوی الغرائز،لا تتمّ دون الاستناد إلی الإیمان، و من هنا امتد البحث إلی الإیمان و أثره القویّ،فقالت الآیه أوّلا: اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

ما أحلی هذه الجمله!و ما أثمنها من کلمات!أجل إنّ اللّه نور السموات و الأرض...النور الذی یغمر کلّ شیء و یضیئه.

و یری بعض المفسّرین أنّ کلمه«النّور»تعنی هنا«الهادی»،و ذهب البعض الآخر أنّ المراد هو«المنیر».و فسّرها آخرون ب«زینه السماوات و الأرض».

و کلّ هذه المعانی صحیحه،سوی أنّ مفهوم هذه الآیه أوسع بکثیر ممّا ذکر، فالقرآن المجید و الأحادیث الإسلامیه فسّرت النور بأشیاء عدّه منها:

۱-«القرآن المجید»:-ذکرت الآیه(۱۵)من سوره المائده: قَدْ جٰاءَکُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَ کِتٰابٌ مُبِینٌ و جاء فی الآیه(۱۵۷)من سوره الأعراف وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

۲-«الإیمان»ذکرت الآیه(۲۵۷)من سوره البقره. اَللّٰهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَی النُّورِ .

۳-«الهدایه الإلهیه»مثلما جاء فی الآیه(۱۲۲)من سوره الأنعام أَ وَ مَنْ کٰانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النّٰاسِ کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُمٰاتِ لَیْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا ؟! ۴-«الدین الإسلامی»کما نقرأ فی الآیه(۳۲)من سوره التوبه: وَ یَأْبَی اللّٰهُ إِلاّٰ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ کَرِهَ الْکٰافِرُونَ .

۵-النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-نقرأ عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الآیه(۴۶)من سوره

الأحزاب: وَ دٰاعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرٰاجاً مُنِيراً .

۶-الأئمه الأطهار:كما جاء فی الزياره الجامعه لهم:«خلقكم اللّه أنوارا فجعلكم بعرشه محدّقين».و كذلك فی نفس هذه الزياره«و أنتم نور الأخيار و هداه الأبرار».

۷-«العلم و المعرفه»حيث عرّف بالنور كما جاء فی الحديث المشهور «العلم نور يقذفه اللّه فی قلب من يشاء».

كلّ هذه من جهه،و من الجهه الأخرى علينا التدقيق فی خصائص النور و ميزانه،ليتّضح أنّه يمتاز بما يلی:

۱-النور أجمل و ألطف ما فی العالم،و هو مصدر لكلّ جمال و لطف! ۲-النور أسرع الأشياء،كما ثبت لمشهوری العلماء الكبار فی العالم،إذ تبلغ سرعته ثلاثمائه ألف كيلومتر فی الثّانيه.و بإمكانه الدوران حول الكره الأرضيه سبع مرات فی طرفه عين(أقلّ من ثانيه واحده).

و لهذا السبب تقاس المسافات الهائله بين النجوم فقط بسرعه الضوء، و الوحده المستعمله فی هذا المجال هی السنه الضوئيه،أی:المسافه التی يقطعها الضوء و هو بتلك السرعه الهائله-فی سنه واحده.

۳-بالنور يمكن مشاهده الأشياء فی العالم،و من دونه يستحيل رؤيه أیّ شیء،فالنور ظاهر بنفسه و مظهر لغيره.

۴-إنّ ضوء الشمس يعدّ من أهم أنواع النور فی عالمنا،فهو ينمی الأزهار و النباتات و به تستمرّ الحياه،بل هو رمز بقاء المخلوقات الحيّه،و لا يمكن لموجود حیّ أن يستمرّ فی الحياه دون أن يستفيد من نور الشمس بصوره مباشره أو غير مباشره.

۵-ثبت اليوم أن جميع الألوان يمكن مشاهدتها بنور الشمس أو الأنوار الأخرى،و لولاها لعاشت المخلوقات فی عتمه قاتمه.

ص :۱۰۳

۶-إنّ جميع أنواع الطاقه الموجوده فى محيطنا(باستثناء الطاقه النوويه) مصدرها الشمس من قبيل حركه الرياح،سقوط المطر،و حركه الأنهر و الوسائط فيها و الشلالات و لو دققنا فى حركه جميع المخلوقات الحيه لوجدناها ترتبط بنور الشمس.

مصدر الحراره و تدفئه الأحياء كلها هو الشمس،حتى أن حراره النار المتولده من الخشب أو الفحم أو الفحم الحجرى أو النفط و مشتقاته مصدرها حراره الشمس.لأنّ هذه الأشياء بحسب الدراسات العلميه تعود إلى النباتات أو الحيوانات،و هذه بدورها قد استفادت من نور الشمس و حرارتها،فخزنت الفائض منها فى جسمها،لهذا فإنّ حركه المحركات و المكائن أيضا من بركات الشمس.

۷-نور الشمس قاتل الميكروبات و المخلوقات المضرّه،و بفقدان هذا النور تتبدّل الأرض إلى مستشفى كبير قد ابتلى سكانها بأنواع الأمراض و يصارعون الموت بين لحظه و أخرى! و كلما دققنا فى عالم النور الذى يشكل ظاهره فريده،يتّضح لنا أثره البالغ الأهميه و بركاته العظيمه.

و بملاحظه هاتين المقدمتين إذا أردنا تشبيه الذات المقدسه لربّ العالمين (رغم منزلته العظيمه التى لا نظير لها و لا شبيه)فلا نجد خيرا من النور؟!اللّه الذى خلق كل شىء فى عالم الوجود و نوّره،فأحيا المخلوقات الحيه ببركته،و رزقها من فضل،و لو انقطعت رحمته عنها لحظه،لأصبح الجميع فى ظلمات الفناء و العدم.

و ممّا يلفت النظر أنّ كل مخلوق يرتبط باللّه بمقدار معين يكتسب من النور بنفس ذلك المقدار:

القرآن نور لأنّه كلام اللّه.

و الدين الإسلامى نور لأنّه دينه.

ص :۱۰۴

الأنبياء أنوار لأنّهم رسله.

و الأئمّه المعصومون عليهم السّلام أنوار إلهيه،لأنّهم حفظه دينه بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و الإيمان نور،لأنّه رمز الالتحام به سبحانه و تعالى.

و العلم نور،لأنّه السبيل إلى معرفته-عزّ و جلّ-.

و لهذا:اللّه نور السموات و الأرض.

و إذا استعملنا كلمه«النور»بمعناها الواسع،أى الظاهر فى ذاته و المظهر لغيره فى هذه الحاله يصبح استعمال كلمه النور الذات اللّه المقدسه حقيقه و لا تشبيه فيها، لأنّه لا يوجد أظهر من اللّه تعالى فى العالم،و كلّ الأشياء تظهر من بركات وجوده.

و

جاء فى كتاب التوحيد،عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام حين سئل عن معنى قوله تعالى: اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ قال«هاد لأهل السموات،و هاد لأهل الأرض».

و هذه فى الواقع واحده من خصائص النور الإلهى،و لا يمكن حصره بهذه الخصيصه،و لهذا يمكن جمع كلّ ما قيل فى تفسير هذه الآيه،و كلّ تفسير هو إشاره إلى أحد أبعاد هذا النور الذى لا مثيل له.

و الجدير بالذكر ما جاء فى الفقره السابعه و الأربعين من دعاء الجوشن الكبير الذى يحتوى على صفات اللّه تعالى:

«يا نور النور،يا منور النور،يا خالق النور، يا مدبر النور،يا مقدر النور،يا نور كلّ نور،يا نورا قبل كلّ نور،يا نورا بعد كلّ نور،يا نورا فوق كلّ نور،يا نورا ليس كمثله نور» و بهذا تأخذ أنوار الوجود نورها من نوره و تنتهى بنوره الطاهر.

و قد أوضح القرآن بعد بيانه الحقائق السالفه ذلك،إذ ذكر مثالا رائعا دقيقا لكيفيه النور الإلهى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰاهٍ فِيهٰا مِصْبٰاحٌ الْمِصْبٰاحُ فِى زُجٰاجَهٍ الزُّجٰاجَهُ كَأَنَّهٰا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبٰارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لاٰ شَرْقِيَّهٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّهٍ يَكٰادُ زَيْتُهٰا يُضِىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نٰارٌ نُورٌ عَلىٰ نُورٍ يَهْدِى اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَضْرِبُ اللّٰهُ

ص: ۱۰۵

الْأَمْثالَ لِلنّاسِ وَ اللّهُ بِكَلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

.

و لشرح هذا المثال يجب الإلمام بعده أمور:

«المشكاه»فى الأصل تعنى الكوّه التى تخصص فى الجدار لوضع المصابيح الزيتيه فيها لحفظها من الرياح،و أحيانا تبنى فى الجدار فتحه صغيره،يغطى جانبها المشرف على ساحه الدار بالزجاج،لإضاءه داخل و خارج الغرفه كما تحفظ المصباح من الرياح.كما تطلق هذه الكلمه على وعاء(الفانوس القديم) يصنع من زجاج على شكل متوازى المستطيلات له باب و فتحه فى أعلاه لخروج الهواء الساخن.و كانوا يضعون المصباح فيه.

و باختصار نقول:إنّ المشكاه محفظه للمصباح من الرياح الشديده،و غالبا ما يثبت فى الجدار لتركيز الضوء و سهوله انعكاسه.

«الزجاجه»تطلق فى الأساس على الأحجار الشفّافه،و سمّيت الصفائح الشفافه بالزجاج لأنّها تصنع من مواد معدنيه، و الزجاجه هنا تعنى الزجاجه التى توضع فوق المصباح لتحفظ شعلته،و تنظّم جريان الهواء،لتزيد من نور الشعله.

«المصباح»يتألف من وعاء للزيت و فتيل.

عباره يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ لا شَرْقِيَّهٍ وَ لا غَرْبِيَّهٍ تشير إلى الطاقه التى تجهّز هذا المصباح بوقود لا ينضب معينه.و زيت الزيتون من أجود الوقود المستعمل للمصابيح،ثمّ أن هذا الزيت يحصل عليه من زيتون شجر يتعرّض للشمس من جميع جوانبه بشكل متساو،لا أن تكون الشجره فى الجانب الشرقى من البستان و بجانب حائط يمنع وصول أشعه الشمس إليها،كما لا تكون فى جهه الغرب ليتعرض جانب واحد منها على أشعه الشمس،فلا تنضج ثمرتها بصوره جيده و لا يكون زيتها نقيا و صافيا.

و بعد هذا الإيضاح يتبيّن أنّنا للاستفاده من نور المصباح بإشعاع قوىّ نحتاج إلى توفر أربعه أشياء.

«محفظه للمصباح»لا ـ تقلل من نوره،بل تركز هذا النور و تعكسه و«زجاجه» تنظم جريان الهواء حول الشعله،و يجب أن تكون شفّافه بدرجه لا تمنع تشعشع النور،و«مصباح»هو مصدر النور،و هو عباره عن إناء فيه زيت و فى أعلاه الفتيل.

و أخيرا«ماده الاحتراق»صافيه خالصه شفّافه مستعده للاشتعال بدرجه يتصوّر فيها الإنسان إنّها سوف تشعل لوحدها دون أن يمسّها قبس من النار.

كلّ هذه العبارات تكشف فى الحقيقه عن ظاهر القضيه.

و من جهه أخرى أورد كبار المفسّرين تفاسير عديده بشأن هذا التشبيه و أنّه ما هو«المشبّه»و من أىّ نور إلهى يكون:

قال البعض:المقصود هنا نور الهدايه التى يجعله اللّه فى قلوب المؤمنين، و بعباره أخرى:المقصود الإيمان الذى استقرّ فى قلوب المؤمنين.

و قال آخرون:إنّ المشبّه يعنى هنا القرآن الذى ينير قلوب الناس.

و آخرون:إنّه إشاره إلى شخص النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و آخرون:إنّه إشاره إلى أدله التوحيد و العدل الإلهى.

و آخرون:إنّه روح الطاعه و التقوى التى هى أساس كلّ خير و سعاده.

و فى الحقيقه فإنّ هذه التفاسير قد أوردت كلّ ما جاء فى القرآن و الأحاديث الإسلاميه بعنوان مصاديق للنور،و جوهرها واحد،و هو نور الهدايه بذاته، و مصدره القرآن و الوحى و وجود الأنبياء،و ينهل من أدله التوحيد،و نتيجته التسليم بحكم اللّه و التمسك بالتقوى.

و توضيح ذلك:إنّ نور الإيمان الموجود فى قلوب المؤمنين يحتوى على العناصر الأربعه المتوفره فى المصباح المضىء،هى:

«المصباح»و هو شعله الإيمان فى قلب المؤمن يضىء طريق الهدايه.

و«الزجاجه»هى قلب المؤمن ينظم الإيمان فى ذاته و يحفظه من كل سوء.

و«المشكاه»صدر المؤمن،أو بعباره أخرى:شخصيته بما فيها وعيه و علمه

و فكره الذى يصون إيمانه من الأعاصير و الأخطار.

«شجره مباركه زيتونه»هى الوحى الإلهى الذى يكون بمنتهى الصفاء و الطهاره و توقد شعله إيمان المؤمنين-فى الحقيقه-من نور اللّه الذى ينير السموات و الأرض و قد.شرق من قلوب المؤمنين،فأضاء وجودهم و نور وجوههم.

فتراهم يمزجون الأدلّه العقلائيه بنور الوحى،فيكون مصداق«نور على نور».

و لهذا ترى القلوب المستعده لاستقبال النور الإلهى تهتدى،و هى المقصوده بعباره يَهْدِى اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ و على هذا فإنّ المحافظه على النور الإلهى (نور الهدايه و الإيمان)يستوجب توفر مجموعه من المعارف و العلوم و الوعى و الأخلاق و بناء الذات،من أجل أن تكون كالمشكاه تحفظ هذا المصباح.

كما تحتاج إلى قلب مستعد لينظّم هذا النور الإلهى كما تنظم الزجاجه شعله المصباح.

و تحتاج إلى مدد من الوحى،ليمنحها طاقه مثلما تمنحها الشجره التى سمّاها القرآن بعباره شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ زَيْتُونَهٍ .

و تجب المحافظه على نور الوحى من التلوث و الميول الماديه و الانحراف إلى الشرق أو الغرب الذى يؤدّى إلى التفسخ و الاندثار.

و لتعبئ قوى الإنسان بشكل سليم بعيدا عن كلّ فكر مستورد و انحراف، لتكون مصداقا ل يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ .

و كلّ تفسير يتضمّن حكما مسبقا و يتضمّن ذوق المفسّر و عقيدته الخاصّه به، أو رغبه يساريه أو يمنيه،أو خرافه يؤدى إلى تلويث سمعه هذه الشجره المباركه، و يقلل من تشعشع مصباحها.و أحيانا يطفئه.

هذا هو المثال الذى ذكره اللّه لنوره فى هذه الآيه،و هو الذى أحاط بكلّ شىء

علما.

و ممّا سلف يتّضح لنا أن ما ذكرته الرّوايات عن الأئمّه المعصومين عليهم السّلام بخصوص تفسير هذه الآيه أنّ المشكاه هى قلب نبىّ الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المصباح نور العلم،و الزجاجه وصيه على عليه السّلام،و الشجره المباركه إبراهيم الخليل عليه السّلام الذى يرجع نسب بيت النبوّه إليه،و عباره لاٰ شَرْقِيَّةٍ وَ لاٰ غَرْبِيَّةٍ تعنى نفى أىّ ميل إلى اليهوديه و النصرانيه فهو وجه آخر لنور الهدايه و الإيمان،و مصداق واضح لها،و لا يعنى أنّ هذه الآيه مختصه بهذا المصداق.

كما أنّ ما ذهب إليه بعض المفسّرين من أنّ النور الإلهى هو القرآن،أو الأدله العقلائيه،أو النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذاته،له جذور مشتركه بالتّفسير أعلاه.

و قد شاهدنا حتى الآن خصائص هذا النور الإلهى،نور الهدايه و الإيمان من خلال تشبيهه بمصباح قوىّ الإضاءه.

و يجب أن نعرف الآن أين موضع هذا المصباح،و شكل موضعه؟ليتّضح لنا ما كان ضروريا إيضاحه فى هذا المجال.لهذا تقول الآيه التاليه:إنّ هذه المشكاه تقع فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ لكى تكون فى مأمن من الشياطين و الأعداء و الانتهازيين وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ و يتلى فيها القرآن و الحقائق الإلهيه.

و قد اعتبر العديد من المفسّرين هذه الآيه مرتبطه كما قلنا بالآيه التى سبقتها (۱) . غير أن البعض من المفسّرين يرى أنّ هذه الجمله ترتبط بالجمله التى تليها،إلاّ أنّ ذلك بعيد عن الصواب.

أمّا ما أورده البعض و تساءل عن مدى تأثير هذا النور الباهر فى البيوت

۱ – ۱) -هكذا يكون تقدير الآيه«هذه المشكاه فى بيوت...أو هذا المصباح فى بيوت...هذه الشجره فى بيوت...نور اللّه فى بيوت»فى الوقت الذى يرى أصحاب التّفسير الثّانى أنّ عباره«فى بيوت»تعود إلى كلمه«يسبّح»ليكون معنى الآيه فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصٰالِ أى فى الصباح و المساء.إلاّ أن هذا التّفسير لا ينسجم مع وجود كلمه«فيها»لأنّه يعد تكرارا لا داعى له،إضافه إلى عدم انسجامها مع الأحاديث الوارده بهذا الصدد (فتأملوا جيدا).

المذكوره بتلك الخصوصيات،فجوابه واضح،لأنّ البيوت التى ورد ذكرها فى هذه الآيه و التى يحرسها رجال أشداء يقظون،هم الـذين يحفظون هـذه المصابيـح المنيره،إضـافه إلى أن هؤلاء الرجال يبحثون عن مصـدر نور،فيهرعون إليه بعـد أن يتعرّفون على موضع هذا النور.

و لكن مـا المقصود من هـذه البيوت؟ الجواب يتّضـح بمـا ذكرته آخر الآـيه من خصائص حيث تقول:أنّه فى هـذه البيوت يسـبّح أهلها صباحا و مساء: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصٰالِ (١) .

رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَهٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَ إِقٰامِ الصَّلاٰهِ وَ إِيتٰاءِ الزَّكٰاهِ يَخٰافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصٰارُ

إنّ هـذه الخصـائص تكشف عن أنّ هـذه البيوت هى المراكز التى حصّـِنت بـأمر من اللّه،و أنّهـا مركز لـذكر اللّه و لبيـان حقيقه الإسلام و تعاليم اللّه،و يضم هذا المعنى الواسع المساجد و بيوت الأنبياء و الأولياء خاصّه بيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بيت علىّ عليه السّلام.و لا دليل يؤيّد حصرها من قبل بعض المفسّرين-بالمساجد أو بيوت الأنبياء و أمثالها.

و

فى الحديث المروى عن الإمام الباقر عليه السّلام «هى بيوت الأنبياء و بيت علىّ منها» (٢) .

و

فى حديث آخر حيث سئل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا قرأ الآيه،أى بيوت هذه؟فقال:

«بيوت الأنبياء»فقام أبو بكر فقال:يا رسول اللّه،هذا البيت منها،يعنى بيت علىّ و فاطمه.قال:«نعم،من أفاضلها» (٣) .

١- ١) -«الغـدو»على وزن«علـو»بمعنى الصـبح،و يقـول الراغـب الأصـفهانى:الغـدوه و الغـداه مـن أوّل النهـار،و قوبـل فى القرآن بالآصـال،نحو قوله بِالْغُـدُوِّ وَ الْآصٰـالِ و قوبل الغـداه بالعشـىّ. و«الآصال»جمع«الأصل»على وزن«رسل»و هو بـدوره جمع للأصـيل بمعنى العصر،و السبب فى ذكر الغدو مفرده و الآصال جمعا؟يقول فخر الرازى،لأنّ الغدو ذات بعد مصدرى و لا يجمع المصدر.

٢- ٢) -تفسير نور الثقلين،المجلد الثالث،ص ٦٠٧.

٣- ٣) -تفسير مجمع البيان للآيه موضع البحث.

و کل ذلک إشاره إلی مصادیق واضحه تذکرها الأحادیث کعادتها حین تفسیر القرآن.

أجل،إنّ کلّ مرکز یقام بأمر من اللّه،و یذکر فیه اسمه و یسبح له فیها بالغدو و الآصال،و فیه رجال لا تلهیهم تجاره عن ذکر اللّه،فهی مواضع لمشکاه الأنوار الإلهیه و الإیمان و الهدایه.

و لهذه البیوت عدّه خصائص.

أوّلها:أنّها شیّدت بأمر من اللّه.

و الأخری:إن جدرانها رفعت و أحکم بناؤها لتمنع تسلل الشیاطین.

و ثالثها:أنها مرکز لذکر اللّه.

و أخیرا:فإنّ فیها رجالا یحرسونها لیل نهار،و هم یسبحون اللّه،و لا تلهیهم الجواذب الدنیویه عن ذکر اللّه.

هذه البیوت بهذه الخصائص،مصادر للهدایه و الإیمان.

و لا بدّ من التنبیه إلی ورود کلمتین فی هذه الآیه هما«التجاره»و«البیع»و هما کلمتان تبدوان و کأنّ لهما معنی واحدا،إلاّ أنّ الفرق بینهما هو أنّ التجاره عمل مستمر،و البیع ینجز مره واحده،و قد تکون عابره.

و یجب الالتفات إلی أنّ الآیه لم تقل:أنّ هؤلاء لا یمارسون أبدا التجاره و البیع بل قالت:إنّهم لا تلهیهم تجاره و لا بیع عن ذکر اللّه.

إنّهم یخافون یوم القیامه و العدل الإلهی الذی تتقلّب فیه القلوب و الأبصار من الخوف و الوحشه(و یجب الانتباه إلی أنّ الفعل المضارع،«یخافون»یدلّ علی الاستمرار فی الخوف،و هذا الخوف هو الذی دفعهم إلی تحمل مسئولیاتهم، و لبلوغ رسالتهم فی الحیاه).

و أشارت آخر هذه الآیات إلی الجزاء الوافی لحراس نور الهدایه و عشّاق الحقّ و الحقیقه،فقالت: لِیَجْزِیَهُمُ اللّٰهُ أَحْسَنَ مٰا عَمِلُوا وَ یَزِیدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ،

و لا عجب فی ذلک،لأنّ الفضل الإلهی لمن کان جدیرا به غیر محدود: وَ اللّٰهُ یَرْزُقُ مَنْ یَشٰاءُ بِغَیْرِ حِسٰابٍ .

و قال بعض المفسّرین عما تعنیه عباره أَحْسَنَ مٰا عَمِلُوا فی هذه الآیه،أنّها إشاره إلی جمیع الأعمال الطیبه،سواء کانت واجبه أم مستحبه،صغیره أم کبیره.

و یری آخرون أنّها إشاره إلی أنّ اللّه یکافئ الحسنه بعشر أمثالها،و أحیانا بسبعمائه مثلها،حیث نقرأ فی الآیه(۱۶۰)من سوره الأنعام: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا .کما جاء فی الآیه(۲۶۱)من سوره البقره حول جزاء المنفقین فی سبیل اللّه أنّ المکافأه تعادل سبعمائه مره أو ضعفها.

کما یمکن أن تفسّر العباره السابقه بأنّ المقصود هو أنّ اللّه یکافئ جمیع أعمالهم بموجب أفضلها،و یشمل ذلک أبسط أعمالهم و أوسطها،حیث یجعلها اللّه بمستوی أفضل الأعمال حین منحه المکافأه.

و لیس هذا بعیدا عن رحمه اللّه و فضله،و العداله تقضی بمساواه المکافأه مع العمل فی سبیل اللّه،إلاّ أنّ رحمه اللّه وسعت کلّ شیء،فهو یهب دون حساب و لا حدود،فذاته المقدسه غیر محدوده،و أنعمه لا تنتهی،و کرمه عظیم لا حدود له.

ملاحظات

بیّنا کثیرا من مسائل هذه الآیات خلال تفسیرنا لها، و بقیت عدّه أحادیث یقتضی الأمر ذکرها بغیه إتمام هذا البحث.

۱-نقرأ

فی کتاب روضه الکافی حدیثا عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر آیه النور:«إن المشکاه قلب محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المصباح النور الذی فیه العلم،

و الزجاجه قلب على عليه السّلام أو نفسه» (۱) .

۲-و

جاء حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السّلام فى توحيد الصدوق «إن المشكاه نور العلم فى صدر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الزجاجه صدر على...و نور على نور إمام مؤيد بنور العلم و الحكمه فى أثر الإمام من آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ذلک من لدن آدم إلى أن تقوم الساعه،فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم اللّه عزّ و جلّ-خلفاء فى أرضه و حجج على خلقه،لا تخلو الأرض فى كلّ عصر من واحد منهم» (۲) .

۳-و فسّر

حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام المشكاه بفاطمه عليها السّلام و المصباح بالحسن عليه السّلام و الزجاجه بالحسين عليه السّلام. (۳)

و كما أشرنا سابقا فإنّ للآيات مفهوما واسعا،و كلّ حديث من هذه الأحاديث بيان لمصداق بارز من مصاديقها دون الإخلال بعموميتها.

و بهذا لا نجد تناقضا فى الأحاديث السابقه.

۴-نقرأ

فى حديث عن أبى جعفر الثمالى قال:قال أبو جعفر عليه السّلام الباقر لقتاده:

من أنت؟قال:أنا قتاده ابن دعامّه البصرى فقال له أبو جعفر عليه السّلام:أنت فقيه أهل البصره؟قال:نعم،فقال له الامام الباقر عليه السّلام:ويحک يا قتاده إن اللّه خلق خلقا من خلقه فجعلهم حججا على خلقه،فهم أوتاد فى أرضه قوّام بأمره نجباء فى علمه اصطفاهم قبل خلقه،أظله عن يمين عرشه قال:فسكت قتاده طويلا ثمّ قال:

أصلحک اللّه و اللّه لقد جلست بين يدى الفقهاء و قدّامهم،فما اضطرب قلبى قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامک.

فقال له الإمام الباقر عليه السّلام:أ تدرى أين أنت؟بين يدى: بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ

۱- ۱) -نور الثقلين فى تفسير الآيات موضع البحث(مع بعض التلخيص المجلد الثالث،صفحه ۶۰۲ و ۶۰۳).

۲- ۲) -المصدر السابق.

٣- ٣) -المصدر السابق.

فأنت ثمّ و نحن أولئك.

فقال له قتاده:«صدقت و اللّه جعلنى اللّه فداك و اللّه ما هى بيوت حجاره و لا طين...» (۱) .

۵-و ذكر

حديث آخر حول رجال اللّه حماه الوحى و الهدايه: «هم التجار الذين لا تلهيهم تجاره و لا بيع عن ذكر اللّه،إذا دخل مواقيت الصلاه أدوا إلى اللّه حقّه فيها» (۲) إشاره إلى أنّ هؤلاء الرجال همّهم ذكر اللّه و لا يقدمون عليه شيئا،رغم أنّهم يمارسون نشاطا اقتصاديا فى الحياه.

۶-وصفت شجره الزيتون فى الآيات السابقه بأنّها شجره مباركه.

و كان لهذه الشجره أهميه بالغه حين نزول القرآن،و قد اتّضح ذلك اليوم،لأنّ كبار العلماء أخبرونا بخلاصه تجاربهم و دراساتهم عن خواصّ أنواع النباتات، و حول شجره الزيتون يقولون:إنّها مباركه حقّا،و ثمرها مفيد جدّا،و يمنحنا أجود الزيوت،و لها دور حيوى فى سلامه الجسم.

يقول ابن عباس:إنّ أجزاء هذه الشجره مفيده و مريحه،و حتى رماد خشبها فيه منفعه،و هى أول شجره نبتت بعد طوفان نوح عليه السّلام،و قد دعا لها الأنبياء و باركوها.

۷-ذكر المفسّرون الكبار عدّه تفاسير لعباره«نور على نور»فقال المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان:إنّها إشاره إلى أنبياء من نسل واحد يتعاقبون على النبوه و يواصلون طريق الهدايه.

و يقول الفخر الرازى فى تفسيره:إنّها إشاره إلى تجمع شعاع النور و تراكمه، حيث ذكر حول المؤمن:«يقف المؤمن بين أربعه مواقف،فإذا وهبه اللّه شكره،

ص:۱۱۴

۱- ۱) -المصدر السابق،۶۰۹.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و إذا أصابته مصيبه صبر و صمد،و إذا تكلم صدق،و إذا حكّم بين اثنين عدل،و هو إنسان واع بين جهله و مثله كحيّ بين أموات.إنّه يسير بين خمسه أنوار:كلامه نور، عمله نور،إقامته نور،رحله نور،هدفه نور اللّه يوم القيامه».

و يمكن أن يكون النور الأوّل الذى ذكرته الآيه إشاره إلى نور الهدايه الإلهيه عن طريق الوحى، و النور الثّانى نور الهدايه عن طريق العقل.

أو أنّ النور الأوّل هو نور الهدايه التشريعه،و النور الثّانى نور الهدايه التكوينيه فهو نور على نور.

و بهذا فسّرت هذه العباره بمختلف مصادر النور،مرّه فسّرت بالأنبياء و أخرى بأنواع النور،و مره ثالثه بمراحل النور المختلفه،و هى ممكنه جميعا فى آن واحد،لأنّ مفهوم الآيه واسع جدا(فتأملوا جيدا).

ص :١١٥

الآيتان [سوره النور (۲۴): الآيات ۳۹ الی ۴۰]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمٰالُهُمْ كَسَرٰابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ اَلظَّمْآنُ مٰاءً حَتّٰى إِذٰا جٰاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اَللّٰهَ عِنْدَهُ فَوَفّٰاهُ حِسٰابَهُ وَ اَللّٰهُ سَرِيعُ اَلْحِسٰابِ (۳۹) أَوْ كَظُلُمٰاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحٰابٌ ظُلُمٰاتٌ بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ إِذٰا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرٰاهٰا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اَللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ (۴۰)

التّفسير

اشاره

أعمال سرابيه

تحدثت الآيات السابقه عن نور اللّه،نور الإيمان و الهدايه.و لإتمام هذا البحث و لتوضيح المقارنه بين الذين نوّر اللّه قلوبهم و بين الآخرين تناولت هذه الآيات عالم الكفر و الجهل و الإلحاد المظلم،و تحدثت عن الكفار و المنافقين الذين وجودهم ظُلُمٰاتٌ بَعْضُهٰا فَوْقَ بَعْضٍ خلافا للمؤمنين الذين أصبحت حياتهم و أفكارهم نُورٌ عَلىٰ نُورٍ .

الكلام فی الآیه الأولی عن الـذین یبحثون عن الماء فی صـحراء جاقّه حارقه،و لا یجـدون غیر السـراب فیموتون عطشا،فی الوقت الذی عثر فیه المؤمنون علی نور الإیمان،و منبع الهدایه الرائعه،فاستراحوا بجنبها،فتقول أوّلا:

وَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَعْمالُهُمْ کَسَرابٍ بِقِیعَهٍ یَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّی إِذا جاءَهُ لَمْ یَجِدْهُ شَیْئاً

و لکن یجد اللّه عند أعماله وَ وَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَ اللّهُ سَرِیعُ الْحِسابِ .

«السـراب»مشـتق من السـرب علی وزن«حرب»بمعنی الطریق المنحـدر، و تطلق کلمه السـراب علی لمعان یشاهد فی الصـحاری و المنحدرات من بعید و کأنّه ماء،و ما هو إلاّ انعکاس لأشعه الشمس (۱) .

و یری البعض أنّ«القیعه»جمع«قاعه»،بمعنی الأرض الواسعه التی لا ماء و لا نبات فیها،و یطلق ذلک علی الصحاری التی یظهر فیها السراب فی معظم الأحیان،إلاّ أنّ بعض المفسّرین و اللغویین یرون أنّ هذه الکلمه مفرده،و جمعها «قیعان»أو«قیعات» (۲) .

و رغم عـدم وجود الفرق من حیث المعنی،فـإنّ الآیه توجب أن تکون هـده الکلمه مفرده،لأنّها ذکرت السـراب مفردا و السـراب الواحد یکون فی أرض واحده طبعا.

ثمّ تنـاولت الآـیه الثّـانیه مثالا آخر لأعمال الکفار و قالت: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ و بهذا المنوال تکون ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها .

أجل،إنّ النور الحقیقی فی حیاه البشر هو نور الإیمان فقط،و من دونه تسود

۱- ۱) -یقول علماء الفیزیاء المعاصـرون:عند ارتفاع درجات الحراره فالهواء المجاور للأرض یتمدد و یزداد تخلخله فیختلف مع الطبقه المجاوره له،و بذلک تنعکس موجه الضوء و یحدث السراب.

۲- ۲) -تراجع التفاسیر التالیه:مجمع البیان،روح المعانی،تفسیر القرطبی،تفسیر الفخر الرازی،و مفردات الراغب.

الحیاه الظلمات،و نور الإیمان هذا إنّما هو لطف من عند اللّه وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمٰا لَهُ مِنْ نُورٍ .

و لفهم عمق هـذا المثـال لاـ بـدّ من الاهتمام بمعنی کلمه«اللجّیّ»و هو البحر الواسع و العمیق.و بالأصل مشـتقّه من«اللجاج»بمعنی متابعه عمل ما(التی تطلق عاده علی الأعمال غیر الصـحیحه)ثمّ أطلقت علی تتابع أمواج البحر و اسـتقرارها الواحده بعد الأخری،و لقد استخدمت هذه الکلمه بهذا المعنی لأنّ البحر کلّما کان عمیقا و واسعا تزداد أمواجه.

و لو تصوّرتم بحرا هائجـا عمیقـا،و مع علمنـا أنّ نور الشـمس أقوی أنواع النور، لکنّه لاـ ینفـذ إلاّـ بمقـدار معیّن فی البحر،و آخر حدود نفوذه فی العمق لا یتجاوز سبعمائه متر،حیث یسود الظلام الدائم أعماق البحار و المحیطات.

کمـا نعلم أنّ الماء إذا کان هادئا یعکس النور بشـکل أفضل،بینما تکسـر أمواج البحر أشـعه الشـمس،و لا تسـمح لها بالنفوذ إلی العمق إلاّـ بمقـدار أقـل.و إذا أضـفنا إلی ذلـک مسأله مرور سـحاب داکن اللون فوق هـذا البحر الهائـج،فإنّ الظلام یزداد عتمه و سوادا بشکل کبیر (۱) .

إن الظلاـم فی عمق البحر من جهه،و ظلمه الأمواج الهائجه من جهه أخری، و ظلمه الغیوم السوداء من جهه ثالثه،ظلمات متراکمه بعضها فوق بعض.

و فی مثل هذا الظلام لا یمکن رؤیه أیّ شیء،مهما اقترب منّا،حتّی لو وضع الإنسان الشیء نصب عینیه لما استطاع مشاهدته.

و هکـذا حـال الکفار الـذین حرموا من نور الإیمان فابتلوا بهـذه الظلمات، خلافا للمؤمنین الـذین نوّر اللّه قلوبهم و طریقهم و هم مصداق نُورٌ عَلیٰ نُورٍ .

و قال بعض المفسّرین:إنّ هذه الظلمات ثلاثه أقسام،قد ابتلی غیر المؤمنین

ص :۱۱۸

---

۱ – ۱) -یجب الانتبـاه إلی أن«السـحاب»یعنی کمـا جـاء من«لسـان العرب»الغیوم الممطره،و عـاده تکون السـحب المتراکمه أکثر عتمه.

بها،و هی:ظلمه العقیده الباطله،و ظلمه القول الخاطئ،و ظلمه السلوک السیء، و بعباره أخری:إنّ أعمال غیر المؤمنین أساسها الفکری ظلمات.و کذلک أقوالهم التی هی انعکاس لعقائدهم،ثمّ انسجامها مع أفعالهم الظلمانیه.

و قال آخرون:إنّ هذه الظلمات الثلاث عباره عن مراحل جهل غیر المؤمنین،و أوّلها أنّهم لا یعلمون،و ثانیتها أنّهم لا یعلمون،بأنّهم لا یعلمون،و ثالثتها أنّهم مع کل هذا یتصوّرون أنّهم یعلمون،و بهذا یعیشون فی جهل مرکّب دامس.

و قال البعض الآخر:إنّ أساس المعرفه-کما یقول القرآن المجید-فی ثلاثه أشیاء:القلب و العین و الأذن(و بالطبع یعنی بالقلب العقل).کما جاء فی الآیه(٧٨) من سوره النحل: وَ اللّٰهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهٰاتِکُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ شَیْئاً وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصٰارَ وَ الْأَفْئِدَهَ (١) .و لکن الکفار فقدوا بکفرهم نور العقل و السمع و البصر،فصاروا فی ظلمات متراکمه.

و لا تناقض بین هذه التفاسیر الثلاثه،کما هو واضح،إذ یمکن أن تشملهم هذه الآیه جمیعا.

و علی کلّ حال،فیمکننا أن نصل إلی استنتاج عام من الآیتین السابقتین.فقد شبّهت الآیه أعمال غیر المؤمنین بنور کاذب کسراب یراه ظمآن فی صحراء جافه، لا یروی هذا السراب العطاشی أبدا،و إنّما یزید فی سعیهم للحصول علی الماء فیرهقهم دون نتیجه تذکر.

ثمّ ینتقل القرآن من الحدیث عن هذا النور الکاذب،الذی هو عباره عن أعمال المنافقین إلی باطن هذه الأعمال،الباطن المظلم و المخیف و الموحش حیث تتعطل فیه حواس الإنسان،و تظلم علیه الدنیا حتی لا یری نفسه،فکیف یمکنه رؤیه الآخرین.

١- ١) -تفسیر الفخر الرازی،للآیه موضع البحث.

و طبیعی أنّ المرء فی هذه الظلمات فی وحده مطلقه و جهل دائم،لا یجد طریقه،و لا رفیق سفره،و لا موقف له،و لا یملک وسیله للنجاه،لأنّه لم یکتسب شیئا من مصدر النور،أی اللّه سبحانه و تعالی،و قد ختم اللّه علی قلبه بالجهل و الضلال.

و لعلکم تتذکرون أنّنا قلنا:أنّ النور مصدر أنواع الجمال و الحیاه و الحرکه، عکس الظلام الذی یعتبر مصدر القبائح و الموت و العدم و السکون و السکوت.

الظلام مصدر الخوف و الکراهیه،و هو توأم الهمّ و الغمّ،هکذا وضع الذین افتقدوا نور الإیمان،و غرقوا فی ظلمات الکفر.

ص:١٢٠

الآیتان [سوره النور (۲۴): الآیات ۴۱ الی ۴۲]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلطَّیْرُ صَافّٰاتٍ کُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِیحَهُ وَ اَللّٰهُ عَلِیمٌ بِمٰا یَفْعَلُونَ (۴۱) وَ لِلّٰهِ مُلْکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِلَی اَللّٰهِ اَلْمَصِیرُ (۴۲)

التّفسیر

اشاره

الجمیع یسبّح للّه:

تحدثت الآیات السابقه عن نور اللّه،نور الهدایه و الإیمان،و عن الظلمات المضاعفه للکفر و الضلال.

أمّا الآیات موضع البحث،فإنّها تتحدّث عن دلائل الأنوار الإلهیه و أسباب الهدایه،و تخاطب الآیه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتقول: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ یُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و کذلک الطیر یسبّحن للّه فی حال أنها باسطات أجنحتهن فی السماء وَ الطَّیْرُ صَافّٰاتٍ کُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِیحَهُ . وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ بِمٰا یَفْعَلُونَ .

و بما أنّ هذا التسبیح العام دلیل علی خلقه تعالی لجمیع المخلوقات، و خالقیته دلیل علی مالکیته للوجود کله،و کذلک دلیل علی أنّ کل ما فی الوجود یرجع إلیه سبحانه،فتضیف الآیه وَ لِلّٰهِ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَی اللّٰهِ الْمَصِیرُ .

ص: ۱۲۱

كما يحتمل وجود رابطه بين هذه الآيه و سابقتها،حيث تحدّثت الآيه الأولى فى آخر جمله لها،عن علم اللّه بأعمال البشر جميعا و علمه بالمسبحين له.

أمّا هـذه الآيه فقد أشارت إلى محكمه العدل الإلهى فى الآخره،و أنّ للّه ما فى السـموات و الأرض،و هو الحاكم و القدير العادل فى مصير الناس و ما فى الوجود.

مسائل مهمه:

اشاره

١-ماذا تعنى عباره أَ لَمْ تَرَ

حسـبما يراهـا الكـثير من المفسّـرين،تعنى:ألم تعلم،حيث التسبيـح العـام من قبـل جميـع المخلوقـات فى العـالم لاـ يمكن إدراكه بالعين،بل بالقلب و العقل.

و لكون هذه القضيه واضحه جدا و كأنّها ترى بالعين المجرّده،استخدمت الآيه عباره أَ لَمْ تَرَ .

كمـا يجب الانتباه إلى أنّه على الرغم من كون المخاطب فى هـذه الآيه النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بالـذات،فإنّ عـددا من المفسّرين يرى أنّها تشمل الناس جميعا، لأنّ ذلك من أساليب القرآن المجيد اتبعها فى كثير من آياته.

و قال البعض:إنّ هذا الخطاب خاصّ بالنّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى مرحله الرؤيا و المشاهده،حيث منحه اللّه القدره على مشاهده تسبيح جميع المخلوقات، و كذلك منح سبحانه و تعالى هذه القدره لجميع عباده المخلصين له المتمسّكين بهداه.

أمّا بالنسبه لعامّه الناس،فالمسأله تخصّ إدراكهم لتسبيح الموجودات عن طريق العقل،و ليس بالمشاهده البصريّه (١) .

١- ١) -تفسير الصافى للآيه موضع البحث.

۲-التسبيح العامّ لجميع المخلوقات

تحدّثت الآيات المختلفه فى القرآن المجيد عن أربع عبادات تمارسها مخلوقات هذا الكون العظيم،هى:التسبيح،و الحمد،و السجود،و الصلاه،أمّا الآيه موضع البحث،فقد تناولت الصلاه و التسبيح.

و تحدثت الآيه الخامسه عشره من سوره الرعد عن السجود العام: وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

أمّا الآيه الرّابعه و الأربعون من سوره الإسراء،فقد تحدثت عن التسبيح و الحمد من قبل جميع المخلوقات فى الوجود كله وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قد تناولنا حقيقه الحمد و التسبيح العامّين من قبل المخلوقات و التفاسير المختلفه الوارده بهذا الصدد،فى تفسيرنا الآيه الرّابعه و الأربعين من سوره الإسراء،و نذكر هنا ملخصه:

هناك تفسيران جديران بالاهتمام،و هما:- ۱-إنّ ذرات هذا العالم كلها-عاقله أو غير عاقله-لها نوع من الإدراك و الشعور،و هى تسبح فى عالمها للّه و تحمده على الرغم من عدم إدراكنا لها. و لهذا التّفسير أدلّه قرآنيه.

۲-إن القصد من التسبيح و الحمد هما ما نعبر عنه بعباره«لسان حاله»أى نظام الوجود و أسراره المدهشه الكامنه فى كلّ مخلوق تتحدّث بصراحه عن عظمه الخالق و علمه و حكمته التى لا حدود لها،إذ كلّ مخلوق جميل،و كلّ أثر فنىّ بديع يثير الدهشه و الإعجاب،حتّى أنّ لوحه فنيه و قطعه شعريه جميله،تحمد و تسبّح لمبدعها.فمن جهه تكشف عن صفاته(بحمدها له)و من جهه أخرى تنفى عنه أى عيب أو نقص(فتسبحه).فكيف و هذا الكون العظيم بما فيه من عجائب و غرائب لا تنتهى!(للاطلاع أكثر على ذلك يراجع تفسير الآيه ۴۴ من سوره الإسراء فى تفسيرنا هذا).

و إذا قلنـا:إنّ عباره يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ تعنى تسبيـح كلّ من فى السـماوات و الأرض،و نحـدد كلمه«من»بـذوى العقول،فـإنّ التسبيـح يخصّ هنـا المعنى الأوّل،فهو تسبيـح بوعى و إراده و لازم هـذا القول أن الطيور أيضا لها شـعور،لأنّ كلمه الطيـور جاءت بعـد حرف«مـن».و لا عجـب فى ذلـك،لأنّ آيـات قرآنيـه أخرى قـالت بوجـود مثـل هـذا الشـعور لـدى بعض الطيور(يراجع تفسير الآيه ٣٨ من سوره الأنعام).

٣-التسبيح الخاصّ بالطيور:

مـا السـبب فى ذكر تسبيـح الطيور من بين جميع المخلوقـات، و خـاصّه فى حاله بسط جناحيها فى السـماء؟ المسأله تكمن فى أنّ الطيور إضـافه إلى تنوّعهـا الكبير،تمتـاز بصـفات خاصّه تجلب نظر كل عاقل إليها،حيث تحلّق هـذه الأجسام-و بعضـها ثقيل-فى السـماء خلافا لقانون الجاذبيه،و تطير بسـرعه من نقطه إلى أخرى فى الجو،و تركب أمواج الرياح و هى باسـطه جناحيها دون أى تعب أو جهد.بشكل يثير الإعجاب.

و المثير فيها هو إدراكها لقضايا الأنواء الجويه،و معلوماتها الـدقيقه لوضع الأرض الجغرافى-خلال سـفرها و هجرتها من قاره إلى أخرى،حتى أنّ بعضها يهاجر من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى.

فهى تمتلك جهاز توجيه خفى عجيب يرشـدها إلى الهـدف إيّان سـفرها الطويل،حتى لو تلبّدت السـماء بالغيوم.و هذه من أكثر الأمور إثاره للدهشه و العجب،و من أوضح أدله التوحيد.

طيور الليـل بـدورها تملك رادارا مـدهشا يخبرها حين الطيران فى ظلمه الليل عن كلّ حاجز أمامها،حتى أن بعضـها يرى سـمكّه تحت الماء،فيخطفها بسرعه البرق،و هذه ميزه مدهشه فى هذه الطيور!!

ص:١٢۴

و علی کل حال فإنّ هناک أمورا عجیبه فی الطیور جعلت القرآن المجید یخصّها بالذکر.

۴-عباره کُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِیحَهُ :

نسب عدد من المفسّرین ضمیر«علم»إلی کلمه«کلّ»،و بهذا یصبح معنی العباره السابقه:کلّ من فی الأرض و السماء،و کذلک الطیور علم صلاته و تسبیحه.

و قال بعض المفسّرین:إنّ ضمیر(علم)یعود إلی اللّه تعالی،أی أنّ اللّه علم صلاه و تسبیح کلّ منهم.

و التّفسیر الأوّل یلائم الآیه بشکل أفضل.

و بهذا الترتیب یعلم کلّ مسبّح للّه أسلوب تسبیحه و طریقته و شروطه و خصائص صلاته.

فإذا کان التسبیح بوعی من هذه الکائنات یتّضح جیدا مفهوم هذا الکلام، أمّا إذا کان بلسان حالها فیکون مفهومه أنّ کلّ واحد منها له نظام خاصّ یعبّر بشکل من الأشکال عن عظمه اللّه،و کلّ واحد منها یعکس قدره اللّه و حکمته.

۵-ما المقصود بالصلاه؟

قال بعض المفسّرین کالمرحوم«الطبرسی»فی مجمع البیان،و«الآلوسی» فی روح البیان:إنّ الصلاه هی الدعاء.

و هذا هو مفهومها اللغوی،و بهذا تمارس جمیع المخلوقات فی الأرض و السماء الدعاء إلی اللّه بلسان حالها أو مقالها و تسأله الرحمه،لأنّه أرحم الراحمین،و أنّه سبحانه و تعالی یمنّ علیها برحمته کلا بحسب قابلیته.

غایه الأمر إنّهم جمیعا یعلمون حاجتهم و مطلبهم و ما ینبغی أن یدعون،

و إضـافه إلى ذلـك-وفق الآيـات الـتى أشـرنا إليهـا سابقـا-فهم خاضـعون لعظمه اللّه، و قـد سـلّموا بقوانين الخلق،و يردّدون من الأعماق الثناء على صفاته الكامله سبحانه و تعالى،و نفى كلّ نقص عنه جلّ اسمه المقدّس.

و بهذا الشكل تتمّ العبادات الأربع«الحمد»و«التسبيح»و«الدعاء» و«السّجود».

ص :۱۲۶

الآيات [سوره النور (۲۴): الآيات ۴۳ الی ۴۵]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ يُزْجِي سَحٰاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكٰاماً فَتَرَى اَلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاٰلِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مِنْ جِبٰالٍ فِيهٰا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشٰاءُ يَكٰادُ سَنٰا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصٰارِ (۴۳) يُقَلِّبُ اَللّٰهُ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي اَلْأَبْصٰارِ (۴۴) وَ اَللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مٰاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۵)

التّفسير

اشاره

جانب آخر من الخلق العجيب:

نواجه ثانيه-فی هذه الآيات-جانبا آخر من مسأله الخلق المدهشه،و ما احتوته من آيات العلم و الحكمه و العظمه،و كلّ ذلك من أدلّه توحيد ذات اللّه الطاهره.

يخاطب القرآن المجيد النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم ثانيه و يقول أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُزْجِي سَحٰاباً

ص :۱۲۷

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً

و بعد أن تتراكم السحب ترى قطرات المطر تخرج من بين السحاب و تهبط على الجبال و السهول و الصحارى فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ .

و كلمه«يزجى»مشتقّه من«الإزجاء»،أى سوقه بأسلوب لين لترتيب المخلوقات المتبعثره هنا و هناك بقصد جمعها.

و هذا التعبير يصدق بالنسبه للسحب،حيث ترتفع كلّ قطعه منه من جانب من البحر.ثمّ تسوقها يد القدره الإلهيه.و تجمعها،فتراكم بعضها على بعض.

و كلمه«ركام»على وزن«غلام»،بمعنى الأشياء المتراكمه بعضها فوق بعض.

و أمّا«الودق»على وزن«شرق»،فيرى الكثيرون أنّها حبّات المطر،إلاّ أنّ الراغب الأصفهانى يرى فى مفرداته أنّها ذرات دقيقه من الماء،أى:الرذاذ الذى يتناثر فى الفضاء حين هطول المطر.

و المعنى الأوّل أكثر ملاءمه هنا،فما يدلّ بشكل أكبر على عظمه اللّه هو ذرات المطر نفسها و ليس رذاذه،إضافه إلى أنّ القرآن كلّما ذكر السحاب و نزول بركات اللّه من السماء،أشار فيها إلى المطر.فهو الذى يحيى الأرض بعد موتها و يبعث الحياه فى الأشجار و النباتات،و يروى عطش البشر و الحيوان.

و أشار القرآن إلى ظاهره أخرى من ظواهر السماء المدهشه،و هى السحاب، حيث قال: وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ أى من جبال السحب فى السماء تنزل قطرات المطر على شكل ثلج و برد،فتكون بلاء لمن يريد اللّه عذابه فتصيب هذه الثلوج المزارع و الثمار و تتلفها و قد تصيب الناس و الحيوانات فتؤذيهم فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ و من لم يرد تعذيبه دفع عنه هذا البلاء وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ .

أجل،إنّه هو الذى ينزّل الغيث المخصب من سحابه تاره...و هو الذى يصيّره بردا بأدنى تغيير بأمره فيصيب به(بالأذى)من يشاء،و ربما يكون مهلكا أحيانا.

و هـذا يدلّ على منتهى قدرته و عظمته-إذ جعل نفع الإنسان و ضـرره و موته و حياته متقارنه،بل مزج بعضـها ببعض! و فى نهايه الآيه يشير إلى ظاهره أخرى من الظواهر السماويه الّتى هى من آيات التوحيد فيقول سبحانه يَكٰادُ سَنٰا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصٰارِ .

فالسـحب المؤلفه فى الحقيقه من ذرات المـاء تحمـل فى طيّاتهـا الشـحنات «الكهربـائيه»،و تومض إيماضـا يـذهل برقها(العيون)و الأبصار و يصكّ رعدها السمع من صوته،و ربّما اهتزت له جميع الأجواء.

إن هذه الطاقه الهائله بين هذا البخار اللطيف لمثيره للدهشه حقّا!...

ردّ على استفسار:

السؤال الذى بقى هنا هو:ما هذا الجبل الذى فى السماء ينزل منه البرد؟ أجاب المفسّرون عن هذا الاستفسار بأجوبه مختلفه،هى:

١-قـال البعض:إنّ كلمه الجبـال هنـا كنايه،مثلما نقول جبل من غـذاء أو جبل من علم.و على هـذا فإنّ مفهوم الآيه السابقه،هو أنّ هناك بردا متراكما كالجبل فى قلب السـماء أوجد السحاب،و ينزل قسم منه فى المدن،و قسم آخر فى الصحراء، و يصيب به من يشاء.

٢-و قال آخرون:المقصود من الجبال السحب المتراكمه بحيث تشبه الجبل.

٣-و ذكر صاحب تفسـير«فى ظلال القرآن»،بيانا آخر هو الأوفق حسب الظاهر،و هو:«إن يد اللّه تزجى السحاب و تدفعه من مكان إلى مكـان،ثمّ تؤلف بينه و تجمعه فـإذا هو ركام بعضه فوق بعض،فإذا ثقل خرج منه الماء و الويل الهاطل، و هو فى هيئه الجبال الضـخمه الكثيفه،فيها قطع البرد الثلجيه الصـغيره،و مشـهد السـحاب كالجبال لا يبـدو لنا كما يبدو لراكب الطائره و هى تعلو فوق السحب أو

تسير بينها،فإذا المشهد مشهد جبال حقا،بضخامتها و مساقطها و ارتفاعها و انخفاضها، و إنّه لتعبير مصور للحقيقه التى لم يرها الناس إلّا بعد ما ركبوا الطائرات» (۱) .

و يمكن أن يضاف إلى ذلك أنّ العلماء يرون فى كيفيه تكون البرد فى السماء أنّ قطرات المطر تنفصل من السحاب،و إذا مرت بطبقه بارده من الهواء أصبحت ثلجا،ثمّ تدفعها أحيانا العواصف الموجوده هناك إلى الأعلى،فتدخل قطع الثلج هذه إلى داخل السحب،و يكتسب بعضها مياها جديده ثمّ تهبط،فتجمد ثانيه عند مرورها بطبقه من الهواء البارد جدّا.

و كلما تكرر وقوع هذا العمل نمت هذه القطع من الثلج و ازداد وزنها،إلى أن تقع على الأرض بعد أن تعجز الأعاصير عن دفعها إلى الأعلى مرّه أخرى.أو أنّ الإعصار يهدأ فيسقط البرد على الأرض.

و بهذا الشرح العلمى يتّضح لنا المراد من كلمه«الجبال»التى وردت فى هذه الآيه،لأن تكوّن البرد بقطع كبيره و ثقيله ممكن فى حال تراكم السحب،حتى يقذف الإعصار حبّات البرد وسطها،لتكسب هذه الحبّات قدرا أكبر من مياه السحب.

و ذلك ممكن فى حاله وجود جبال مرتفعه من السحب،لتكون مصدرا جيدا لتكون البرد. (۲)

و نقرأ هنا تحليلا آخر ذكره بعض الكتّاب،و خلاصته كالآتى:«أشارت

۱- ۱) -تفسير من ظلال القرآن المجلد(۱۹-۲۰)صفحه ۱۰۹-۱۱۰-دار إحياء الكتب العربيه-الطبعه الأولى.

۲- ۲) -تكرر حرف(من)ثلاث مرات فى عباره وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ جِبٰالٍ فِيهٰا مِنْ بَرَدٍ أولاها ابتدائيه،و ثانيتها لها نسبه مع ابتدائيه،و أمّا الثّالثه فقد اختلف فى تفسيرها كما ذكرنا أعلاه،فهى بحسب التّفسير الأوّل بيانيه،و يكون مفهوم الجمله هو ينزل من السماء من جبال من برد.و قد حذف مفعول الفعل(ينزل)و هو البرد،و يفهم ذلك من قرينه فى الكلام، و على حسب التفسيرين الثّانى و الثّالث اللذين اخترناهما تكون«من»إمّا زائده(حسبما نقله تفسير روح المعانى عن الأخفش)أو هى للتبعيض.

الآيات موضع البحث بصراحه إلى الجبال الثلج،أى الجبال التى فيها نوع من الثلوج.

و هـذا يثير الانتبـاه كثيرا،لأنّ اختراع الطائرات و التمكن من التحليق بهـا فى مسـتوى مرتفع زاد من آفاق علم البشـر،فقـد تمكّن العلماء من الوصول إلى سحب مستوره و متكونه من تراكمات ثلجيه،و حقّا ممكن أن تسمى بجبال الثلج.

و ممّا يثير الدهشه أنّ أحد علماء السوفيت اسـتخدم-لعده مرات-اسم «جبال السـحب»و«جبال الثلج»خلال شـرحه موضوع سـحب العواصف الثلجيه، و بهذا يتّضح لنا وجود جبال من الثلج فى السماء.

و أشـارت الآـيه التـاليه إلى إحـدى معـاجز الخلق و دلائـل عظمه اللّه،و هو خلق الليل و النهار بما فيهما من خصائص،حيث تقول يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصٰارِ .

و ذكرت لمعنى«يقلّب»عدّه تفاسير،فقال البعض:إنّ تقلب الليل و النهار هو أنّه إذا حلّ أحدهما محا الآخر.

و قال البعض:إنّه قصر أحدهما و طول الآخر،و يحدث ذلك بصوره تدريجيه و له ارتباط بالفصول الأربعه.

و اعتبر آخرون تقلبات الحرّ و البرد،و حوادث أخرى تقع فى الليل و النهار (۱) .

و ليس بين هذا التفاسير أى تناقض،بل يمكن جمعها فى مفهوم عباره «يقلب»،و لا ريب-و قد برهن العلم على ذلك-أنّ لتعاقب الليل و النهار و التغييرات التدريجيه الحاصله منه أثر فعّال فى استدامه الحياه و بقاء الإنسان، و فى ذلك عبره لأولى الأبصار.

۱- ۱) -التّفسير الكبير للفخر الرازى،و تفسير مجمع البيان،و تفسير روح المعانى.

و إذا كانت حراره الشمس على نسق واحد،فإنّها ترفع درجه حراره الهواء، و تقتل الأحياء و تتعب الأعصاب،لكنّ وقوع الليل بين نهارين يعدّل من أثر الشمس القوى و يلائمه.

كما إنّ التغييرات التدريجيه فى ساعات الليل و النهار هى السبب فى ظهور الفصول الأربعه،و عامل مؤثّر جدّا فى نمو النباتات و حياه جميع الأحياء و هطول المطر و تكوين المياه الجوفيه التى هى من كنوز الأرض (۱) .

و أشارت آخر الآيات-موضع البحث-إلى أبرز صوره و أوضح دليل على التوحيد،و هى مسأله الحياه بصورها المختلفه،فقالت: وَ اللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مٰاءٍ أى أنّ أصلها جميعا من ماء،و مع هذا فلها صور مختلفه فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ بَطْنِهِ كالزواحف. وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ رِجْلَيْنِ كالإنسان و الطيور وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلىٰ أَرْبَعٍ كالدواب.

و ليس الخلق محددا بهذه المخلوقات،فالحياه لها صور أخرى متعدده بشكل كبير،سواء كانت أحياء بحريه أو حشرات بأنواعها المتعدده التى تبلغ آلاف الأنواع،لهذا قالت الآيه فى الختام يَخْلُقُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

بحوث

اشاره

۱-ماذا يعنى الماء هنا؟

و إلى أى نوع من الماء أشارت الآيه موضع البحث؟ للمفسّرين بهذا الصدد ثلاثه آراء:

۱-يقصد بالماء النطفه،و قد اختار الكثير من المفسّرين هذا المعنى،و قد

۱- ۱) -بحثنا فى هذا المجال فى التّفسير الأمثل عند تفسير الآيه(۶)من سوره يونس.

أشارت إليه بعض الأحاديث.

و هناك مشكله تواجه هذا التّفسير،إذ أنّ الاحياء جميعا لم تخلق من ماء النطفه،فمنها أحياء مجهريه ذات خلّيه واحده،و أخرى تخلق من انقسام الخلايا و ليس من النطفه إلاّ أن يقال بالنسبه للحكم أعلاه:إنّ المراد هو الجانب النوعى و ليس عاما.

۲-و التّفسير الثّانی يقول:إنّ المقصود هنا ظهور أوّل مخلوق،فقد ذكرت بعض الأحاديث أنّ أوّل ما خلق اللّه الماء،ثمّ خلق الإنسان من الماء.

و ينسجم هذا مع النظريات الجديده القائله:إنّ أوّل عنصر حی ظهر فی البحار.و هذه ظاهره سادت أعماق البحار و سواحلها.(و طبيعی فإنّ القدره التی خلقت هذا الموجود الحیّ بجميع تعقيداته و رعته فی المراحل البعديه،هی قدره أسمی من الطبيعه،أی إراده اللّه تعالی).

۳-آخر تفسير لخلق الأحياء من الماء،هو أنّ الماء يشكّل حاليا أساس تكوينها،و أكبر نسبه من بنائها،و لا يمكن للأحياء أن تواصل حياتها دون الماء.

و طبيعی أن لا نجد تناقضا بين هذه التفاسير،لكنّ التّفسيرين الأوّل و الثّانی أقرب إلی الصواب علی ما يبدو (۱) .

۲-جواب علی استفسار

يطرح هنا سؤال يقول:إنّ الحيوانات لا تحدد بهذه الأنواع الثلاثه(الزواحف و ثنائيه الأرجل و رباعيتها)إذ أنّ هناك دوابّا لها أكثر من أربع أرجل؟ و الجواب عنه يكمن فی الآيه ذاتها،أی فی قوله تعالی يَخْلُقُ اللّهُ ما يَشاءُ

۱- ۱) -استند البعض عن دعاه نظريه التطور إلی هذه الآيه لإثبات نظريتهم،إلاّ أننا ذكرنا عدم ثبوت هذه النظريه فی تفسيرنا للآيه (۲۶)من سوره الحجر.و الجدير بالاهتمام هو أنّه يجب أن لا نطبق الآيات مع النظريات.فالآيات القرآنيه تحكی عن حقائق لا تتغير،أمّا النظريات العلميه فتتغير.

فهی تتناول الحیوانات کافّه،مضافا إلی أن أهم الحیوانات التی یستخدمها الإنسان،هی هذه الأنواع الثلاثه.

و یری البعض أنّ الأحیاء التی لها أکثر من أربع أرجل،تعتمد علی أربع منها، و الباقی منها سواعد مساعده لها (۱) (۲) .

۳-صوره الحیاه المختلفه:

لا شک أنّ الحیاه تعتبر أعجب ظاهره فی العالم،ذلک السرّ الذی لم یقدر العلماء علی فکّ رموزه حتّی الآن،فالجمیع یقول:إنّ الأحیاء خلقت من مادّه لا حیاه فیها،إلاّ أنّه لا أحد یعلم کیف حدثت هذه الطفره و فی أیّ ظرف،إذ لم یشهد أیّ مختبر تبدّل موجود عدیم الحیاه إلی آخر حی،علی الرغم من انشغال الآلاف من العلماء طوال سنین عدیده فی التفکیر بذلک،و إجراء تجارب مختبریه یخطئها الحصر.

و هناک خیال من بعید یتراءی للعلماء فی هذا المجال،و لکنّه مجرّد خیال و شبح،فانّ العلم البشری عاجز عن کشف أسرار الحیاه مع تقدّمه الهائل،و ذلک لتعقد هذه الأسرار بدرجه کبیره.

و فی الظروف السائده تولّد الأحیاء من أحیاء أخری،و لا یولد أیّ حیّ من غیر حیّ.و لکن المؤکّد أن هذا الحال لم یکن کذلک فی الماضی البعید.أو بعباره أخری:أنّ الحیاه تملک تاریخا لظهورها.

و لکن کیف و تحت أیه شروط؟ إنّ ذلک لغز لم تتضح حقیقته بعد، و الأعجب من ذلک تنوع الحیاه فی هذه

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،و تفسیر الفخر الرازی للآیه موضع البحث.

۲- ۲) -لا بدّ من الاهتمام بهذه المسأله لغویا،و هی أنّ الضمیر«هم»فی«منهم»رغم أنّه للجمع العاقل،فقد استخدمتها الآیه لغیر العاقل أیضا.و کذلک حرف«من»و ذلک بسبب استخدام هذه الکلمات أحیانا لغیر العاقل أیضا.

الصور الکـامله،تبـدأ من الأحياء المجهريه وحيـده الخليه حتى تصل إلى الحيتان العظيمه التى يتجاوز طول الواحـده منها الثلاثين مترا،و تبدو إحداها كأنّها جبل من لحم طائف فى المحيط.

و من مئات الآلاف من الحشرات المختلفه إلى آلاف من الطيور الجميله،كلّ له عالمه الخاصّ به و أسراره الذاتيه.

و تشـغل كتب علم الحيوان اليوم حيّزا كبيرا من مكتبات العالم،و يستعرض مؤلفوها جوانب من أسرار هذه الأحياء،خاصّه الأحياء البحريه.

و البحر دوما تكمن فيه الأسـرار التى ما تزال معلوماتنا قاصـره عن اسـتكناهها،على الرغم من سـعه تطوّرنا العلميّ و عمقه،حقّا اللّه أكبر،خلق كلّ هذه الأحياء،و منحها ما تحتاج إليه،فما أعظم قدرته و علمه! سـبحانه!كيف وضع كلّ واحد منها فى ظروف مناسبه له،و وفّر غذاءه و ما يحتاج إليه،و الأعجب من ذلک خلقه سبحانه و تعالى جميع هذه الكائنات،من ماء و قليل من تراب.

الآيات [سوره النور (۲۴): الآيات ۴۶ الی ۵۰]

اشاره

لَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَ اَللّهُ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۴۶) وَ يَقُولُونَ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلّی فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ ما أُولئِکَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۴۷) وَ إِذا دُعُوا إِلَی اَللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (۴۸) وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ اَلْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (۴۹) أَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اَللّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولئِکَ هُمُ اَلظّالِمُونَ (۵۰)

سبب النّزول

ذكر المفسّرون سببين لنزول بعض هذه الآيات:

قيل نزلت الآيات فی رجل من المنافقين كان بينه و بين رجل من اليهود خصومه،فدعاه اليهودی إلی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و دعاه المنافق إلی كعب بن الأشراف (اليهودی)(حتّی أنّ بعض الرّوايات ذكرت أنّ المنافق قال صراحه:يحتمل أنّ لا يعدل محمدا فينا):

و

حکی أنّه کان بین علی علیه السّلام و عثمان(و حسب روایه بین علی علیه السّلام و المغیره بن وائل)منازعه فی أرض اشتراها من علی علیه السّلام فخرجت فیها أحجار،و أراد ردّها بالعیب،فلم یأخذها فقال:بینی و بینک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.فقال الحکم بن أبی العاص(و هو من المنافقین):إن حاکمته إلی ابن عمّه یحکم له،فلا تحاکمه إلیه، فنزلت الآیات و استنکرت علیه ذلک بشدّه، و هو المروی عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام أو قریب منه (۱) .

التّفسیر

اشاره

الإیمان و قبول حکم اللّه:

تحدثت الآیات السابقه عن الإیمان باللّه و عن دلائل توحیده و علائمه فی عالم التکوین،بینما تناولت الآیات-موضع البحث-أثر الإیمان و انعکاس التوحید فی حیاه الإنسان،و إذعانه للحقّ و الحقیقه.

تقول أوّلا: لَقَدْ أَنْزَلْنٰا آیٰاتٍ مُبَیِّنٰاتٍ آیات تنور القلوب بنور الإیمان و التوحید،و تزید فی فکر الإنسان نورا و بهجه،و تبدّل ظلمات حیاته إلی نور علی نور.و طبیعی أنّ هذه الآیات المبینات تمهد للإیمان،إلاّ أنّ الهدایه الإلهیه هی صاحبه الدور الأساسی وَ اللّٰهُ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ .

و کما نعلم فإنّ إراده اللّه و مشیئته لیست دون حساب،فهو سبحانه و تعالی یدخل نور الهدایه إلی القلوب المستعده لتقبله،أی التی أبدت المجاهده فی سبیل اللّه و قطعت خطوات للتقرب إلیه،فأعانها علی قدر سعیها فی الوصول إلی لطفه سبحانه.

ثمّ استنکرت الآیه الثّانیه و ذمّت مجموعه من المنافقین الذین یدّعون

---

۱ - ۱) -«مجمع البیان»و تفسیر«روح المعانی»و تفسیر«التبیان»و تفسیر«القرطبی»و تفسیر«الفخر الرازی»و تفسیر «الصافی»و تفسیر«نور الثقلین»(مع بعض التصرف).

الإيمان فى الوقت الذى خلت فيه قلوبهم من نور اللّه،فتقول الآيه عن هذه المجموعه وَ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنٰا ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ مٰا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ .

ما هذا الإيمان الذى لا يتجاوز حدود ألسنتهم،و لا أثر له فى أعمالهم؟ ثمّ تذكر الآيه التى بعدها دليلا واضحا على عدم إيمانهم وَ إِذٰا دُعُوا إِلَى اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذٰا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ .

و لتأكيد عباده هذه المجموعه للدنيا و فضح شركهم،تضيف الآيه وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ و بكامل التسليم و الخضوع.

و الجدير بالذكر أن العباره الأولى تحدثت عن الدعوه إلى اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و أمّا العباره التاليه أى كلمه«ليحكم»فإنّها جاءت مفرده،و هى تشير إلى تحكيم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لوحده،و ذلك لأنّ تحكيم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس منفصلا عن تحكيم اللّه تعالى،حيث أنّ كلا الحكمين فى الحقيقه واحد.

كما يجب الانتباه إلى أنّ ضمير الهاء المتّصله فى«إليه»يعود إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نفسه،أو إلى تحكيمه.و كذلك لا بدّ من الالتفات إلى أن الآيه نسبت التخلف عن هذا الحكم و الإعراض عن تحكيم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى مجموعه من المنافقين فقط.

و لعل ذلك لأن الفئات الأخرى لم تكن بهذه الدرجه من الجرأه و عدم الحياء،لأنّ للنفاق مراتب أيضا كمراتب الأيمان المختلفه.

و بيّنت الآيه الأخيره فى ثلاث جمل،الجذور الأساسيه و دوافع عدم التسليم إزاء تحكيم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت أوّلا أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ .

هذه صفه من صفات المنافقين يتظاهرون بالإيمان،و لكنّهم لا يسلّمون بحكم اللّه و رسوله،و لا يستجيبون له،إمّا بسبب انحرافهم قلبيا عن التوحيد أو الشك و التردد أَمِ ارْتٰابُوا و طبيعى أنّ الذى يتردّد فى عقيدته،لن يستسلم لها أبدا.

و ثالثها فيما لو لم يلحدوا و لم يشكوا،أى كانوا من المؤمنين: أَمْ يَخٰافُونَ أَنْ

يَحِيفَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ

.

فى الوقت الذى يعتبر هذا تناقضا صريحا،إذ كيف للذى يؤمن برساله محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يعتبر حكمه حكم اللّه تعالى أن ينسب الظلم إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟! و هل يمكن أن يظلم اللّه أحدا؟ أليس الظلم وليد الجهل أو الحاجه أو الكبر؟ إنّ اللّه تعالى مقدّس عن كلّ هذه الصفات بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ إنّهم لا يقتنعون بحقّهم،و هم يعلمون أنّ النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يجحف بحق أحد،و لهذا لا يستسلمون لحكمه.

و يرى مفسّر«فى ظلال القرآن»:فى الآيه: أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ؟أَمِ ارْتٰابُوا؟ أَمْ يَخٰافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ؟ أنّ السؤال الأوّل للإثبات،أى لاثبات وجود مرض النفاق فى قلوبهم فمرض القلب جدير بأن ينشئ مثل هذا الأثر.

و السؤال الثّانى للتعجب،فهل هم يشكّون فى حكم اللّه و هم يزعمون الإيمان؟هل هم يشكّون فى مجيئه من عند اللّه؟أو هم يشكّون فى صلاحيته لإقامه العدل؟ و السؤال الثّالث لاستنكار أمرهم الغريب،و التناقض الفاضح بين ادعائهم و عملهم.

و إنّه لعجيب أن يقوم مثل هذا الخوف فى نفس إنسان،فاللّه خالق الجميع و ربّ العالمين،فكيف يحيف فى حكمه على أحد من خلقه لحساب مخلوق آخر (۱) .

و ما يورده هذا المفسّر هو أنّ عباره«أم ارتابوا»تعنى الشك فى عداله الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فى صحه تحكيمه فى الوقت الذى يرى كثير من المفسّرين أنّه الشك فى أصل النّبوه كما هو الظاهر.

۱- ۱) -تفسير فى ظلال القرآن،المجلد(۱۷-۲۰)،صفحه ۱۱۵-طبعه دار إحياء الكتب العربيه-الطبعه الأولى.

بحثان

اشاره

۱-مرض النفاق

ليست هـذه المره الأولى التى يستخدم فيها القرآن عباره«المرض»للنفاق، فقد استخدمها فى مطلع سوره البقره عند بيانه لصفات المنافقين فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً و كما قلنا فى المجلد الأوّل فى أثناء تفسير الآيه المذكوره،فإنّ النفاق فى حقيقته مرض و انحراف عن الطريق السوى،فالإنسان السليم له صوره واحده هى انسجام روحه مع بدنه.

فإذا كان مؤمنا فكلّ أجزاء بدنه تعبر عن إيمانها،و إذا كان عديم الإيمان فإنّ ظاهره و باطنه يكشفان عن كفره و انحرافه.

أمّا إذا كان متظاهرا بالإيمان و مبطنا للكفر،فإنّ ذلك يعتبر نوعا من المرض.

و بما أن هؤلاء الأشخاص(المنافقين)لا يستحقون لطف اللّه و رحمته،بسبب عنادهم و إصرارهم على المضى بمناهجهم المنحرفه،فقد تركهم اللّه على حالهم، ليزدادوا مرضا.

و المنافقون فى الواقع أخطر مجموعه فى المجتمع،لأنّه لا يتّضح للمؤمن بأىّ أسلوب يجب أن يعاملهم،فهم ليسوا أصدقاء و لا يبدون أنّهم أعداء، فيستفيدون من إمكانات المؤمنين و يصونون أنفسهم عن العقاب المفروض على الكفار بالتظاهر و إخفاء حقائقهم المشؤومه،فأعمالهم أتعس من أعمال الكفّار.

و لكن هؤلاء لا يمكنهم أن يواصلوا هذا المنهج لمدّه طويله،فلا بدّ أن يفتضح أمرهم و ينكشف باطنهم.و كما ذكرت الآيات-موضع البحث-و سبب نزولها.

افتضاحهم فى عمليه تحكيم واحده و انكشاف باطنهم الخبيث (۱) .

ص: ۱۴۰

۱- ۱) -لإيضاح أكثر حول صفات المنافقين يراجع التّفسير الأمثل من بدايه سوره البقره آخر الآيه العاشره و ما يليها.

٢-الحكومه العادله هى الحكومه الإلهيه فقط:

لا شك فى أن الإنسان مهما سعى فى تهذيب نفسه من الصفات الرذيله، خاصّه الكبر و البغضاء و حب الذات و الأنانيه،فإنّه قد يبتلى ببعضها دون وعى منه، إلاّ المعصوم من البشر،إذ يعصمه اللّه من الخطأ و الزلل.

و لهذا السبب نقول:اللّه وحده هو المشرّع الحقيقى،لأنّه إضافه إلى علمه المطلق بحاجات الإنسان،فإنّه يعلم سبل سدّ هذه الحاجات،و هو الذى لا يزلّ و لا ينحرف بسبب احتياجه و ميول الحب و البغض فيه سبحانه.

و قضاء اللّه و النّبى و الإمام المعصوم أفضل قضاء،و يليهم التابعون السائرون على نهجهم المتوكلون على اللّه،إلاّ أنّ البشر الذى يصاب بالكبر و حبّ الذات لا يرضخ لهذا القضاء،فهو يبحث عن قضاء يشبع طمعه و شهواته.ما أجمل العباره التى استخدمتها الآيه الكريمه بحق هؤلاء أُولٰئِکَ هُمُ الظّٰالِمُونَ .

كما أنّ المرور فى مثل هذا الامتحان،خير دليل على إيمان الإنسان أو عدم إيمانه.

و يستوقفنا قول القرآن فى موضع آخر فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمٰا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (١) .

أجل،المؤمنون الحقيقيون لا يرتضون قضاءك فحسب،و إنّما قد سلّموا أنفسهم لك حتّى إن لحقهم ضرر.

أمّا المنافقون،فلا يقنعون بحكم من اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ ما يحقق مصالحهم،فهم عبيد لها،و على الرغم من ادعائهم الإيمان،فهم مشركون حقّا!

١- ١) -النساء،۶۵.

الآیات [سوره النور (۲۴): الآیات ۵۱ الی ۵۴]

اشاره

إِنَّما کانَ قَوْلَ اَلْمُؤْمِنِینَ إِذا دُعُوا إِلَی اَللّهِ وَ رَسُولِهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ أَنْ یَقُولُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ أُولئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۵۱) وَ مَنْ یُطِعِ اَللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَخْشَ اَللّهَ وَ یَتَّقْهِ فَأُولئِکَ هُمُ اَلْفائِزُونَ (۵۲) وَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَیْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَیَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اَللّهَ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۵۳) قُلْ أَطِیعُوا اَللّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَیْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَیْکُمْ ما حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُطِیعُوهُ تَهْتَدُوا وَ ما عَلَی اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاغُ اَلْمُبِینُ (۵۴)

التّفسیر

اشاره

الإیمان و التسلیم التام إزاء الحقّ:

لاحظنا فی الآیات السابقه ردّ فعل المنافقین،الذین اسودّت قلوبهم، و أصبحت ظلمات فی ظلمات.و کیف لم یرضخوا لحکم اللّه و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و کأنّهم یخافون أن یحیف اللّه و رسوله علیهم،فیضیع حقّهم!

ص: ۱۴۲

أمّا الآيات-موضع البحث-فإنّها تشرح موقف المؤمنين إزاء حكم اللّه و رسوله،فتقول إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا .

ما أجمل هذا التعبير المختصر و المفيد سَمِعْنا وَ أَطَعْنا ! و قد وردت كلمه«إنّما»فی الآیه السابقه لتحصر كلام المؤمنین فی عباره سَمِعْنا وَ أَطَعْنا و الواقع أن حقیقه الایمان یكمن فی هاتین الكلمتین فقط.

كیف یمكن أن یرجّح شخص حكم شخص آخر علی حكم اللّه،و هو یعتقد بأنّ اللّه عالم بكلّ شیء،و لا حاجه له بأحد،و هو الرحمن الرحیم؟و كیف له أن یقوم بعمل إزاء حكم اللّه إلاّ السمع و الطاعه؟ فما أحسن هذه الوسیله لامتحان المؤمنین الحقیقیین و نجاحهم فی الامتحان؟!لهذا تختتم الآیه حدیثها بالقول: وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و لا شك فی أنّ الفلاح نصیب الذی یسلّم أمره إلی اللّه،و یعتقد بعدله و حكمه فی حیاته المادیه و المعنویه.

و تابعت الآیه الثّانیه هذه الحقیقه بشكل أكثر عمومیه،فتقول: وَ مَنْ یُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَخْشَ اللّهَ وَ یَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ (١) .

و قد وصفت هذه الآیه المطیعین المتقین بالفائزین،كما وصفت الآیه السابقه الذین یرضخون لحكم اللّه و رسوله بالمفلحین.

و تفید مصادر اللغه أنّ«الفوز»و«الفلاح»بمعنی واحد تقریبا،قال الراغب الأصفهانی فی مفرداته:«الفوز:الظفر بالخیر مع حصول السلامه»و«الفلاح:الظفر و ادراك البغیه» (و فی الأصل بمعنی الشق،و بما أنّ الأشخاص المفلحین یشقون طریقهم إلی مقصدهم و یزیلون العقبات منه أطلق الفلاح علی الفوز أیضا)و بما أن

ص :١۴٣

١- ١) -أصل«یتقه»بسكون القاف و كسر الهاء«یتقه»و قد حذفت الیاء منها لأنّها فی حاله جزم و قد حذفت إحدی الكسرتین المتالیتین لأنّها ثقیله للفظ.

الکلام فی الآیه السابقه کان عن الطاعه بشکل مطلق،و فی الآیه قبلها عن التسلیم أمام حکم اللّه،و أحدهما عام و الآخر خاص،فنتیجه کلیهما واحده.

و ما یستحقّ الملاحظه هو أن الآیه الأخیره ذکرت ثلاثه أوصاف للفائزین:

هی:طاعه اللّه و الرّسول،و خشیه اللّه،و تقوی اللّه.

و قال بعض المفسّرین:إنّ الطاعه ذات معنی عام،و الخشیه فرعها الباطنی، و التقوی فرعها الظاهری.و قد تحدثت أوّلا عن الطاعه بشکل عامّ،ثمّ عن باطنها و ظاهرها.

و

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام فی تفسیر قوله تعالی: أُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قال:«إنّ المعنی بالآیه أمیر المؤمنین(علی علیه السّلام)» (۱) .

و لا خلاف فی أنّ علیا علیه السّلام خیر مصداق لهذه الآیه،و هذا هو المراد من هذا الحدیث فلا یفقد الآیه عمومیتها.

لحن الآیه التالیه-و کذلک سبب نزولها الذی ذکرته بعض التفاسیر-یعنی أنّ بعض المنافقین تأثروا جدا علی ما هم فیه،بعد نزول الآیات السابقه و التی وجّهت اللوم الشدید إلیهم،فجاءوا إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أقسموا یمینا مغلظه أنّنا نسلّم أمرنا إلیک،و لهذا أجابهم القرآن بشکل حاسم وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَیْمٰانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَیَخْرُجُنَّ إلی میدان الجهاد،أو یخرجوا من أموالهم و بیوتهم فقل لهم:لا حاجه إلی القسم،و علیکم عملا اطاعه اللّه بصدق و إخلاص قُلْ لاٰ تُقْسِمُوا طٰاعَهٌ مَعْرُوفَهٌ إِنَّ اللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ .

یری کثیر من المفسّرین أنّ کلمه«لیخرجن»فی هذه الآیه یقصد منها الخروج للجهاد فی سبیل اللّه،غیر أنّ المفسّرین آخرین یرون أنّها تقصد عدم التهالک علی المال و الحیاه،و أتباع الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أینما رحل و حلّ و طاعته.

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،المجلد الثالث،صفحه ۶۱۶.

و قد وردت کلمه«الخروج»و مشتقاتها فی القرآن المجید بمعنی الخروج إلی میادین الجهاد تاره،و ترک المنزل و الأهل و الوطن فی سبیل اللّه تعالی تاره أخری،إلاّ أنّ الآیات السابقه التی تحدثت عن حکم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی القضایا المختلفه یجعلنا نتقبل التّفسیر الثّانی.بمعنی أن المنافقین جاءوا إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیعربوا عن طاعتهم لحکمه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و التسلیم له،فأقسموا علی إخراج قسم من أموالهم،بل أن یترکوا الحیاه الدنیا إن أمرهم بذلک.

و لا مانع من الجمع بین التّفسیرین،أی إنّهم کانوا علی استعدادهم لترک أموالهم و أهلیهم،و الخروج للجهاد و لتضحیه فی سبیل اللّه.

و لکن بما أنّ المنافقین یتقلبون فی مواقفهم بحسب الظروف السائده فی المجتمع،فتراهم یقسمون الأیمان المغلّظه حتی تشعر بأنّهم کاذبون،فقد ردّ القرآن-بصراحه-أنّه لا حاجه إلی الیمین،و إنّما لا بدّ من البرهنه علی صدق الادعاء بالعمل،لأنّ اللّه خبیر بما تعملون.یعلم هل تکذبون فی یمینکم،أم تبغون تعدیل مواضعکم واقعا؟ لهذا أکدت الآیه التالیه-التی هی آخر الآیات موضع البحث-هذا المعنی، و تقول للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن: قُلْ أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ .

ثمّ تضیف الآیه أنّ هذا الأمر لا یخرج عن إحدی حالتین: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمٰا عَلَیْهِ مٰا حُمِّلَ وَ عَلَیْکُمْ مٰا حُمِّلْتُمْ ففی صوره العصیان فقد ادّی وظیفته و هو مسئول عنها کما أنّکم مسئولون عن أعمالکم حین أن وظیفتکم الطاعه،و لکن وَ إِنْ تُطِیعُوهُ تَهْتَدُوا لأنّه قائد لا یدعو لغیر سبیل اللّه و الحقّ و الصواب.

فی کل الأحوال وَ مٰا عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ الْمُبِینُ و إنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مکلّف بإبلاغ الجمیع ما أمر اللّه به،فإن أطاعوه استفادوا،و إن لم یطیعوه خسروا.و لیس علی النّبی أن یجبر الناس علی الهدایه و تقبّل دعوته.

و ما یلفت النظر فی الآیه السابقه تعبیرها عن المسؤولیه ب«الحمل»الثقیل

و هـذا هـو الواقـع،فرسـاله النّبى صـلّى اللّـه عليه و آله و سـلّم تسـتوجب الإبلاـغ عليه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و على النـاس طاعته.إنّها لمسؤوليه لا يطيق حملها إلاّ المخلصون.

و لذا

روى الإمام الباقر عليه السّـلام حـديثا عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال فيه «يا معشـر قرّاء القرآن،اتقوا اللّه عزّ و جلّ فيما حملكم من كتابه،فإنّى مسئول،و أنتم مسئولون:

إنّى مسئول عن تبليغ الرساله،و أمّا أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب اللّه و سنّتى» (۱) .

۱- ۱) -المصدر السابق.

الآیه [سوره النور (۲۴): آیه ۵۵]

اشاره

وَعَدَ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی اَلْأَرْضِ کَمَا اِسْتَخْلَفَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ اَلَّذِی اِرْتَضیٰ لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنِی لاٰ یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً وَ مَنْ کَفَرَ بَعْدَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۵۵)

سبب النّزول

روی کثیر من المفسّرین.و منهم السیوطی فی«أسباب التنزیل»و الطبرسی فی«مجمع البیان»و سید قطب فی«فی ظلال القرآن»و القرطبی فی تفسیره،مع بعض الاختلاف،سبب نزول هذه الآیه أنه:عند ما هاجر الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المسلمون إلی المدینه،استقبلهم الأنصار بترحاب،و لکن العرب تحالفوا ضدهم.

لهذا کان المسلمون یبیتون لیلتهم و السلاح إلی جانبهم لا یفارقهم،إذ کانوا فی حاله تأهّب تامّ.و قد شقّ علی المسلمین ذلک.حتی تساءل البعض:إلی متی یدوم هذا الوضع؟و هل یأتی زمان نستریح و تطمئنّ أنفسنا و لا نخشی إلاّ اللّه؟فنزلت الآیه السابقه تبشرهم بتحقّق ما یصبون إلیه.

ص:۱۴۷

التّفسير

اشاره

حكومه المستضعفين العالميه:

تحـدثت الآيه السابقه عن طاعه اللّه و رسوله و التسليم له،و قـد واصـلت الآيه- موضع البحث-هـذا الموضوع،و بيّنت نتيجه هـذه الطاعه ألا و هى الحكومه العالميه التى:وعدها اللّه المؤمنين به.فقالت الآيه مؤكّده وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .

وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضىٰ لَهُمْ

و يجعله متجذرا و ثابتا و قويا بين شعوب العالم.

وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاٰ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً

و بعـد سـياده حكم التوحيـد فى العالم و إجراء الأحكام الإلهيه،و اسـتقرار الأمن و اقتلاع جـذور الشـرك، وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ .

و على كلّ حال يبـدو من مجمل هذه الآيه أنّ اللّه يبشـر مجموعه من المسـلمين الذين يتصـفون بالإيمان و العمل الصالح بثلاث بشائر:

۱-استخلافهم و حكومتهم فى الأرض.

۲-نشر تعاليم الحقّ بشكل جذرى و فى كلّ مكان(كما يستفاد من كلمه «تمكين»...).

۳-انعدام جميع عوامل الخوف و الاضطراب.

و ينتج من كل هذا أن يعبد اللّه بكلّ حريه،و تطبق تعاليمه و لا يشرك به،و يتمّ نشر عقيده التوحيد فى كلّ مكان.

و يتّضح ممّا يلى متى تمّ وعد اللّه هذا؟أو متى سيتم؟

بحوث

اشاره

۱-تفسیر عباره كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هناک اختلاف بین المفسّرین حول الذین أشارت إلیهم الآیه الشریفه من الذین استخلفوا فی الأرض من قبل المسلمین.

البعض من المفسّرین یری أنّهم آدم و داود و سلیمان علیهم السّلام،حیث قالت الآیه (۳۰)من سوره البقره حول آدم علیه السّلام إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً و فی الآیه(۲۶) من سوره ص جاء بصدد داود علیه السّلام یا داوُدُ إِنّا جَعَلْناکَ خَلِیفَهً فِی الْأَرْضِ .

و بما أنّ سلیمان علیه السّلام ورث حکم داود علیه السّلام بمقتضی الآیه(۱۶)من سوره النمل فإنّه قد استخلف فی الأرض.

لکن بعض المفسّرین-کالعلامه الطباطبائی فی المیزان-استبعد هذا المعنی و رأی أنّ عباره اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ لا تناسب مقام الأنبیاء.إذ أنّ القرآن المجید لم ترد فیه هذه العباره بخصوص الأنبیاء.و إنّما هی إشاره إلی أمم خلت،و کانت علی درجه من الإیمان و العمل الصالح بحیث استخلفها اللّه فی الأرض.

و یری مفسرون آخرون أنّ هذه الآیه إشاره إلی بنی إسرائیل،لأنّهم استخلفوا فی الحکم فی الأرض بعد ظهور موسی علیه السّلام و تدمیر حکم فرعون و الفراعنه،حیث یقول القرآن المجید فی الآیه(۱۲۷)من سوره الأعراف وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِینَ کانُوا یُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِی بارَکْنا فِیها و یضیف وَ نُمَکِّنَ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ أی جعلناهم حکاما بعد أن استضعفوا فی الأرض.

و لا شکّ فی أنّه کان فی بنی إسرائیل-حتی فی زمن موسی علیه السّلام-أشخاص عرفوا بفسقهم و کفرهم،لکنّ الحکم کان بید المؤمنین الصالحین،(و بهذا یمکن دفع ما أشکل به البعض علی هذا التّفسیر)و یظهر أن التّفسیر الثّالث أقرب إلی الصواب.

ص: ۱۴۹

۲-الذين وعدهم اللّه باستخلاف الأرض:

لقد وعد اللّه المؤمنين ذوى الأعمال الصالحه بالاستخلاف فى الأرض و تمكينهم من نشر دينهم و تمتعهم بالأمن الكامل،فما هى خصائص هؤلاء الموعودين بالاستخلاف؟ هناك اختلاف بهذا الصدد بين المفسّرين:يرى البعض من المفسّرين أنّ الوعد بالاستخلاف خاصّ بأصحاب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذين استخلفهم اللّه فى الأرض فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.(و لا يقصد بالأرض جميعها،بل هو مفهوم يطلق على الجزء و الكل).

و يرى آخرون أنّه خاصّ بالخلفاء الأربعه الذين خلفوا الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و يرى البعض أنّ مفهومه واسع يشمل جميع المسلمين الذين اتصفوا بهذه الصفات.

و يرى آخرون أنّه إشاره إلى حكومه المهدى(عج)الذى يخضع له الشرق و الغرب فى العالم،و يجرى حكم الحقّ فى عهده فى جميع أرجاء العالم،و يزول الاضطراب و الخوف و الحرب و تتحقق للبشريه عباده اللّه النقيه من كلّ أنواع الشرك.

و لا ريب فى أنّ هذه الآيه تشمل المسلمين الأوائل،كما أنّ حكومه المهدى(عج)مصداق لها،إذ يتفق المسلمون كافه من شيعه و سنه على أن المهدى(عج)يملأ الأرض عدلا و قسطا بعد أن ملئت جورا و ظلما.

و مع كل هذا لا مانع من تعميمها.و ينتج من ذلك تثبيت أسس الإيمان و العمل الصالح بين المسلمين فى كلّ عصر و زمان،و أنّ لهم الغلبه و الحكم ذا الأسس الثابته.

أمّا قول البعض:إنّ كلمه«الأرض»مطلقه و غير محدده،و تشمل كلّ الأرض،و بذلك تنحصر بحكومه المهدى(أرواحنا له الفداء)،فهو لا ينسجم مع

عباره كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، لأن خلافه و حكومه السابقين بالتأكيد لم تشمل الأرض كلها.

و إضافه إلى ذلك فإنّ سبب نزول هذه الآيه يبيّن لنا-على أقلّ تقدير-وقوع مثل هذا الحكم فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(رغم حدوثه فى أواخر حياته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم).

و نقولها ثانيه:إنّ نتيجه جهود جميع الأنبياء و المرسلين حصول حكم يسوده التوحيد و الأمن الكامل و العباده الخاليه من أىّ نوع من الشرك،و ذلك حين ظهور المهدى(عج)،و هو من سلاله الأنبياء عليهم السّلام و حفيد النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و هو المقصود فى هذا الحديث الذى تناقله جميع المسلمين

عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوّل اللّه ذلك اليوم حتى يلى رجل من عترتى،اسمه اسمى،يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا» (1) .

و ممّا يجدر ذكره هنا قول العلاّمه الطبرسى فى تفسير هذه الآيه:روى عن أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حول هذه الآيه:

«إنّها فى المهدى من آل محمد» (2) .

و ذكر تفسير«روح المعانى»و تفاسير عديده

لمؤلفين شيعه عن الإمام السجاد عليه السّلام فى تفسير الآيه موضع البحث أنه قال: «هم و اللّه شيعتنا-أهل البيت- يفعل اللّه ذلك بهم على يدى رجل منّا،و هو مهدى هذه الأمه يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا،و هو الذى قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم...».

و كما قلنا،لا تعنى هذه التفاسير حصر معنى هذه الآيه،بل بيان مصداقها التام، و ممّا يؤسف له عدم انتباه بعض المفسّرين- كالآلوسى فى روح البيان-إلى هذه المسأله،فرفضوا هذه الأحاديث.

١- ١) -احتوى كتاب«منتخب الأثر»على مائه و ثلاثه و عشرين حديثا بهذا الصدد،من مصادر إسلاميه مختلفه خاصّه السنّيه منها.للاستزاده يراجع هذا الكتاب فى صفحه ٢٤٧،و ما يليها.

٢- ٢) -مجمع البيان فى تفسير الآيه موضع البحث.

و

روى القرطبى المفسّر المشهور من أهل السنه عن المقداد بن الأسود عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «ما على ظهر الأرض بيت حجر و لا مدر إلاّ أدخله اللّه كلمه الإسلام» (۱) .

و للحصول على إيضاح أكثر حول حكومه المهدىّ(عج)و شرح أدلتها فى كتب علماء السنه و الشيعه،يراجع تفسير الآيه(۳۳)من سوره التوبه.

۳-الهدف النهائى عباده خالصه:

إنّ مفهوم عباره يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً من الناحيه الأدبيه سواء كانت جمله حاليه أم مستقبليه (۲) ، هو أن الهدف النهائى إعداد حكومه عادله راسخه الأسس،ينتشر فيها الحقّ و الأمن و الاطمئنان،و تكون ذات تحصينات أسسها العبوديه للّه و توحيده على نحو ما ذكرته آيه قرآنيه أخرى تذكر الغايه من الخلق وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّٰ لِيَعْبُدُونِ (۳) .

عباده هدفها السامى تربيه البشر و تسامى أنفسهم.عباده لا يحتاج اللّه إليها، و إنّما يحتاج إليها البشر لطىّ مراحل تكاملهم الإنسانى.

و على هذا فإنّ الفكر الإسلامى ليس كالأفكار الماديه التى تتوخى مكاسب ماديه و رفاهيه فى الحياه،بل تكون للحياه الماديه قيمه فى الإسلام إن أصبحت وسيله لتحقيق هدف معنوى سام،فالاهتمام بكون العباده خاليه من شوائب الشرك نافيه للأهواء الزّائفه،يعنى أنّه لا يمكن تحقق هذه العباده الصافيه إلاّ بتشكيل حكومه عادله.

۱- ۱) -تفسير القرطبى،المجلد السابع،صفحه ۴۲۹۲.

۲- ۲) -فى الصوره الأولى الجمله الحاليه للضمير«هم»الذى جاء فى الآيات السابقه.و فى الصوره الثّانيه تقدر ب«ليعبدوننى» و احتمل آخرون أنها جمله استئنافيه و هو احتمال ضعيف.

۳- ۳) -الذاريات،۶۵.

هـذا و يمكن كسب مجموعه من النـاس إلى جـانب الحقّ بـالتربيه و التعليم و التبليغ المسـتمر،و لاـ يمكن تعميم هـذه الحـاله فى المجتمع إلاّـ بتشـكيل حكومه عـادله يقودهـا المؤمنون الصـالحون،و لهـذا سـعى الأنبياء إلى تشـكيل مثل هـذه الحكومه خاصّـه الرّسـول الأـكرم صـلّى اللّه عليـه و آلـه و سـلّم،فبمجرّد وصـوله صـلّى اللّه عليـه و آلـه و سـلّم إلى المـدينه المنـوره، و فى أوّل فرصه،شكّل نموذجا لها.

و يمكن الاسـتنتاج من ذلـك أنّ جميع الجهود-من حرب و سـلام و برامـج تثقيفيه و اقتصـاديه و عسـكريه-تنصّب فى ظلّ هـذه الحكومه فى مسيره العبوديه للّه الخاليه من كل شائبه من شوائب الشرك.

و لاـ بـدّ من القول:إنّه لا يعنى خلو الأرض من المـذنبين و المنحرفين فى ظلّ حكومه الصالحين المؤمنين الـذين يمكّنهم اللّه من نشـر الحقّ و العـدل،و عبادته عباده خاليه من صور الشـرك،بل مفهوم هـذه الحكومه هو أنها تـدار من قبل المؤمنين الصالحين،و الصـفه السائـده فى المجتمـع هى خلـوه من الشـرك.و بمـا أن الإنسـان خلق حرّا،فـإن مجـال الاـنحراف موجود حـتى فى أفضـل المجتمعات الإنسانيه(فتأملوا جيدا).

الآیتان [سوره النور (۲۴): الآیات ۵۶ الی ۵۷]

اشاره

وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتُوا اَلزَّكٰاهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۵۶) لاٰ تَحْسَبَنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي اَلْأَرْضِ وَ مَأْوٰاهُمُ اَلنّٰارُ وَ لَبِئْسَ اَلْمَصِيرُ (۵۷)

التّفسیر

اشاره

استحاله الفرار من حکومته تعالی:

وعـدت الآـیه السـابقه المؤمنین الصالحین بالخلافه فی الأرض،و تعبئ هاتان الآیتان الناس للتمهیـد لهـذه الحکومه،و خلال نفیها وجود حواجز کبیره لهذا العمل،تضـمن هی بذاتها نجاحه.و فی الحقیقه أن إحدی هاتین الآیتین بیّنت المقتضـی،بینما نفت الثّانیه المانع،فهی تقول أوّلا: وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰهَ .

و هی الوسیله التی توثق الصله بین الخالق و المخلوق،و تقرّب الناس إلی بارئهم،و تمنع عنهم الفحشاء و المنکر.

وَ آتُوا الزَّكٰاهَ

و هی الوسیله التی تربط الإنسان بأخیه الإنسان،و تقلل الفواصل بینهما،و تقوی ارتباطهما العاطفی.

و بشکل عام یکون فی کلّ شیء تبعا للرسول: وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ طاعه

تكونون بسـببها من المؤمنين الصالحين الجـديرين بقياده الحكم فى الأرض لَعَلَّكَمْ تُرْحَمُونَ و تكونون لائقين لحمل رأيه الحقّ و العدل.

و إذا احتملتم أن الأعداء الأقوياء المعاندين يمنعوكم من تحقق ما وعدكم اللّه إيّاه،فذلك غير ممكن،لأن قادر على كلّ شـیء،و لاـ يحجب إرادته شـیء،و لهـذا لاـ تَحْسَـبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِی الْأَرْضِ فهؤلاء الكفار لا يسـتطيعون الفرار من عقاب اللّه و عذابه فی الأرض،و لا يقتصر ذلك على الدنيا فقط،بل أنّهم فی الآخره مَأْواهُمُ النّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

و كلمه«معجزين»جمع«معجز»،المشتقّه من الإعجاز بمعنى نفاذ القدره، و أحيانا يتابع المرء شخصا يفر من يديه،و لا يمكنه القبض عليه و قـد خرج من سـلطته فهو يعجزه،لهـذا اسـتعملت كلمه«معجز»بهـذا المعنى،و كذلك تشـير الآيه السابقه إلى المعنى ذاته،و مفهومها أنّكم لا يمكنكم الفرار من حكومه اللّه.

ص: ۱۵۵

الآيات [سوره النور (۲۴)]: الآيات ۵۸ الی ۶۰]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ اَلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ وَ اَلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا اَلْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاٰثَ مَرّٰاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاٰةِ اَلْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيٰابَكُمْ مِنَ اَلظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاٰةِ اَلْعِشٰاءِ ثَلاٰثُ عَوْرٰاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لاٰ عَلَيْهِمْ جُنٰاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوّٰافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ لَكُمُ اَلْآيٰاتِ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۵۸) وَ إِذٰا بَلَغَ اَلْأَطْفٰالُ مِنْكُمُ اَلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اِسْتَأْذَنَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ لَكُمْ آيٰاتِهِ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۵۹) وَ اَلْقَوٰاعِدُ مِنَ اَلنِّسٰاءِ اَللاّٰتِي لاٰ يَرْجُونَ نِكٰاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنٰاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيٰابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجٰاتٍ بِزِينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۶۰)

التّفسير

اشاره

آداب الدخول إلى المكان الخاصّ بالوالدين:

إنّ أهم مسأله تابعتها هذه السوره-كما ذكرنا-هى مسأله العفاف العام

ص :۱۵۶

و مكافحه كل انحطاط خلقى،بأبعاده المختلفه.

و قد تناولت الآيات-موضع البحث-إحدى المسائل التى ترتبط بهذه المسأله،و شرحت خصائصها،و هى استئذان الأطفال البالغين و غير البالغين للدخول إلى الغرفه المخصصه للزوجين.

فتقول أوّلا: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاٰثَ مَرّٰاتٍ فيجب على عبيدكم و أطفالكم الاستئذان فى ثلاث أوقات مِنْ قَبْلِ صَلاٰةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيٰابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلاٰةِ الْعِشٰاءِ .

«الظهيره»تعنى كما يقول«الراغب الإصفهانى»فى مفرداته «و الفيروزآبادى»فى القاموس المحيط:منتصف النهار و قريب الظهر حيث ينزع الناس عاده الملابس الإضافيه،و قد يختلى الزوج بزوجته.

ثَلاٰثُ عَوْرٰاتٍ لَكُمْ

أى هذه ثلاث أوقات للخلوه خاصّه بكم.

«العوره»مشتقّه من«العار»،أى:العيب.و أطلق العرب على العضو التناسلى العوره،لأنّ الكشف عنه عار.

كما تعنى العوره الشقّ الذى فى الجدار أو الثوب،و أحيانا تعنى العيب بشكل عامّ.

و على كلّ فإنّ إطلاق كلمه(العوره)على هذه الأوقات الثلاثه بسبب كون الناس فى حاله خاصّه خلال هذه الأوقات الثلاثه،حيث لا يرتدون الملابس التى يرتدونها فى الأوقات الأخرى.

و طبيعى أنّ المخاطب هنا هم أولياء الأطفال ليعلموهم هذه الأصول،لأنّ الأطفال لم يبلغوا بعد سنّ التكليف لتشملهم الواجبات الشرعيه.

كما أنّ عموميه الآيه تعنى شمولها الأطفال البنين و البنات،و كلمه«الّذين» التى هى لجمع المذكر السالم،لا تمنع أن يكون مفهوم الآيه عاما،لأنّ هذه العباره

استعملت فی کثیر من الموارد و قصد بها المجموع،کما فی آیه وجوب الصوم، فلفظ«الّذین»هناک یعمّ المسلمین کافه(سوره البقره الآیه ۸۳).

و لا بدّ من القول بأنّ هذه الآیه تتحدّث عن أطفال ممیّزین یعرفون القضایا الجنسیه،و یعلمون ماذا تعنی العوره.لهذا أمرتهم بالاستئذان عند الدخول إلی غرفه الوالدین،و هم یدرکون سبب هذا الاستئذان،و جاءت عباره«ثلاث عورات»شاهدا آخرا علی هذا المعنی و لکن هل أن الحکم المتعلق بمن ملکت أیدیکم یختص بالعبید الذکور منهم أو یشمل الإماء و الجواری،هناک أحادیث مختلفه فی هذا المجال،و یمکن ترجیح الأحادیث التی تؤید ظاهر الآیه،أی شمولها الغلمان و الجواری.

و تختتم الآیه بالقول: لَیْسَ عَلَیْکُمْ وَ لاٰ عَلَیْهِمْ جُنٰاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوّٰافُونَ عَلَیْکُمْ بَعْضُکُمْ عَلیٰ بَعْضٍ فلا حرج و لا إثم علیکم و علیهم إذا دخلوا بدون استئذان فی غیر هذه الأوقات الثلاثه،أجل: کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمُ الْآیٰاتِ وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ .

کلمه طَوّٰافُونَ مشتقه من«الطواف»بمعنی الدوران حول شیء ما،و قد جاءت بصیغه مبالغه لتأکید تعدد الطواف.

و بما أنّ عباره بَعْضُکُمْ عَلیٰ بَعْضٍ جاءت بعد کلمه طَوّٰافُونَ فإنّ مفهوم الجمله یکون:إنه مسموح لکم بالطواف حول بعضکم فی غیر هذه الأوقات الثلاثه،و لکم أن تتزاوروا فیما بینکم و یخدم بعضکم بعضا.

و کما قال«الفاضل المقداد»فی کنز العرفان،فإنّ هذه العباره بمنزله دلیل علی عدم ضروره الاستئذان فی غیر هذه الأوقات،لأنّ المسأله تتعقد إن رغبتم فی الاستئذان کلّ مرّه (۱) .

و بیّنت الآیه التالیه الحکم بالنسبه للبالغین،حیث تقول:

۱- ۱) -کنز العرفان،المجلد الثانی،صفحه ۲۲۵.

وَ إِذٰا بَلَغَ الْأَطْفٰالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

.

و كلمه«الحلم»على وزن«كتب»بمعنى العقل و الكنايه عن البلوغ،الـذى يعتبر توأما لطفره عقليه و فكريه،و مرحله جديـده فى حياه الإنسان.

و قيل أنّ الحلم بمعنى الرؤيا،فهى كنايه عن احتلام الشباب حين البلوغ.

و على كـلّ حـال يسـتفاد من الآيه السابقه،أنّ الحكم بالنسـبه للبالغين يختلف عنه بالنسـبه للأطفال غير البالغين،لأنّ أولئك يجب عليهم استئـذان الوالـدين فى الأوقات الثلاثه فقط،لأنّ حياتهم قـد امتزجت مع حياه والـديهم بـدرجه يسـتحيل بها الاستئـذان كلّ مره،و كما أنّهم لم يعرفوا المشاعر الجنسـيه بعـد.أمّا الشـباب البالغ،فهم مكلّفون فى جميع الأوقات بالاستئـذان حين الدخول على الوالدين.

و يخصّ هـذا الحكم المكـان المخصّـص لاـستراحه الوالـدين.أمّا إذا كـان فى غرفه عـامّه يجلس فيهـا آخرون أيضـا،فلاـ حـاجه للاستئذان منهما بالدخول.

و الجـدير بالـذكر إنّ عبـاره كَمَـا اسْـتَأْذَنَ الَّذِيـنَ مِنْ قَبْلِهِمْ إشـاره إلى الكبـار الـذين يسـتأذنون من الوالـدين حين الـدخول إلى غرفتهما.و قد أردفت الآيه الشباب الذين بلغوا الرشد بهؤلاء،الكبار.

و تقول الآيه فى الختام للتأكيد و الاهتمام الفائق: كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيٰاتِهِ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

و هـذا هو نفس التعبير الـذى جاء فى آخر الآيه السابقه دون تغيير،باسـتثناء اسـتعمال الآيه السابقه كلمه«الآيات»و هـذه اسـتعملت كلمه«آياته»و لا فرق فى معناهما.

و سنتناول بحث ميزات هذا الحكم،و كذلك فلسفته فى ذيل تفسير هذه الآيات.

و فى آخر الآيات-موضع البحث-استثناء لحكم الحجاب،حيث استثنت النساء العجائز و المسنّات من هذا الحكم،فقال: وَ الْقَوٰاعِدُ مِنَ النِّسٰاءِ اللاّٰتِى لاٰ

يَرْجُونَ نِكٰاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنٰاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيٰابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجٰاتٍ بِزِينَةٍ

.

و لهذا الاستثناء شرطان:

أولهما:وصول هذه العجائز إلى عمر لا يتوقع أن يتزوجن فيه،أو بعباره أخرى:أن يفقدن كلّ جاذبيه أنثويه.

و ثانيهما:ألاـ يتزيّن بزينه بعد رفع حجابهنّ، و يتّضح بذلك أنّه لا ضير فى رفع الحجاب بعد إجراء هذين الشرطين.و لهذا استثناهنّ الإسلام من حكم الحجاب.

كما أنّ-من الواضح-أنّه لا يقصد برفع العجائز للحجاب إباحه خلع الملابس كلها و التعرّى،بل خلع اللباس الفوقانى فقط.و كما عبّرت عنه بعض الأحاديث بالجلباب و الخمار.

و

جاء فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام فى شرح هذه الآيه: «الخمار و الجلباب»،قلت:بين يدى من كان؟قال:«بين يدى من كان غير متبرجه بزينه». (1)

كما وردت أحاديث أخرى عن أهل البيت عليهم السّلام بهذا المضمون أو ما يقاربه (2) .

و تضيف الآيه فى ختامها وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ .

فالإسلام يرغب فى أن تكون المرأه أكثر عفّه و أنقى و أطهر.و لتحذير النساء اللواتى يسئن الاستفاده من هذه الحريه،و يتحدثن أو يتصرفن بأسلوب لاـ يليق بشرفهنّ،تقول الآيه محذره إيّاهن: وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كلّما تقولونه يسمعه اللّه، و ما تكتمون فى قلوبكم أو فى أذهانكم يعلمه اللّه أيضا.

۱- ۱) -وسائل الشيعه،المجلد ۱۴ كتاب النكاح صفحه ۱۴۷،الباب ۱۱۰.

۲- ۲) -للاستزاده يراجع المصدر السابق.

بحثان

اشاره

۱-فلسفه الاستئذان و المفاسد المترتبه على عدم الالتزام به

لا يكفى اللجوء إلى القوه لاقتلاع جذور المفاسد الاجتماعيه كالأعمال المخله بالشرف،و لا يرجى نتيجه مرضيه من العقاب فقط فى القضايا الاجتماعيه.

و إنّما يستوجب اتباع عده أمور كالتثقيف الإسلامى،و تعليم آدابه الخلقيه،و اتباع السبل الصحيحه فى القضايا العاطفيه.و إلى جانب هذه الأمور يكون العقاب كعامل لردع المنحرفين عن الطريق السوى.

و لهذا السبب بدأت سوره النور-و هى فى الواقع سوره العفاف و الشرف- بالحديث عن جلد الرجال الزناه و النساء الزانيات،كما تحدثت فى نفس الوقت عن تسهيل الزواج و رعايه الحجاب الإسلامى،و النهى عن النظر بلذه و تحريم اتهام الآخرين بشرفهم و ناموسهم،و أخيرا استئذان الأبناء حين الدخول إلى غرفه الوالدين.

و هذا يدلّ على عدم إغفال الإسلام أى من هذه التفاصيل التى لها علاقه بمسأله العفاف و الشرف.

و على الخدم أن يستأذنوا حين الدخول إلى غرفه الزوجين الخاصّه اللذين يخدمانهما،كذلك يستوجب على الأطفال البالغين عدم الدخول إلى الغرفه المذكوره دون استئذان،و تعليم الأطفال غير البالغين الذين يرتبطون ارتباطا وثيقا بالوالدين،أن لا يدخلوا غرفه الوالدين دون استئذان و على الأقل فى الأوقات الثلاثه التى أشارت إليها الآيه«قبل صلوه الفجر و حين الظهر و من بعد صلوه العشاء».

و هذا نوع من الأدب الإسلامى،رغم قلّه الالتزام به مع كلّ الأسف.و رغم بيان القرآن ذلك بصراحه فى الآيات السابقه.فإنّه من النادر أن يتناوله الخطباء

و الكتّاب،و لا يعرف سبب إهمال هذا الحكم القرآنى الحاسم؟! و رغم أنّ ظاهر الآيه يوجب هذا الحكم،و حتى لو اعتبرناه مستحبا فإنّه ينبغى الحديث عنه،و بحث جزئياته و رغم تصور بعض السذج بأن الأطفال لا يدركون شيئا عن هذه الأمور،و أن خدم البيت لا يهتمون بها،فإنّ الثابت هو حساسيه الأطفال بالنسبه لهذه القضيه(فكيف بالنسبه للكبار).و قد يؤدى إهمال الوالدين و رؤيه الأطفال لمشاهد ممنوعه إلى انحرافهم خلقيا و أحيانا إلى إصابتهم بأمراض نفسيه.

و قد واجهنا أشخاصا اعترفوا بأنّهم أثيروا جنسيا،أو أصيبوا بعقد نفسيه لمشاهد جنسيه من هذا القبيل و قد شبّت فى قلوب البعض منهم نار الحقد على الوالدين،إلى درجه الرغبه فى قتلهما،أو الانتحار.كلّ ذلك بسبب الأثر الذى زرعه فى نفوسهم إهمال الوالدين،و عدم حيطتهم حين الممارسه الجنسيه أو مقدماتها.

هنا تتضح لنا قيمه و أهميه هذا الحكم الإسلامى الذى بلغه العلماء المعاصرون،بينما جاء به الإسلام قبل أربعه عشر قرنا. و هنا نجد لزاما علينا توصيه الآباء و الأمهات بالجديه فى الحياه الزوجيه،و تعليم أولادهم الاستئذان حين الدخول إلى غرفتهما،و اجتناب كلّ عمل قد يثير الأولاد و يحركهم.و من هذه الأعمال مبيت الزوجين بغرفه فيها أولاد بالغون،فيجب اجتناب ذلك بالقدر الممكن.و أن يعلما بأنّ هذه الأمور تؤثّر بشكل كبير فى مستقبل أولادهما.

و ممّا يلفت النظر

حديث للرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول فيه «إيّاكم و أن يجامع الرجل امرأته و الصبى فى المهد ينظر إليهما» (۱) .

۱- ۱) -بحار الأنوار،المجلد ۱۰۳،صفحه ۲۹۵.

٢-حكم الحجاب بالنسبه للنساء العجائز:

لا خلاف فی أصل هذا الاستثناء فی حکم الحجاب بین علماء المسلمین،لأنّ القرآن صریح فی هذا الأمر.إلاّ أنّ هناک أقوالا فی خصوصیات هذا الحکم.

فبالنسبه لعمر هؤلاء النسوه،و الحد الذی یجب أن یبلغنه لیکنّ من القواعد، هناک أقوال.فبعض الأحادیث الإسلامیه تنص علی أنّ المراد هو

«المسنّه». (١)

بینما فسرته أحادیث أخری ب

«القعود عن النکاح» (٢) .

و لکن عدد من المفسّرین یری أنّها تعنی«النساء اللواتی لا یطمئن،فیصلن إلی مرحله عدم الحمل.و لا یرغب أحد فی الزواج بهنّ» (٣) .

و یبدو أنّ جمیع هذه التعابیر تشیر إلی واقع محدد،هو بلوغهن سنا لا یتزوجن عاده. و قد یحدث نادرا أن یقدم بعضهن علی الزواج فی هذا العمر.

کما جاءت تعابیر مختلفه فی الأحادیث الإسلامیه حول المقدار من الجسم المسموح بکشفه،لأنّ القرآن الکریم ذکر المسأله بشکل عام فَلَیْسَ عَلَیْهِنَّ جُنٰاحٌ أَنْ یَضَعْنَ ثِیٰابَهُنَّ غَیْرَ مُتَبَرِّجٰاتٍ و یقصد بهذه الثیاب الملابس الفوقانیه.

و جاء فی بعض الأحادیث جوابا علی سؤال:أی الثیاب یجوز وضعها؟ یجیب الإمام الصادق علیه السّلام

«الجلباب» (۴) .

بینما ذکر حدیث آخر أنه

«الجلباب و الخمار» (۵) .

و یبدو أنّ هذه الأحادیث غیر متناقضه،و قصدها جواز الکشف عن رؤوسهن،و عدم تغطیه الشعر و الرقبه و الوجه.کما قالت أحادیث أخری-و قال فقهاء-بشمول الاستثناء إلی حدّ الرسغ.و لا سند لدینا یسمح بأکثر من ذلک.

ص:١۶٣

١- ١) -وسائل الشیعه،المجلد ١۴،کتاب النکاح،الباب ١١٠،الحدیث ۴.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۵.

۳- ۳) -الجواهر،المجلد ۲۹،صفحه ۸۵ و كنز العرفان،المجلد ۲،ص ۲۲۶.

۴- ۴) -وسائل الشيعه،كتاب النكاح،الباب ۱۱۰،الحديث ۱.

۵- ۵) -المصدر السابق،الحديث ۲ و ۴.

و علی کلّ حال،فإنّ ذلک مسموح لهنّ بشرط أن یکنّ غَیْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِینَهٍ و أن یخفین الزینه التی تحت الحجاب،و التی من الواجب إخفاؤها من قبل جمیع النساء،و أن لا یرتدین الملابس التی تنزین بها النساء،و التی تثیر انتباه الآخرین.

و بتعبیر آخر:إنّه مسموح لهنّ بعدم التحجب علی أن یخرجن إلی الشارع بلباس محتشم و دون تزین بزینه.

و هذا کلّه لیس حکما إلزامیا.إذ أنّ الأفضل لهن أن یخرجن محجبات کالنساء الأخریات،کما جاء فی آخر الآیه المذکوره،إذ هنّ معرضات إلی الزلل- و إن کان نادرا.

ص:۱۶۴

الآیه [سوره النور (۲۴): آیه ۶۱]

اشاره

لَيْسَ عَلَى اَلْأَعْمىٰ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلَى اَلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلَى اَلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبٰائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهٰاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوٰانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوٰاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمٰامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمّٰاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوٰالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خٰالاٰتِكُمْ أَوْ مٰا مَلَكْتُمْ مَفٰاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتٰاتاً فَإِذٰا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ مُبٰارَكَةً طَيِّبَةً كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ لَكُمُ اَلْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۶۱)

التّفسير

اشاره

البيوت التى يسمح بالأكل فيها:

تحدثت الآيات السابقه عن الاستئذان فى أوقات معينه،أو بشكل عام حين الدخول إلى المنزل الخاصّ بالأب و الأم.

أمّا الآيه موضع البحث فإنّها استثناء لهذا الحكم،حيث يجوز للبعض

ص :۱۶۵

و بشروط معینه،الدخول إلی منازل الأقرباء و أمثالهم،و حتّی أنّه یجوز لهم الأکل فیها دون استئذان،حیث تقول هذه الآیه أولا لَیْسَ عَلَی الْأَعْمیٰ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلَی الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلَی الْمَرِیضِ حَرَجٌ .

لأنّ أهل المدینه کانوا-کما ورد بصراحه فی بعض الأحادیث-و قبل قبولهم الإسلام،یمنعون الأعمی و الأعرج و المریض من المشارکه فی مائدتهم، و یتنفّرون من هذا العمل.

و علی عکس ذلک کانت مجموعه منهم بعد إسلامها،تفرد لمثل هؤلاء موائد خاصّه،لیس لاحتقارهم المشارکه معهم علی مائده واحده،و إنّما لأسباب إنسانیه،فالأعمی قد لا یری الغذاء الجید فی المائده،و هم یرونه،و یأکلونه،و هذا خلاف الخلق السلیم،و کذلک الأمر بالنسبه للأعرج و المریض،حیث یحتمل تأخرهما عن الغذاء،و تقدم السالمین علیهما.و لهذا کلّه لم یشارکوهم الغذاء علی مائده واحده. و لهذا کان الأعمی و الأعرج و المریض یسحب نفسه حتی لا یزعج الآخرین بشیء.و یعتبر الواحد منهم نفسه مذنبا إن شارک السالمین غذاءهم فی مائده واحده.

و قد استفسر من الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن هذا الموضوع،فنزلت الآیه السابقه التی نصّت علی عدم وجود مانع من مشارکه الأعمی و الأعرج و المریض للصحیح غذاءه علی مائده واحده. (۱)

و قد فسر آخرون هذه العباره باستثناء هذه الفئات الثلاث من حکم الجهاد، أو أنّ القصد أنّه مسموح لکم استصحاب العاجزین معکم إلی الأحد عشر بیتا التی أشارت إلیها الآیه فی آخرها،لیشارکوکم فی غذائکم.

إلّا أن هذین التفسیرین-کما یبدو-بعیدان عن قصد الآیه،و لا ینسجمان مع

۱- ۱) -ذکرت هذا التّفسیر أیضا،التفاسیر التالیه«الدر المنثور»و«نور الثقلین»و«مجمع البیان»و«الصافی»و«التّفسیر الکبیر» و«التبیان».

ظاهرها.(فتأملوا جيدا).

ثمّ يضيف القرآن المجيد وَ لاَ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ .

و المقصود بعباره بيوتكم الأبناء أو الزوجات.

أَوْ بُيُوتِ آبائِكُمْ

.

أَوْ بُيُوتِ أُمَّهاتِكُمْ

.

أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ

.

أَوْ بُيُوتِ إِخْوانِكُمْ

.

أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ

.

أَوْ بُيُوتِ عَمّاتِكُمْ

.

أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ

.

أَوْ بُيُوتِ خالاتِكُمْ

.

أَوْ ما مَلَكْتُمْ مَفاتِحَهُ

.

أَوْ صَدِیقِکُمْ

.

بالطبع فإنّ هذا الحکم له شروط و إیضاحات سیأتی ذکرها فی آخر تفسیر الآیه.

ثمّ تضیف الآیه لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَأْکُلُوا جَمِیعاً أَوْ أَشْتٰاتاً .

ذکر أنّ مجموعه من المسلمین کانوا یمتنعون عن الأکل منفردین،بل کانوا یبقون جیاعا لمدّه حتی یجدوا من یشارکهم غذاءهم،فعلمهم القرآن المجید أن تناول الغذاء مسموح بصوره جماعیه أو فردیه. (1)

و یری البعض:إنّ مجموعه من العرب کانت تقدم غذاء الضیف علی حده احتراما له،و لا یشارکونه الغذاء(حتی لا یخجل أثناء تناوله الطعام).

1- 1) -تفسیر التبیان،للآیه موضع البحث.

لقد رفعت الآیه المذکوره هذه التقالید و اعتبروا غیر محموده (1) .

و قال آخرون:إنّ البعض کان یری عدم جواز تناول الأغنیاء الغذاء مع الفقراء،و المحافظه علی الفروق الطبقیه حتی علی مائده الطعام.لهذا نفی القرآن المجید هذا التقلید الخاطئ و الظالم بذکره العباره السابقه. (2)

و لا مانع من احتواء الآیه السابقه لکلّ هذه المعانی.

ثمّ تشیر الآیه إلی أحد التعالیم الأخلاقیه فتقول: فَإِذٰا دَخَلْتُمْ بُیُوتاً فَسَلِّمُوا عَلیٰ أَنْفُسِکُمْ تَحِیَّهً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُبٰارَکَهً طَیِّبَهً و اختتمت بهذه العباره کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمُ الْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ .

و قال بعض المفسّرین:إنّ المقصود من عباره«بیوتا»فی هذه الآیه،هی البیوت الأحد عشره المذکوره سابقا.

و قال آخرون:إنّها المساجد.

و لکن یبدو أنها عامّه،تشمل جمیع البیوت،سواء الأحد عشر بیتا التی یجوز للمرء الأکل فیها،أو غیرها کبیوت الأصدقاء و الأقرباء.حیث لا یوجد دلیل علی تضییق المفهوم الواسع لهذه الآیه.

و لکن ما هو المقصود من عباره فَسَلِّمُوا عَلیٰ أَنْفُسِکُمْ ؟ نجد هنا عددا من التفاسیر:حیث یری البعض من المفسّرین أنّه سلام البعض علی البعض،مثلما جاء فی قصّه بنی إسرائیل(سوره البقره الآیه ۵۴) فَاقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ .

و رأی آخرون أنّه یعنی السّلام علی الزوجه و الأبناء و الأهل،حیث هم بمنزله النفس،لهذا استخدمت الآیه تعبیر«الأنفس»،کما جاء هذا التعبیر أیضا فی آیه المباهله(سوره آل عمران الآیه ۶۱).و هذا یبیّن لنا أن قرب الشخص من

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآخر قد يصل إلى درجه أنّه يكون كنفسه،أي يكونان كنفس واحده،مثلما كان عليّ عليه السّلام من الرّسول محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و يرى بعض المفسّرين أنّ الآيه السابقه أشارت إلى بيوت لم يسكنها أحد، حيث يحيى المرء نفسه عند دخولها فيقول:السّلام عليكم من قبل ربّنا.أو:السّلام علينا و على عباد اللّه الصالحين.و نرى عدم وجود تناقض بين هذه التفاسير.حيث يجب السّلام عند الدخول إلى أيّ منزل كان،و يجب أن يسلم المؤمنون بعضهم على بعض،و يسلّم أهل المنزل أحدهم على الآخر.و أمّا إذا لم يجد أحدا فى المنزل فيحيى المرء نفسه،حيث تعود هذه التحيات بالسلامه على الإنسان ذاته.

لهذا نقرأ

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام يجيب فيه على سؤال يخصّ تفسير هذه الآيه فيقول: «هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثمّ يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم». (1)

و

فى حديث عن الباقر عليه السّلام أيضا،يقول فيه: «إذا دخل الرجل منكم بيته فإنّ كان فيه فليسلم عليه،و إن لم يكن فيه أحد فليقل:السّلام علينا من عند ربّنا،يقول اللّه عزّ و جلّ«تحيّه من عند اللّه مباركه طيبه» (2) .

بحوث

اشاره

1-هل أن تناول غذاء الآخرين غير منوط بإذنهم؟

كما شاهدنا فى الآيه السابقه،أنّ اللّه تعالى سمح أن يأكل الإنسان فى بيوت أقربائه المقرّبين و بعض الأصدقاء و أمثالهم،و أصبح عدد هذه البيوت أحد عشر بيتا.و لم تشترط الآيه استئذانهم لتناول الطعام،و لا شك فى عدم وجوب

1- 1) -نور الثقلين،المجلد الثالث،ص 627.

2- 2) -المصدر السابق.

الاستئذان.إذ أنّ بوجود الإذن بالأكل يمكن تناول الغذاء العائد لأی شخص، و بذلک لا تبقی میزه لهذه المجموعه المؤلفه من أحد عشر بیتا.

فهل یشترط توفر الرضی القلبی یتناول الغذاء«و کما یقال من شاهد الحال».

بسبب الصله الوثیقه بین الطرفین إن ظاهر اطلاق الآیه ینفی هذا الشرط،إذ یکفی احتمال حصول رضاه فقط و عاده یحصل الرضی.

أمّا إذا کانت الحاله تؤکّد عدم رضی صاحب الطعام فی تناول غذاءه، فبالرغم من اطلاق الآیه و شمولها لهذا المورد أیضا،إلّا أنّه لا یبعد انصراف الآیه عن هذا المورد،و خاصّه أنّ مثل هذا المورد نادر الوقوع،و من المعلوم أنّ الإطلاقات لا تشمل الأفراد النادره.

و علی هذا فإنّ الآیه المذکوره تخصص الآیات و الرّوایات التی تشترط فی التصرف بأموال الآخرین إحراز رضاهم فی دائره محدوده.و تکرر القول بأن هذا التخصیص.فی نطاق محدد،أی تناول الغذاء بمقدار الحاجه تناولا بعیدا عن الإسراف.

و الذی ذکرناه متعارف علیه بین کبار فقهائنا.و جاء بعضه بصراحه فی الأحادیث الإسلامیه،حیث ذکر روایه معتبره

عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال عند الاستفسار منه عباره«أو صدیقکم» الوارد فی هذه الآیه

قال علیه السّلام: «هو و اللّه الرجل یدخل بیت صدیقه فیأکل بغیر إذنه» (1) .

کما ذکرت أحادیث أخری بهذا المضمون،أکّدت أنّه لا یشترط الاستئذان فی هذه الحالات.(و بالطبع لا یوجد خلاف بین الفقهاء حول عدم جواز الأکل من غذاء الآخرین دون استئذان،الذی نهت عنه الآیه بصراحه مع العلم بهذا النهی.

لهذا أهملت الآیه السابقه ذکره).

۱- ۱) -وسائل الشیعه،المجلد ۱۶،صفحه ۴۳۴،کتاب الأطعمه و الأشربه-أبواب آداب المائده-الباب ۲۴ الحدیث ۱.

و حول عبارتی«عدم الإفساد»و«عدم الإسراف»فقد صرحت بعض الأحادیث بذلک أیضا (۱) .

و لا بـد من الإشاره إلی أنّه ورد حـدیث فی هـذا الباب یقول بأنّه یمکن الاسـتفاده فقط من غـذاء خاص و لیس أیّ غذاء،إلاّ أنّ الفقهاء أعرضوا عن هذا الحدیث لضعف سنده.

و اسـتثنی بعض المفسّـرین الأـطعمه الممتازه التی یحفظها صاحب المنزل لنفسه،أو لضـیوفه المقربین،أو لمناسـبات خاصّه.و هـذا الاستثناء غیر بعید،بسبب انصراف الآیه عنه (۲) .

۲-فلسفه هذا الحکم الإسلامی:

یمکن أن یثیر هـذا الحکم تساؤلاـ بالمقـارنه مع الأحکـام الشدیـده التی نصت علیهـا التعالیم فی تحریم الغصب،هو:کیف سـمح الإسـلام بـذلک،رغم تشدیـده فی قضـیه التصـرف بـأموال الآـخرین؟! إنّنـا نری أنّ هـذا السؤال ینسـجم مع طبیعه البیئات المادیه تماما،کالمجتمع الغربی،حیث یطرد الأبناء من المنزل حین البلوغ!و لا یهتمون بالوالدین حین إصابتهم بالعجز أو الشیخوخه!حیث نشاهـد الأبناء هناک،لا یثمنون أتعاب الوالـدین و لا یشـفقون علیهما،بسـبب تسـلط التفکیر المادی علی العلاقات الاجتماعیه فی الغرب!و لاـ خبر هنـاک عن العـاطفه الإنسـانیه و الشـفقه! إلاـ أنّ التعالیم الإسـلامیه و العواطف الإنسانیه التی تمتـد جـذورها فی المجتمع الإسلامی،خاصّه بین الأهل و الأقرباء و الأصدقاء،قد میّزت المجتمع الإسلامی عن المجتمع الغربی.

۱- ۱) -المصدر السابق،الحدیث ۴.

۲- ۲) -لإیضاح أکثر یراجع جواهر الکلام المجلد ۳۶،صفحه ۴۰۶،(کتاب الأطعمه و الأشربه).

و الواقع أنّ الإسـلام جعـل علاقـات الأقربـاء و الأصـدقاء أسـمى من الأمور الماديه،و هـذا يعكسه الصـفاء و الود اللـذان يسودان المجتمع الإسلامى الحقيقى، حيث يبتعد أفراد هذا المجتمع عن الصفات غير المحموده كالبخل و حب الذات.

و لا ريب أن أحكام الغصب تكون نافـذه فى غير هـذه الـدائره.و لكن الإسـلام فى داخل هـذه الـدائره يفضل القضايا العاطفيه و الروابط الإنسانيه،فهى التى ينبغى أن تسود العلاقات بين الأقرباء و الأصدقاء جميعا.

۳-من هو الصديق؟

لا شك أنّ للصداقه مفهوما واسعا،و هى تعنى هنا بالتأكيد الأصدقاء الخاصين الذين تربطهم علاقات وثيقه،و هذه العلاقه توجب التزاور فيما بينهم و الأكل من طعام الآخر،و لا حاجه هنا-كما أسلفنا-إلى إحراز الرضا،بل يجوز الأكل بمجرّد عـدم العلم بعـدم رضا صاحب الغذاء.

لهذا قال بعض المفسّرين حول هذه الآيه:الصديق هو الذى يصدق فى علاقاته معك.

و قيل:الصديق هو الذى يصدّق ظاهره باطنه و كما يبدو فإن الجميع يشيرون إلى حقيقه واحده.

و يتّضـح من هـذه العباره أنّ الـذى لا يسـمح بمشاركه صـديقه لغذائه،لا يمكن اعتباره صديقا! و من المناسب هنا أن نقرأ حديثا عن الإمام الصادق عليه السّلام ضمّ مفهوم الصداقه الواسع و شروطها الكامله:

«لا تكون الصـداقه إلّا بحـدودها،فمن كانت فيه هـذه الحدود أو شـىء منها فأنسـبه إلى الصداقه،و من لم يكن فيه شـىء منها فلا تنسبه إلى شىء من الصداقه.

فأوّلاها:أن تكون سريرته و علانيته لك واحده.

و الثّانی:أن یری زینک زینه و شینک شینه.

و الثّالثه:أن لا تغیره علیک ولایه و لا مال.

و الرّابعه:أن لا تمنعک شیئا تناله مقدرته.

و الخامسه:و هی تجمع هذه الخصال أن لا یسلمک عند النکبات». (۱)

۴-تفسیر عباره مٰا مَلَکْتُمْ مَفٰاتِحَهُ

جاء فی بعض أسباب النّزول أنّ المسلمین فی صدر الإسلام کانوا یسلمون أحیانا مفاتیح منازلهم إلی الذین لا یشملهم الجهاد.حین توجههم إلی الجهاد فی سبیل اللّه.و کانوا یسمحون له بتناول الطعام من هذه المنازل،إلاّ أنّ هؤلاء کانوا یمتنعون من الأکل فی هذه المنازل خوفا من ارتکاب إثم فی ذلک.

و حسب هذه الروایه فإنّ المراد من عباره مٰا مَلَکْتُمْ مَفٰاتِحَهُ هو ما ذکرنا. (۲)

و روی عن ابن عباس أیضا أن قصد الآیه هو وکیل الشخص علی ما یملکه من ماء و بستان و مواشی،حیث سمح له بتناول الفاکهه من بستان الموکّل بقدر حاجته و الشرب من حلیب ماشیته.

کما فسّر آخرون ذلک بحارس المخزن الذی یسمح له بتناول قلیل من المواد الغذائیه الموجوده فی هذا المخزن.

و مع ملاحظه سائر المجموعات التی ورد ذکرها فی هذه الآیه،یبدو أنّها تقصد الذین یسلمون مفاتیح منازلهم لأشخاص مؤثقین و مقربین لهم،و هذا التقارب الوثیق بینهما یؤدی إلی أن یکونوا فی صف الأقرباء و الأصدقاء المقرّبین،و سواء کان وکیلا رسمیا أم لا.

۱- ۱) -أصول الکافی،المجلد الثانی،صفحه ۴۶۷.

۲- ۲) -تفسیر القرطبی،المجلد الثّانی عشر،ص ۳۱۵(و جاء فی وسائل الشیعه المجلد السادس عشر،صفحه ۴۳۶،الباب ۲۴ من أبواب المائده حدیث بهذا المضمون).

و إذا لاحظنا أنّ بعض الأحاديث تفسر عباره مٰا مَلَكْتُمْ مَفٰاتِحَهُ بالوكيل الذى يتعهد بالإشراف على أموال شخص آخر،فإنّ ذلك مصداق للآيه و ليس لتحديد معناها و حصرها بهذا التّفسير.

۵-السّلام و التحيه

«التحيه»مشتقّه من الحياه،بمعنى الدعاء لسلامه الآخرين،سواء كانت بشكل السّلام عليكم،أو السّلام علينا،أو قولا كحيّاك اللّه،فكل هذا إعراب عن المحبه التى يبديها الشخص عند لقائه بآخر،و تدعى بالتحيه.

و يقصد بعباره تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُبٰارَكَةً طَيِّبَةً .ربط التحيه باللّه بشكل ما، أى«السّلام عليكم»،سلام اللّه عليكم،أو نسأل اللّه أن يسلمكم،إذ أن كل موحّد يرى ربط الدعاء باللّه،و طبيعى أنّ الدعاء بهذا الشكل يكون مباركا و طيبا.(تناولنا بحث السّلام و أهميته و وجوب الردّ على التحيه،فى تفسير الآيه ۸۶ من سوره النساء).

ص: ۱۷۴

الآیات [سوره النور (۲۴): الآیات ۶۲ الی ۶۴]

اشاره

إِنَّمَا اَلْمُؤْمِنُونَ اَلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا کانُوا مَعَهُ عَلی أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ یَذْهَبُوا حَتّی یَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ اَلَّذِینَ یَسْتَأْذِنُونَکَ أُولئِکَ اَلَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوکَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اَللّهَ إِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۶۲) لا تَجْعَلُوا دُعاءَ اَلرَّسُولِ بَیْنَکُمْ کَدُعاءِ بَعْضِکُمْ بَعْضاً قَدْ یَعْلَمُ اَللّهُ اَلَّذِینَ یَتَسَلَّلُونَ مِنْکُمْ لِواذاً فَلْیَحْذَرِ اَلَّذِینَ یُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِیبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ یُصِیبَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۶۳) أَلا إِنَّ لِلّهِ ما فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ قَدْ یَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَیْهِ وَ یَوْمَ یُرْجَعُونَ إِلَیْهِ فَیُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَ اَللّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۶۴)

سبب النّزول

ذکرت عده أسباب لنزول الآیه الأولی من الآیات أعلاه،فقد جاء فی بعض الأحادیث أنّ هذه الآیه نزلت فی«حنظله بن أبی عیاش»الذی صادف زواجه لیله معرکه أحد،و کان الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یشاور أصحابه حول هذه المعرکه،فجاءه

ص: ۱۷۵

حنظله يستأذنه المبيت عند زوجته،فأجازه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قد بكّر حنظله للالتحاق بصفوف المسلمين،و كان على عجل من أمره بحيث لم يتمكن من الاغتسال.و دخل المعركه على هذه الحال،و قاتل حتى قتل فى سبيل اللّه.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه «رأيت الملائكه تغسل حنظله بماء المزن فى صحائف فضه بين السماء و الأرض».

لهذا سمى حنظله بعدها ب«غسيل الملائكه» (۱) .

و ذكر سبب آخر لنزول هذه الآيه حيث«روى ابن إسحاق»فى سبب نزول هذه الآيات أنّه لما سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بتجمع قريش و الأحزاب على حربه-و ما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينه.فعمل فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ترغيبا للمسلمين فى الأجر،و عمل معه المسلمون فيه فدأب و دأبوا،و أبطأ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين لا ينجزون إلّا اليسير من العمل،أو يتسللون إلى أهليهم بغير علم رسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا إذنه،و جعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبه من الحاجه التى لا بدّ منها،يذكر ذلك لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يسأله فى اللحوق بحاجته فيأذن له.

فإذا قضى حاجته،رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبه فى الخير و احتسابا له، فأنزل اللّه تعالى فى أولئك المؤمنين إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ... الآيه،ثمّ قال تعالى يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل و يذهبون بغير إذن من النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لاٰ تَجْعَلُوا دُعٰاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ... الآيه (۲) .

ص: ۱۷۶

۱- ۱) -تفسير على بن إبراهيم،حسبما نقله تفسير نور الثقلين،المجلد الثالث،صفحه ۶۲۸.

۲- ۲) -فى ظلال القرآن-طبعه دار إحياء الكتب العربيه-الجزء السابع عشر،ص ۱۲۶.

التّفسير

اشاره

لا تتركوا النبيّ وحده!

قال بعض المفسّرين حول علاقه هذه الآيات بسابقتها،و فيهم المرحوم «الطبرسى»فى مجمع البيان«و سيد قطب»فى تفسير فى ظلال القرآن:بما أنّ الآيات السابقه طرحت للبحث جانبا من أسلوب التعامل مع الأصدقاء و الأقرباء.

فإنّ الآيات موضع البحث تناولت كيفيه تعامل المسلمين مع قائدهم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قد أكّدت التزام الوقار أمامه،و طاعته و عدم ترك الجماعه إلاّ بإذنه.

و يمكن أيضا أنّ الآيات السابقه تحدثت عن ضروره طاعه اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و من علائم طاعته عدم تركه أو القيام بعمل ما دون إذن منه،لهذا تحدثت الآيات-موضع البحث-حول هذا الموضوع.فتقول أوّلا: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذٰا كٰانُوا مَعَهُ عَلىٰ أَمْرٍ جٰامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّٰى يَسْتَأْذِنُوهُ .

و المراد من«أمر جامع»كلّ عمل يقتضي اجتماع الناس فيه و يتطلب تعاونهم،سواء كان عملا استشاريا،أو مسأله حول الجهاد و مقاتله العدو،أو صلاه جمعه فى الظروف الاستثنائيه و أمثالها.

و إذا وجدنا أنّ بعض المفسّرين،قالوا بأنّه يعنى الاستشاره أو الجهاد أو صلاه الجمعه أو العيد فنقول:إنّهم عكسوا جانبا من معانى هذه الآيه.و أسباب النّزول السابقه أيضا هى من مصاديق هذا الحكم العام.

و فى الحقيقه إنّ هذا من شروط النظم و التنظيم و لا يمكن لأيه مجموعه منظمه منسجمه أن تهمله،فغياب شخص واحد قد تترتب عليه صعوبات و يلحق ضررا بالهدف النهائى،خاصّه إذا كان قائد الجماعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كلامه مطاع.

كما يجب الانتباه إلى أنّ الإذن لا يعنى الاستئذان الشكلى لقضاء الشخص أعماله الخاصّه و التفرغ لتجارته.و إنّما أن يكون صادقا فى الاستئذان.فإذا وجد القائد أن غياب هذا الشخص يلحق ضررا،فمن حقه أن لا يأذن له،و عليه أن

يضحى بمصلحته من أجل هدف أسمى.لهذا تضيف الآيه: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَکَ أُولٰئِکَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوکَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ .

و من الواضح أنّ هؤلاء المؤمنين لا يستأذن أحدهم لعمل بسيط فى حين أنّهم اجتمعوا لأمر أهم،و المقصود من عباره«شأنهم»،الأعمال الضروريه و المهمّه فقط.

و من جهه أخرى،لا تعنى إذن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للأشخاص دون دراسه جوانب المسأله و أثر حضور و غياب الأفراد،بل جاء هذا التعبير ليطلق يد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أن لا يأذن لأحد حين إحساسه بضروره حضوره فى الجماعه.

و دليل هذا الكلام ما جاء فى الآيه(۴۳)من سوره التوبه حيث يلام الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لإذنه بعض الأفراد: عَفَا اللّٰهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَکَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْکٰاذِبِينَ .

و تبيّن هذه الآيه كيف أوجبت على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التحقيق قبل الإذن،و أن يلاحظ أبعاد هذه المسؤوليه الإلهيه.

و تقول الآيه فى الختام: وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

و هنا يطرح سؤال:ما الغرض من هذا الاستغفار؟فهل هم مذنبون رغم أخذهم الإذن من الرّسول بالمغادره،كى يحتاجوا إلى استغفاره لهم؟ و للجواب على هذا السؤال هناك وجهان:

أحدهما:أن يستغفر لهم تنبيها على أنّ الأولى أن لا يقع الاستئذان منهم و إن أذن لهم،لأن ذلك يعتبر تقديم الشخص لمصلحته الخاصّه على مصلحه المسلمين، و لا يخلو هذا الأمر من«الترک الاولى»و لذا يحتاج الى الاستغفار(كالاستغفار

على عمل مكروه). (۱)

كما تبيّن هذه العباره ضروره عدم الاستئذان بالقدر الممكن.و اتباع التضحيه و الإيثار حتى لا يتورطوا بارتكاب عمل تركه أولى كمغادره الجماعه لعمل بسيط.

و الوجه الثاني:يحتمل أنّه تعالى أمره بأن يستغفر لهم مقابله لتمسّكهم بآداب اللّه تعالى فى الاستئذان. (۲)

و لكن نرى عدم وجود تناقض بين هذين الوجهين،كما أنّه من الطبيعى أن لا تخصّ هذه التعاليم التنظيميه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه فقط.و إنّما هى واجبه الإتباع إزاء كلّ قائد إلهى،سواء كان نبيا أم إماما أم عالما نائبا لهما،حيث يتوقف مصير المسلمين على هذه الطاعه.كما يحتمه-إضافه إلى القرآن-العقل و المنطق،لأنّ الاستمرار التنظيم يتوقف على رعايه هذه المبادئ،و لا يمكن إداره المجتمع بدونها.

و المدهش تفسير كبار مفسّرى أهل السنه لهذه الآيه بأنّها دليل على جواز الاجتهاد و توقف الحكم على رأى المجتهد.و لا يخفى أنّ الاجتهاد المطروح فى مباحث الأصول و الفقه يخص الأحكام الشرعيه،و لا يتعلق بالاجتهاد فى الموضوعات حيث أنّ الاجتهاد فى الموضوع لا يقبل الإنكار،فكل قائد جيش أو مدير دائره أو مشرف على جماعه يجتهد فى القضايا الإجرائيه الخاصّه بدائره عمله. و ليس هذا دليلا على إمكان الاجتهاد فى الأحكام الشرعيه العامّه بإيجاب حكم بدعوى المصلحه العامّه،أو نفى حكم أو تشريع آخر.

ثمّ بيّنت الآيه التاليه حكما آخر له علاقه بتعاليم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث

۱- ۱) -التّفسير الكبير للفخر الرازى،و روح المعانى،و تفسير القرطبى للآيات موضع البحث.
۲- ۲) -التّفسير الكبير للفخر الرازى-فى تفسيره للآيه موضع البحث صفحه ۳۹ من طبعه دار الكتب العلميه بطهران-الطبعه الثّانيه.

تقول: لاٰ تَجْعَلُوا دُعٰاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعٰاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً .

إن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما يدعوكم للاجتماع،فإنه لا بدّ من أن يكون لمسأله إلهيه مهمّه،لهذا يجب عليكم الاهتمام بدعوته،و الالتزام بتعاليمه،و ألاّ تهملوها، فأمره من اللّه و دعوته منه سبحانه و تعالى.

ثمّ تضيف الآيه قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوٰاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخٰالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَهٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ .

«يتسللون»مشتقّه من«تسلل»،و تعنى سحب الشيء من موضعه،كأنّ يقال:

سلّ السيف من غمده.كما يطلق على الذين يفرون سرّا من مكان تجمع محدد لهم، كلمه«متسللون».

«لواذا»مشتقّه من«ملاوذه»بمعنى الاختفاء،و تعنى هنا اختفاء البعض وراء البعض أو خلف جدار،أو بتعبير آخر:استغفال الآخرين ثمّ الفرار من مكان تجمعهم،و هذا ما كان يقوم به المنافقون حينما يوجه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الدعوه للجهاد أو لأمر مهم آخر،يقول لهم القرآن المجيد: «إنّ عملكم النفاقى هذا إن خفى على الناس فإنّه لا يخفى على اللّه،و سيعاقبكم على هذه الأعمال و مخالفتكم لاوامر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الدنيا و الآخره».

ماذا يقصد به«فتنه»هنا؟قال بعض المفسّرين:إنّها القتل،و آخرون قالوا:إنّها تعنى الضلال،كما قال بعضهم:إنّها السلطان الظالم،و قيل:إنّها بلاء النفاق الذى يتوغل فى قلب الإنسان.

كما يحتمل أن تعنى الفتنه الفتن الاجتماعيه و مشاكلها،و أن يسود الهرج و المرج فى المجتمع،و ابتلائه بالهزيمه،و سائر الفتن الاخرى التى يبتلى بها المجتمع فى حاله عصيانه أوامر قائده.

و على كلّ حال فالفتنه ذات مفهوم واسع يضمّ جميع هذه الأمور و غيرها، مثلما يضمّ العذاب الأليم عذاب الدنيا أو عذاب الآخره أو كليهما.

و ممّا يجب الانتباه إليه فى تفسير الآيه محل البحث وجود احتمالين إضافه إلى ما ذكرناه هما:

الأوّل:أنّ القصد من قوله تعالى: لاٰ تَجْعَلُوا دُعٰاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعٰاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً أنّكم عند ما تدعو النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فينبغى أن تدعوه بأدب و احترام يليق بمنزلته،و ليس كما تدعون بعضكم بعضا،و السبب يكمن فى أنّ جماعه من المسلمين لم يتعلموا-بعد-الآداب الإسلاميه فى التعامل مع الآخرين،فكانوا ينادون الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعباره:يا محمّد!و هذا لا يليق بنداء قائد إلهى كبير.

و تستهدف الآيه تعليم الناس أن يدعوا الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعبارات رزينه و بأسلوب مؤدب،كأن يدعوه:يا رسول اللّه،أو:يا نبىّ اللّه.

و هذا التّفسير ورد فى بعض الرّوايات أيضا إلاّ أنّه لا ينسجم مع ظاهر الآيه التى تحدثت عن الاستجابه لدعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وجوب عدم الغياب عن الجماعه دون استئذان منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلاّ أن نقول: إن كلا المعنيين مقصودان للآيه واحده،و أن مفهوم الآيه شامل للتفسيرين الأوّل و الثّانى.

و الآخر:و يبدو أنّه ضعيف جدّا،و هو ألاّ تجعلوا دعاء النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أحد الأشخاص و لعنه له كدعاء بعضكم على بعض (۱) ،لأنّ دعاء و لعن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يتمّ وفق حساب دقيق و خاضع للتعاليم الإلهيه،و هو نافذ حتما.

و لكن ليس لهذا التّفسير علاقه بأوّل الآيه و نهايتها،و لم يرد حديث إسلامى خاصّ به،و لهذا السبب لا يمكن قبوله.

و تجدر الإشاره إلى أنّ علماء الأصول فسّروا عباره فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخٰالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ بأنّ أوامر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تدل على الوجوب،إلاّ أنّ هذا الاستدلال فيه نواقص أشير إليها فى علم الأصول.

۱- ۱) -لقد جاء بعد كلمه الدعاء«لام»فإنّها تعنى الابتهال و الدعاء،أمّا إذا جاء الحرف«على»فإنّها تعنى الدعاء على شخص لغير صالحه،و إذا افتقدت الجمله أى من هذين الحرفين فيحتمل أن تتضمّن العباره المعنيين.

و آخر آيه من الآيات موضع البحث،-و التى هى آخر سوره النور-إشاره بليغه إلى قضيه المبدأ و المعاد التى تعتبر دافعا لامتثال التعاليم الإلهيه جميعا، و ضمان لتنفيذ جميع الأوامر و النواهى،و منها التى وردت فى هذه السوره حيث تقول: أَلاٰ إِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

فإنّ اللّه العالم بكلّ شىء قَدْ يَعْلَمُ مٰا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أى يعلم أسلوبكم فى التعامل و أعمالكم و اعتقادكم و مقاصدكم،فكلّها واضحه له سبحانه و تعالى. و ثابته فى لوحه علمه وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا و يجازيهم بها وَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .

و ممّا يلفت النظر تأكيد الآيه ثلاث مرات على علم اللّه بأعمال البشر.ليشعر الإنسان أنّه مراقب بشكل دائم،و لا يخفى على اللّه شىء من أعمال هذا الإنسان أبدا.و لهذا الإعتقاد أثره التربوى الكبير و يضمن سيطره الإنسان على نفسه إزاء الانحرافات و الذنوب.

إلهى،نوّر قلوبنا بنور العلم و الإيمان،و قوّ مشكاه وجودنا للمحافظه على هذا الإيمان،لنجتاز صراطك المستقيم الذى سار عليه أنبياؤك لكسب رضاك، و لتحفظنا بلطفك من كل انحراف.

ربّياه،نوّر أبصارنا بنور العفه،و قلوبنا بنور المعرفه،و أرواحنا بنور التقوى، و نور وجودنا كله بنور الهدايه،و احفظنا من التيه و الغفله،و أعذنا من وساوس الشيطان.

إلهى،وطّد أركان حكومه العدل الإسلامى من أجل تنفيذ حدودك،و احفظ مجتمعنا من الزلل و السقوط فى هاويه الرذيله،إنك على كل شىء قدير.

نهايه سوره النور

سوره الفرقان

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها سبع و سبعون آیه

ص :۱۸۳

محتوى سوره الفرقان:

هذه السوره بحكم كونها من السور المكيه (۱) ،فإن أكثر ارتكازها على المسائل المتعلقه بالمبدأ و المعاد،و بيان نبوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المواجهه مع الشرك و المشركين،و الإنذار من العواقب الوخيمه للكفر و عباده الأصنام و الذنوب.

و تتألف هذه السوره فى مجملها من ثلاثه أقسام:- القسم الأوّل:الذى يشكل مطلع هذه السوره،يدحض منطق المشركين بشدّه، و يستعرض ذرائعهم،و يردّ عليها،و يخوفهم من عذاب اللّه،و حساب يوم القيامه، و عقوبات جهنم الأليمه،و يذكّرهم بمقاطع من قصص الأقوام الماضيه الذين افترستهم على أثر مخالفتهم لدعوه الأنبياء-الشدائد و البلايا و العقوبات،و ذلك على سبيل الدرس و العبره لهؤلاء المشركين المعاندين.

فى القسم الثانى:لأجل إكمال هذا البحث،تبحث الآيات بعض دلائل التوحيد و مظاهر عظمه اللّه فى الأكوان،بدءا من ضياء الشمس إلى ظلمه و عتمه الليل،و هبوب الرياح،و نزول الأمطار،و إحياء الأراضى الموات،و خلق السماوات و الأرضين فى سته أيّام،و خلق الشمس و القمر، و سيرهما المنظم فى الأفلاك السماويه،و ما شابه ذلك.

۱- ۱) -يصر بعض المفسّرين على أن ثلاث آيات من هذه السوره(۶۸،۶۹،۷۰)نزلت فى المدينه،و لعل ذلك لأنّ أحكاما مثل قتل النفس و الزنا،شرّعت فى هذه الآيات،فى حين أن التدقيق فى الآيات التى قبلها و التى بعدها،يكشف جيدا عن أنّ السياق واحد متصل و منسجم تماما حول عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ و بيان أوصافهم،لذا فالظاهر أن السوره نزلت كلها فى مكّه.

فالقسم الأوّل فی الحقیقه-یحدد مفهوم(لا إله)،و القسم الثّانی یحدد مفهوم (إلاّ اللّه).

القسم الثالث:مختصر جذاب جدّا،و جامع لصفات المؤمنین الحقیقیین (عباد الرحمن)و عباد اللّه المخلصین،فی مقایسه مع الکفار المتعصبین الـذین ذکروا فی القسم الأوّل،فتتحـدد منزله کـل من الفریقین تماما.کمـا أنّنـا سـنری أنّ هـذه الصـفات مجموعه من الاعتقادیات و الأعمال الصالحه و مکافحه الشهوات، و امتلاک الوعی الکافی،و الإحساس و الالتزام بالمسؤولیه الاجتماعیه.

و اسم هذه السوره قد أخذ من آیتها الأولی،التی تعبر عن القرآن ب«الفرقان»(الفاصل بین الحق و الباطل).

فضیله سوره الفرقان:

ورد فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن«من قرأ سوره الفرقان(و تدبّر فی محتواها و عمل بما ورد فیها)بعث یوم القیامه و هو مؤمن أن الساعه آتیه لا ریب فیها،و أن اللّه یبعث من فی القبور». (1) (أی مؤمن بأن الساعه...) و

نقـل فی حـدیث آخر عن إسـحاق بن عمار عن الإمام أبی الحسن موسـی بن جعفر علیه السّـلام أنّه قال له: «یا ابن عمار،لا تـدع قراءه سوره تَبَارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَی عَبْدِهِ فـإن من قرأهـا فی کـل لیله لم یعـذبه اللّه أبـدا،و لم یحاسـبه، و کان منزله فی الفردوس الأعلی». (2)

کمـا أننا سـنری-فی تفسـیر هـذه السوره-أن کلّ من تلا بحق صـفات عباد اللّه المخلصـین المبیّنه فی السوره کما هی،و امتزجت بقلبه و روحه،و بنی صفاته أعماله طبقا لها فإنّ منزله الفردوس الأعلی.

1- 1) -مجمع البیان آخر الآیه مورد البحث.

2- 2) -ثواب الأعمال للصدوق،طبقا لنقل نور الثقلین،ج 4،ص 2.

الآیتان [سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۱ الی ۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ تَبٰارَكَ اَلَّذِي نَزَّلَ اَلْفُرْقٰانَ عَلىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰالَمِينَ نَذِيراً (۱) اَلَّذِي لَهُ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي اَلْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (۲)

التّفسیر

اشاره

المقیاس الأعلی للمعرفه:

تبدأ هذه السوره بجمله«تبارک»من ماده«برکه»،و نعلم أنّ الشیء ذو برکه، عباره عن أنّه ذو دوام و خیر و نفع کامل.یقول تعالی: تَبٰارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقٰانَ عَلیٰ عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعٰالَمِینَ نَذِیراً . (۱)

الملفت للانتباه أنّ ثبوت البرکه لذات الخالق عزّ و جلّ بواسطه نزول الفرقان، یعنی أنّه أنزل قرآنا فاصلا بین الحق و الباطل،و هذا یدل علی أن أعظم الخیر و البرکه هی أن یمتلک الإنسان بیده وسیله المعرفه-معرفه الحق من الباطل.

و هنا وقفه مهمّه أیضا،و هی أنّ کلمه«الفرقان»وردت بمعنی«القرآن»تاره، و تاره بمعنی معجزات ممیزه للحق من الباطل،و وردت بمعنی«التوراه»تاره

ص: ۱۸۷

۱- ۱) -ورد شرح کلمه«البرکه»فی ج ۵،آخر الآیه(۵۴)من سوره الأعراف،شرح اصل«البرکه».

أخرى.

عن القرآن و الفرقان،أ هما شيئان،أو شيء واحد؟فقال:«القرآن:جمله الكتاب،و الفرقان:المحكم الواجب العمل به».

و لا منافاه بين هذا القول و بين أنّ الفرقان هو جميع آيات القرآن،و المراد هو أنّ آيات القرآن المحكمات تعتبر مصداقا أوضح و أبرز للفرقان و للتمييز بين الحق و الباطل.

و لموهبه«الفرقان و المعرفه»أهميه بالغه بحيث أنّ القرآن المجيد ذكرها كمكافأه عظيمه للمتقين: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً.. (١) .

نعم،فبدون التقوى لا يمكن تمييز الحق من الباطل،لأنّ الأهواء و الذنوب تلقى على وجه الحق حجابا كثيفا،و تعمى بصر ابن آدم و بصيرته.

و على أيه حال،فالقرآن المجيد هو الفرقان الأعلى.

القرآن وسيله لتشخيص الحق من الباطل فى نظام حياه البشر.

القرآن وسيله لتشخيص الحق من الباطل فى مسير الحياه الفرديه و الاجتماعيه،و هو الميزان و المحك على صعيد الأفكار و العقائد،و القوانين، و الأحكام،و الآداب،و الأخلاق.

و هذه الوقفه مهمّه أيضا،حيث يقول تعالى نَزَّلَ الْفُرْقٰانَ عَلىٰ عَبْدِهِ نعم، فمقام العبوديه و الانقياد التامّين هو الذى يحقق اللياقه لنزول الفرقان،و لتلقى موازين الحق و الباطل.

و النكته الأخيره التى طرحت فى هذه الآيه،تبيّن أنّ هدف الفرقان النهائى هو إنذار العالمين،الإنذار الذى نتيجته الإحساس بالمسؤوليه تجاه التكاليف الملقاه على عاتق الإنسان.و عباره«للعالمين»كاشفه عن أنّ شريعه الإسلام

١- ١) -سوره الأنفال،الآيه ٢٩.

عالميه لا تختص بمنطقه معينه،و لا بقوم أو عنصر معينين.بل إن بعضهم قد استدل منها على خاتميه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ذلك أن«العالمين»كما أنّها غير محدوده من حيث المكان،فكذلك مطلقه من حيث الزمان أيضا،ف«العالمين»تشمل جميع الأجيال القادمه أيضا(فتأمل!).

الآيه الثّانيه تصف اللّه الذى نزل الفرقان بأربع صفات،صفه منها هى الأساس،و البقيه نتائج و فروع لها،فتقول أوّلا: اَلَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ (1) .

نعم،إنّه الحاكم على كل عالم الوجود،و كل السماوات و الأرض،فلا شىء خارج عن سلطه حكومته،و بالالتفات إلى تقدم«له»على«ملك السموات»الذى هو دليل الحصر فى اللغه العربيه يستفاد أن الحكومه الواقعيه و الحاكميه المطلقه فى السماوات و الأرض منحصره به تبارك و تعالى،ذلك لأن حكومته عامّه و خالده و واقعيه،بخلاف حاكميه غيره التى هى جزئيه و متزلزله.و فى نفس الوقت فهى مرتبطه به سبحانه.

ثمّ يتناول تفنيد عقائد المشركين واحده بعد الأخرى،فيقول تعالى: وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً (2) .

و كما قلنا من قبل فإن الحاجه إلى الولد من حيث الأصل إمّا لأجل الاستفاده من طاقته البشريه فى الأعمال،أو لأجل الاستعانه به حال الضعف و العجز و الشيخوخه،أو لأجل الاستئناس به فى حال الوحده،و من المعلوم أن ذاته المقدسه عزّ و جلّ منزّهه عن أى واحد من تلك الاحتياجات.

و بهذا الترتيب،يدحض اعتقاد النصارى بأنّ«المسيح»عليه السّلام ابن اللّه،أو ما

١- ١) -كلمه(الملك)كما يقول«الراغب»فى«المفردات»بمعنى تملك الشىء و الحاكميه عليه،فى حين أن(الملك)ليس دليلا على الحاكميه و تصرف المالك دائما.و بهذا الترتيب:فكل ملك ملكا،فى حين أنّ ليس كل ملك ملكا.

٢- ٢) -ورد إيضاح أكثر حول نفى الولد عن اللّه تعالى،و دلائل ذلك فى تفسير الآيه(١١۶)من سوره البقره.

يعتقده اليهود أنّ«العزير»ابن اللّه، و كذلك يدحض اعتقاد مشركى العرب،ثمّ يضيف جل ذكره: وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ
.

فإذا كان لمشركى العرب اعتقاد بوجود الشريك أو الشركاء،و يتوهمونهم شركاء للّه فى العباده،و يتوسلون بهم من أجل الشفاعه،و يسألونهم المعونه لقضاء حوائجهم،حتى آل بهم الأمر أنّهم كانوا يقولون بصراحه-حين التلبيه للحج- جملا قبيحه ملوثه بالشرك،مثل:«لبيك لا شريك لك،إلاّ شريكا هو لك،تملكه و ما ملك».فإنّ القرآن يدين و يدحض كل هذه الأوهام.

و يقول تعالى فى العباره الأخيره: وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً .

ليس كمثل اعتقاد الثنويين الذين يعتقدون بأن قسما من موجودات هذا العالم مخلوقات«اللّه»،و أن قسما منها مخلوقات«الشيطان».

و بهذا الترتيب كانوا يقسمون الخلق و الخلقه بين اللّه و الشيطان،ذلك لأنّهم كانوا يتوهمون الدنيا مجموعه من«الخير»و«الشر»،و الحال ألاّ شىء فى عالم الوجود إلاّ الخير من وجهه نظر الموحد الحق.فإذا رأينا شرّا،فإمّا أن يكون ذا جنبه«نسبيه»أو«عدميه»،أو أن يكون نتيجه لأعمالنا(فتأمل)!.

بحث

اشاره

تقدير الموجودات بدقه:

ليس نظام العالم الدقيق و المتقن-وحده-من الدلائل المحكمه على معرفه اللّه و توحيده،فتقديراته الدقيقه أيضا دليل واضح آخر،أنّنا لا يمكن أن نعتبر مقادير موجودات هذا العالم المختلفه،و كميتها و كيفيتها المحسوبه،معلوله للصدفه التى لا تتوافق مع حساب الاحتمالات.

و قد تقصّى العلماء الأمر فى هذا الصدد،و أزاحوا الستار عن أسراره

المدهشه التی تذهل فکر الإنسان،و تترک لسانه یترنم بتمجید عظمه و قدره الخالق بلا اختیار.

و نعرض لکم-ها هنا-جانبا من ذلک:

یقول العلماء:لو کانت قشره الأرض أسمک ممّا هی علیه الآن بمقدار بضعه أقدام،لما وجد غاز«الاوکسجین»الذی یعتبر الماده الاصلیه للحیاه،و لو کانت البحار أعمق من عمقها الفعلی عدّه أقدام لا متصت جمیع ما فی الجو من الکاربون و الاوکسجین،و لما أمکن وجود حیاه لحیوان و نبات علی سطح الأرض، و یحتمل أن تقوم قشره الأرض و البحار بامتصاص کل الأوکسجین،و کان علی الإنسان أن ینتظر نمو النباتات التی تلفظ الأوکسجین.

و طبقا للحسابات الدقیقه فی هذا المجال یتّضح أنّ للأوکسجین مصادر مختلفه،و لکن مهما کان مصدره فإنّ کمیته مطابقه لاحتیاجاتنا بالضبط.

و لو کانت طبقه الغلاف الجوی أرق ممّا هی علیه الآن ممّا هو،فإنّ بعض الشهب التی تحترق کل یوم بالملایین فی الهواء الخارجی،کانت تضرب جمیع أجزاء الکره الأرضیه، و هی تسیر بسرعه تتراوح بین سته أمیال و أربعین میلا فی الثّانیه،و کان فی إمکانها أن تشعل کل شیء قابل للاحتراق.و لو کانت تسیر ببطء رصاصه البندقیه لارتطمت کلها بالأرض و لکانت العاقبه مروعه،و لو تعرض الإنسان للاصطدام بشهاب ضئیل یسیر بسرعه تفوق سرعه الرصاصه تسعین مره، لتحول الی رماد لمجرّد حرارته.

الغلاف الجوی سمیک بالقدر اللازم بالضبط لمرور الأشعه ذات التأثیر الکیموی التی یحتاج إلیها الزرع و التی تقتل الجراثیم و تنتج الفیتامینات،دون أن تضر بالإنسان،إلاّ إذا عرّض نفسه لها مده أطول من اللازم.و علی الرغم من الانبعاثات الغازیه من اعماق الأرض طول الدهور،و معظمها سام،فإنّ الهواء باق دون تلوث فی الواقع،و دون تغیر فی نسبته المتوازنه اللازمه لوجود الإنسان.

إنّ الجهاز الذی یقوم بهذه الموازنه العظیمه هی تلک الکتله الفسیحه من الماء،

أی البحار و المحیطات التی هی مصدر الحیاه و الغذاء و المطر و المناخ المعتدل، و أخیرا استمد الإنسان نفسه جمیع تلک المقومات الحیویه منهما،فدع من یدرک ذلک یقف فی روعه أمام عظمته تعالی،و یقرّ بواجباته شاکرا! إنّ التعادل العجیب بین الأوکسجین و ثانی أوکسید الکاربون فیما یتعلق بالحیاه الحیوانیه،و عالم النبات کلّه،قد استرعت أنظار کل العالم المفکر،غیر أن أهمیه ثانی أوکسید الکاربون لم یدرکها الجمیع بعد،و ثانی أوکسید الکاربون هو الغاز المألوف فی تعبئه ماء الصودا،و هو غاز ثقیل،و لحسن الحظ یعلق بالأرض، و لا یتمّ فصله إلی أوکسجین و کاربون إلاّ بصعوبه کبیره،و إذا أشعلت نارا،فإنّ الخشب-الذی یتکون غالبا من الأوکسجین و الکاربون و الهیدروجین-یتحلل تحت تأثیر الحراره و یتحد الکاربون مع الأوکسجین بشدّه،و ینتج من ذلک ثانی أوکسید الکاربون.و الهیدروجین الذی یطلق یتحد بمثل تلک الشده مع الأوکسجین فنحصل علی بخار الماء.و معظم الدخان هو کاربون خالص غیر متحد مع غیره.

و حین یتنفس رجل فإنّه یستنشق الأوکسجین فیتلقاه الدم،و یقوم بتوزیعه الی جمیع أنحاء جسمه،و یقوم هذا الأوکسجین یحرق طعامه فی کل خلیه ببطء شدید عند درجه حراره واطئه نسبیا،النتیجه هی ثانی أوکسید الکاربون و بخار الماء.

و بذلک یتسلل ثانی أوکسید الکاربون إلی رئتیه،و یعود الی الجو مرّه اخری من خلال الزفیر،و کلّ کائن حیوانی حی یمتص الاوکسجین و یلفظ ثانی اوکسید الکاربون.

ما أعجب نظام الضوابط و الموازنات الذی منع أی حیوان-مهما یکن من وحشیته،أو ضخامته،أو مکره-من السیطره علی العالم غیر أنّ الإنسان وحده بامکانه قلب هذا التوازن الذی للطبیعه بنقله النباتات و الحیوانات من مکان إلی آخر،و سرعان ما یلقی جزاءه القاسی علی ذلک ماثلا فی تطورات آفات الحیوان

و الحشرات و النبات.

و الواقعه الآتيه مثل بارز على أهميه تلك الضوابط فيما يتعلق بوجود الإنسان،فمنذ سنوات عديده زرع نوع من الصبّار(الكاكتوس)فى أستراليا كسياج وقائى.و لكن هذا الزرع مضى فى سبيله حتى غطى مساحه تقرب من مساحه إنجلترا،و زاحم أهالى المدن و القرى،و أتلف مزارعهم،و حال دون الزراعه،و لم يجد الأهالى وسيله لصده عن الانتشار،و صارت أستراليا فى خطر من اكتساحها بجيش من الزرع الصامت،يتقدم فى سبيله دون عائق! و طاف علماء الحشرات بنواحى العالم حتى وجدوا أخيرا حشره لا تعيش إلّا على ذلك الصبار و لا تتغذى بغيره،و هى سريعه الانتشار و ليس لها عدو يعوقها فى أستراليا.و ما لبثت هذه الحشره حتى تغلبت على الصبّار،ثمّ تراجعت، و لم يبق منها سوى بقيه قليله للوقايه،تكفى لصد الصبّار عن الانتشار إلى الأبد.

و هكذا توافرت الضوابط و الموازين،و كانت دائما مجديه.

و لماذا لم تسيطر بعوضه الملاريا على العالم و تقتل بذلك النوع البشرى مع أن البعوض متوفر فى جميع أنحاء العالم حتى فى القطبين؟و مثل ذلك أيضا يمكن أن يقال عن بعوضه الحمى الصفراء التى تقدمت شمالا فى أحد الفصول حتى وصلت إلى نيويورك.

و لماذا لم تتطور ذبابه«تسى تسى»«الذبابه المنومه»حتى تستطيع أن تعيش فى غير مناطقها الحاره،و تمحو الجنس البشرى من الوجود؟يكفى أن يذكر الإنسان الطاعون و الأوبئه و الجراثيم الفتاكه التى لم يكن منها وقاء حتى الأمس القريب،و أن يذكر كذلك ما كان له من جهل تام بقواعد الوقايه الصحيه، ليعلم أن بقاء الجنس البشرى معها يدعو حقا إلى الدهشه! (۱) .

---

۱ - ۱) -اقتباس من كتاب«الإنسان لا يقوم وحده»تأليف كريسى موريسون،ترجمه محمود صالح الفلكى بعنوان(العلم يدعو للإيمان)،من الصفحات ۱۶۰،۱۵۹،۷۱،۷۰،۶۶،۶۵.

الآيات [سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٣ الى ۶]

اشاره

وَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً لاٰ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً وَ لاٰ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لاٰ حَيٰاهً وَ لاٰ نُشُوراً (٣) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ إِفْكٌ اِفْتَرٰاهُ وَ أَعٰانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جٰاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً (۴) وَ قٰالُوا أَسٰاطِيرُ اَلْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهٰا فَهِيَ تُمْلىٰ عَلَيْهِ بُكْرَهً وَ أَصِيلاً (۵) قُلْ أَنْزَلَهُ اَلَّذِي يَعْلَمُ اَلسِّرَّ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّهُ كٰانَ غَفُوراً رَحِيماً (۶)

التّفسير

اشاره

الاتهامات المتعدده الألوان:

هذه الآيات-في الحقيقه-تتمه للبحث الذي ورد في الآيات السابقه،في مسأله المواجهه مع الشرك و عباده الأوثان.ثمّ في الادعاءات الواهيه لعبده الأوثان،و اتهاماتهم فيما يتعلق بالقرآن،و شخص النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

الآيه الأولى-في الواقع-تجر المشركين إلى المحاكمه،و لتحريك وجدانهم

ص: ١٩۴

تقول بمنطق واضح و بسيط،و فى نفس الوقت قاطع و داحض: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً لاٰ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ .

المعبود الحقيقى هو خالق عالم الوجود،و لا يدعى المشركون هذا الادعاء لأوثانهم،بل يعتقدون أنّها مخلوقه للّه.

و بعد،فما ذا يمكن أن تكون دوافعهم لعباده الأوثان التى لا تملك لنفسها نفعا و لا ضرا،و لا تملك موتا و لا حياه و لا نشورا،فما بالك بما تستطيعه للآخرين!؟ وَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً وَ لاٰ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لاٰ حَيٰاهً وَ لاٰ نُشُوراً .

و الأصول المهمّه عند الإنسان هى هذه الأمور الخمسه بالذات:النفع و الضر، و الموت،و الحياه،و النشور.

فمن يكن بحق مالكا أصيلا لهذه الأمور،يكن بالنسبه إلينا جديرا بالعباده.

لكن هذه الأصنام غير قادره أصلا على هذه الأمور لنفسها،فكيف تريد أن توفّر هذه الأمور لمن يعبدها من المشركين؟! أى منطق مفتضح هذا!؟أن ينقاد الإنسان و يتذلل على أعتاب موجود لا اختيار له فى نفسه،فما بالك باختياره للآخرين!؟ هذه الأوثان ليست عاجزه فى الدنيا عن حل مشكله ما لعبدتها فحسب،بل إنّها لا يؤمل منها شىء فى الآخره أيضا.

هذا التعبير يدل على أنّ هذه الفئه من المشركين،المخاطبه فى هذه الآيات، كانت تقبل بالمعاد نوعا من القبول(المعاد الروحى لا الجسدى)،أو أن القرآن- حتى مع عدم اعتقادهم بمسأله المعاد-يتناول القضيه كمسلّمه،فيخاطبهم بشكل قاطع على هذا الصعيد،و هذا مألوف،فالإنسان أحيانا يكون أمام شخص منكر للحقيقه،لكنّه يدلى بكلامه طبقا لأفكاره هو،دون اعتناء بأفكار ذلك المنكر.

خاصّه و أنّ دليلا ضمنيا على المعاد قد كمن فى نفس الآيه،لأنّ خالقا حينما يبتدع مخلوقا-و هو مالك موته و حياته و ضرّه و نفعه-لا بدّ أن يكون له هدف من خلقه،

و لا یمکن أن یتحقق هـذا الهدف فیما یخص الناس بدون الإیمان بالنشور،ذلک لأنّه إذا انتهی بموت الإنسان کل شـیء،فسوف تکون الحیاه فارغه بلا معنی،و هذا یدلّ علی أن ذلک الخالق لم یکن حکیما.

إذا تأملنا جیـدا وجدنا مسأله«الضـرر»جاءت فی الآیه قبل«النفع»و ذلک لأن الإنسان ینفر من الضـرر بالدرجه الأولی،و لهذا کانت جمله«دفع الضرر أولی من جلب المنفعه»أحد القوانین العقلائیه.

و إذا کـان«الضـرر»و«النفع»و«الموت»و«الحیـاه»و«المنشور»جـاءت بصـیغه النکره،أیضـا،فلأجـل بیان هـذه الحقیقه، و هی أن هـذه الأوثـان لاـ تملـک نفعـا و لا ضـرا و لا موتا و لا حیاه و لا نشورا،حتی فی مورد واحـد،فما بالک بالموارد کلها!؟ و إذا ذکرت«لا یملکـون»و«لاـ یخلقـون»بصــیغه«جمع المــذکر العاقـل»(فی حـال أنّ هـذه الأوثـان الحجریـه و الخشـبیه لیس لهـا أدنی عقـل أو شعور)فذلک لأنّ هذا الخطاب لا یتعلق بالأوثان الحجریه و الخشبیه فحسب،بل بالجماعه التی کانت تعبد الملائکه أو المسـیح،و لأن العاقل و غیر العاقل مجتمعان فی معنی هذه الجمله،فذکر الجمیع بصیغه العاقل من باب«التغلیب»کما فی الاصطلاح الأدبی.

أو أن الخطاب فی هـذه العباره کان طبقا لاعتقاد المخاطبین به،حتی یثبت عجزهم و عدم اسـتطاعتهم،یعنی:إذا کنتم تعتقدون أن هـذه الأوثان ذات عقل و شـعور،فلما ذا لا تسـتطیع أن تـدفع عن نفسـها ضـررا،أو أن تجلب منفعه!؟ الآیه التالیه-تتناول تحلیلات الکفار-أو حججهم علی الأصـح-فی مقابل دعوه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فتقول: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هـذَا إِلاّ إِفْکٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَیْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ .

فی الواقع،إنّهم من أجـل أن یلقوا عن عواتقهم مسـئولیه تحمـل الحق-شـأن کل الـذین أصـروا علی معارضه القاده الربانیین علی طول التاریخ-اتهموا الرّسول

ص :۱۹۶

صلّى اللّه علیه و آله و سلّم أوّلا بالافتراء و الکذب،خاصّه و أنّهم قد استخدموا لفظه «هذا»لیحقروا القرآن.

ثمّ من أجل أن یثبتوا أنّه غیر قادر علی الإتیان بمثل هـذا الکلام-لأنّ الإتیان بمثل هـذا الکلام المبین مهما یکن بحاجه إلی قدره علمیه وافره،و ما کانوا یریـدون التسلیم بهـذا-و من أجل أن یقولوا أیضا: إنّ هـذا خطّه مدبره و محسوبه،قالوا:إنّه لم یکن وحده فی هذا العمل،بل أعانه قوم آخرون،و هذه مؤامره بالتأکید،و یجب الوقوف بوجهها.

بعض المفسّرین قالوا:إنّ المقصود ب قَوْمٌ آخَرُونَ جماعه من الیهود.

و قال آخرون:إنّ المقصود بذلک ثلاثه نفر کانوا من أهل الکتاب،و هم:

«عداس»و«یسار»و«حبر»أو«جبر».

علی أیه حال-بما أنّ هذه المواضیع لم یکن لها وجود فی أوساط مشرکی مکّه،و إنّ قسما منها مثل قصص الأنبیاء الأولین کان عنـد الیهود و أهل الکتاب- فقد کان المشرکون مضطرین الی نسبه هذه المطالب الی أهل الکتاب کی یخمدوا موجه إعجاب الناس من سماع هذه الآیات.

لکن القرآن یردّ علیهم فی جمله واحده فقط،تلک هی: فَقَدْ جٰاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً . (۱)

«الظلم»هنـا لأنّ رجلا أمینا طاهرا و صادقا مثل الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اتّهموه بالکذب و الافتراء علی اللّه،و بالاشتراک مع جماعه من أهل الکتاب.فظلموا أنفسهم و الناس أیضا.

و«الزور»هنا أن قولهم لم یکن له أساس مطلقا،لأنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دعاهم عدّه مرات إلی الإتیان بسوره و آیات مثل القرآن،فعجزوا و ضعفوا أمام هذا التحدی.

۱- ۱) -«جاؤا»من مـاده«مجیء»:یراد بها عاده معنی«القـدوم»،لکنّها وردت هنا بمعنی«الإتیان»،کما نقرأ أیضا فی الآیه (۸۱)سوره یونس أن موسی علیه السّلام قال للسحره«ما جئتم به السحر».

و هـذا بالـذات يـدل على أن هذه الآيات ليست من صـنع عقل البشـر،لأنّ الأمر لو كان كذلك،لكانوا يسـتطيعون بمعونه جماعه اليهود و أهل الكتاب أن يأتوا بمثلها. و من هنا فإنّ عجزهم دليل على كذبهم،و كذبهم دليل على ظلمهم.

لهذا فالجمله،القصيره فَقَدْ جٰاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً رد بليغ و داحض فى مواجهه ادعاءاتهم الواهيه.

كلمه«زور»فى الأصل من«زور»(على وزن غور)أخـذت بمعنى:أعلى الصـدر،ثمّ أطلقت على كل شـىء يتمايل عن حـدّ الوسط،و بما أنّ«الكذب» انحرف عن الحق،و مال إلى الباطل،فقد،سمّوه«زورا».

تتناول الآيه التاليه لونا آخر من التحليلات المنحرفه و الحجج الواهيه للمشـركين فيما يتعلق بالقرآن،فتقول: وَ قٰالُوا أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهٰا .

لا شـىء عنـده من قبل نفسه،لا علم و لا ابتكار،فكيف له بالنبوّه و الوحى!إنّه اسـتعان بآخرين،فجمع عـدّه من الأساطير القديمه،و أطلق عليها اسم الوحى و الكتاب السـماوى.و هو يسـتلهمها من الآخرين طيله اليوم من أجل الوصول إلى هـذا الهدف فَهِيَ تُمْلىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً .

إنّه يتلقى المعونه لأجل هدفه فى الأوقات التى يقلّ فيها تواجد الناس،أى بكره و عشيا.

هـذا الكلام-فى الحقيقه-تفسـير و توضـيح للاتهامات التى نقلت عنهم فى الآيه السابقه.إنّهم فى هـذه الجمله القصـيره أرادوا أن يفرضوا على القرآن مجموعه من نقاط الضعف:

أوّلها:أن ليس فى القرآن موضوع جديد مطلقا،بل مجموعه من الأساطير القديمه.

و الثّانيه:أنّ نبى الإسلام لا يستطيع الاستمرار بدعوته-حتى يوما واحدا- بدون مساعده الآخرين،فلا بدّ أن يملوا الموضوعات عليه بكره و عشيا،و عليه أن

یکتبها.

و الأخری:أنّه یعرف القراءه و الکتابه.فإذا قال:إنّنی أمّی،فهی دعوی کاذبه.

إنّهم-فی الواقع-کانوا یریدون أن یفرقوا الناس عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بواسطه هذه الأکاذیب و الاتهامات،فی الوقت الذی یعلم کل العقلاء الذین عاشوا مدّه فی ذلک المجتمع،أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یکن قد درس عند أحد،مضافا إلی أنّه لم تکن له أیه رابطه مع جماعه الیهود و أهل الکتاب.و إذا کان یستلهم من الآخرین کل یوم بکره و عشیا،فکیف أمکن أن یخفی علی أحد؟فضلا عن هذا،فإن آیات القرآن کانت تنزل علیه فی السفر و الحضر،بین الناس و منفردا،و فی کل حال.

مضافا إلی کل هذا،کان القرآن مجموعه من التعلیمات الاعتقادیه، و الأحکام العملیه،و القوانین،و مجموعه من قصص الأنبیاء،و لم تکن قصص الأنبیاء لتشکل کل القرآن،مضافا إلی أنّ ما ورد من قصص الأقوام الأولین فی القرآن لم یکن له شبه لما جاء فی العهدین(التوراه و الإنجیل)المحرفین،و أساطیر العرب الخرافیه،لذلک لأنّ ما فی العهدین ملیء بالخرافات،و القرآن منزّه عنها، و لو وضعنا القرآن و العهدین جنبا إلی جنب،و قایسنا بینهما،فسوف تتجلی حقیقه الأمر جیدا. (۱)

لذا فالآیه الأخیره تصرح بصیغه الرد علی هذه الاتهامات الواهیه،فتقول:

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِی یَعْلَمُ السِّرَّ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

.إشاره إلی أن محتوی هذا الکتاب،و الأسرار،المتنوعه فیه من علوم و معارف و تاریخ الأقوام الأولین، و القوانین و الاحتیاجات البشریه،و حتی أسرار عالم الطبیعه و الأخبار المستقبلیه،

۱- ۱) -یعتقد جماعه من المفسّرین أنّ المراد من جمله(اکتتبها):هو أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أراد من الآخرین أن یکتبوا له هذه الآیات،و کذلک،جمله(تملی علیه)مفهومها:هو أنّ أولئک کانوا یلقونها إلیه،و کان هو یحفظها.لکنّه مع الالتفات إلی أنّنا لا دلیل لدینا علی حمل هاتین الجملتین علی خلاف الظاهر،یکون التّفسیر الذی ورد فی المتن هو الأصح،ففی الواقع إن أولئک کانوا یریدون أن یتهموا النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من هذا الطریق،بأنّه یقرأ و یکتب،لکنّه کان یظهر نفسه أمیا عمدا.

تدل على أن ليس من صنع و متناول عقل البشر،و لم ينظم بمساعده هذا أو ذاك.

بل بعلم الذى هو جدير بأسرار السماء و الأرض،و المحيط بكل شىء علما.

لكن مع كل هـذا،فإن القرآن يترك طريق التوبه مفتوحا أمام هؤلاء المغرضـين و المنحرفين،فيقول تبارك و تعالى فى ختام الآيه إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً .

فبمقتضـى رحمته أرسل الأنبياء،و أنزل الكتب السـماويه،و بمقتضـى غفوريته سـيعفو فى ظل الإيمان و التوبه عن ذنوبكم التى لا تحصى.

ص :٢٠٠

الآیات [سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۷ الی ۱۰]

اشاره

وَ قٰالُوا مٰا لِهٰذَا اَلرَّسُولِ یَأْکُلُ اَلطَّعٰامَ وَ یَمْشِی فِی اَلْأَسْوٰاقِ لَوْ لاٰ أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَلَکٌ فَیَکُونَ مَعَهُ نَذِیراً (۷) أَوْ یُلْقیٰ إِلَیْهِ کَنْزٌ أَوْ تَکُونُ لَهُ جَنَّهٌ یَأْکُلُ مِنْهٰا وَ قٰالَ اَلظّٰالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّٰ رَجُلاً مَسْحُوراً (۸) اُنْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ اَلْأَمْثٰالَ فَضَلُّوا فَلاٰ یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً (۹) تَبٰارَکَ اَلَّذِی إِنْ شٰاءَ جَعَلَ لَکَ خَیْراً مِنْ ذٰلِکَ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ وَ یَجْعَلْ لَکَ قُصُوراً (۱۰)

سبب النّزول

فی روایه عن الإمام الحسن العسکری علیه السّلام،أنّه قال: قلت لأبی علی بن محمد علیهما السّلام:هل کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یناظر الیهود و المشرکین إذا عاتبوه و یحاجّهم؟قال:مرارا کثیره و ذلک أنّ رسول اللّه کان قاعدا ذات یوم بفناء الکعبه، فابتدأ عبد اللّه بن أبی أمیه المخزومی فقال:یا محمد لقد ادّعیت دعوی عظیمه، و قلت مقالا هائلا،زعمت أنّک رسول ربّ العالمین،و ما ینبغی لربّ العالمین

ص:۲۰۱

و خالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشرا مثلنا،تأكل كما نأكل و تمشى فى الأسواق كما نمشى،فقال رسول اللّه:اللّهمّ أنت السامع لكل صوت،و العالم بكلّ شيء،تعلم ما قاله عبادك فأنزل اللّه عليه:يا محمد: وَ قٰالُوا مٰا لِهٰذَا الرَّسُولِ... إلى قوله تعالى وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً . (۱)

التّفسير

اشاره

لم لا يملك هذا الرّسول كنوزا و جنات؟!

عرض فى الآيات السابقه قسم من إشكالات الكفار فيما يخص القرآن المجيد،و أجيب عليها،و يعرض فى هذه الآيات قسم آخر يتعلق بشخص الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يجاب عنها،فيقول تعالى: وَ قٰالُوا مٰا لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعٰامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوٰاقِ .

ما هذا النّبى الذى يحتاج إلى الغذاء كغيره من الأفراد العاديين؟و يمشى فى الأسواق من أجل الكسب و التجاره و شراء احتياجاته؟فليست هذه سيره الرسل و لا طريقه الملوك و السلاطين!و فى الوقت الذى يريد هذا الرّسول التبليغ بالدعوه الإلهيه،و يريد أيضا السلطنه على الجميع! لقد كان المشركون يرون أنّه لا يليق بذوى الشأن الذهاب إلى الأسواق لقضاء حوائجهم،بل ينبغى أن يرسلوا خدمهم و مأموريهم من أجل ذلك.

ثمّ أضافوا: لَوْ لاٰ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ،فلم لم يرسل إليه- على الأقل-ملك من عند اللّه،شاهد على صدق دعوته،و ينذر معه الناس!؟ حسن جدا،لنفرض أنّنا وافقنا على أن رسول اللّه يمكن أن يكون إنسانا، و لكن لماذا يكون فقيرا فاقدا للثروه و المال!؟ أَوْ يُلْقىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهٰا .

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،الجزء ۴،الصفحه ۶.

و لم یکتفوا بهذا أیضا،فقد اتهموه آخر الأمر بالجنون بما ابتنوه من استنتاج خاطئ،کما نقرأ فی ختام هذه الآیه نفسها وَ قٰالَ الظّٰالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّٰ رَجُلاً مَسْحُوراً .ذلک أنّهم کانوا یعتقدون أن السحره یستطیعون أن یتدخلوا فی فکر و عقول الأفراد فیسلبونهم قوام عقولهم! من مجموع الآیات أعلاه،یستفاد أنّ المشرکین کانت لدیهم عدّه إشکالات واهیه حول الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و کانوا یتنازلون عن مقالتهم مرحله بعد مرحله.

أوّلا:إنّه أساسا یجب أن یکون ملکا،و هذا الذی یأکل الطعام و یمشی فی الأسواق لیس ملکا بالضروره.

ثمّ قالوا:حسن جدّا،إن لم یکن ملکا،فیرسل اللّه-علی الأقل-ملکا یرافقه و یعینه.

ثمّ تنازلوا عن هذا أیضا،فقالوا:لنفرض أن رسول اللّه بشر،فینبغی أن یلقی إلیه کنز من السماء،لیکون دلیلا علی أنه موضع اهتمام اللّه.

و قالوا فی نهایه المطاف:لنفرض أنه لم یکن له أیّ من تلک المیزات،فینبغی علی الأقل ألا یکون إنسانا فقیرا،فلیکن کأی مزارع مرفه،له بستان یضمن منه معیشته.لکنّه فاقد لکلّ هذا مع الأسف،و یقول إنّنی نبیّ!؟ و استنتجوا فی الختام،أنّ ادعاءه الکبیر هذا،فی مثل هذه الشرائط،دلیل علی أن لیس له عقل سلیم.

الآیه التالیه تبیّن جواب جمیع هذه الإشکالات فی عباره موجزه: اُنْظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الْأَمْثٰالَ فَضَلُّوا فَلاٰ یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً .

هذه العباره الموجزه أداء بلیغ عن هذه الحقیقه،فهم من خلال مجموعه من الأقوال الواهیه التی لا أساس لها وقفوا أمام دعوه الحق و القرآن-الذی محتواه شاهد ناطق علی ارتباطه باللّه-لیخفوا وجه الحقیقه.

ص:۲۰۳

حقّا،إن مثلهم كمثل من يريد أن يقف أمام استدلالاتنا المنطقيه من خلال حفنه من الحجج،الواهيه:فنقول من دون الاجابه عليها بالتفصيل:انظر بأيه ادعاءات واهيه يريدون أن يقفوا معها أمام الدليل المنطقى.

و هكذا كانت أقوالهم فى جميع مواردها،لأن:

أوّلا-لماذا يجب أن يكون الرّسول من جنس الملائكه؟بل ينبغى أن يكون قائد البشر منهم،كما يحكم به العقل و العلم،حتى يدرك جميع آلام و رغبات و حاجات و مشكلات و مسائل حياه الإنسان تماما،ليكون قدوه عمليه له على كل المستويات،و حتى يستلهم الناس منه فى جميع المناهج،و من المسلّم أن تأمين هذه الأهداف لم يكن ليتحقق لو كان من الملائكه،و لقال الناس إذا حدثهم عن الزهد و عدم الاهتمام بالدنيا:إنّه ملك،و ليست له حاجات ماديه تجرّه إلى الدنيا و إذا دعا إلى الطهاره و العفه لقال الناس:إنه لا يدرى ما عاصفه الغريزه الجنسيه،و عشرات(إذا)مثل تلك.

ثانيا:ما ضروره أن ينزل ملك ليرافق بشرا من أجل تصديقه؟ أ فليست المعجزات كافيه لإدراك هذه الحقيقه،و خاصّه معجزه عظيمه كالقرآن! ثالثا:أكل الطعام كسائر الناس،و المشى فى الأسواق يكون سببا للاندماج بالناس أكثر،و الغوص فى أعماق حياتهم،ليؤدى رسالته بشكل أفضل.

رابعا:عظمه الرّسول و شخصيته مردهما ليس إلى الكنز و النفائس و لا بساتين النخيل و الفواكه الطازجه،هذا نمط تفكير الكفار المنحرف الذى يعتبر أن المكانه- و حتى القرب من اللّه-فى الأثرياء خاصّه،فى حال أنّ الأنبياء جاؤوا ليقولوا:

أيّها الإنسان،إنّ قيمه وجودك ليست بهذه الأشياء،إنّها بالعلم و التقوى و الإيمان.

خامسا:بأى مقياس كانوا يعتبرونه«مسحورا»أو«مجنونا»؟الشخص الذى كان عقله معجزا بشهاده تأريخ حياته و انقلابه العظيم و تأسيسه الحضاره الإسلاميه،كيف يمكن اتهامه بهذه التهمه المضحكه؟أ يصح أن نقول إن تحطيم

الأصـنام و رفض الإتباع الأعمى للأجـداد دليل على الجنون؟! اتضح بناء على ما قلناه أن(الأمثال)هنا،خاصّه مع القرائن الموجوده فى الآـيه،بمعنى الأـقوال الفارغه الواهيه،و لعل التعبير عنها ب(الأمثال)بسـبب أنّهم يلبسونها لباس الحق فكأنها مثله،و أقوالهم مثل الأدله المنطقيه،فى حال أنّها ليست كذلك واقعا. (١)

و ينبغى أيضـا الالتفـات إلى هـذه النكته،و هى أنّ أعـداء النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم كـانوا يتهمونه-ب«السـاحر»و أحيـانا ب«المسـحور»و إن كـان بعض المفسّـرين قـد احتمـل أن«المسـحور»بمعنى«السـاحر»(لأـن اسم المفعول يـأتى بمعنى اسم الفـاعل أحيانا)و لكن الظاهر أن بينهما فرقا.

عنـد ما يقال عنه بأنّه ساحر،فلأن كلامه كان ذا نفوذ خارق فى القلوب، و لأنّهم ما كانوا يريـدون الإقرار بهذه الحقيقه،فقد لجأوا إلى اتهامه ب«الساحر».

أمّا«المسـحور»فمعناه أن السـحره تـدخّلوا فى عقله و تصـرفوا به،و عملوا على اختلال حواسه،هـذا الاتّهام نشأ من أن الرّسول كان محطما لسنتهم،و مخالفا لعاداتهم و أعرافهم الخرافيه،و قد وقف فى وجه مصالحهم الفرديه.

أمّا جواب جميع هذه الاتهامات فقد اتضح من الكلام أعلاه.

و هنا يأتى هذا السؤال،و هو أنّه لماذا قال تعالى: فَضَلُّوا فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً .

الجـواب هو أنّ الإنسـان يسـتطيع أن يكتشف الطريق إلى الحق بصوره مـا،إذا كـان مريـدا للحق باحثـا عنه،أمّـا من يتخـذ موقفه-ابتداء-على أساس أحكام

---

١ - ١) -كـثير مـن المفسّـرين اعتـبروا(الأمثـال)هنـا بمعنى(التشبيهـات)لكنّهـم لـم يوضـحوا هنـا مـا هى التشبيهـات الـتى قـدمها المشـركون،و بعض آخر اعتبر(الأمثـال)هنـا بمعنى(الصـفات)،لأـن أحـد معـانى(المثـل)-طبقـا لمـا قاله الراغب فى المفردات هو (الصـفه)،فـالمقصود هنـا هى الصـفه الواهيه التى لاـ أساس لها،ذلك لأن ما فى صـدر و ذيل الآيه القرآنيه أعلاه يـدل على هـذا المعنى، فمن جانب يقول بعنوان التعجب:انظر آيه أمثال ضـربوا؟و من جانب آخر يقول:الأوصاف التى تؤدى الى ضـلالهم الذى لا هدايه بعده.

مسبّقه خاطئه و مضلّه،نابعه من الجهل و التزمت و العناد،فمضافا إلى أنّه لا يعثر على الحق،فإنّه سيتخذ موقعه ضد الحق دائما.

الآيه الأخيره مورد البحث-كالآيه التى قبلها-توجه خطابها إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على سبيل تحقير مقولات أولئك،و أنّها لا تستحق الإجابه عليها،يقول تعالى:

تَبارَكَ الَّذِی إِنْ شاءَ جَعَلَ لَکَ خَیْراً مِنْ ذٰلِکَ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ یَجْعَلْ لَکَ قُصُوراً

.

و إلاّ فهل أحد غير اللّه أعطى الآخرين القصور و البساتين؟من غير اللّه خلق جميع هذه النعم و الجمال فى هذا العالم؟ترى أ يستحيل على اللّه القادر المنّان أن يجعل لك أفضل من هذه القصور البساتين؟! لكنّه لا يريد أبدا أن يعتقد الناس أن مكانتك مردّها المال و الثروه و القصور، و يكونوا غافلين عن القيم الواقعيه.إنه يريد أن تكون حياتك كالأفراد العاديين و المستضعفين و المحرومين،حتى يمكنك أن تكون ملاذا لجميع هؤلاء و لعموم الناس.

أمّا لماذا يقول قصورا و بساتين أفضل ممّا أراده أولئك؟فلأن«الكنز»وحده ليس حلاّل المشاكل،بل ينبغى بعد مزيد عناء أن يستبدل بالقصور و البساتين، مضافا الى أنّهم كانوا يقولون:ليكن لك بستان يؤمن معيشتك،أمّا القرآن فيقول:إن اللّه قادر على أن يجعل لك قصورا و بساتين،لكن الهدف من بعثتك و رسالتك شىء آخر.

ورد فى«الخطبه القاصعه»من«نهج البلاغه»بيان معبر و بليغ:هنالك حيث يقول الإمام عليه السّلام:

«...و لقد دخل موسى بن عمران و معه أخوه هارون عليهما السّلام على فرعون و عليهما مدارع الصوف و بأيديهما العصى فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه و دوام عزّه فقال:

«ألا تعجبون من هذين يشرطان لى دوام العز و بقاء الملك و هما بما ترون من حال

الفقر و الـذل،فهلّا ألقى عليهما أساوره من ذهب،إعظاما للـذهب و جمعه،و احتقارا للصوف و لبسه.و لو أراد اللّه سـبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتـح لهم كنوز الـذهبان،و معـادن العقيـان،و مغـارس الجنـان،و أن يحشـر معهم طيور السـماء و وحوش الأـرض لفعـل،و لو فعـل لسـقط البلاـء و بطل الجزاء،و اضـمحلت الأنباء، و لما وجب للقابلين أجور المبتلين،و لا اسـتحق المؤمنون ثواب المحسـنين، و لاـ لزمـت الأسـماء معانيهـا،و لكن اللّه سـبحانه جعـل رسـله اولى قـوّه فى عزائمهم، و ضـعفه فيمـا ترى الأـعين من حالاتهم،مع قناعه تملأ القلوب و العيون غنى، و خصاصه تملأ الأبصار و الأسماع أذى.

و لو كـانت الأنبيـاء أهل قوه لا ترام و عزّه لا تضام،و ملك تمتـد نحوه أعناق الرجال،و تشـدّ إليه عقـد الرحال،لكان ذلك أهون على الخلق فى الإعتبـار و أبعـد لهـم فى الاسـتكبار،و لآـمنوا عـن رهبه قـاهره لهم أو رغبه مـائله بهم،فكـانت النّيات مشـتركه و الحسـنات مقتسـمه،و لكـن اللّه سـبحانه أراد أن يكـون الإتبـاع لرسـله و التصـديق بكتبه و الخشـوع لـوجهه و الاسـتكانه لأـمره و الاستسـلام لطاعته،أمورا له خاصّه لا تشوبها من غيرها شائبه.و كلما كانت البلوى و الاختبار أعظم كانت المثوبه و الجزاء أجزل». (1)

و الجـدير بالذكر أنّ البعض يرى بأنّ المراد بالجنّه و القصور،جنّه الآخره قصورها،لكن هذا التّفسـير لا ينسـجم مع ظاهر الآيه بأى وجه. (2)

۱- ۱) -«الخطبه القاصعه»،الخطبه ۱۹۲ نهج البلاغه.

۲- ۲) -و كـذلك الـذين قالوا:إن المقصود هو جنات الـدنيا و قصور الآخره،فالفعلان الماضـى و المضارع(جعل و يجعل)اللذان فى الآـيه،ينبغى ألاـ يكونا باعثا على هكـذا و هم أيضا،لأنّنا نعلم طبقا لقواعـد الأدب العربى،أن الأفعال فى الجمله الشـرطيه تفقد مفهومها الزمانى.

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۱۱ الى ۱۶]

اشاره

بَلْ كَذَّبُوا بِالسّاعَهِ وَ أَعْتَدْنا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسّاعَهِ سَعِيراً (۱۱) إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً (۱۲) وَ إِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً (۱۳) لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً (۱۴) قُلْ أَ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّهُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِيراً (۱۵) لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ خالِدِينَ كانَ عَلى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلاً (۱۶)

التّفسير

اشاره

مقارنه بين الجنه و النار:

فى هذه الآيات-على أثر البحث فى الآيات السابقه حول انحراف الكفار فى مسأله التوحيد و النّبوه-يتناول القرآن الكريم قسما آخر من انحرافاتهم فى مسأله المعاد،و يتّضح مع بيان هذا القسم أنّهم كانوا أسارى التزلزل و الانحراف فى تمام أصول الدين،فى التوحيد،و فى النبوه،و فى المعاد،حيث ورد القسمان

الأولان منه فی الآیات السابقه،و نقرأ الآن القسم الثالث:

یقول تعالی أوّلا: بَلْ کَذَّبُوا بِالسّٰاعَهِ .

و بما أنّ کلمه«بل»تستعمل لأجل«الإضراب»فیکون المعنی:أن ما یقوله أولئک الکفار علی صعید نفی التوحید و النبوه،إنّما ینبع فی الحقیقه من إنکارهم المعاد،ذلک أنه إذا آمن الإنسان بهکذا محکمه عظمی و بالجزاء الإلهی،فلن یتلقی الحقائق بمثل هذا الاستهزاء و اللامبالاه،و لن یتذرع بالحجج الواهیه ضد دعوه النّبی و براهینه الظاهره،و لن یتذلل أمام الأصنام التی صنعها و زیّنها بیده.

لکن القرآن هنا لم یتقدم برد استدلالی،ذلک لأن هذه الفئه لم تکن من أهل الاستدلال و المنطق،بل واجههم بتهدید مخیف و جسد أمام أعینهم مستقبلهم المشؤوم و الألیم،فهذا الأسلوب قد یکون أقوی تأثیرا لمثل هؤلاء الأفراد یقول أوّلا: وَ أَعْتَدْنٰا لِمَنْ کَذَّبَ بِالسّٰاعَهِ سَعِیراً . (۱)

ثمّ وصف هذه النار المحرقه وصفا عجیبا،فیقول تعالی: إِذٰا رَأَتْهُمْ مِنْ مَکٰانٍ بَعِیدٍ سَمِعُوا لَهٰا تَغَیُّظاً وَ زَفِیراً .

فی هذه الآیه،تعبیرات بلیغه متعدده،تخبر عن شدّه هذا العذاب الإلهی:

۱-إنّه لا یقول:إنّهم یرون نار جهنم من بعید،بل یقول:إن النار هی التی تراهم-کأن لها عینا و أذنا-فسمّرت عینها علی الطریق بانتظار هؤلاء المجرمین.

۲-إنّها لا تحتاج إلی أن یقترب أولئک المجرمون منها،حتی تهیج،بل إنّها تزفر من مسافه بعیده..من مسافه مسیره عام،طبقا لبعض الروایات.

۳-وصفت هذه النار المحرقه ب«التغیظ»و ذلک عباره عن الحاله التی یعبّر بها الإنسان عن غضبه بالصراخ و العویل.

۴-إن لجهنم«زفیرا»یعنی کما ینفث الإنسان النفس من الصدر بقوه، و هذا

۱- ۱) -«سعیر»من«سعر»علی وزن«قعر»بمعنی التهاب النار،و علی هذا یقال للسعیر:النار المشتعله و المحیطه و المحرقه.

عاده فی الحاله التی یکون الإنسان مغضبا جدا.

مجموع هـذه الحالات یـدل علی أن نـار جهنـم المحرقـه تنتظر هـذه الفئـه مـن المجرمیـن کانتظار الحیـوان المفـترس الجـائع لغذائه«نستجیر باللّه».

هذه حال جهنم حینما تراهم من بعید،أمّا حالهم فی نار جهنم فیصفها تعالی:

وَ إِذٰا أُلْقُوا مِنْهٰا مَکٰاناً ضَیِّقاً مُقَرَّنِینَ دَعَوْا هُنٰالِکَ ثُبُوراً

(۱) .

هـذا لیس لأنّ جهنم صغیره،فإنّه طبقا للآیه(۳۰)من سوره ق یَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِیدٍ فهی مکان واسع،لکن أولئک یحصرون مکانا ضیقا فی هذا المکان الواسع،فهم«یستکرهون فی النار کما یستکره الوتد فی الحائط». (۲)

کما أن کلمه«ثبور»فی الأصل بمعنی«الهلاک و الفساد»،فحینما یجد الإنسان نفسه أمام شیء مخیف و مهلک،فإنّه یصرخ عالیا«وا ثبورا»التی مفهومها لیقع الموت علیّ».

لکنّهم یجابون عاجلا لاٰ تَدْعُوا الْیَوْمَ ثُبُوراً وٰاحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً کَثِیراً .

علی أیه حال،فلن تنفعکم استغاثتکم فی شیء،و لن یکون ثمّه موت أو هلاک،بل ینبغی أن تظلوا أحیاء لتذوقوا العذاب الألیم.

هذه الآیه فی الحقیقه تشبه الآیه(۱۶)من سوره الطور حیث یقول تعالی اِصْلَوْهٰا فَاصْبِرُوا أَوْ لاٰ تَصْبِرُوا سَوٰاءٌ عَلَیْکُمْ إِنَّمٰا تُجْزَوْنَ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

من هو المتکلم مع الکافرین ها هنا؟القرائن تدل علی أنّهم ملائکه العذاب، ذلک لأنّ حسابهم مع هؤلاء.

---

۱ – ۱) -«مقرنین»من«قرن»بمعنی قرب و اجتماع شیئین أو أکثر مع بعضهما،و یقولون للحبل الذی یربطون به الأشیاء «قرن»،و یقولون أیضا لمن تقید یده و رجله مع بعضهما بالغل و السلاسل«مقرّن»(من أجل توضیح أکثر فی المسأله راجع آخر الآیه(۴۹)من سوره إبراهیم).

۲ – ۲) -مجمع البیان،آخر الآیه مورد البحث.

و أمّا لماذا يقال لهم هنا: لاّ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبوراً وٰاحِداً وَ ادْعُوا ثُبوراً كَثِيراً ؟ربّما كان ذلك لأنّ عذابهم الأليم ليس مؤقتا فينتهى بقول(وا ثبورا)واحدا،بل ينبغى أن يرددوا هذه الجمله طيله هذه المده،علاوه على أنّ العقوبات الإلهيه لهؤلاء الظالمين المجرمين متعدده الألوان،حيث يرون الموت أمام أعينهم إزاء كل مجازاه،فتعلوا أصواتهم ب(وا ثبورا)،فكأنّهم يموتون ثمّ يحيون و هكذا.

ثمّ يوجه الخطاب إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و يأمره أن يدعو أولئك إلى المقايسه، فيقول تعالى: قُلْ أَ ذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّهُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كٰانَتْ لَهُمْ جَزٰاءً وَ مَصِيراً .

تلك الجنّه التى لَهُمْ فِيهٰا مٰا يَشٰاؤُنَ .

تلك الجنّه التى سيبقون فيها أبدا خٰالِدِينَ .

أجل،إنّه وعد اللّه الذى اخذه على نفسه: كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُلاً .

هذا السؤال،و طلب هذه المقايسه،ليس لأن أحدا لديه شك فى هذا الأمر، و ليس لأن تلك العذابات الأليمه المهوله تستحق الموازنه و المقايسه مع هذه النعم التى لا نظير لها،بل إن هذا النوع من الأسئله و المطالبه بالمقارنه لأجل إيقاظ الضمائر الهامده،حيث تجعلها أمام أمر بديهى واحد،و على مفترق طريقين:

فإذا قالوا فى الجواب:إنّ تلك النعم أفضل و أعظم(و هو ما سيقولونه حتما) فقد حكموا على أنفسهم بأنّ أعمالهم خلاف ذلك.و إذا قالوا:إنّ العذاب أفضل من هذه النعمه،فقد وقّعوا على وثيقه جنونهم،و هذا يشبه ما إذا حذرنا شابا ترك المدرسه و الجامعه بقولنا:اعلم أنّ السجن هو مكان الذين فروا من العلم و وقعوا فى أحضان الفساد،ترى السجن أفضل أم الوصول إلى المقامات الرفيعه!؟

ملاحظات

۱-ینبغی الالتفات أوّلا إلی هذه النکته،و هی الآیات الکریمه وصفت الجنّه بالخلود تاره و صفه لأهل الجنّه تاره أخری،لیکون تأکیدا علی هذه الحقیقه،و هی کما أن الجنه خالده،فکذلک ساکنوها.

۲-قوله تعالی لَهُمْ فِیهٰا مٰا یَشٰاؤُنَ جاءت فی مقابل حال الجهنمیین فی الآیه(۵۴)من سوره سبأ وَ حِیلَ بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ مٰا یَشْتَهُونَ .

۳-التعبیر ب«مصیر»بعد کلمه«جزاء»بالنسبه إلی الجنّه،کله تأکید علی ما یدخل فی مفهوم الجزاء،و هو بجمیعه نقطه مقابله إزاء مکان أهل النّار،حیث ورد فی الآیات السابقه أنّهم یلقون فی مکان ضیق محدود مقرنین بالأصفاد.

۴-قوله تعالی کٰانَ عَلیٰ رَبِّکَ وَعْداً مَسْؤُلاً-إشاره إلی أن المؤمنین کانوا فی أدعیتهم یطلبون من اللّه الجنّه و جمیع نعمها،فهم السائلون،و اللّه«المسؤول منه»کما نقرأ قول المؤمنین فی الآیه(۱۹۴)من سوره آل عمران رَبَّنٰا وَ آتِنٰا مٰا وَعَدْتَنٰا عَلیٰ رُسُلِکَ... ،لسان حال جمیع المؤمنین أیضا،إنّهم یطلبون هذا الطلب من اللّه،لأن لسان حال کل من یطیع أمره تبارک و تعالی أن یطلب ذلک.

و الملائکه کذلک یسألون اللّه الجنّه و الخلود للمؤمنین،کما نقرأ فی الآیه(۸) من سوره المؤمن: رَبَّنٰا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنّٰاتِ عَدْنٍ الَّتِی وَعَدْتَهُمْ... .

و یوجد هنا تفسیر آخر،و هو أنّ کلمه(مسئولا)تأکید علی هذا الوعد الإلهی،الحتمی،یعنی أنّ هذا الوعد علی قدر عظیم من القطع بحیث أنّ المؤمنین یستطیعون أن یطالبوا اللّه به،و هذا یشبه ما إذا أعطینا وعدا لأحد،و أعطیناه-فی الضمن-الحق فی أن یطالبنا به.

قطعا لا یوجد أی مانع من أن تجتمع کل هذه المعانی فی المفهوم الواسع ل(مسئولا).

۵-بالالتفات إلی قوله تعالی لَهُمْ فِیهٰا مٰا یَشٰاؤُنَ ینشأ لدی البعض هذه

ص :۲۱۲

السؤال:إذا أخذنا فی الإعتبار المفهوم الواسع لهذه العباره،فنتیجه هذا أن أهل الجنّه إذا أرادوا مقام الأنبیاء و الأولیاء یعطی لهم،مثلا،أو إذا طلبوا نجاه أقربائهم و أصدقائهم المذنبین المستحقین لجهنم،یعطون سؤلهم،و ما سوی هذه الرغبات؟! و یتّضح الجواب مع الالتفات إلی هذه النکته،و هو أنّ الحجب تزول عن أعین أهل الجنّه فیدرکون الحقائق جیدا،و یتّضح تناسبها فی نظرهم کاملا،إنّهم لا یخطر ببالهم أبدا أن یطلبوا من اللّه طلبات کهذه،و هذا یشبه تماما أن نطلب فی الدنیا من طفل فی الابتدائیه أن یکون استاذا فی الجامعه،أو أن یکون لص مجرم قاضی محکمه...تری هل تخطر مثل هذه الأمور فی فکر أی عاقل فی الدنیا!؟ و فی الجنّه أیضا کذلک،فضلا عن هذا فإنّ کلّ إرادتهم فی طول إراده اللّه،و إنّ ما یریدونه هو ما یریده اللّه.

الآیات [سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۱۷ الی ۱۹]

اشاره

وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ وَ مٰا یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَیَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبٰادِی هٰؤُلاٰءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا اَلسَّبِیلَ (۱۷) قٰالُوا سُبْحٰانَکَ مٰا کٰانَ یَنْبَغِی لَنٰا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیٰاءَ وَ لٰکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبٰاءَهُمْ حَتّٰی نَسُوا اَلذِّکْرَ وَ کٰانُوا قَوْماً بُوراً (۱۸) فَقَدْ کَذَّبُوکُمْ بِمٰا تَقُولُونَ فَمٰا تَسْتَطِیعُونَ صَرْفاً وَ لاٰ نَصْراً وَ مَنْ یَظْلِمْ مِنْکُمْ نُذِقْهُ عَذٰاباً کَبِیراً (۱۹)

التّفسیر

اشاره

المحاکمه بین المعبودین و عبدتهم الضالین:

کان الکلام فی الآیات السابقه حول مصیر کل من المؤمنین و المشرکین فی القیامه و جزاء هذین الفریقین،و تواصل هذه الآیات نفس هذا الموضوع بشکل آخر،فتبیّن السؤال الذی یسأل اللّه عنه معبودی المشرکین فی القیامه و جوابهم، علی سبیل التحذیر،فیقول تعالی أولا:و اذکر یوم یحشر اللّه هؤلاء المشرکین و ما یعبدون من دون اللّه: وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ وَ مٰا یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ .

فیسأل المعبودین: فَیَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبٰادِی هٰؤُلاٰءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِیلَ .

ففی الإجابه: قَالُوا سُبْحَانَکَ مَا کَانَ یَنْبَغِی لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیَاءَ .

فلیس فقط أنّنا لم ندعهم إلی أنفسنا،بل إنّنا کنّا نعترف بولایتک و ربوبیتک، و لم نقبل غیرک معبودا لنا و لغیرنا.

و کان سبب انحراف أولئک هو:أنّ اللّه تعالی رزقهم الکثیر من مواهب الدنیا و نعیمها فتمتعوا هم و آباءهم و بدلا من شکر اللّه تعالی غرقوا فی هذه الملذات و نسوا ذکر اللّه: وَ لٰکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبٰاءَهُمْ حَتّٰی نَسُوا الذِّکْرَ و لهذا هلکوا و اندثروا وَ کٰانُوا قَوْماً بُوراً .

هنا یوجه اللّه تبارک و تعالی الخطاب إلی المشرکین فیقول: فَقَدْ کَذَّبُوکُمْ بِمٰا تَقُولُونَ .

لأنّ الأمر هکذا،و کنتم أنتم قد أضللتم أنفسکم فلیس لدیکم القدره علی دفع العذاب عنکم: فَمٰا تَسْتَطِیعُونَ صَرْفاً وَ لاٰ نَصْراً،وَ مَنْ یَظْلِمْ مِنْکُمْ نُذِقْهُ عَذٰاباً کَبِیراً .

لا شک أنّ«الظلم»له مفهوم واسع،و مع أنّ موضوع البحث فی الآیه هو «الشرک»الذی هو أحد المصادیق الجلیه للظلم،إلاّ أنّه لا یقدح بعمومیه المفهوم.

و الملفت للنظر أن«من یظلم»جاءت بصیغه الفعل المضارع،و هذا یدل علی أن القسم الأوّل من البحث و أن کان مرتبطا بمناقشات البعث،لکن الجمله الأخیره خطاب لهم فی الدنیا،لعل قلوب المشرکین تصبح مستعده للتقبل علی أثر سماعها(محاورات العابدین و المعبودین فی القیامه)،فیحول الخطاب من القیامه إلی الدنیا فیقول لهم: وَ مَنْ یَظْلِمْ مِنْکُمْ نُذِقْهُ عَذٰاباً کَبِیراً . (۱)

ص: ۲۱۵

---

۱ – ۱) -و یحتمل أن تکون الجمله الأخیره استمرارا لمحاوره اللّه مع المشرکین فی القیامه،و لا یضرّ کون الفعل مضارعا،لأنّ جمله(من یظلم..)ذکرت بصوره قانون عام(جمله شرطیه)،و نعلم أنّ الأفعال فی الجمله الشرطیه تفقد مفهومها الزمانی، و تبقی وحده الارتباط بین الشرط و جوابه معتبره.

مسائل مهمه:

اشاره

۱-من هم المقصودون بالمعبودين هنا!؟

فی الإجابه علی هذا السؤال،هناک تفسيران بين المفسّرين المعروفين:

أوّلا:أن يكون المقصود بالمعبودين إنسانا(مثل المسيح)أو شيطانا(مثل الجن)أو(الملائكه)،حيث أن كلّ واحد منها كان قد اتخذه فريق من المشركين معبودا لهم.و لأنّهم أهل عقل و شعور و إدراک،فيمكنهم أن يكونوا موضع الاستنطاق و المحاسبه،و لإتمام الحجه،و لإثبات كذب المشركين الذين يقولون:

إنّ هؤلاء دعونا لعبادتهم!فهم يسألون عمّا إذا كان هذا الادعاء صحيحا؟و لكنّهم يكذبون ادعاء المشركين بصراحه! التّفسير الثّانی:الذی ذكره جمع من المفسّرين هو أنّ اللّه يمنح الأصنام فی ذلک اليوم نوعا من الحياه و الإدراک و الشعور،بالشكل الذی تستطيع فيه أن تكون موضع المحاسبه،لينطقوا بالجواب اللازم:إلهنا،نحن ما أضللنا هؤلاء،بل هم أنفسهم ضلوا بسبب انغماسهم فی الشهوات و الغرور.

و هناک الاحتمال آخر،و هو أنّ المقصود يشمل جميع المعبودين،سواء كانوا ذوو عقل و شعور يخبرون بألسنتهم عن الوقائع،أم لم يكونوا من أهل العقل و الشعور،حيث يعكسون الحقيقه أيضا،بلسان حالهم.

و لكن القرائن الموجوده فی الآيه تتفق أكثر مع التّفسير الأوّل،ذلک لأنّ الأفعال و الضمائر تدل جميعها على أن طرف المحاوره هم أصحاب عقل و شعور، و هذا يتناسب مع معبودين كالمسيح و الملائكه و أمثالهم.

إضافه إلی أنّ قوله تعالى فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ... يظهر أن المشركين قد ادّعوا من قبل أن هؤلاء المعبودين قد أضلونا و دعونا لعبادتهم، و بعيد أن يكون المشركون قد ادعوا هذا بالنسبه إلی الأصنام الحجريه و الخشبيه،لأنّهم-كما ورد فی قصه إبراهيم-كانوا على يقين بأنّ الأصنام لا تتكلم لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا هٰؤُلاٰءِ

يَنْطِقُونَ

(۱)

.

فی حین أنّنا نقرأ مثلا بالنسبه إلی المسیح علیه السّلام فی الآیه(۱۱۶)من سوره المائده: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ ؟! و من المسلّم أنّ ادعاء المشرکین و عبده الأصنام کان واهیا و بلا أساس، فأولئک لم یدعوهم إلی عباده أنفسهم.

الملفت هو أن المعبودین لم یقولوا فی الجواب:إلهنا،ما دعوناهم إلی عباده أنفسنا،بل یقولون:نحن ما اتّخذنا لأنفسنا غیرک معبودا،یعنی فی الوقت الذی نحن نعبدک وحدک،فمن الأولی أنّنا لم ندعهم إلی أحد غیرک،خاصّه و أن هذا الکلام یقترن مع سُبْحانَکَ و مع ما کانَ یَنْبَغِی لَنا التی تکشف عن غایه أدبهم، و تأکیدهم علی التوحید.

۲-دافع الانحراف عن أصل التوحید

المهم هو أنّ المعبودین یعدّون العامل الأصلی لانحراف هذا الفریق من المشرکین هو(الحیاه المرفهه)لهم،و یقولون،إلهنا،متّعت هؤلاء و آباءهم من نعم هذه الحیاه،و هذا هو بالذات کان سبب نسیانهم،فبدلا من أن یعرفوا واهب هذه النعم فیشکرونه و یطیعونه،توغلوا فی دوامه الغفله و الغرور.

فالحیاه المرفهه لجماعه ضیقه الأفق،ضعیفه الإیمان،تبعث علی الغرور من جهه، ذلک لأنّهم فی الوقت الذی ینالون النعم الکثیره،ینسون أنفسهم و ینسون اللّه،حتی أنّ فرعون کان یطبّل أحیانا(أنا اللّه).

و من جهه أخری،فإنّ هؤلاء الأفراد یمیلون إلی التحرر من کل القیود التی تعیقهم فی ملذّاتهم من قبیل الحلال و الحرام،و المشروع و اللامشروع و تمنعهم من

۱- ۱) -الأنبیاء،۶۳.

الوصول إلى أهدافهم،و لهذا فهم لا يريدون أن يخضعوا أمام القوانين و المقررات الدينيه،و لا أن يقبلوا بيوم الحساب و الجزاء.

و هكـذا نجـد أنّ اتبـاع دين اللّه و تعليمـات الأنبياء قليل فى أوساط المرفهين دائما و لكن المستضـعفين هم الأتباع الصامـدون و المحبّون الأوفياء للدين و المذهب.

إنّ هذا الكلام له استثناءات فى كلا الطرفين قطعا،و لكن أكثريه كلّ من الفريقين هم كما قلنا.

و ممّـا تتضـمنه الآيه أعلاه،أنّهـا لم تركز على رفـاهيه حيـاتهم فقـط،بل ركزت على رفاهيه حياه آبائهم أيضا،ذلك لأنّ الإنسان حينمـا ينشأ على الـدلال و النعمه فـإنه سوف يرى فارقـا و امتيـازا بينه و بين الآخرين،و لن يكون مسـتعدا لفقـد المنافع الماديه و الحياه المرفهه بسهوله.

فى حين أن التقيـد بأمر اللّه،و بتعاليم الـدين تحتاج إلى الإيثار،و أحيانا إلى الهجره،و تحتاج حتى إلى الجهاد و الشـهاده،و أحيانا إلى التعاطى مع أنواع المحروميات،و عـدم التسـليم للعـدو،و هذه الأمور نادرا ما تتوافق مع مزاج المرفهين،إلاّ إذا كانت نفوسـهم أرفع من حيـاتهم المـاديه،فـإذا توفرت يومـا مـا شـكروا اللّه،و إلاّ فلن يتزلزلوا و لن ينزعجوا،و بعبـاره أخرى:إنّهم حاكمون على حياتهم الماديه غير محكومين لها،أمراء عليها لا أسارى عندها.

و يستفاد أيضا من التوضيح أنّ المقصود من قوله تعالى نَسُوا الذِّكْرَ نسيان ذكر اللّه،حيث ورد مكان ذلك فى الآيه(١٩)من سوره الحشر وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللّٰهَ أو نسـيان يوم القيامه و محكمه العـدل الإلهى،كما جاء فى الآيه (٢۶)سوره ص لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِيدٌ بِمٰا نَسُوا يَوْمَ الْحِسٰابِ أو نسيان كل منهما، و جميع التعاليم الإلهيه.

۳-کلمه «بور».

«بور»من ماده«بوار»و هی فی الأصل بمعنی شدّه کساد الشیء،و لأنّ شدّه الکساد تبعث علی الفساد،کما جاء فی المثل العربی«کسد حتی فسد»،فهذه الکلمه بمعنی الفساد،ثمّ أطلقت بعد هذا علی الهلاک،و لهذا یقولون للأرض الخالیه من الشجر و الورد و النبات،و التی هی فی الحقیقه فاسده و میته کلمه«بائر».

و علی هذا فإنّ قوله تعالی: کٰانُوا قَوْماً بُوراً إشاره إلی أنّ هذا الفریق علی أثر انغماسهم فی الحیاه المادیه المرفهه،و نسیانهم اللّه و الیوم الآخر،صاروا إلی الفساد و الهلکه،و صارت أراضی قلوبهم کالصحراء جافه و بائره،و أخلیت من أزاهیر ملکات القیم الإنسانیه،و فواکه الفضیله و الحیاه المعنویه.

مطالعه حال الأمم الغرقی فی الدلال و النعمه الیوم،الغافله عن اللّه و عن الخلق،توضح عمق معنی هذه الآیه فی کیفیه غرق هذه الأمم فی بحر الفساد الأخلاقی،و کیف اجتثت الفضائل الإنسانیه من أرض وجودهم البائره. (۱)

۱- ۱) -تعتبر بعض المصادر أنّ کلمه«بور»تأتی بمعنی اسم الفاعل،و تأتی واحده فی المفرد و المثنی و الجمع و المذکر و المؤنث،و بعض یعدها جمع«بائر».

الآیه [سوره الفرقان (۲۵): آیه ۲۰]

اشاره

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَکَ مِنَ اَلْمُرْسَلِینَ إِلاّٰ إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ اَلطَّعٰامَ وَ یَمْشُونَ فِی اَلْأَسْوٰاقِ وَ جَعَلْنٰا بَعْضَکُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَهً أَ تَصْبِرُونَ وَ کٰانَ رَبُّکَ بَصِیراً (۲۰)

سبب النّزول

أورد جماعه من المفسّرین و أصحاب السیر کابن إسحاق فی سیرته فی سبب نزول هذه الآیه«أن سادات قریش«عتبه بن ربیعه»و غیره اجتمعوا معه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقالوا:یا محمد،إن کنت تحبّ الریاسه ولیناک علینا،و إن کنت تحبّ المال جمعنا لک من أموالنا،فلما أبی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن ذلک،رجعوا فی باب الإحتجاج معه فقالوا:ما بالک و أنت رسول اللّه تأکل الطعام،و تقف بالأسواق! فعیّروه بأکل الطعام،لأنّهم أرادوا أن یکون الرّسول ملکا،و عیّروه بالمشی فی الأسواق حین رأوا الأکاسره و القیاصره و الملوک و الجبابره یترفعون عن الأسواق،و کان علیه السّلام یخالطهم فی أسواقهم،و یأمرهم و ینهاهم، فقالوا:هذا یرید أن یتملک علینا،فما له یخالف سیره الملوک؟فأجابهم اللّه بقوله،و أنزل علی نبیّه:

ص: ۲۲۰

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلاّٰ إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعٰامَ وَ یَمْشُونَ فِی الْأَسْوٰاقِ

فلا تغتم و لا تحزن،فإنّها شکاه ظاهر عنک عارها». (۱)

التّفسیر

اشاره

هکذا کان جمیع الأنبیاء

فی عدّه آیات سابقه وردت واحده من ذرائع المشرکین بهذه الصیغه:لماذا یأکل رسول اللّه الطعام،و یمشی فی الأسواق؟و أجیب علیها بجواب إجمالی و مقتضب،أمّا الآیه مورد البحث فتعود إلی نفس الموضوع لتعطی جوابا أکثر تفصیلا و صراحه،فیقول تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلاّٰ إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعٰامَ وَ یَمْشُونَ فِی الْأَسْوٰاقِ فقد کانوا من البشر و یعاشرون الناس،و فی ذات الوقت وَ جَعَلْنٰا بَعْضَکُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَهً و امتحانا.

و هذا الامتحان،قد یکون بسبب أنّ اختیار الأنبیاء من جنس البشر و من أوساط الجماهیر المحرومه هو امتحان عظیم بذاته،لأنّ البعض یأبون أن ینقادوا لمن هو من جنسهم،خاصّه إذا کان فی مستوی واطئ من حیث الإمکانات المادیه،و هم فی مستوی عال مادیا،أو أن أعمارهم أکبر،أو أنّهم أکثر شهره فی المجتمع.

و یرد احتمال آخر فی المراد بالفتنه،و هو أنّ الناس عموما بعضهم لبعض فتنه،ذلک أن المتقاعدین و العجزه و المرضی و الأیتام و المزمنین فتنه للأقویاء و الأصحاء السالمین،و بالعکس،فإنّ الأفراد الأصحاء الأقویاء فتنه للضعفاء و العجزه.

تری هل أنّ الفریق الثّانی راض برضا اللّه!أم لا؟

۱- ۱) -و إن کان قد جاء مضمون الروایه أعلاه فی کثیر من التفاسیر،و لکن ما ذکرناه أعلاه مطابق للروایه التی أوردها القرطبی فی تفسیره«الجامع لأحکام القرآن»ج ۱۳،ص ۵ دار إحیاء التراث العربی/بیروت.

و هل أن الفريق الأوّل يؤدى مسئوليته و تعهده إزاء الفريق الثّانى،أم لا؟! من هنا،لا تقاطع بين هذين التّفسيرين فمن الممكن أن يجتمع كلاهما فى المفهوم الواسع للآيه فى أن الناس بعضهم لبعض فتنه.

و على أثر هذا القول،جعل الجميع موضع الخطاب فقال تعالى:

أَ تَصْبِرُونَ

؟ ذلک لأنّ أهم ركن للنجاح فى جميع هذه الامتحانات هو الصبر و الاستقامه و الشجاعه...الصبر و الاستقامه أمام خيالات الغرور الذى يمنع من قبول الحق...

الصبر و الاستقامه أمام المشكلات الناشئه من المسؤوليات و أداء الرسالات، و كذلک الجلد أمام المصائب و الحوادث الأليمه التى لا تخلو منها حياه الإنسان على كل حال.

و الخلاصه:أنّ من الممكن اجتياز هذا الامتحان الإلهى العظيم بقوّه الاستقامه و الصبر. (۱)

و يقول تعالى فى ختام الآيه بصيغه التحذير: وَ كانَ رَبُّکَ بَصِيراً فينبغى ألا يتصور أحد أن شيئا من تصرفاته حيال الاختبارات الإلهيه يظل خافيا و مستورا عن عين اللّه و علمه الذى لا يخفى عليه شيء.إنّه يراها بدقه و يعلمها جميعا.

سؤال:

يرد ها هنا استفسار،و هو أن ردّ القرآن على المشركين فى الآيات أعلاه قائم على أن جميع الأنبياء،كانوا من البشر.و هذا لا يحلّ المشكله،بل يزيد من حدّتها، ذلک أن من الممكن أن يعمموا إشكالهم على جميع الأنبياء.

۱- ۱) -من أجل توضيح أكثر فى مسأله الاختبارات الإلهيه،و الغايه من هذه الاختبارات و سائر أبعاد ذلک،بحثنا ذلک بشكل مفصّل فى ذيل الآيه(۵۵)من سوره البقره.

و الجواب:

أنّ الآيات القرآنيه المختلفه تدلّ على أن إشكالهم على شخص النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كانوا يعتقدون أنه اتخذ لنفسه وضعا خاصا به،و لهذا كانوا يقولون:ما لهذا الرّسول...

يقول القرآن فى جوابهم:ليس هذا منحصرا بالرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق،فجميع الأنبياء كانت لهم مثل هذه الأوصاف،و على فرض أنّهم سيعممون هذا الأشكال على جميع الأنبياء،فقد أعطى القرآن جوابهم أيضا حيث يقول: وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً «كى يستطيع أن يكون أسوه و أنموذجا للناس فى كل مجالات».إشاره إلى أن الإنسان فقط يستطيع أن يكون مرشدا للإنسان،فهو الواقف على جميع حاجاته و رغباته و مشكلاته و مسائله.

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۲۱ الی ۲۴]

اشاره

وَ قَالَ اَلَّذِينَ لاٰ يَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْنَا اَلْمَلاٰئِكَهُ أَوْ نَرىٰ رَبَّنٰا لَقَدِ اِسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (۲۱) يَوْمَ يَرَوْنَ اَلْمَلاٰئِكَهَ لاٰ بُشْرىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً (۲۲) وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً (۲۳) أَصْحٰابُ اَلْجَنَّهِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً (۲۴)

التّفسير

اشاره

الادعاءات الكبيره:

قلنا أنّ المشركين يصرون على الفرار من ثقل التعهدات و المسؤوليات التى يضعها على عواتقهم الإيمان باللّه و اليوم الآخر،فكانوا يقولون تاره:لماذا يحتاج الرّسول إلى الطعام و يمشى فى الأسواق؟حيث قرأنا الإجابه عليها فى الآيات السابقه.

الآيات الحاليه،تطرح شكلين آخرين من ذرائعهم و تجيب عليها،فيقول

ص :۲۲۴

تعالی أوّلا: وَ قٰالَ الَّذِینَ لاٰ یَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا لَوْ لاٰ أَنْزِلَ عَلَیْنَا الْمَلاٰئِکَهُ أَوْ نَریٰ رَبَّنٰا .

فعلی فرض أنّنا سنقبل أنّ النّبی یستطیع أن یعیش الحیاه العادیه مثلنا.لکن أن یتنزل الوحی علیه وحده،و لا نراه نحن،فهذا ما لا یمکن القبول به،ما المانع من أن یظهر الملک فیؤکّد صحه نبوه الرّسول؟أو أن یسمعنا بعضا من الوحی!؟أو أن نری ربّنا بأعیننا حتی لا یبقی عندنا مکان لأی شک أو شبهه!؟ هذه هی الأسئله التی تمنعنا من قبول دعوه محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

المهم هو أن القرآن یصنف هؤلاء المتعللین بالذرائع تحت عنوان لاٰ یَرْجُونَ لِقٰاءَنٰا ،حیث یدل علی أنّ منبع هذه الأقوال الواهیه هو عدم الإیمان بالآخره، و عدم القبول بالمسؤولیه أمام اللّه.

فی الآیه(٧)من سوره الحجر نقرأ أیضا شبیها لهذا القول،حیث قالوا لَوْ مٰا تَأْتِینٰا بِالْمَلاٰئِکَهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِینَ و قرأنا أیضا فی مطلع سوره الفرقان هذه أن المشرکین کانوا یقولون: لَوْ لاٰ أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَلَکٌ فَیَکُونَ مَعَهُ نَذِیراً .

فی حین أن من حق أی إنسان لإثبات قضیه ما،أن یطالب بالدلیل فقط.

أمّا نوع الدلیل،فمن المسلّم أنّه لا فرق فیه،فی الوقت الذی أثبت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم -بإظهار المعجزات و من جملتها القرآن نفسه-حقانیه دعوته بوضوح،إذن فما معنی هذه الذرائع؟ و أفضل دلیل علی أنّهم لم یکونوا یقولون هذه الأقوال من أجل التحقیق حول نبوه النّبی،هو أنّهم طلبوا أن یشاهدوا الخالق،و أنزلوه إلی حدّ جسم یمکن رؤیته،ذلک الطلب نفسه الذی طلبه مجرمو بنی إسرائیل أیضا،فسمعوا الجواب القاطع علی ذلک،حیث ورد شرحه فی سوره الأعراف الآیه ١۴٣.

لذا یقول القرآن فی الإجابه علی هذه الطلبات فی آخر الآیه مورد البحث:

لَقَدِ اسْتَکْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا کَبِیراً

.

«العتو»علی وزن«غلو»،بمعنی الامتناع عن الطاعه،و التمرد علی الأمر،

مصحوبا بالعناد و اللجاجه.

و تعبير«فى أنفسهم»من الممكن أن يكون بمعنى:أنّ هؤلاء صاروا أسارى الغرور و التكبّر فى أنفسهم.و من الممكن أن يكون أيضا بمعنى أنّهم أخفوا كبرهم و غرورهم فى قلوبهم و أظهروا هذه المعاذير.

فى عصرنا و زماننا أيضا،يوجد أشخاص يكررون منطق المشركين الغابرين،فيقولون: ما دمنا لا نرى اللّه فى مختبراتنا،و لا نشاهد الروح تحت مبضع الجراحه،فلن نصدّق!بوجودهما و منبع الإثنين واحد و هو الاستكبار و العتو.

و من حيث الأصل،فإنّ جميع الأشخاص الذين يحصرون وسائل المعرفه فى الحس و التجربه فقط،يكررون نفس هذا القول بشكل ضمنى،فكلّ الماديين داخلون فى هذا الصنف،فى حين أنّ الحواس لا تدرك إلاّ جزء ضئيلا لا يذكر من ماده هذا العالم.

ثمّ يقول تعالى بصيغه التهديد:إنّ هؤلاء الذين يطلبون أن يروا الملائكه، سوف يرونهم آخر الأمر،لكن يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاٰئِكَهَ لاٰ بُشْرىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ . (۱)

بلى سوف لن يسرّوا برؤيه الملائكه فى ذلك اليوم،لأنّهم سيرون علامات العذاب برؤيتهم الملائكه،و سوف يغمرهم الرعب إلى حد أنّهم سيطلقون صرخات الإستغاثه التى كانوا يطلقونها فى الدنيا حال الإحساس بالخطر أمام الآخرين،فيقولون:الأمان..الأمان،اعفوا عنّا: وَ يَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً .

و لكن لا هذه الجمله-و لا غيرها-لها أثر على مصيرهم المحتوم،ذلك لأنّ النار التى هم أوقدوها ستلتهم أطرافهم شاءوا أم أبوا،و ستتجسد أمامهم الأعمال السيئه التى ارتكبوها،فلا يملكون شيئا لأنفسهم.

كلمه«حجر»(على وزن قشر)تقال فى الأصل للمنطقه التى حجروها

۱- ۱) -كلمه(لا)ها هنا،قد تكون للنفى،كما قال كثير من المفسّرين،و يحتمل أيضا أن تكون لانشاء الدعاء السلبى،حيث يصبح معنى الجمله فى هذه الصوره،هكذا:«فى ذلك اليوم لا كانت بشرى للمجرمين».

و جعلوها ممنوعه الورود،و عند ما يقال«حجر إسماعيل»فلأن حائطا أنشئ حوله فحجز داخله.يقولون للعقل أيضا«حجرا»لأنّه يمنع الإنسان من الأعمال المخالفه.لذا نقرأ فى الآيه(۵)من سوره الفجر هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ، و أيضا«اصحاب الحجر»الذين ورد اسمهم فى القرآن(الآيه ۸۰ من سوره الحجر) و هم قوم صالح الذين كانوا ينحتون لأنفسهم بيوتا حجريه محكمه فى قلوب الجبال،فكانوا يعيشون فى أمانها.

هذا فى ما يخص كلمه«حجر».

أمّا جمله«حجرا محجورا»فقد كانت اصطلاحا بين العرب،إذا التقوا بشخص يخافونه،فأنّهم يقولون هذه الجمله أمامه لأخذ الأمان.

كان هذا عرف العرب،خاصّه فى الأشهر الحرم،حيث كانت الحرب ممنوعه،فحينما يواجه شخص آخر،و يحتمل خرق هذا العرف و التعرض للأذى،فإنّه يكرر هذه الجمله،و الطرف المقابل-أيضا-مع سماعه لها كان يعطيه الأمان،فيخرجه من القلق و الاضطراب و الخوف.

على هذا فإنّ معنى الجمله المذكوره هو:«أريد الأمان،الأمان الذى لا رجعه فيه و لا تغيير». (۱)

اتّضح ممّا قلناه أعلاه،أنّ المجرمين هنا هم أصحاب هذا القول،و تناسب الأفعال الموجوده فى الآيه،و السير التاريخى،و سابقه هذه الجمله فى أوساط العرب-أيضا-يستدعى هذا، و لكن البعض احتمل أنّ الملائكه هم أصحاب هذا القول،و هدفهم منع المشركين من رحمه اللّه.

و قال آخرون:إنّ أصحاب هذا القول هم المجرمون،يقولونه بعضهم لبعض، و لكن الظاهر هو المعنى الأول،حيث اختاره كثير من المفسّرين،أو ذكروه كأوّل

۱- ۱) -و من الناحيه الأدبيه فإنّ«حجرا»مفعول لفعل مقدر و«محجورا»جاءت للتوكيد،فهى فى الأصل(أطلب منك منعا لا سبيل إلى رفعه و دفعه).

تفسیر لذلک. (۱)

أمّا أی یوم ذلک الیوم الذی یلتقی فیه المجرمون بالملائکه؟فقد ذکر المفسّرون احتمالین:أحدهما:هو یوم الموت حیث یری الإنسان ملک الموت، کما نقرأ فی الآیه(۹۳)من سوره الأنعام: وَ لَوْ تَریٰ إِذِ الظّٰالِمُونَ فِی غَمَرٰاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلاٰئِکَهُ بٰاسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ .و الثّانی:أنّ المقصود هو یوم القیامه و النشور،حیث یکون المجرمون أمام ملائکه العذاب فیشاهدونهم.

و مع الانتباه إلی الآیات الآتیه التی تتکلم عن النشور،خصوصا جمله یَوْمَئِذٍ التی تشیر إلیه،یتبیّن أنّ التّفسیر الثّانی هو الأقرب.

الآیه التی بعدها تجسد مصیر أعمال هؤلاء المجرمین فی الآخره،فتقول:

وَ قَدِمْنٰا إِلیٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً

.

کلمه«العمل»علی ما قاله«الراغب»فی المفردات بمعنی:کل فعل یکون بقصد،و لکن الفعل أعم منه،فهو یطلق علی الأفعال التی تکون بقصد أو بغیر قصد. (۲)

جمله«قدمنا»من«القدوم»بمعنی«المجیء»أو«الذهاب علی أثر شیء» و هی هنا دلیل علی تأکید و جدّیه المسأله،یعنی مسلّما و بشکل قاطع أن جمیع أعمال أولئک التی قاموا بها عن قصد و إراده-و إن کانت أعمال خیر ظاهرا- سنمحوها کما تمحی ذرات الغبار فی الهواء،لشرکهم و کفرهم.

۱- ۱) -تفسیر المیزان،تفسیر الفخر الرازی،فی ظلال القرآن،تفسیر أبو الفتوح الرازی،ذیل آیه البحث.

۲- ۲) -یذهب(الراغب)الی هذا الفرق فی ماده«عمل»،و لو أنّ له بیانا خلاف ذلک فی ماده«فعل».لکن مع الالتفات إلی موارد استعمال هاتین الکلمتین یکون هذا الفرق صحیحا،طبعا یمکن أن یکون له استثناءات کما یقولون للثیران التی تعمل«عوامل».

آفات العمل الصالح:

كلمه«هباء»بمعنى ذرات الغبار الصغيره جدّا التى لا ترى بالعين المجرّده و فى الحال العاديه أبدا إلّا فى الوقت الذى يدخل نور الشمس إلى الغرفه المظلمه من ثقب أو كوّه،فيكشف عن هذه الذرات و يمكن مشاهدتها.

هذا التعبير يدل على أن أعمال أولئك لا قيمه لها و لا اثر إلى حدّ كأنّهم لم يعملوا شيئا،و إن كانوا قد سعوا و اجتهدوا سنين طويله.

هذه الآيه نظيره الآيه(١٨)من سوره إبراهيم التى تقول: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمٰالُهُمْ كَرَمٰادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عٰاصِفٍ .

الدليل المنطقى لذلك واضح أيضا،لأنّ الشىء الذى يعطى عمل الإنسان الشكل و المحتوى،هو النيّه و الدافع و غايه العمل النهائيه،فأهل الإيمان يتوجهون لإنجاز أعمالهم بدافع إلهى و على أساس أهداف مقدسه طاهره،و خطط سليمه صحيحه،فى حين أن من لا إيمان لهم،فغالبا يقعون أسارى التظاهر و الرياء و الغرور و العجب،فيكون سببا فى انعدام أيه قيمه لأعمالهم.

على سبيل المثال،نحن نعرف مساجد من مئات السنين،لم تترك عليها القرون الماضيه أدنى تأثير،و بعكسها نرى بيوتا تظهر فيها الشروخ و علامات الضعف مع مضى شهر واحد أو سنه واحده،فالأولى بنيت من كل النواحى بناء محكما بأفضل المواد مع توقع الحوادث المستقبليه،أمّا الثّانيه فلأن الهدف من بنائها هو تهيئه المال و الثروه عن طريق المظاهر و الحيله،فالعنايه فيها كانت بالزخرفه فقط. (١)

من وجهه نظر المنطق الإسلامى،فإن للأعمال الصالحه آفات،ينبغى مراقبتها بدقه،فقد يكون العمل أحيانا خرابا و فاسدا منذ البدايه،كمثل العمل الذى يتخذ

١- ١) -بحثنا فى هذا الصدد بصوره أكثر تفصيلا فى(ذيل الآيه ١٨ من سوره إبراهيم).

(رياء).

و أحيانا أخرى يلحقه الفساد أثناء العمل كما لو أصاب الإنسان الغرور و العجب حينه فتزول قيمه عمله بسبب ذلك.

و قد يمحى أثر العمل الصالح بعد الانتهاء منه بسبب القيام بأعمال مخالفه و منافيه،كمثل الإنفاق الذى تتبعه«منّه»،أو كالأعمال الصالحه التى يعقبها كفر و ارتداد.

حتى ارتكاب الذنوب أحيانا يترك أثره على العمل الصالح بعدها-طبقا لبعض الرّوايات الإسلاميه- كما نقرأ فى مسأله شارب الخمر حيث لا تقبل أعماله عند اللّه أربعين يوما. (۱)

على أيه حال،فللإسلام منهج فذ،دقيق و حساس فى مسأله خصوصيات العمل الصالح.نقرأ

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

يبعث اللّه عزّ و جلّ يوم القيامه قوما بين أيديهم نور كالقباطى،ثمّ يقول له:

هَبٰاءً مَنْثُوراً

ثمّ قال:أمّا و اللّه-يا أبا حمزه-إنّهم كانوا يصومون و يصلون، و لكن كانوا إذا عرض لهم شىء من الحرام أخذوه،و إذا ذكر لهم شىء من فضل أمير المؤمنين عليه السّلام أنكروه،قال:و الهباء المنثور هو الذى تراه يدخل البيت فى الكوه مثل شعاع الشمس». (۲)

و بما أن القرآن-عاده-يضع الحسن و السيء متقابلين حتى يتّضح وضع كل منهما بالمقايسه فإنّ الآيه التى بعدها تتحدث عن أهل الجنّه فتقول: أَصْحٰابُ الْجَنَّهِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً .

ليس معنى هذا الكلام أنّ وضع أهل جهنم حسن،و وضع أهل الجنّه أحسن، لأنّ صيغه«أفعل التفضيل»تأتى أحيانا حيث يكون أحد الأطراف واجدا

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۱،ص ۴۲۷،ماده«خمر».

۲- ۲) -تفسير على بن إبراهيم طبقا لنقل نور الثقلين،ج ۴،ص ۹.

للمفهوم،و الآخر فاقدا له كليا. مثلا نقرأ فى الآيه(۴۰)من سوره فصّلت: أَ فَمَنْ يُلْقىٰ فِي اَلنّٰارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ .

«مستقر»بمعنى محل الاستقرار.

و«مقيل»بمعنى محل الاستراحه فى منتصف النهار،من ماده«قيلوله»،و قد جاءت بمعنى النوم منتصف النهار.

ص: ۲۳۱

الآیتان [سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۲۵ الی ۲۶]

اشاره

وَ یَوْمَ تَشَقَّقُ اَلسَّمٰاءُ بِالْغَمٰامِ وَ نُزِّلَ اَلْمَلاٰئِکَهُ تَنْزِیلاً (۲۵) اَلْمُلْکُ یَوْمَئِذٍ اَلْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَ کٰانَ یَوْماً عَلَی اَلْکٰافِرِینَ عَسِیراً (۲۶)

التّفسیر

اشاره

تشقق السماء بالغمام:

مرّه أخری یواصل القرآن فی هذه الآیات البحث حول القیامه،و مصیر المجرمین فی ذلک الیوم،فیقول أوّلا:إن یوم محنه و حزن المجرمین هو ذلک الیوم الذی تنشق فیه السماء بواسطه الغیوم: وَ یَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمٰاءُ بِالْغَمٰامِ وَ نُزِّلَ الْمَلاٰئِکَهُ تَنْزِیلاً . (۱)

«الغمام»من«الغم»بمعنی ستر الشیء،لذلک فالغیم الذی یغطی الشمس یقال له«الغمام»، و کذلک الحزن الذی یغطی القلب یسمّونه«الغم».

۱- ۱) -جمله«یوم تشقق السماء»فی الواقع عطف علی جمله«یوم یرون الملائکه»التی مرّت سابقا،و علی هذا فأنّ «یوم»هنا متعلق بذلک الشیء الذی کان فی الآیه السابقه،یعنی جمله«لا بشری».و یعتقد جماعه أنّه متعلق بفعل مقدّر، مثل(أذکر)و«الباء»فی«الغمام»یمکن أن تکون بمعنی الملابسه،أو بمعنی«عن»،أو للسببیه کما تقدم فی تفسیر الآیات أعلاه.

هـذه الآـيه-فى الحقيقه-ردّ على طلبـات المشـركين،و على إحـدى ذرائعهم، لأـنّهم كـانوا يتوقعون أن يأتى اللّه و الملائكه-طبقا لأساطيرهم و خرافاتهم من خلال الغيم،فيدعونهم إلى الحق،و فى أساطير اليهود جاء-أيضا-أنّ اللّه أحيانا يظهر ما بين الغيوم. (۱)

يقول القرآن فى الردّ عليهم:نعم الملاـئكه(و ليس اللّه)يـأتون إليهم يومـا ما، لكن أى يوم؟اليوم الـذى تتحقق فيه مجازاه و عقوبه هؤلاء المجرمين،و ينهى ادعاءاتهم الباطله.

و لكن مـا هو المقصود من تشـقق السـماء بالغمام،مع أنّنا نعلم أن لا وجود حولنا لشـىء يسـمى السـماء،يكون قابلا للتشـقق؟ قال بعض المفسّرين مثل«العلامه الطباطبائى»فى تفسير«الميزان»:

المقصود هو تشقق سماء عالم الشهود،و زوال حجاب الجهل و الغباء و ظهور عالم الغيب،فيكون للإنسان إدراك و رؤيه تختلف كثيرا عمّا هى عليه اليوم،فحينئذ تزول الحجب،فيرون الملائكه و هى تتنزل من العالم الأعلى.

ثمّه تفسـير آخر،هو أنّ المقصود من السـماء هو الأجرام السماويه التى تتلاشى على أثر انفجارات متواليه،فيملأ الغيم الحاصل من هذه الإنفجارات و من تلاشـى الجبال صـفحه السماوات،و بناء على هذا فالأفلاك السماويه تتشقق مع الغيوم الحاصله من ذلك. (۲)

آيـات كثيره من القرآن المجيـد،خصوصـا التى وردت فى السور القصـار آخر القرآن،تبيّن هـذه الحقيقه،حيث تملأ جميع عوالم الوجود تغيرات عظيمه، و انقلاـب و تحول عجيب،تتلاشـى الجبـال و تتنـاثر فى الفضـاء كـذرات الغبـار، الشـمس تفقـد نورها و كذلك النجوم.و يلتقى الشمس و القمر،و تملأ نواحى الأرض

۱- ۱) -فى ظلال القرآن،ج ۶،ص ۱۵۴(ذيل الآيه مورد البحث).

۲- ۲) -«الباء»من الناحيه الأدبيه فى هذه الحاله للملابسه.

زلزله و هزّه عجيبه.

نعم،فى مثل ذلك اليوم،زوال السماء،بمعنى الأجرام السماويه،و تلبّس السماء بغيوم كثيفه،سيكون أمرا طبيعيا.

من الممكن توضيح نفس هذا التّفسير بنحو آخر:

شدّه التغيرات،و انفجارات الكواكب و السيارات يصير سببا فى تغطيه السماء بغيم كثيف،و لكن توجد انشقاقات بين هذا الغيم،و على هذا فالسماء التى ترى بالعين فى الأحوال العاديه،تتشقق بواسطه هذه الغيوم الانفجاريه العظيمه. (١)

تفسيرات أخرى قيلت لهذه الآيه أيضا لا تتوافق مع الأصول العلميه و المنطقيه،و فى نفس الوقت فالتّفسيرات الثلاثه الآنفه لا تتنافى مع بعضها،فمن الممكن أن ترتفع حجب العالم المادى عن عين الإنسان من جهه،فيشاهد عالم ما وراء الطبيعه،و من جهه أخرى ستتلاشى الأجرام السماويه،و تظهر الغيوم الانفجاريه،فتبرز التشققات ما بينها فى ذلك اليوم،يوم نهايه هذا العالم و بدايه النشور،يوم أليم جدّا للمجرمين الظالمين المعاندين الذين لا إيمان لهم.

بعد ذلك يتناول القرآن الكريم أوضح علائم ذلك اليوم فيقول: اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ .

حتى أولئك الذين كان لهم فى هذا العالم نوع من الملك المجازى و المحدود و الفانى و السريع الزوال،يخرجون أيضا من دائره الملك،فتكون الحاكميه من كلّ النواحى و جميع الجهات لذاته المقدسه خاصّه،و بهذا وَ كٰانَ يَوْماً عَلَى الْكٰافِرِينَ عَسِيراً .

نعم،فى ذلك اليوم تزول القوى الكاذبه تماما،و تكون الحاكميه للّه خاصّه، فتتداعى قلاع الكافرين،و تزول قوى الجبابره و الطواغيت،و إن كانوا جميعا فى

١- ١) -فى هذه الحاله«الباء»فى«بالغمام»للسببيه.

هـذا العالم-أيضا-لا شـیء أمام إرادته تبارک و تعالی.و إذا کان لهم فی هـذه الـدنیا بهرجه،فبأی ملاذ یلوذون من الجزاء الإلهی فی یوم القیـامه،یوم انکشـاف الحقـائق و زوال المجـازات و الخیالاـت و الأوهـام،و لهـذا سـیکون ذلک الیوم یوما بالغ الصـعوبه علیهم،فی الوقت الذی یکون علی المؤمنین سهلا یسیرا و هینا جدّا.

فی حدیث عن أبی سعید الخدری قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ فقلت:ما أطول هذا الیوم!؟فقال النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم«و الذی نفسی بیده إنّه لیخفف عن المؤمن حتی یکون أخفّ علیه من صلاه المکتوبه یصلیها فی الدنیا». (۱)

و التأمل الـدقیق فی سـائر آیـات القرآن یکشف عن دلائل صـعوبه ذلک الیوم علی الکافرین، ذلک أنّنا نقرأ من جهه وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ . (۲)

و من جهه أخری ما أَغْنی عَنْهُ مالُهُ وَ ما کَسَبَ . (۳)

و من جهه ثالثه یَوْمَ لا یُغْنِی مَوْلًی عَنْ مَوْلًی شَیْئاً . (۴)

حتی الشـفاعه التی هی وحـدها طریق النجاه،تکون للمذنبین الذین کانت لهم صـله باللّه و بأولیاء اللّه مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ . (۵)

و ایضا وَ لا یُؤْذَنُ لَهُمْ فَیَعْتَذِرُونَ ، (۶) فلا یسمح لهم بالاعتذار،فما بالک بقبول الاعذار الواهیه!!

۱- ۱) -تفسیر القرطبی«الجامع لأحکام القرآن»،ج ۱۳،ص ۲۳،ج ۷،ص ۴۷۳۹.

۲- ۲) -سوره البقره،الآیه ۱۶۶.

۳- ۳) -سوره تبّت،الآیه ۲.

۴- ۴) -سوره الدخان،الآیه ۴۱.

۵- ۵) -سوره البقره،الآیه ۲۵۵.

۶- ۶) -سوره المرسلات،الآیه ۳۶.

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۲۷ الی ۲۹]

اشاره

وَ يَوْمَ يَعَضُّ اَلظّٰالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يٰا لَيْتَنِى اِتَّخَذْتُ مَعَ اَلرَّسُولِ سَبِيلاً (۲۷) يٰا وَيْلَتىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاٰناً خَلِيلاً (۲۸) لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ اَلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جٰاءَنِى وَ كٰانَ اَلشَّيْطٰانُ لِلْإِنْسٰانِ خَذُولاً (۲۹)

سبب النّزول

«

قال ابن عباس: نزل قوله تعالى: وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّٰالِمُ فى عقبه بن أبى معيط،و أبى بن خلف،و كانا متخالّين،و ذلك أن عقبه كان لا يقدم من سفر إلاّ صنع طعاما فدعا إليه أشراف قومه،و كان يكثر مجالسه الرّسول،فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما و دعا الناس، فدعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى طعامه،فلما قربوا الطعام قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّى رسول اللّه،فقال عقبه:أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أشهد أن محمدا رسول اللّه.و بلغ ذلك أبى بن خلف فقال:صبئت يا عقبه؟قال:لا و اللّه ما صبأت،و لكن دخل علىّ رجل فأبى أن يطعم من طعامى إلاّ أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى و لم يطعم، فشهدت له فطعم،فقال أبى:ما كنت براض عنك أبدا حتى تأتى فتبزق فى وجهه،

ففعل ذلک عقبه و ارتدّ،و أخذ رحم دابه فألقاها بین کتفیه،فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لا ألقاک خارجا من مکّه إلاّ علوت رأسک بالسیف،فضرب عنقه یوم بدر صبرا،و أمّا أبی بن خلف فقتله النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم أحد بیده فی المبارزه».

و قال الضحاک:لما بزق عقبه فی وجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عاد بزاقه فی وجهه، فأحرق خدیه،و کان أثر ذلک فیه حتی مات.

و قیل نزلت فی کل کافر أو ظالم تبع غیره فی الکفر أو الظلم و ترک متابعه أمر اللّه تعالی. (۱)

نزلت الآیات أعلاه لترسم صوره مصیر الرجل الذی یبتلی بخلیل ضال، و یجره إلی الضلال.

و قلنا مرارا أنّ سبب النّزول و إن یکن خاصّا،إلاّ أنّه لا یقید مفهوم الآیات أبدا،و عمومیه المفهوم تشمل جمیع المصادیق.

التّفسیر

اشاره

أضلنی صدیق السوء

یوم القیامه له مشاهد عجیبه،حیث ورد بعض منها فی الآیات السابقه،و فی هذه الآیات اشاره الی قسم آخر منها،و هی مسأله حسره الظالمین البالغه علی ماضیهم،یقول تعالی أوّلا: وَ یَوْمَ یَعَضُّ الظّٰالِمُ عَلیٰ یَدَیْهِ یَقُولُ یٰا لَیْتَنِی اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِیلاً (۲) .

«یعضّ»من ماده«عضّ»(علی وزن سدّ)بمعنی الأزم بالأسنان،و یستخدم

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۷،ص ۱۶۶.

۲ – ۲) -جمله یَوْمَ یَعَضُّ الظّٰالِمُ... عطف علی«یوم یرون»التی مضت قبل عدّه آیات،بعض یعتبرها أیضا متعلقه بجمله مقدره«اذکر».

هـذا التعبير عاده بالنسبه إلى الأشخاص المهووسين من شـدّه الحسره و الأسف،كما فى المثل العربى،لأن الإنسان فى مثل هذه الحالات لا يعض الإصبع دائما،بل يعض ظاهر اليد أحيانا،و كثيرا ما يقال-كما فى الآيه الآيه مورد البحث-«يديه» يعنى كلتا اليدين حيث تبيّن شدّه الأسف و الحسره بنحو أبلغ.

و هذا العمل يصدر من هؤلاء الأشخاص حينما يطلعون على ماضيهم، و يعتبرون أنفسهم مقصرين،فيصممون على الانتقام من أنفسهم بهذا الشكل لتهدئه سوره الغضب فى نفوسهم و الشعور بالراحه.

و ينبغى حقّا،أن يسمى ذلك اليوم يَوْمَ الْحَسْرَهِ كما ورد هذا الوصف بالذات فى القرآن ليوم القيامه أيضا(سوره مريم الآيه ٣٩)،ذلك لأن المجرمين يرون أنفسهم فى أتعس حال بين يدى الحياه الخالده،فى الوقت الذى كانوا يستطيعون خلال أيام من الصبر و الاستقامه و مجاهده النفس و الإيثار أن يستبدلوا ذلك بحياه مشرفه و سعيده، و هو يوم أسف أيضا حتى بالنسبه إلى المحسنين،فهم يأسفون على أنّهم:لماذا لم يحسنوا أكثر.

ثمّ يضيف القرآن الكريم أنّ هذا الظالم المعتدى الغارق فى عالم الأسف، يقول: يٰا وَيْلَتىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاٰناً خَلِيلاً . (١)

واضح أن المقصود ب«فلان»هو ذلك الذى أضله:الشيطان أو صديق السوء أو القريب الضال،و فرد مثل«أبى»ل«عقبه»الذى ورد فى سبب النّزول.

هذه الآيه-و الآيه التى قبلها-تعرضان حالتى نفى و إثبات متقابلتين فى مكان واحد،يقول تعالى: يٰا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ،و هنا يقول:

...لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاٰناً خَلِيلاً

حيث كانت التعاسه كلها فى ترك الارتباط بالنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و قبول الارتباط بهذا الخليل الضال.

١- ١) -«خليل»تطلق بمعنى الصديق الخاص الحميم حيث يجعله الإنسان مشاورا لنفسه.و للخليل معان أخرى أيضا قد أوردناها فى ذيل الآيه(١٢٥)من سوره النساء.

ثمّ یستمر و یقول: لَقَدْ أَضَلَّنِی عَنِ الذِّکْرِ بَعْدَ إِذْ جٰاءَنِی .

لو کانت الفاصله کبیره بینی و بین الإیمان و السعاده الخالده فی الدنیا لم أکن آسف الی هذا الحد،و لکننی کنت قاب قوسین أو أدنی من السعاده الدائمه فصدّنی رفیق السوء هذا عن عین ماء الحیاه ظامئا و أغرقنی فی دوامه التعاسه.

«الذکر»فی الجمله أعلاه،له معنی واسع،و یشمل کل الآیات الإلهیه التی نزلت فی الکتب السماویه،بل یدخل فی إطاره کلّ ما یوجب یقظه و وعی الإنسان.

و فی ختام الآیه یقول تعالی: وَ کٰانَ الشَّیْطٰانُ لِلْإِنْسٰانِ خَذُولاً ذلک لأنّه یجر الإنسان إلی مواقع الخطر و الطرق المنحرفه،ثمّ یترکه حیران و یذهب لسبیله.

و ینبغی الانتباه إلی أنّ«خذولا»صیغه مبالغه،بمعنی کثیر الخذلان.

و حقیقه الخذلان هی أی یعتمد الشخص علی صدیقه تمام الاعتماد،و لکن هذا الصدیق یرفع یده عن مساعدته و إعانته تماما فی اللحظات الحساسه.

فی هذه الجمله الأخیره وَ کٰانَ الشَّیْطٰانُ لِلْإِنْسٰانِ خَذُولاً قد تکون من مقوله اللّه تعالی علی سبیل الإنذار لجمیع الظالمین و الظالمین،أو تتمه لمقوله هؤلاء الأفراد المتحسرین فی القیامه،ذکر المفسّرون تفسیرین،و کل منهما منسجم مع معنی الآیه،غیر أن کونها مقوله اللّه تعالی أکثر انسجاما.

بحث

اشاره

أثر الصدیق فی مصیر الإنسان:

لا شک فی أن عوامل بناء شخصیه الإنسان-بعد عزمه و إرادته و تصمیمه- أمور مختلفه،من أهمها الجلیس و الصدیق و المعاشر،ذلک لأنّ الإنسان قابل للتأثر

شاء أم أبى،فيأخذ قسطا مهما من أفكاره و صفاته الأخلاقيه عن طريق أصدقائه، و لقد ثبتت هذه الحقيقه من الناحيه العلميه و عن طريق التجربه و المشاهدات الحسيه أيضا.

قابليه التأثر هذه نالت اهتماما خاصّا لدى الإسلام إلى حدّ أنّه نقل فى الرّوايات الإسلاميه،

عن نبىّ اللّه سليمان عليه السّلام أنّه قال:«لا تحكموا على رجل بشىء حتى تنظروا إلى من يصاحب،فإنّما يعرف الرجل بأشكاله و أقرانه،و ينسب إلى أصحابه و أخدانه». (۱)

يقول الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام فى خطبه له: «و من اشتبه عليكم أمره و لم تعرفوا دينه،فانظروا إلى خلطائه،فإن كانوا أهل دين اللّه فهو على دين اللّه،و إن كانوا على غير دين اللّه،فلا حظّ له من دين اللّه». (۲)

حقّا،إنّ أثر الصديق فى سعاده و شقاوه إنسان ما قد يكون من أهم العوامل أحيانا،فقد يؤدى به إلى دركات الشقاء الأبدى،و قد يرقى به أحيانا إلى غايه المجد.

الآيات الحاليه و سبب نزولها،تبيّن-بوضوح-كيف أنّ الإنسان قد يقترب من السعاده،لكنّ وسوسه شيطانيه واحده من صديق سيء تقلبه رأسا على عقب و تقلب مصيره،حيث سيعضّ على يديه من الحسره يوم القيامه،و ستتعالى منه صرخه«يا ويلتى».

فى كتاب«العشره»وردت روايات كثيره فى نفس هذا الموضوع، تبيّن أن الإسلام شديد و دقيق و ثاقب النظره فى مسأله اختيار الصديق.

ننهى هذا البحث القصير بنقل حديثين فى هذا الموضوع،و من أراد الاطلاع أكثر فى هذا الموضوع فليراجع كتاب«العشره»من بحار الأنوار،الجزء ۷۴.

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۲،ص ۲۷ ماده(صدق).

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۷۴،ص ۱۹۷.

نقرأ

فی حـدیث عن التـاسع من أئمه الإسـلام العظام،الإمام محمـد التقی الجواد علیه السّـلام «إیّاک و مصاحبه الشـریر،فإنه کالسـیف المسلول،یحسن منظره و یقبح أثره». (۱)

و

قال الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أربع یمتن القلب:الذنب علی الذنب...

و مجالسه الموتی»قیل له:یا رسول اللّه،و ما الموتی؟قال:«کل غنی مترف». (۲)

ص: ۲۴۱

۱- ۱) -بحار الأنوار ج ۷۴ ص ۱۹۸.

۲- ۲) -الخصال،للصدوق،طبقا لنقل بحار الأنوار،ج ۷۴،ص ۱۹۵.

الآيات [سوره الفرقان (٢۵): الآيات ٣٠ الى ٣۴]

اشاره

وَ قٰالَ اَلرَّسُولُ يٰا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اِتَّخَذُوا هٰذَا اَلْقُرْآنَ مَهْجُوراً (٣٠) وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ اَلْمُجْرِمِينَ وَ كَفیٰ بِرَبِّكَ هٰادِياً وَ نَصِيراً (٣١) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ اَلْقُرْآنُ جُمْلَةً وٰاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَكَ وَ رَتَّلْنٰاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَ لاٰ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّٰ جِئْنٰاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً (٣٣) اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ إِلیٰ جَهَنَّمَ أُوْلٰئِكَ شَرٌّ مَكٰاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلاً (٣۴)

التّفسير

اشاره

إلهی،إنّ الناس قد هجروا القرآن:

كما تناولت الآيات السابقه أنواعا من ذرائع المشركين و الكافرين المعاندين،تتناول الآيه الأولى فی مورد البحث هنا حزن و شكايه الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين يدى اللّه عزّ و جلّ من كيفيه تعامل هذه الفئه مع القرآن،فتقول:

وَ قٰالَ الرَّسُولُ يٰا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً

(۱) .

قول الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هذا،و شكواه هذه،مستمران إلى هذا اليوم من فئه عظيمه من المسلمين،يشكو بين يدى اللّه أنّهم دفنوا القرآن بيد النسيان،القرآن الذى هو رمز الحياه و وسيله النجاه،القرآن الذى هو سبب الإنتصار و الحركه و الترقى، القرآن الممتلئ ببرامج الحياه،هجروا هذا القرآن فمدّوا يد الاستجداء إلى الآخرين،حتى فى القوانين المدنيه و الجزائيه.

إلى الآن،لو تأملنا فى وضع كثير من البلدان الإسلاميه،خصوصا أولئك الذين يعيشون تحت هيمنه الشرق و الغرب الثقافيه،لوجدنا أنّ القرآن بينهم كتاب للمراسم و التشريفات،يذيعون ألفاظه وحدها بأصوات عذبه عبر محطات البث، و يستخدمونه فى زخرفه المساجد بعنوان الفن المعمارى،و لافتتاح منزل جديد، أو لحفظ مسافر،و شفاء مريض،و على الأكثر للتلاوه من أجل الثواب.

و يستدلون بالقرآن،أحيانا و غايتهم إثبات أحكامهم المسبّقه الخاطئه من خلال الاستعانه بالآيات،و بالاستفاده من المنهج المنحرف فى التّفسير بالرأى.

فى بعض البلدان الإسلاميه،هناك مدارس فى طول البلاد و عرضها بعنوان:

مدارس«تحفيظ القرآن»و فريق عظيم من الأولاد و البنات مشغولون بحفظ القرآن،فى الوقت الذى تؤخذ أفكارهم عن الغرب حينا،و عن الشرق حينا آخر، و تؤخذ قوانينهم و قراراتهم من الأجانب،أمّا القرآن فغطاء لمخالفاتهم فقط.

نعم،اليوم أيضا يصرخ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يٰا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً .مهجورا من ناحيه لبّه و محتواه،متروكا من ناحيه الفكر و التأمل،

۱- ۱) -الظاهر أن جمله«قال»فعل ماض،تدل على أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان قد ذكر هذا القول على سبيل الشكوى فى هذه الدنيا،و أكثر المفسّرين أيضا على هذا الإعتقاد،لكن بعضا آخر مثل«العلامه الطباطبائى»فى«الميزان»يعتقدون أن هذا القول مرتبط بيوم القيامه،و الفعل الماضى هنا بمعنى المضارع.و ذكر العلامه الطبرسى فى مجمع البيان أيضا هذا على سبيل الاحتمال،لكن الآيه التى بعدها،و التى فيها جنبه مواساه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دليل على أن التّفسير المشهور هو الأصح.

و مهملا من ناحیه برامجه البناءه.

تقول الآیه التی بعدها فی مواساه النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،حیث کان یواجه هذا الموقف العدائی للخصوم: وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِینَ .

لست وحدک قد واجهت هذه العداوه الشدیده لهذه الفئه،فقد مرّ جمیع الأنبیاء بمثل هذه الظروف،حیث کان یتصدی لمخالفتهم فریق من(المجرمین)فکانوا یناصبونهم العداء.

و لکن اعلم أنّک لست وحیدا،و بلا معین وَ کَفیٰ بِرَبِّکَ هٰادِیاً وَ نَصِیراً .

فلا وساوسهم تستطیع أن تضللک،لأنّ اللّه هادیک،و لا مؤامراتهم تستطیع،أن تحطمک،لأن الخالق معینک،الخالق الذی علمه فوق کل العلوم،و قدرته أقوی من کل القدرات.

الآیه التی بعدها،تشیر أیضا إلی ذریعه أخری من ذرائع هؤلاء المجرمین المتعللین بالمعاذیر،فتقول: وَ قٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً وٰاحِدَهً .

ألیس القرآن جمیعه من قبل اللّه!؟ألیس من الأفضل أن ینزل جمیع محتوی هذا الکتاب دفعه واحده حتی یقف الناس علی عظمته أکثر؟و لماذا تتنزل هذه الآیات تدریجیا و علی فواصل زمنیه مختلفه؟ و قد یأخذ هذا الإشکال فی کیفیه نزول القرآن مأخذه من الأفراد السطحیین،خاصّه إذا کانوا من المتمحلین للأعذار بأن هذا الکتاب السماوی العظیم الذی هو أساس و مصدر کل حیاه المسلمین،و محور کل قوانینهم السیاسیه و الاجتماعیه و الحقوقیه و العبادیه،لماذا لم ینزل کاملا و دفعه واحده علی نبیّ الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،حتی یقرأه أتباعه من البدایه إلی النهایه فیطلعون علی محتواه.و أساسا فقد کان الأفضل للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا أن یکون ذا اطلاع علی جمیع هذا القرآن دفعه واحده،کیما یجیب الناس فورا علی کل ما یسألونه و یریدون

منه.

و لكن القرآن فى تتمه نفس هذه الآيه يجيبهم: كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَكَ وَ رَتَّلْنٰاهُ تَرْتِيلاً .و قد غفل أولئك السطحيون عن هذه الحقيقه،فلا شك أن نزول القرآن التدريجى له ارتباط وثيق بتثبيت قلب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين،و سيأتى بحث مفصل عن ذلك فى نهايه هذه الآيات.

ثمّ للتأكيد أكثر على هذا الجواب يقول تعالى: وَ لاٰ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّٰ جِئْنٰاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً .أى أنّهم لا يأتون بمثل أو مقوله أو بحث لاضعاف دعوتك و مقابلتها،إلاّ آتيناك بكلام حقّ يقمع كلماتهم الجوفاء و أدلتهم الخاويه بأحسن بيان و أفضل تفسير.

و بما أنّ هؤلاء الأعداء الحاقدين استنتجوا-بعد مجموعه من إشكالاتهم-أن محمّدا و أصحابه مع صفاتهم هذه و كتابهم هذا و برامجهم هذه شرّ خلق اللّه(العياذ باللّه)،و لأنّ ذكر هذا القول لا يتناسب مع فصاحه و بلاغه القرآن،فإنّ اللّه سبحانه يتناول الإجابه على هذا القول فى الآيه الأخيره مورد البحث دون أن ينقل أصل قولهم،يقول:

اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ إِلىٰ جَهَنَّمَ أُوْلٰئِكَ شَرٌّ مَكٰاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلاً

.

نعم،تتضح هناك نتيجه منهاهج حياه الناس،فريق لهم قامات منتصبه كشجر السرور،و وجوه منيره كالقمر، و خطوات واسعه،يتوجهون بسرعه إلى الجنّه،فى مقابل فريق مطأطئى رؤوسهم إلى الأرض،تسحبهم ملائكه العذاب إلى جهنّم، هذا المصير المختلف يكشف عمن كان ضالا و شقيا!و من كان مهتديا و سعيدا؟!

بحوث

اشاره

١-تفسير جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا .

يفهم من هذه الجمله-أحيانا-أن اللّه من أجل مواساه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:لست

وحدک لک عدوّ،بل لقد جعلنا لکل نبی عدوّا،و لازم هذا القول إسناد وجود أعداء الأنبیاء إلی اللّه تعالی،الأمر الذی لا یتفق مع حکمته و لا مع أصل حریه و إراده الإنسان.ذکر المفسّرون أجوبه متعدده علی هذا السؤال...

قلنا مرارا أن جمیع أعمال الإنسان منسوبه إلی اللّه،لأنّ جمیع متعلقاتنا، قدرتنا،قوانا،عقلنا و فکرنا،و حتی حریتنا و اختیارنا أیضا من عنده،و علی هذا فمن الممکن من هذه الناحیه نسبه وجود الأعداء للأنبیاء إلی اللّه،دون أن یستلزم ذلک الجبر و سلب الإختیار،و لا یرد خدش فی مسئولیتهم إزاء أعمالهم(فتأمل)! مضافا إلی أن وجود هؤلاء الأعداء الأشداء و مخالفتهم للأنبیاء،یکون سببا فی أن یصبح المؤمنون أقوی فی عملهم،و أثبت قدما،فیتحقق الامتحان الإلهی بالنسبه إلی الجمیع.

هذه الآیه فی الحقیقه مثل الآیه(۱۱۲)من سوره الأنعام حیث تقول:

وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا شَیٰاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ،یُوحِی بَعْضُهُمْ إِلیٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً .

أمام الأزاهیر تنمو الأشواک،و فی قبال المحسنین یوجد المسیئون،دون أن تنتفی مسئولیه أی واحد من هاتین المجموعتین.

و قال البعض:إنّ المقصود من«جعلنا»هی أوامر و نواهی و مناهج الأنبیاء البناءه التی تجر بعض الضالین إلی العداوه،شاؤوا أم أبوا.

و إذا أسند ذلک إلی اللّه فلأن الأوامر و النواهی من جهته عزّ و جلّ.

التّفسیر الآخر:أن هنالک فئه یطبع اللّه علی قلوبهم و یعمی أبصارهم و یصم أسماعهم بسبب الإصرار علی الذنب و الإفراط فی التعصب و اللجاجه،هذه الفئه یصبحون أعداء الأنبیاء فی نهایه المطاف،أمّا أسباب ذلک فهی بما قدموا لأنفسهم.

و لا منافاه بین هذه التفاسیر الثلاثه،فمن الممکن أن تجتمع کلها فی مفهوم الآیه.

۲-الآثار العمیقه لنزول القرآن التدریجی

صحیح أنّه کان للقرآن نزولان،طبقا للرّوایات(بل لظاهر بعض الآیات):

أحدهما:«نزول دفعی»مرّه واحده فی لیله القدر علی قلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و الآخر:

«نزول تدریجی»فی ثلاث و عشرین سنه،لکن بلا شک أن النّزول المعترف به الذی کان النّبی و الناس یتفاعلون معه دائما هو النّزول التدریجی للقرآن.

و هذا النّزول التدریجی بالذات صار سببا لاستفهامات الأعداء:لماذا لم ینزل القرآن مرّه واحده و یجعل دفعه واحده بین أیدی الناس،حتی یکونوا أکثر اطلاعا و تفهما،فلا یبقی مکان للشک و الریبه؟ و لکن-کما رأینا-فإنّ القرآن أجابهم جوابا قصیرا و جامعا و بلیغا من خلال جمله کَذٰلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَکَ ،فکلما تأملنا فیها أکثر تتجلی آثار النّزول التدریجی للقرآن أوضح.

۱-لا شک أنّ التشریعات إذا کانت تتنزل بشکل تدریجی تبعا للحاجات، و یکون لکل مسأله شاهد و مصداق عینیّ،فستکون مؤثره جدّا من ناحیه«تلقی الوحی»و کذلک«إبلاغ الناس».

مبادئ التربیه تؤکّد أنّ الشخص أو الأشخاص المراد تربیتهم ینبغی أن یؤخذ بأیدیهم خطوه خطوه،فینظم لهم لکل یوم برنامج،و یسلکوا من المرحله الأدنی التی شرعوا منها إلی المراحل الأعلی و البرامج التی تتدرج بهذه الکیفیه تکون أکثر مقبولیه و أعمق أثرا.

۲-إنّ هؤلاء المعترضین غافلون أساسا عن أنّ القرآن لیس کتابا عادیا یبحث فی موضوع أو علم معین،بل هو منهج حیاتی للأمه التی تغیرت به، و استلهمت منه فی جمیع أبعاد الحیاه و لا تزال.

کثیر من آیات القرآن نزلت فی مناسبات تاریخیه مثل معرکه(بدر)و(أحد) و(الأحزاب)و(حنین)،و بذلک سنّت التشریعات و الاستنتاجات من هذه

الحوادث،ترى هل يصح أن تكتب هـذه مرّه واحده و تعرض على الناس!؟ بعباره أخرى:القرآن مجموعه من أوامر و نواه،أحكام و قوانين،تاريـخ و موعظه،و مجموعه من الخطط ذات المدى الطويل أو القصـير فى مواجهه الأحداث التى كانت تبرز أمام مسـير الأمه الإسـلاميه،كتاب-كهذا-يبيّن و ينفذ جميع مناهجه حتى قوانينه الكليه عن طريق الحضور فى ميادين حياه الأمه،لا يمكن أن ينظم و يدوّن دفعه واحده.

و هذا من قبيل أن يقوم قائد عظيم بكتابه و نشر جميع بياناته و إعلاناته و أوامره و نواهيه-التى يصدرها فى المناسبات المختلفه-دفعه واحـده من أجل تسيير الثوره،ترى هل يعتبر هذا العمل عقلائيا!؟ ٣-النّزول التدريجى للقرآن كان سـبب ارتباط النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم الدائم و المسـتمر بمبدإ الوحى ممّا يجعل قلبه الشـريف أقوى و إرادته أشدّ.و من غير الممكن إنكار تأثيره فى المناهج التربويه.

۴-من جهه أخرى فـإنّ اسـتمرار الوحى دليل على اسـتمرار رساله و سـفاره النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،و سوف لن يترك مجالا لوسوسه الأعـداء لكى يقولوا:لقـد بعث هـذا النّبى ليوم واحد!ثمّ تركه ربه،كما نقرأ فى التأريخ الإسـلامى أن هذه الهمهمه ظهرت أثناء تأخر الوحى فى بدايه الدعوه،فأنزلت سوره وَ الضُّحىٰ لنفى ذلك.

۵-لا شك أنّه إذا كان مقررا لمناهـج الإسـلام أن تنزل جميعها دفعه واحـده، فقد كان من اللازم أن تطبّق دفعه واحده أيضا،لأن النّزول بـدون تطبيق يفقـد النّزول قيمته،و من المعلوم أن تطبيق جميع المناهـج أعم من العبادات كالزكاه و الجهاد،و رعايه جميع الواجبات و الامتناع عن كل المحرمات دفعه واحده..

عمل ثقيل جدّا قد يؤدى إلى فرار فئه كبيره من الإسلام.

و بهذا يتبيّن أن النّزول التدريجى و بالتالى التطبيق التدريجى أفضل من جهات كثيره.

ص :۲۴۸

و بعباره أخرى:إنّ أىّ واحد من هذه التشريعات فى صوره النّزول التدريجى سيتم هضمه و استيعابه بصوره جيده،و فى حاله تعرضه لبعض الاستفهامات يمكن طرحها و الاجابه عليها.

۶-و فائده أخرى من فوائد النّزول التدريجى هو اتضاح عظمه و إعجاز القرآن،ذلك لأن فى كل واقعه تنزل عدّه آيات كريمه تكون لوحدها دليل العظمه و الاعجاز،و كلما يتكرر تتجلى أكثر هذه العظمه و هذا الإعجاز،فينفذ فى أعماق قلوب الناس.

۳-معنى الترتيل فى القرآن:

كلمه«ترتيل»من ماده«رتل»(على وزن قمر)بمعنى انتظم و اتسق، لذا فالعرب يقولون«رتل الإنسان»لمن تكون أسنانه جيده و منتظمه و متسقه.و على هذا الأساس يطلق الترتيل بمعنى القراءه المتسقه للكلام أو الآيات بموجب نظام و حساب.

و على هذا فجمله وَ رَتَّلْنٰاهُ تَرْتِيلاً إشاره إلى هذه الحقيقه،و هى أنّ آيات القرآن و إن نزلت تدريجا و فى مده ۲۳ سنه،لكنّ هذا النّزول كان على أساس نظام و حساب و منهج بحيث ادى الى رسوخه فى الأفكار و غرسه فى القلوب.

فى تفسير كلمه«ترتيل»نقلت روايات جذابه،نشير إلى بعضها كما يأتى:

فى تفسير«مجمع البيان»«نقل عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه أمر ابن عباس: «إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلا»فسألته:و ما الترتيل؟قال:«بينه تبيينا و لا تنثره نثر الدقل و لا تهزه هزّ الشعر،قفوا عند عجائبه و حركوا به القلوب،و لا يكونن همّ أحدكم آخر

السوره». (۱)

و هناک روایه بهذه المضمون رواه الشیخ الکلینی فی«أصول الکافی»عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام. (۲)

و

نقل أیضا عن الإمام الصادق علیه السّلام «الترتیل أن تتمکث به و تحسن به صوتک،و إذا مررت بآیه فیها ذکر النار فتعوّذ باللّه من النار،و إذا مررت بآیه فیها ذکر الجنه فاسأل اللّه الجنّه». (۳)

۴-تفسیر یُحْشَرُونَ عَلیٰ وُجُوهِهِمْ إِلیٰ جَهَنَّمَ

أقوال کثیره بین المفسّرین فی ما هو المقصود بحشر هذه الفئه من المجرمین علی وجوههم!؟ بعضهم فسّروا ذلک بنفس معناه الحقیقی،و قالوا:إنّ ملائکه العذاب یسحبونهم إلی جهنم و هم ملقون علی وجوههم إلی الأرض،و هذا علامه علی مهانتهم و ذلتهم،لأنّهم کانوا فی الدنیا فی غایه الکبر و الغرور و الاستهانه بخلق اللّه،هذا من جهه.

و من جهه أخری تجسید لضلالتهم فی هذا العالم،ذلک أن من یسحبونه بهذه الصوره لا یری ما أمامه بأی شکل،و غافل عما حوله.

و البعض الآخر أخذوا بمعناه الکنائی،فقالوا تاره هذه الجمله کنایه عن تعلق قلوب أولئک بالدنیا،فهم یسحبون إلی جهنم لأن وجوه قلوبهم لا زالت مرتبطه بالدنیا. (۴)

ص:۲۵۰

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۷،ص ۱۷۰ ذیل الآیه مورد البحث.

۲- ۲) -أصول الکافی،ج ۲،ص ۴۴۹(باب ترتیل القرآن بالصوت الحسن).

۳- ۳) -مجمع البحرین ماده رتل.

۴- ۴) -طبقا لهذا التّفسیر،فإنّ عباره«علی وجوههم»أخذت محل العلّه.فیکون مفهوم الجمله هکذا(یحشرون إلی جهنم لتعلق وجوه قلوبهم إلی الدنیا).

و قالوا تاره اخرى:انها كنايه مستعمله فى الأدب العربى حيث يقولون:فلان مرّ على وجهه،يعنى أنّه لم يكن يدرى أين يذهب.

لكن الواضح أنّنا مع عدم الدليل على المعنى الكنائى،لا بدّ من حملها على المعنى الأوّل،و هو المعنى الحقيقى.

ص :٢٥١

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۳۵ الی ۴۰]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى اَلْكِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (۳۵) فَقُلْنَا اِذْهَبا إِلَى اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (۳۶) وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمّا كَذَّبُوا اَلرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آيَةً وَ أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (۳۷) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ اَلرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً (۳۸) وَ كُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ اَلْأَمْثالَ وَ كُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (۳۹) وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَى اَلْقَرْيَةِ اَلَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ اَلسَّوْءِ أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لاٰ يَرْجُونَ نُشُوراً (۴۰)

التّفسير

اشاره

مع كل هذه الدروس و العبر،و لكن...

أشار القرآن المجيد فى هذه الآيات إلى تاريخ الأمم الماضيه و مصيرهم المشؤوم مؤكّدا على ست أمم بخاصّه(الفراعنه،و قوم نوح،و قوم عاد،و ثمود، و أصحاب الرّس،و قوم لوط)و ذلك لمواساه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من جهه،و لتهديد

ص :۲۵۲

المشـركين المعانـدين الـذين مرّ أنموذج من أقوالهم فى الآيـات السـابقه،من جهه أخرى و يجسـد دروس العبره من مصـير هـذه الأقوام بشكل مختصر و بليغ تماما.

يقول أوّلا: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً .

فقـد ألقيت على عاتقيهما لمسؤوليه الثقيله فى جهاد الفراعنه،و يجب عليهما مواصـله هـذا العمل الثورى بمساعـده أحدهما الآخر حتى يثمر فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فإنّهم قد كذبوا دلائل اللّه و آياته التى فى الآفاق و فى الأنفس و فى كل عالم الوجود،و أصروا على طريق الشرك و عباده الأصنام من جهه..و من جهه أخرى أعرضوا عن تعاليم الأنبياء السابقين و كذبوهم.

و لكن بـالرغم من جميع الجهود و المساعى التى بـذلها موسـى و هارون،بالرغم من رؤيه كل تلك المعجزات العظيمه و البينات المتنوعه،أصروا أيضا على طريق الكفر و الإنكار،لذا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً .

كلمه«تـدمير»من مـاده«دمار»بمعنى الإهلاك بأسـلوب يثير العجب،حيث كان هلاك قوم فرعون فى أمواج النيل المتلاطمه بتلك الكيفيه المعروفه من عجائب التاريخ حقا.

و كذلك: وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آيَهً،وَ أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً .

الملفت للانتباه أنّه تعالى يقول:إنّ أولئك كـذبوا الرسل(لا رسولا واحـدا فقط) ذلك أنه لا فرق بين أنبياء اللّه و رسـله فى أصـل الدعوه،و تكذيب واحد منهم تكذيب لجميعهم،فضلا عن أنّهم كانوا مخالفين لدعوه جميع أنبياء اللّه و منكرين لجميع الأديان.

و كذلك: وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً . (۱)

ص :۲۵۳

۱- ۱) -«و عادا و ثمودا»عطف على ضـمير«هم»فى جمله«دمرناهم».و احتمل بعضـهم أيضا أن العطف على«هم»فى «جعلناهم»،أو يكون عطفا على محل«الظالمين»لكن الاحتمال الأوّل مناسب أكثر.

«قوم عاد»هم قوم النّبی«هود»العظیم،الذی بعث فی منطقه(الأحقاف)أو (الیمن).

و«قوم ثمود»قوم نبی اللّه«صالح»الذی بعث فی منطقه وادی القری(بین المدینه و الشام)،أمّا ما یتعلق بمسأله«أصحاب الرس»فسنبحثها فی نهایه هذا البحث.

«قرون»جمع«قرن»و هی فی الأصل بمعنی الجماعه الذین یعیشون معا فی زمان واحد،ثمّ أطلقت علی الزمان الطویل(أربعین أو مائه سنه).

لکننا لم نجاز أولئک علی غفله أبدا،بل وَ کُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ .

أجبنا علی إشکالاتهم،مثل الإجابه علی الإشکالات التی یوردونها علیک، و بیّنا لهم الأحکام الإلهیه و حقائق الدین.أخطرناهم،أنذرناهم،کررنا علیهم مصائر و قصص الماضین،لکن حین لم ینفع أیّ من ذلک أهلکناهم و دمّرناهم تدمیرا: وَ کُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِیراً . (۱)

و فی نهایه المطاف-فی الآیه الأخیره مورد البحث-یشیر القرآن المجید إلی خرائب مدن قوم لوط التی تقع علی بدایه طریق الحجازیین إلی الشام،و إلی الأثر الحی الناطق عن المصیر الألیم لأولئک الملوثین و المشرکین،فیقول تعالی: وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَی الْقَرْیَهِ الَّتِی أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَ فَلَمْ یَکُونُوا یَرَوْنَها .

نعم،لقد کانوا یرون مشهد الخرائب هذه،لکنّهم لم یأخذوا منها العبره،ذلک لأنّهم بَلْ کانُوا لا یَرْجُونَ نُشُوراً .

إنّهم یعدون الموت نهایه هذه الحیاه،و إذا کان لهم اعتقاد بحیاه ما بعد الموت فهو اعتقاد ضعیف و بلا أساس،لا یطبع أثرا فی أرواحهم و لا ینعکس فی مناهج

۱- ۱) -«تتبیر»من ماده«تبر»(علی وزن ضرر،و علی وزن صبر)بمعنی الإهلاک التام.

حياتهم،و لهذا فهم يأخذون جميع الأشياء مأخذ اللعب،و لا يفكرون إلّا بأهوائهم السريعه الزوال.

بحثان

اشاره

۱-من هم«أصحاب الرس»

كلمه«رسّ»في الأصل بمعنى الأثر القليل،فيقال مثلا«رسّ الحديث في نفسي»(قليل من حديثه في ذاكرتي)أو يقال:وجد رسّا من حمى»(يعني:وجد قليلا من الحمّى في نفسه). (۱)

و جماعه من المفسّرين اعتقدوا بأن«الرسّ»بمعنى البئر.

على أيه حال فتسميه هؤلاء القوم بهذا الاسم،إمّا لأنّ أثرا قليلا جدا بقي منهم،أو لأنّهم كانت لهم آبار كثيره،أو لأنّهم هلكوا و زالوا بسبب جفاف آبارهم.

أمّا من هم هؤلاء القوم؟هناك أقوال كثيره بين المؤرخين و المفسّرين:

۱-يرى كثيرون أن«أصحاب الرس»كانوا طائفه تعيش في«اليمامه»و بعث لهم نبي اسمه«حنظله»كذبوه و ألقوه في بئر،و ذكروا أيضا:إنّهم ملأوا هذا البئر بالرماح،و أغلقوا فم البئر بعد إلقاء النّبي فيها بالحجاره حتى استشهد ذلك النبي. (۲)

۲-البعض الآخر يرى أن«أصحاب الرسّ»إشاره إلى قوم«شعيب»الذين كانوا يعبدون الأصنام،و كانوا ذوي أغنام كثيره و آبار ماء،و«الرسّ»كان اسما لبئر عظيم،حيث أغاضه اللّه،فأهلك أهل ذلك المكان.

۳-بعض آخر يعتقد أن«الرسّ»كانت قريه في أرض«اليمامه»حيث كان يعيش فيها جماعه من بقايا قوم ثمود،فهلكوا نتيجه طغيانهم و غرورهم.

۱- ۱) -مفردات الراغب.

۲- ۲) -أعلام القرآن ص ۱۴۹.

۴-و ذهب آخرون أنّهم كانوا جماعه من العرب الماضين،يعيشون (۱) بين الشام و الحجاز.

۵-بعض التفاسير يعرّف«أصحاب الرسّ»من بقايا عاد و ثمود،و يعتبر وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ . (۲) متعلقه بهم أيضا،و ذكر أن موطنهم فی«حضر موت» و اعتقد«الثعلبی»فی«عرائس البیان»أن هذا القول هو الأكثر اعتبارا.

البعض الآخر من المفسّرين طبقوا«الرس»على«أرس»(فی شمال آذربیجان)! ۶-العلامه الطبرسی فی مجمع البیان،و الفخر الرازی فی التّفسير الكبير، و الآلوسی فی روح المعانی نقلوا من جمله الاحتمالات،أنّهم قوم يعيشون فی أنطاكيه الشام،و كان نبيهم«حبيب النجار».

۷-فی عیون أخبار الرضا،نقل حديث طويل حول«أصحاب الرس» خلاصته:«إنّهم كانوا قوما يعبدون شجره صنوبر يقال لها(شاه درخت)كان يافث بن نوح غرسها بعد الطوفان على شفير عين يقال لها(روشن آب)و كان لهم اثنتا عشره قريه معموره على شاطئ نهر يقال له«الرسّ»،يسمين بأسماء:آبان،آذر، دی،بهمن أسفندار،فروردين،أردی بهشت،خرداد،مرداد،تير،مهر،شهريور، و منها اشتقّ العجم أسماء شهورهم.

و قد غرسوا فی كل قريه منها من طلع تلك الصنوبره حبّه.أجروا عليها نهرا من العين التی عند الصنوبره،و حرّموا شرب مائها على أنفسهم و أنعامهم،و من شرب منه قتلوه،و يقولون:إنّه حياه الآلهه فلا ينبغی لأحد أن ينقص حياتها.و قد جعلوا فی كل شهر من السنه يوما-فی كل قريه،عيدا،يخرجون فيه إلى الصنوبره التی خارج القريه يقربون إليها القرابين و يذبحون الذبائح ثمّ يحرقونها فی النار

۱- ۱) -شرح نهج البلاغه،لابن أبی الحديد،ج ۱،ص ۹۴.
۲- ۲) -سوره الحج،الآيه ۴۵.

فیسجدون للشجره عند ارتفاع دخانها و سطوعه فی السماء و یبکون و یتضرعون، و الشیطان یکلمهم من الشجره.و کان هذا دأبهم فی القری حتی إذا کان یوم عید قریتهم العظمی التی کان یسکنها ملکهم و اسمها(أسفندار)اجتمع إلیها أهل القری جمیعا و عیّدوا اثنی عشر یوما،و جاءوا بأکثر ما یستطیعونه من القرابین و العبادات للشجره،و کلّمهم إبلیس و هو یعدهم و یمنیهم أکثر ممّا کان من الشیاطین فی سائر الأعیاد من سائر الشجر.

و لما طال منهم الکفر باللّه و عباده الشجره،بعث اللّه إلیهم رسولا من بنی إسرائیل من ولد یهودا،فدعاهم برهه إلی عباده اللّه و ترک الشرک،فلم یؤمنوا، فدعا علی الشجره فیبست،فلما رأوا ذلک ساءهم،فقال بعضهم:إنّ هذا الرجل سحر آلهتنا،و قال آخرون:إنّ آلهتنا غضبت علینا بذلک لما رأت هذا الرجل یدعونا إلی الکفر بها فترکناه و شأنه من غیر أن نغضب لآلهتنا.فاجتمعت آراؤهم علی قتله فحفروا بئرا عمیقا و ألقوه فیها،و سدّوا فوهتها،فلم یزالوا علیها یسمعون أنینه حتی مات،فأتبعهم اللّه بعذاب شدید أهلکهم عن آخرهم». (۱)

قرائن متعدده تؤید مضمون هذا الحدیث،لأن مع وجود ذکر«أصحاب الرسّ»فی مقابل عاد و ثمود یکون احتمال أنّهم جماعه من هاتین الأمتین بعیدا جدا.

کذلک،فإنّ وجود هؤلاء القوم فی الجزیره العربیه و الشامات و تلک الحدود- و هو الذی احتمله الکثیرون-بعید أیضا،ذلک لأنّه یجب أن یکون له انعکاس فی تاریخ العرب بحسب العاده،فی الوقت الذی لم نر حتی انعکاسا ضئیلا لأصحاب الرس لدیهم.

مضافا الی ذلک توافقه مع کثیر من التفاسیر الأخری،من جملتها:أنّ«الرس»

۱- ۱) -عیون أخبار الرضا علیه السّلام،طبقا لنقل و تلخیص تفسیر المیزان،ج ۱۵،ص ۲۱۹ و الحدیث فی العیون بإسناده عن أبی الصلت الهروی عن الإمام الرضا علیه السّلام عن أمیر المؤمنین علیه السّلام.

كان اسما لبئر(البئر التى ألقوا فيها نبيهم)أو أنّهم كانوا أصحاب زراعه و مواشى و أمثال ذلك.

و ما

ورد فى روايه عن الإمام الصادق عليه السّلام: أنّ نساءهم كن منحرفات جنسيا و يمارسن«المساحقه» لا منافاه له مع هذا الحديث أيضا (۱) .

و من عباره(نهج البلاغه،الخطبه ۱۸۰)يستفاد أنه كان لهم أكثر من نبىّ واحد فقط،لأنّه عليه السّلام

يقول: «أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيّين،و أطفأوا سنن المرسلين،و أحيوا سنن الجبارين!؟».

و كلام أمير المؤمنين عليه السّلام هذا لا يتنافى مع الروايه أعلاه،لأنّ من الممكن أن الروايه تشير إلى مقطع من تاريخهم و كان قد بعث نبىّ فيهم.

۲-مجموعه من الدروس المؤثره:

ست فئات فى الآيات أعلاه،ذكرت أسماؤهم:قوم فرعون قوم نوح المتعصبون،قوم عاد المتجبرون،ثمود،أصحاب الرس،و قوم لوط،حيث كان كل منهم أسير نوع من الانحراف الفكرى و الأخلاقى أدّى بهم إلى الهلاك و الشقاء.

الفراعنه كانوا ظالمين جائرين و مستعمرين و استثماريين و أنانيين.

قوم نوح كما هو معلوم كانوا معاندين و متكبرين و مغرورين.

قوم عاد و قوم ثمود كانوا يتكلمون على قدراتهم الذاتيه.

و كان أصحاب الرس فى دوامه الفساد و الشذوذ الجنسى و خاصّه نسائهم، و كان قوم لوط غارقين فى وحل من الفحشاء،و شذوذ الرجال بخاصّه،و الجميع منحرفون عن جاده التوحيد.حيرى فى الضلالات.

و هنا يريد القرآن أن ينذر مشركى عصر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جميع الناس على مدى

۱- ۱) -الكافى،طبقا لنقل تفسير نور الثقلين،ج ۴،ص ۱۹.

التاریخ: لیکن لکم من القدرات و الاستطاعه و الإمکانات کل شیء و مهما کان لکم من اموال و ثروات و حیاه مرفّهه،فإن التلوث بالشرک و الظلم و الفساد سیستأصل أعمارکم،و إنّ نفس أسباب تفوقکم تلک ستکون أسباب هلاککم! قوم فرعون:و قوم نوح،أهلکوا بالماء الذی هو أساس الحیاه،قوم عاد بالعاصفه و الریاح التی هی أیضا فی ظروف خاصّه أساس الحیاه،قوم ثمود بالسحاب الحامل للصواعق،و قوم لوط بمطر من الحجاره نزل بعد الصاعقه،أو انفجار برکان علی قول بعضهم،و أصحاب الرس طبقا لذیل تلک الروایه أعلاه، أبیدوا بنار تطلع من الأرض،و بشعله مهلکه انتشرت من السحاب،لیؤوب هذا الإنسان المغرور إلی نفسه،فیتمسک بطریق اللّه و العداله و التقوی.

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۴۱ الى ۴۴]

اشاره

وَ إِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاّ هُزُواً أَ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللّهُ رَسُولاً (۴۱) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَ سَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (۴۲) أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (۴۳) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (۴۴)

التّفسير

اشاره

أضلّ من الأنعام:

الملفت للانتباه أنّ القرآن المجيد لا يورد أقوال المشركين دفعه واحده فى آيات هذه السوره،بل أورد بعضا منها،فكان يتناولها بالردّ و الموعظه و الإنذار،ثمّ بعد ذلك يواصل تناول بعض آخر بهذا الترتيب.

الآيات الحاليه،تتناول لونا آخر من منطق المشركين و كيفيه تعاملهم مع رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دعوته الحقّه.

ص: ۲۶۰

يقول تعالى أولا: وَ إِذٰا رَأَوْکَ إِنْ یَتَّخِذُونَکَ إِلاّ هُزُواً أَ هٰذَا الَّذِی بَعَثَ اللّٰهُ رَسُولاً . (۱)

و هکـذا نجـد هؤلاـء الکفـار یتعجبون!أیّ ادعـاء عظیم یـدعی؟أی کلام عجیب یقول!؟إنّها مهزله حقّا! لکن یجب ألا ننسـی أنّ رسول الإسـلام صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم،کـان هو ذلـک الشـخص الـذی عـاش بینهم أربعین عامـا قبل الرساله،و کان معروفا بالأمانه و الصدق و الذکاء و الدرایه،لکنّ رؤوس الکفر تناسوا صفاته هذه حینما تعرضت منافعهم الی الخطر،و تلقوا مسأله دعوه النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم-بـالرغم من جمیع تلـک الشواهـد و الـدلائل الناطقه-بالسـخریه و الاسـتهزاء حتی لقـد اتّهموه بالجنون.

ثمّ یواصل القرآن ذکر مقولات المشرکین فینقل عن لسانهم إِنْ کٰادَ لَیُضِلُّنٰا عَنْ آلِهَتِنٰا لَوْ لاٰ أَنْ صَبَرْنٰا عَلَیْهٰا (۲) .

لکن القرآن یجیبهم من عـدّه طرق،ففی البـدایه من خلاـل جمله واحـده حاسـمه یرد علی مقولات هـذه الفئه التی ما کانت أهلا للمنطق: وَ سَوْفَ یَعْلَمُونَ حِینَ یَرَوْنَ الْعَذٰابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِیلاً .

یمکن أن یکون هـذا العـذاب إشاره إلی عذاب القیامه،کما قال بعض المفسّرین مثل«الطبرسی»فی مجمع البیان،أو عذاب الدنیا مثل الهزیمه المنکره یوم«بدر»و أمثالها،کما قال«القرطبی»فی تفسیره المعروف،و یمکن أن تکون الإشاره إلیهما معا.

الملفت للنظر أنّ هـذه الفئه الضاله فی مقولتها هذه،وقعت فی تناقض فاضح، فمن جهه تلقت النّبی و دعوته بالسـخریه،إشاره إلی أن ادعاءه بلا أساس و لا

۱- ۱) -«هزوا»مصدر،و جاء هنا بمعنی المفعول،و هذا الاحتمال وارد أیضا و هو أن یکون مضافا مقدارا(محل هزو)،أیضا فالتعبیر ب«هذا»للتحقیر و لتصغیر النّبی.

۲- ۲) -کلمه(إن)فی إِنْ کٰادَ لَیُضِلُّنٰا مخففه،للتوکید،و فی تقدیر«إنّه کاد»و ضمیرها ضمیر الشأن.

يستحق أن يؤخذ مأخذ الجد،و من جهه أخرى أنّه لو لا تمسكهم بمذهب أجدادهم،فمن الممكن أن-يؤثر عليهم كلام النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يضلّهم عن ذلك المذهب،و هذا يدل على أنّهم كانوا يعتبرون كلامه قويا و جديا و مؤثرا و محسوبا، و هذا المنطق المضطرب ليس غريبا عن هؤلاء الأفراد الحيارى اللجوجين.

و كثيرا ما يرى أنّ منكرى الحق حينما يقفون قباله الأمواج المتلاطمه لمنطق القاده الإلهيين، فإنّهم يختارون أسلوب الاستهزاء تكتيكا من أجل توهينه و دفعه، فى حين أنّهم يخالفون سلوكهم هذا فى الباطن،بل قد يأخذوه بجديه أحيانا و يقفون ضده بجميع امكاناتهم.

الجواب القرآنى الثّانى على مقولاتهم ورد فى الآيه التى بعدها،موجها الخطاب إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على سبيل المواساه و تسليه الخاطر،و أيضا على سبيل بيان الدليل على أصل عدم قبول دعوه النّبى من قبل أولئك،فيقول: أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ فهل أنت قادر مع هذا الحال على هدايته و الدفاع عنه أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً .

يعنى إذا وقف أولئك أمام دعوتك بالاستهزاء و الإنكار و أنواع المخالفات، فلم يكن ذلك لأن منطقك ضعيف و دلائلك غير مقنعه،و فى دينك شك أو ريبه،بل لأنّهم ليسوا أتباع العقل و المنطق،فمعبودهم أهواؤهم النفسيه،ترى أ تنتظر أن يطيعك هكذا أشخاص،أو تستطيع أن تؤثر فيهم!؟ أقوال مختلفه للمفسرين الكبار فى معنى جمله: أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ :

قال جماعه-كما قلنا آنفا-:إنّ المقصود أنّ لهم صنما،ذلك هو هواهم النفسى،و كل أعمالهم تصدر من ذلك المنبع.

فى حين أنّ جماعه أخرى ترى أنّ المراد هو أنّهم لا يراعون المنطق بأى شكل فى اختيارهم الأصنام،بل إنّهم متى ما كانت تقع أعينهم على قطعه حجر،أو شجره جذابه،أو شىء آخر يثير هواهم،فإنّهم يتوهمونه«معبودا»،فكانوا يجثون

على ركبهم أمامه،و يقدمون القربان،و يسألونه حل مشكلاتهم.

و ذكر في سبب نزول هذه الآيه روايه مؤيده لهذا المعنى،و هي أن إحدى السنين العجاف مرّت على قريش،فضاق عليهم العيش،فخرجوا من مكّه و تفرقوا فكان الرجل إذا رأى شجره حسنه أو حجرا حسنا هويه فعبده،و كانوا ينحرون النعم و يلطخونها بالدم و يسمونها«سعد الصخره»،و كان إذا أصابهم داء في إبلهم أغنامهم جاؤوا إلى الصخره فيمسحون بها الغنم و الإبل،فجاء رجل من العرب بإبل يريد أن يمسح بالصخره إبله و يتبرك بها،فنفرت إبله فتفرقت،فقال الرجل شعرا:

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا

فشتتنا سعد فما نحن من سعد

و ما سعد إلّا صخره مستويه

من الأرض لا تهدى لغيّ و لا رشد

و مرّ به رجل من العرب و الثعلب يبول عليه فقال شعرا:

و ربّ يبول الثعلبان برأسه

لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب (1)

التّفسيران أعلاه لا منافاه بينهما،فأصل عباده الأصنام-التي هي وليده الخرافات -هو اتباع الهوى،كما أنّ اختيار الأصنام المختلفه بلا أي منطق،فرع آخر عن أتباع الهوى أيضا.

و سيأتي بحث مفصل في الملاحظات الآتيه،بصدد«اتباع الهوى و الشهوات» إن شاء اللّه.

و أخيرا فإنّ الجواب القرآني الثّالث لهذه الفئه الضاله،هو قوله: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ،إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً .

يعني لا يؤذينك استهزاؤهم و مقولاتهم السيئه و غير المنطقيه أبدا،لأنّ الإنسان إمّا أن يكون ذا عقل،و يستخدم عقله،فيكون مصداقا ل«يعقلون».

1- 1) -تفسير على بن إبراهيم القمى،طبقا لنقل نور الثقلين،ج 4،ص 20.

أو أنّه فاقد للعلم و لكنّه يسمع قول العلماء،فيكون مصداقا ل«يسمعون»،لكن هذه الفئه لا من أولئك و لا من هؤلاء،و على هذا فلا فرق بينهم و بين الانعام.

و واضح أنّه لا يتوقع من الأنعام غير الصياح و الرفس و الأفعال اللامنطقيه.بل هم أتعس من الأنعام و أعجز،إذ أن الأنعام لا تعقل و لا فكر لها،و هؤلاء لهم عقل و فكر،و تسافلوا إلى حال كهذه.

المهم هو أنّ القرآن يعبّر ب«أكثرهم»هنا أيضا،فلا يعمم هذا الحكم على الجميع،لأنّه قد يكون بينهم أفراد مخدوعون واقعا،و حينما يواجهون الحق تنكشف عن أعينهم الحجب تدريجيا،فيتقبلوا الحق،و هذا نفسه دليل على أن القرآن يراعى الإنصاف فى المباحث القرآنيه.

بحثان

اشاره

١-اتباع الهوى و عواقبه الأليمه

لا-شك أنّ فى كيان الإنسان غرائز و ميولا مختلفه،و جميعها ضرورى لإدامه حياته،الغيظ و الغضب،حب النفس،حب المال و الحياه الماديه،و أمثالها،و لا شك أنّ مبدع الوجود خلقها جميعا لذلك الهدف التكاملى.

لكن المهم هو أنّها تتجاوز حدها أحيانا،و تخرج عن مجالها،و تتمرّد على كونها أداه طيعه بيد العقل،و تصرّ على العصيان و الطغيان،فتسجن العقل،و تتحكم بكل وجود الإنسان،و تأخذ زمام اختياره بيدها.

هذا هو ما يعبرون عنه ب«اتباع الهوى»الذى هو أخطر أنواع عباده الأصنام، بل إن عباده الأصنام تنشأ عنه أيضا،فليس عبثا أن الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اعتبر صنم«الهوى»أعظم و أسوأ الأصنام،لذا

قال: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد

من دون اللّه أعظم عند اللّه من هوی متبع». (۱)

و نقرأ

فی حدیث آخر عن بعض أئمّه الإسلام «أبغض إله عبد علی وجه الأرض الهوی».

و إذا تأملنا جیدا فی أعماق هذا القول،نعلم جیدا لماذا کان اتباع الهوی مصدر الغفله،کما یقول القرآن: وَ لاٰ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِکْرِنٰا وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ . (۲)

و من جهه أخری فإن اتباع الهوی منبع الکفر و عدم الإیمان،کما یقول القرآن فَلاٰ یَصُدَّنَّکَ عَنْهٰا مَنْ لاٰ یُؤْمِنُ بِهٰا وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ . (۳)

و من جهه ثالثه فإنّ اتباع الهوی أسوأ الضلال،یقول القرآن الکریم: وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اللّٰهِ . (۴)

و من جهه رابعه فإن اتباع الهوی نقطه مقابله لطلب الحق،و یخرج الإنسان عن طریق اللّه،کما نقرأ فی القرآن: فَاحْکُمْ بَیْنَ النّٰاسِ بِالْحَقِّ وَ لاٰ تَتَّبِعِ الْهَویٰ فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ . (۵)

و من جهه خامسه فإن اتباع الهوی مانع من العدل و الإنصاف کما نقرأ فی القرآن: فَلاٰ تَتَّبِعُوا الْهَویٰ أَنْ تَعْدِلُوا . (۶)

و أخیرا،فإنّ نظام السماء و الأرض إذا دار حول محور أهواء و شهوات الناس،فإنّ الفساد سوف یعمّ کلّ ساحه الوجود: وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوٰاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِیهِنَّ . (۷)

۱- ۱) -تفسیر الدر المنثور،فی ذیل الآیه مورد البحث،نقلا عن تفسیر المیزان،ج ۱۵،ص ۲۵۷.

۲- ۲) -سوره الکهف،الآیه ۲۸.

۳- ۳) -سوره طه،الآیه ۱۶.

۴- ۴) -سوره القصص،الآیه ۵۰.

۵- ۵) -سوره ص،الآیه ۲۶.

۶- ۶) -سوره النساء،الآیه ۱۳۵.

۷- ۷) -سوره المؤمنون،الآیه ۷۱.

و فی الروایات الإسلامیه أیضا،نلاحظ تعبیرات مؤثره فی هذا الصدد:

نقرأ

فی روایه عن علی علیه السّلام: «الشقی من انخدع لهواه و غروره». (۱)

و

فی حدیث آخر عنه علیه السّلام،نقرأ أن: «الهوی عدو العقل». (۲)

نقرأ أیضا:

«الهوی أسّ المحن». (۳)

و

عنه علیه السّلام: «لا دین مع هوی» (۴) و

«لا عقل مع هوی».

(۵)

و الخلاصه أن اتباع الهوی لیس من الدین و لیس من العقل،و لیس عاقبه اتباع الهوی إلّا التعاسه و المحن و البلاء،و لا یثمر إلّا المسکنه و الشقاء و الفساد.

أحداث حیاتنا و التجارب المرّه التی رأیناها فی أیّام العمر بالنسبه إلینا و إلی الآخرین،شاهد حی علی جمیع النکات التی وردت فی الآیات و الرّوایات أعلاه بصدد اتباع الهوی.

نری أفرادا یتجرعون المراره إلی آخر أعمارهم،جزاء ساعه واحده من أتباع الهوی.

و نعرف شبابا صاروا أساری مصیده الإدمان الخطیر،و الانحرافات الجنسیه و الأخلاقیه،علی أثر انقیادهم للهوی،بحیث تحولوا إلی موجودات ذلیله لا قیمه لها،و فقدوا کل قواهم و طاقاتهم الذاتیه.

فی التأریخ المعاصر و الماضی،نلتقی بأسماء الذین قتلوا آلافا و أحیانا ملایین من الناس الأبریاء،من أجل أهوائهم،بحیث أن الأجیال تذکر أسماءهم المخزیه بالسوء إلی الأبد.

هذا الأصل لا یقبل الاستثناء،فحتی العلماء و العابدون أهل السابقه مثل

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۸۶.

۲- ۲) -غرر الحکم،الجمله ۲۶۵.

۳- ۳) -غرر الحکم،الجمله ۱۰۴۸.

۴- ۴) -غرر الحکم،الجمله ۱۰۵۳۱.

۵- ۵) -غرر الحکم،الجمله ۱۰۵۴۱.

(بلعم بن باعورا)سقطوا من قمه العظمه الإنسانيه إلى الهاويه،نتيجه انقيادهم لهوى النفس،حيث يمثلهم القرآن بالكلب النجس الذى لا ينفكك عن النباح(الآيه ۱۷۶ سوره الأعراف).

لهذا فلا عجب أن

يقول النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين عليه السّلام: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان،اتباع الهوى و طول الأمل،أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق،و أمّا طول الأمل فينسى الآخره». (۱)

وردت أيضا فى النقطه المقابله-يعنى ترك أتباع الهوى-آيات و روايات توضح عمق هذه المسأله من وجهه نظر الإسلام،إلى حد أن يعدّ مفتاح الجنّه الخوف من اللّه،و مجاهده النفس: وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىٰ . (۲)

يقول على عليه السّلام: «أشجع الناس من غلب هواه». (۳)

و قد نقلت قصص كثيره فى حالات محبى الحق و أولياء اللّه،و العلماء و العظماء،حيث نالوا المقامات العاليه نتيجه ترك أتباع الهوى،هذه المقامات لم تكن ممكنه بالطرق العاديه.

۲-لماذا أضلّ من الأنعام!؟

لتجسيد أهميه الموضوع فى الآيات أعلاه،يبيّن القرآن أوّلا:أن الذين اتّخذوا أهواءهم آلهه يعبدونها هم كالأنعام،و بعد ذلك يضيف مشددا:بل هم أضل! نظير هذا التعبير ورد أيضا فى الآيه(۱۷۲)من سوره الأعراف فى أهل النار الذين يؤولون إلى هذا المصير نتيجه عدم الاستفاده من السمع و البصر و العقل،

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۲،ص ۷۲۸(ذيل ماده هوى)و نهج البلاغه،الخطبه ۲۸ و ۴۲.

۲- ۲) -سوره النازعات،الآيه ۴۰.

۳- ۳) -سفينه البحار،ج ۱،ص ۶۸۹(ماده شجع).

يقول تعالى: أَولَئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ .

(أضل)و إن كانت واضحه إجمالا،لكن المفسّرين قدموا بحوثا جيده فی هذه المسأله،و هی-مع تحليل و إضافات:

۱-إذا لم تفهم الأنعام شيئا،و ليس لها أذن سامعه و عين باصره،فذلک لعدم استعدادها الذاتی،لكن الأعجز منها الإنسان الذی تكمن فی وجوده خميره جميع السعادات،و الذی أفاض اللّه عليه قدرا عظيما من الاستعدادات ليستطيع أن يكون خليفه اللّه فی الأرض،و لكن أفعاله الذميمه بلغت به حدّا أسقطته عن مستوى الأنعام،و أذهبت كل لياقاته هدرا،و هوى من رتبه مسجود الملائكه إلى حضيض الشياطين الذليله.و هذا هو الأضل و المؤلم حقا.

۲-الأنعام غير مسئوله تقريبا،و ليست مشموله بالجزاء الإلهی،فی حين أنّ البشر الضالين يجب عليهم أن يحملوا عبء كل أعمالهم على عواتقهم،ليروا جزاء أعمالهم بلا نقص أو زياده.

۳-تؤدی الأنعام للإنسان خدمات كثيره،و تنجز له أعمالا مختلفه،أمّا طغاه البشر العصاه فلا تتأتی منهم أيه منفعه،بل يسببون آلافا من البلاءات و المصائب.

۴-الأنعام لا-خطر منها على أحد،فإذا كان ثمّه خطر منها،فخطر محدود، لكن الويل من الإنسان غير المؤمن،و المستكبر،عابد الهوى،الذی يؤجج أحيانا نار حرب يذهب ضحيتها الملايين من الناس.

۵-إذا لم يكن للأنعام قانون و منهج،فإنّها تتبع مسارا عيّنه اللّه لها على شكل غرائز،فهی تتحرک على ذلک الخط.أمّا الإنسان المتمرد،فلا يعترف بقوانين تكوينيه و لا قوانين تشريعيه،و يعتبر هواه و شهواته حاكما على كل شیء.

۶-الأنعام لا تبرير لديها لأعمالها أصلا،فإذا خالفت فهی المخالفه،و إذا أرادت أن تمضی فی طريقها حين تمضی فذلک هو الواقع،أمّا الإنسان المتكبر

السفاک،عابد الهوی فکثیرا ما یبرر جمیع جرائمه بالشکل الذی یدعی فیه أنّه یؤدی مسئولیاته الإلهیه و الإنسانیه.

و لهذا،فلا موجود أکبر خطرا و أشد ضررا من إنسان متبع للهوی،عدیم الایمان و متمرد.

و لهذا و صمته الآیه(۲۲)من سوره الأنفال بلقب شَرَّ الدَّوَابِّ و کم هو مناسب هذا اللقب؟!!

ص :۲۶۹

الآیات [سوره الفرقان (۲۵): الآیات ۴۵ الی ۵۰]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ اَلظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً ثُمَّ جَعَلْنَا اَلشَّمْسَ عَلَیْهِ دَلِیلًا (۴۵) ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَیْنا قَبْضاً یَسِیراً (۴۶) وَ هُوَ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ اَللَّیْلَ لِباساً وَ اَلنَّوْمَ سُباتاً وَ جَعَلَ اَلنَّهارَ نُشُوراً (۴۷) وَ هُوَ اَلَّذِی أَرْسَلَ اَلرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ اَلسَّماءِ ماءً طَهُوراً (۴۸) لِنُحْیِیَ بِهِ بَلْدَهً مَیْتاً وَ نُسْقِیَهُ مِمّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِیَّ کَثِیراً (۴۹) وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا فَأَبی أَکْثَرُ اَلنّاسِ إِلاّ کُفُوراً (۵۰)

التّفسیر

اشاره

حرکه الظلال:

فی هذه الآیات کلام فی أقسام مهمّه من النعم الإلهیه،علی سبیل بیان أسرار التوحید و معرفه اللّه،الأمور التی یزیدنا التفکر فیها معرفه بخالقنا و قربا منه،و مع الالتفات إلی أنّ المحاورات الکثیره فی الآیات الماضیه کانت مع المشرکین، تتّضح صله و ارتباط هذه الآیات بالآیات السابقه.

ص : ۲۷۰

فى هـذه الآيـات،كلام فى نعمه«الضـلال»ثمّ فى آثار و بركات«الليل» و«النوم و الاستراحه»و«ضـياء»النهار و«هبوب الرياح»و«نزول المطر» و«إحياء الأراضى الموات»و«سقايه»الأنعام و الناس.

يقول تعالى أولا: أَ لَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،وَ لَوْ شٰاءَ لَجَعَلَهُ سٰاكِناً .

لا شك أنّ هذا الجزء من الآيه إشاره إلى أهميه نعمه الظلال الممتده و المتحركه.

الظلال التى لا تثبت على حال،بل هى فى حركه و انتقال.

و لكن أى ظل هو المقصود بالآيه؟ثمّه أقوال فى أوساط المفسّرين:

بعضـهم يقول:هذا الظل الممتد و المنتشر هو ذلك الظل المنتشر على الأرض بعد طلوع الفجر و قبل طلوع الشمس،و أهنأ الظلال و الساعات هى تلك،هـذا النور الشـفاف،و الظل المنبسط،يبـدأ عنـد طلوع الفجر،يتلاشـى عنـد طلوع الشـمس حيث يأخذ مكانه الضياء.

و يرى البعض الآخر أن المقصود هو ظل الليل بأجمعه،الـذى يبـدأ من لحظه الغروب و ينتهى عند لحظه طلوع الشـمس،لأنّنا نعلم أنّ الليـل فى الحقيقه هو ظـل نصف الكره الأرضـيه المواجه للشـمس،و هو ظـل مخروطى يكون فى الطرف الآـخر و منتشـرا فى الفضاء الواسع.و هذا الظل المخروطى فى حركه دائمه و مع طلوع الشمس على منطقه يزول عنها ليتشكل فى أخرى.

و قال آخرون:المقصود هو الظل الذى يظهر للأجسام بعد الظهر فينبسط شيئا فشيئا بالتدريج.

طبيعى،أنّه لو لم تكن الجمـل الآتيه،لكنّا نفهم من هـذه الجمله معنى واسـعا يشـمل جميع الظلال الشاسـعه،لكن سائر القرائن التى وردت على أثرها تدل على أن التّفسير الأوّل أكثر تناسبا،لأنّه تعالى يقول على أثر ذلك: ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً .

ص :۲۷۱

إشاره إلى أن مفهوم الظل لم يكن ليتّضح لو لم تكن الشمس،فالظل من حيث الأصل يخلق بسبب ضياء الشمس،لأنّ«الظل»يطلق عاده على الظلمه الخفيفه اللون التى تظهر الأشياء فيها،و هذا فى حاله ما إذا أضاء النور جسما مانعا لنفوذ النور،فإن الظل يبدو فى الجهه المقابله.بناء على هذا فليس تشخيص الظل يتم بواسطه النور طبقا لقاعده«تعرف الأشياء بأضدادها»فقط،بل إنّ وجوده أيضا من بركه النور.

بعد ذلك يبيّن تعالى:ثمّ إنّنا نجمعه جمعا وئيدا ثُمَّ قَبَضْنٰاهُ إِلَيْنٰا قَبْضاً يَسِيراً .

من المعلوم أن الشمس حينما تطلع فإنّ الظلال تزول تدريجيا،حتى يحين وقت الظهر حيث ينعدم الظل تماما فى بعض المناطق،لأنّ الشمس آنئذ تستقر تماما فوق رأس كل موجود،و فى مناطق أخرى يصل إلى أقل من طول الشاخص،و لهذا فالظل لا يظهر و لا يختفى دفعه واحده،و هذا نفسه حكمه الخالق،ذلك لأنّ الانتقال من النور إلى الظلمه بشكل فجائى يكون ضارا بجميع المخلوقات.لكن هذا النظام المتدرج فى هذه الحاله الانتقاليه له أكبر المنفعه بالنسبه إلى الموجودات،دون أن يكون له أى ضرر.

التعبير ب«يسيرا»إشاره إلى انقباض الظل التدريجى،أو إشاره إلى أن نظام النور و الظلمه الخاص،شىء يسير هين بالنسبه إلى قدره الخالق.و كلمه(إلينا) تأكيد على هذه القدره أيضا.

على أيه حال،لا شك أن الإنسان كما يحتاج إلى أشعه«النور»فى حياته، فهو كذلك يحتاج إلى«الظل»لتعديل و منع«النور»أوقات اشتداده،فكما أنّ أشعه النور المستديمه تربك الحياه،كذلك فإنّ الظل الدائم الساكن مهلك أيضا.

فى الحاله الأولى تحترق جميع الموجودات،و فى الحاله الثّانيه تنجمد جميعا،و لكن هذا النظام المتناوب من«النور»و«الظل»هو الذى يجعل الحياه ممكنه و سائغه للإنسان.

لـذا فـإنّ آيـات قرآنيه أخرى تعـدّ وجود الليـل و النهار،الواحـد تلو الآخر،من النعم الإلهيه العظيمه،ففى موضع يقول تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيٰاءٍ،أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ . و يضيف مباشره قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ النَّهٰارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ . (١)

و يسـتنتج من هـذا القول أنّ هـذا النظام من رحمه اللّه الـذى جعل لكم الليل و النهار لتسـكنوا و تستريحوا فيهما،و لتسـتفيدوا فى تحصـيل المعـاش من فضـله، و لعلكم تشـكرون وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . (٢)

و لهذا يعد القرآن«الظل الممدود»إحدى نعم الجنّه،حيث لا نور معش مرهق،و لا ظلمه موحشه.

بعد ذكر نعمه الظلال،تناول القرآن الكريم بالشـرح نعمتين أخريين متناسـبتين معها تناسبا تاما،فيكشف جانبا آخر من أسرار نظام الوجود الداله على وجود اللّه،يقول تعالى: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبٰاساً .

كم هو تعبير جميـل و رائع جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبٰاساً ...هـذا الحجـاب الظلاـمى الـذى لا يستر الناس فقط،بل كل الموجودات على الأرض و يحفظها كاللباس، و يلتحفه الإنسان كالغطاء الذى يستفيد منه أثناء النوم،أو لإيجاد الظلام.

ثمّ يشير تعالى إلى نعمه النوم وَ النَّوْمَ سُبٰاتاً .

«السبات»فى اللغه من«سبت»(على وزن وقت)بمعنى القطع،ثمّ جاء بمعنى تعطيـل العمل للاستراحه،و لـذا فإنّ أوّل أيّام الأسـبوع يسمّونه فى لغه العرب «يوم السبت»و هى تسميه أخذت من طريقه اليهود،لأنّه يوم تعطيلهم.

١- ١) -القصص،٧١ و ٧٢.

٢- ٢) -القصص،٧٣.

هـذا التعبير-فى الحقيقه-إشـاره إلى تعطيـل جميع الفعاليـات الجسـمانيه أثنـاء النوم،لأنّنـا نعلم أن قسـما مهمـا من الأفعال البـدنيه يتوقف كليـا فى حال النوم، و قسـما آخر مثل عمل القلب و جهاز التنفس يؤدى عمله بصوره وئيـده جـدّا، و يسـتمر بصوره أكثر هدوء كيما يرتفع التعب و تتجدد القوى.

النوم فى وقته و بحسب الحاجه إليه،مجـدد لجميع طاقات البـدن،و باعث للنشاط و القوّه،و أفضل وسـيله لهدوء الأعصاب،بعكس الأـرق خصوصـا لفتره طويله-فهو ضـار جـدّا و قـد يؤدى الى الموت أيضا.و لهـذا فإنّ قطع برنامـج النوم واحـد من أهـم أساليب التعذيب حيث يحطم كل مقاومه الإنسان بسرعه.

و فى ختام الآيه،أشار تعالى إلى نعمه«النهار»فقال تعالى: وَ جَعَلَ النَّهٰارَ نُشُوراً .

كلمه«النشـور»فى الأصـل من النشـر بمعنى البسـط،فى مقابـل الطى و ربّمـا كـان هـذا التعـبير إشـاره إلى انتشـار الروح فى أنحـاء البـدن،حين اليقظه الـتى تشـبه الحيـاه بعـد المـوت،أو إشـاره إلى انتشـار النـاس فى سـاحه المجتمع،و الحركه للمعـاش على وجه الأرض.نقرأ

فى حديث عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه كان يقول كل صباح:

«الحمد للّه الذى أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور». (۱)

فضياء النهار من حيث روح و جسم الإنسان باعث على الحركه حقّا،كما أن الظلام باعث على النوم و الهدوء.

فى عـالم الطبيعه أيضـا،فـإنّ الحركه و النشـاط تشـمل جميع الموجودات الحيه و يسـتجد انبعـاث فيهـا بمجرّد سـطوع أوّل اشـعه للشـمس،فينطلق كـل واحــد منهـا إلى سـبيله،و حـتى النباتـات تتنفس و تتغــذى و تنمـوا و تنضـج أمـام النـور،أمّـا عنـد مغيب الشمس،فكأن الطبيعه تنفخ فى صور انتهاء العمل و السكون،الطيور تؤوب إلى

۱- ۱) -تفسير القرطبى.

أوكارها،الموجودات الحيه تفيء إلى الاستراحه و النوم،حتى النباتات تغطّ فى نوع من النوم.

بعد بيان هذه المواهب العظيمه-التى هى أهم ركائز الحياه الإنسانيه-يتناول القرآن الكريم موهبه أخرى مهمّه جدّا فيقول: وَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيٰاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ،وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً طَهُوراً .

لا يخفى أن دور الرياح هو أنّها الطلائع المتقدمه لنزول الرحمه الإلهيه،و إلاّ فلن تنزل قطره مطر على الأرض العطشى أبدا.

صحيح أن ضياء الشمس يبخر ماء البحار فيتصاعد فى الفضاء،و تراكم هذه الأبخره فى طبقه عليا بارده يشكل الغيوم الممطره،و لكن إذا لم تحمل الرياح هذه الغيوم المثقله من أعالى المحيطات باتجاه الأراضى اليابسه،فستتحول هذه الغيوم إلى مطر و ستهطل على نفس ذلك البحر.

و الخلاصه أن وجود بشائر الرحمه هذه،التى تتحرك بشكل دائم فى كل ارجاء الأرض،سبب رواء الجفاف على الأرض،و نزول المطر الباعث على الحياه و تشكيل الأنهار و العيون و الآبار،و نمو أنواع النباتات.

إنّ قسما من هذه الرياح المتقدمه لقطعات الغيوم،فى حركتها و امتزاجها برطوبه ملائمه،تبعث النسيم المنعش الذى تشم منه رائحه المطر،هذه الرياح مثل البشير الذى ينبئ عن قدوم مسافر عزيز.

التعبير ب«الرياح»بصيغه الجمع لعله إشاره إلى أنواع مختلفه منها،فبعض شمالى،و بعض جنوبى،و بعض يهب من الشرق إلى الغرب،و منها ما يهب من الغرب إلى الشرق،فتكون سببا فى انتشار الغيوم فى كل الآفاق. (۱)

المهم هنا هو أن«الماء»قد وصف ب«الطهور»التى هى صيغه مبالغه من

---

۱ – ۱) -يجب الانتباه إلى أنّ«بشرا»-بسكون الشين مخفف-«بشرا»-بضم الشين-الذى هو جمع«بشور»(على وزن قبول)بمعنى مبشر و بشير.

الطهـاره و النقـاء و لهـذا فمفهوم الطهاره و التطهير يعنى أن الماء طاهر بـذاته،و يطهر الأشـياء الملوثه...ثمّه أشـياء كثيره غير الماء طاهره،و لكنّها لا تستطيع أن تكون مطهره لغيرها! و على أيه حال،فمضافا إلى خاصيه الإحياء،فإنّ للماء خاصيه كبيره الأهميه هى التطهير،فلو لا ـ المـاء فـإنّ أجسامنـا و نفوسـنا و حياتنـا تتسـخ و تتلوث فى ظرف يوم واحـد و الماء و إن لم يكن قاتلا للميكروب عاده،و لكنّه يسـتطيع إزالتها و طردها بسـبب خاصـيته الفـذه(الإذابه).و من هـذه الناحيه فإنّه يقـدم مساعـده مؤثره جـدّا فى مسأله سلامه الإنسان و مكافحه أنواع الأمراض.

مضافا إلى أن تنقيه الروح من التلوث بواسطه الغسل و الوضوء تكون بالماء، إذن فالماء مطهر للروح و الجسم معا.

لكن خاصـيه التطهير هـذه مع مـا لها من الأهميه،اعتبرت فى الـدرجه الثّانيه، لـذا يضـيف القرآن الكريم فى الآيه التى بعـدها بأنّ الهدف من نزول المطر هو الإحياء: لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً (١) .

و أيضا وَ نُسْقِيَهُ مِمّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِيَّ كَثِيراً .

ملاحظات

اشاره

و هنا ملاحظات مهمّه:

١-فى هذه الآيه ورد الكلام عن الأنعام و الأناسـى الكثيره مع أن جميع الناس و الحيوانات تستفيد من ماء المطر!! هذه إشاره إلى البدو الرحل و ساكنى الخيام الذين ليس لديهم ماء مطلقا

---

١ - ١) -ينبغى الالتفـات إلى أن«بلـده»هنـا بمعنى الصـحراء،و مع أنّ هـذا اللفـظ مـؤنث،فصـفته الـتى هى«ميتـا»وردت بصـيغه المذكر،ذلك لأن المراد بالمعنى«المكان»و هو مذكر.

سوی ماء المطر حیث یستفیدون منه مباشره،هذه النعمه الکبیره محسوسه لدیهم أکثر فحینما تظهر السحب فی السماء و یمطل علیهم المطر،و تمتلئ الأراضی المنخفضه من ماء المطر الزلال،فیرتوون منه و یسقون أنعامهم،و یشعرون بنشاط الحیاه یدبّ فی وجودهم و وجود أنعامهم.

۲-جمله«نسقیه»من ماده«إسقاء» و فرقها عن«سقی»کما قال الراغب فی المفردات و آخرون من المفسّرین،هو أنّ الإسقاء بمعنی تهیئه الماء و جعله للسقایه،لیشرب منه الإنسان متی أراد،فی حین أن ماده«سقی»بمعنی أن یعطی من یرید الماء حتی یشرب،و بعباره أخری فإن الإسقاء له معنی أوسع و أعم.

۳-فی هذه الآیه،ورد الکلام أوّلا عن الأراضی المیته،ثمّ الأنعام ثمّ الأناسی،و هذا التعبیر ربّما کان لأن الأراضی إذا لم تحی بالمطر،فلن یکون للأنعام طعام،و إذا لم تعش الأنعام،فلن یستطیع الإنسان إن یتعذی منها.

۴-طرح مسأله الإحیاء بالماء بعد مسأله التطهیر،قد یکون إشاره إلی الارتباط الوثیق بین هاتین المسألتین(حول آثار الإحیاء بالماء،ثمّه بحث مفصل فی ذیل الآیه ۳۰ سوره الأنبیاء).

فی الآیه الأخیره-مورد البحث-یشیر تعالی إلی القرآن فیقول:جعلنا هذه الآیات بینهم بصور مختلفه و مؤثره لیتذکروا و لیتعرفوا من خلاله علی قدره الخالق،لکن کثیرا من الناس لم یتخذوا موقفا إزاء ذلک إلاّ الإنکار و الکفران:

وَ لَقَدْ صَرَّفْناهُ بَیْنَهُمْ لِیَذَّکَّرُوا فَأَبی أَکْثَرُ النّاسِ إِلاّ کُفُوراً

.

و إن أرجع کثیر من المفسّرین مثل العلامه الطبرسی فی تفسیره،و الشیخ الطوسی فی تفسیر التبیان،و العلامه الطباطبائی فی تفسیر المیزان و آخرین، الضمیر فی جمله«صرفناه»إلی المطر،حیث یکون مفهومها هکذا:أنزلنا المطر فی جهات و مناطق مختلفه من الأرض،و وزعناه بین الناس لیتذکروا هذه النعمه العظمی.

لکن الحق أن هذا الضـمیر یرجع إلی القرآن و آیاته، لأن هذا التعبیر(بصیغه الفعل الماضی و المضارع)ورد فی عشره مواضع من القرآن المجیـد،حیث أرجع فی تسـعه مواضع إلی آیـات القرآن و بیاناته صـراحه،و أتبع بجمله«لیـذکروا»أو ما یشابهها فی موارد متعدده.علی هذا فمن البعید جدا أن یأخذ هذا التعبیر مفهوما آخر فی هذا المورد الواحد.

و من حیث الأصـل فـإنّ«تصـریف»التی هی بمعنی التحویـل من حال إلی حال،لیس لها تناسب کثیر مع نزول المطر،فی وقت هی أکثر تناسـبا مع آیـات القرآن التی تـأتی فی أنحاء مختلفه،أحیانا بصوره وعـد،و أحیانا بصوره أمر، و أخری بصوره نهی،و أحیانا بصوره قصص الماضین.

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۵۱ الی ۵۵]

اشاره

وَ لَوْ شِئْنٰا لَبَعَثْنٰا فِی کُلِّ قَرْیَهٍ نَذِیراً (۵۱) فَلاٰ تُطِعِ اَلْکٰافِرِینَ وَ جٰاهِدْهُمْ بِهِ جِهٰاداً کَبِیراً (۵۲) وَ هُوَ اَلَّذِی مَرَجَ اَلْبَحْرَیْنِ هٰذٰا عَذْبٌ فُرٰاتٌ وَ هٰذٰا مِلْحٌ أُجٰاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُمٰا بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً (۵۳) وَ هُوَ اَلَّذِی خَلَقَ مِنَ اَلْمٰاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کٰانَ رَبُّکَ قَدِیراً (۵۴) وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ یَنْفَعُهُمْ وَ لاٰ یَضُرُّهُمْ وَ کٰانَ اَلْکٰافِرُ عَلیٰ رَبِّهِ ظَهِیراً (۵۵)

التّفسیر

اشاره

بحران متجاوران:عذب فرات و ملح أجاج:

الآیه الأولی-مورد البحث-أشارت إلی عظمه مقام النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،یقول تعالی:

لو أردنا لبعثنا نبیّا فی کل مدینه و بلد،لکنّنا لم نفعل هذا و ألقینا مسئولیه هدایه العالمین علی عاتقک: وَ لَوْ شِئْنٰا لَبَعَثْنٰا فِی کُلِّ قَرْیَهٍ نَذِیراً .

کما أنّ اللّه عزّ و جلّ-طبقا للآیات السابقه-قادر علی إرسال قطرات المطر الباعث علی الحیاه إلی کل الأراضی المیته،فله القدره أیضا علی إنزال الوحی

و النبوّه على قلب نبيّ فى كل قريه،و أن يبعث لكل أمه نذيرا،لكن اللّه يختار لعباده ما هو أصلح،لأنّ تمركز النبوّه فى وجود فرد واحد يكون باعثا على وحده و انسجام الناس،و مانعا من كل فرقه و تشتت.

و يحتمل أن بعض المشركين أوردوا هذا الاشكال و هو:ألم يكن من الأفضل أن يبعث اللّه نبيّا فى كل مدينه و قريه؟! لكن القرآن يقول فى ردّهم:لو أراد اللّه ذلك لفعل،لكن هذا التشتت ليس فى صالح الأمم و الشعوب قطعا.

و على أيه حال،فكما أن هذه الآيه دليل على عظمه مقام النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فهى دليل كذلك على وجوب وحده القائد،و على ثقل عبء مسئوليته.

و بنفس هذا الدليل،يبيّن اللّه تبارك و تعالى فى الآيه التاليه،أمرين إلهيين مهمين يشكلان منهجين أساسيين للأنبياء، فيوجه الخطاب أوّلا إلى الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يقول: فَلاٰ تُطِعِ الْكٰافِرِينَ .

لا تخط أيه خطوه على طريق التوافق مع انحرافاتهم،فإنّ التوافق مع المنحرفين آفه الدعوه إلى اللّه،قف أمامهم بقوّه،واسع إلى إصلاحهم،لكن كن حذرا و لا تتسلم لأهوائهم و خرافاتهم.

أمّا القانون الثّانى فهو:جاهد أولئك بالقرآن: وَ جٰاهِدْهُمْ بِهِ جِهٰاداً كَبِيراً .

جهادا كبيرا بعظمه رسالتك،و بعظمه جهاد كل الأنبياء الماضين،الجهاد الذى يشمل جميع الأبعاد الروحيه و الفكريه للناس،و يشمل كل الأصعده الماديه و المعنويه.

لا شك أن المقصود من الجهاد فى هذا الموضع هو الجهاد الفكرى و الثقافى و التبليغى و ليس الجهاد المسلح،ذلك لأنّ هذه السوره مكيه،و الأمر بالجهاد المسلح لم يكن قد نزل فى مكّه.و على قول العلامه«الطبرسى»فى مجمع البيان، أن هذه الآيه دليل واضح على أنّ الجهاد الفكرى و التبليغى فى مواجهه وساوس

المضلين و أعداء الحق من أكبر أنواع الجهاد.

و

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

و ربّما كان هذا الحديث إشاره إلى نفس هذا الجهاد و إلى عظمه ما يؤديه العلماء فى التبليغ بالدين،هذا التعبير يجسد أيضا عظمه مقام القرآن،ذلك لأنّه وسيله هذا الجهاد الكبير و سلاحه القاطع،فإنّ قدرته البيانيه و استدلاله و تأثيره العميق و جاذبيته فوق تصور و قدره البشر.

الوسيله المؤثره و الواضحه كوضوح الشمس و ضياء النهار،و المطمئنه كطمأنينه ستائر الليل،و المحركه كحركه الرياح الخلاقه،و العظيمه بعظمه الغيوم و فيما تبثه قطرات المطر من حياه،حيث أشارت إلى ذلك الآيات السابقه.

و بعد فاصله وجيزه،يتناول القرآن الكريم مجددا الاستدلال على عظمه الخالق عن طريق بيان نعمه فى النظام الكونى،فيشير بعد ذكر المطر فى الآيات السابقه إلى عدم الاختلاط بين المياه العذبه و المالحه: وَ هُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً .

«مرج»من ماده«المرج»(على وزن فلج)بمعنى الخلط أو الإرسال،و هنا بمعنى المجاوره بين الماء العذب و المالح.

«عذب»بمعنى سائغ و طيب و بارد،و«فرات»بمعنى لذيذ و هنىء.

«ملح»بمعى مالح،و«أجاج»بمعنى مرّ و حار.(بناء على هذا فملح و أجاج نقطتان مقابلتان لعذب و فرات).

«برزخ»بمعنى حجاب و حائل بين شيئين.

و جمله حِجْراً مَحْجُوراً كما أشرنا سابقا(ذيل الآيه ۲۲ من هذه السوره) كانت جمله لاخذ الأمان بين العرب يقولونها عند ما يفاجؤون بشخص يخافونه و يرهبونه،يعنى(أعف عنا،و آمنا،و ابتعد عنا).

على أيه حال،فهذه الآيه تصور واحدا من المظاهر المدهشه لقدره الخالق

فى عالم مخلوقاته،و كيف يستقر حجاب غير مرئى، و حائل خفى بين البحر المالح و البحر العذب،فلا يسمح لهما بالاختلاط.

و قد اتّضح اليوم أنّ هذا الحجاب اللامرئى،هو ذلك«التفاوت بين كثافه المالح و العذب»و فى الاصطلاح«تفاوت الوزن النوعى»لهما،حيث يكون سببا فى عدم امتزاجهما إلى مده طويله.

و رغم أنّ جماعه من المفسّرين وقعوا فى تعب من أجل اكتشاف مثل هذين البحرين فى الكره الأرضيه و أين يوجد بحر عذب الماء فى جوار بحر مالح الماء و لا يمتزجان!؟لكن هذه المشكله انحلت لنا،لأنّنا نعلم أن جميع أنهار الماء، العذب العظيمه التى تصب فى البحار عند الساحل،تشكل بحرا من الماء العذب، فتدفع المياه المالحه إلى الخلف،و يستمر هذا الوضع إلى مدّه طويله،و بسبب التفاوت فى كثافتهما يمتنعان عن الامتزاج مع بعضهما،فكل واحد منهما يقول للآخر: حِجْراً مَحْجُوراً .

الملفت هو أنّ سطح البحر يرتفع و ينخفض بمقدار كبير بسبب المد و الجزر اللذين يحصلان مرّتين فى اليوم بتأثير جاذبيه القمر و بذلك تغمر المياه العذبه التى شكلت بحرا اليابسه فى مصبات تلك الأنهار و أطرافها،و قد استفاد الناس من هذه الحاله منذ قديم الزمان،فحفروا جداول كثيره فى أطراف ملتقى الأنهار مع البحر، و زرعوا أراض شاسعه بالأشجار،حيث تتمّ سقايتها بنفس ذلك الماء العذب الذى ينتشر فى مناطق واسعه بواسطه المد و الجزر.

توجد حتى الآن فى جنوب العراق و إيران ملايين من أشجار النخيل،و قد شاهدنا عن قرب أنّ قسما منها يسقى فقط بهذه الوسيله،و يقع على بعد كبير من ساحل البحر،و أحيانا يتغلب الماء المالح حيث تقل المياه التى تصبها الأنهار الكبيره فى البحر فى السنين المجديه،فيقلق المزارعون من أهل هذه المنطقه،لأنّ ذلك يضرّ بزراعتهم ضررا بالغا.

ص :۲۸۲

لكن العاده ليست كذلك،فهذا الماء«العذب الفرات»المستقر إلى جوار الماء «المالح و الأجاج»يعدّ ذخيره عظيمه لهم.

معلوم أن وجود العلل الطبيعيه فى مثل هذه المسائل لا يقلل من قيمتها أبدا، و إلّا فما هى الطبيعه؟ليست هى إلّا فعل اللّه و إرادته و مشيئته،و هو تعالى الذى منح هذه الخواص لهذه الموجودات.

و الملفت للنظر أنّ الإنسان حينما يجتاز هـذه المناطق بالطائره،يرى جيدا هذان الماءان المختلفان فى اللون،غير الممتزجين،فيذكّر هذا المشهد الإنسان بهذه النكته القرآنيه.

إنّ جعـل هـذه الآـيه وسـط آيـات تتعلق ب«الكفر»و«الإيمـان»ربّمـا تكون أيضـا إشـاره و تمثيلا لهـذا الأمر،ففى المجتمع الواحد أحيانا،و فى المـدينه الواحـده، بل حتى فى البيت الواحد أحيانا،يتواجد أفراد مؤمنون كالماء العذب و الفرات، مع أفراد بلا إيمان كالماء المالح الأجاج...مع طرازين من الفكر،و نوعين من العقيده،و نمطين من العمل،طاهر و غير طاهر،دون أن يمتزجا.

فى الآـيه التـاليه-بمناسـبه البحـث فى نزول المطر،و فى البحرين العـذب و الأجـاج المتجـاورين يتحـدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان من الماء،فيقول تعالى: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْمٰاءِ بَشَراً .

حقـا إن النحت فى المـاء،و خلق صوره بـديعه كهـذه على المـاء،دليـل على عظمه قـدره الخالق،و كان الكلام فى الآيات السابقه حول إحياء النباتات بواسطه المطر،و الكلام-هنا عن مرحله أعلى،يعنى خلق الإنسان من الماء.

و بين المفسّرين أقوال فى المراد من الماء هنا:

ذهب جمـاعه أنّ المقصود من«بشـر»هو الإنسان الأول،يعنى آدم عليه السّـلام،ذلك لأنّ خلقه كان من«طين»يعنى عجينا من ماء و تراب،إضافه إلى أن الماء كان أوّل موجود خلقه اللّه تعالى طبقا للرّوايات الإسلاميه،و خلق الإنسان من ذلك الماء،

و تنكير«بشر»شاهد على هذا المعنى.

و ذهب جماعه آخرون أن المقصود من«الماء»هو ماء النطفه،حيث يتكون جميع الناس منه بقدره الخالق،و مع امتزاج نطفه الرجل«الحيمن»الذى يسبح فى الماء مع«البويضه»نطفه المرأه،تتكون أول نواه لحياه الإنسان،يعنى الخليه الإنسانيه الحيه الأولى.

لو تدبّر الإنسان و تأمل فى مراحل انعقاد النطفه من بدايتها إلى نهايتها، فسيشاهد الكثير من آيات عظمه الحق و قدره الخالق فيها،حيث تكفى وحدها لمعرفه ذاته المقدسه تبارك و تعالى.

الشاهد على هذا التّفسير،جمله وردت فى آخر الآيه،و سنشرحها فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً .

فضلا عن هذا،فلا شك أنّ الماء يشكل القسم الأكبر من وجود الإنسان، بالصوره التى يمكن القول أنّ الماده الأساس لوجود أى إنسان هى الماء،لهذا فإن مقاومه الإنسان إزاء العطش قليله جدّا،فى حين يستطيع الإنسان أن يقاوم أيّاما و أسابيع حيال قلّه المواد الغذائيه.

و يحتمل قويا أيضا،أنّ جميع هذه المعانى تجتمع فى مفهوم الآيه،أى أن الإنسان الأوّل خلق من ماء،و أن تكوّن جميع أفراد البشر من ماء النطفه أيضا، و أن الماء يشكل أهم ماده فى بناء جسم الإنسان أيضا...الماء الذى يعتبر من أبسط موجودات هذا العالم،كيف صار مبدأ إيجاد مثل هذا الخلق الجميل!؟ و هذا دليل بيّن على قدرته تبارك و تعالى.

بعد ذكر خلق الإنسان،يورد جلّ ذكره الكلام عن انتشار الإنسان،فيقول:

فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً

.

المقصود من«النسب»هو القرابه التى تكون بين الناس عن طريق الذريه و الولد،مثل ارتباط الأب و الابن،أو الإخوه بعضهم مع بعض،أمّا المقصود من

«صهر»التی هی فی الأصل بمعنی«الختن»هو الارتباط الذی یقام بین طائفتین عن هذا الطریق،مثل ارتباط الإنسان بأقرباء زوجته،و هذان الاثنان هما ما یعبر عنه الفقهاء فی مباحث النکاح ب«النسب»و«السبب».

فی القرآن المجید فی سوره النساء،أشیر إلی المحارم النسبیه النسب فی سبعه موارد(الأم،البنت،الأخت،العمه،الخاله،بنت الأخ،بنت الأخت)و إلی المحارم السببیه فی أربعه موارد(بنت الزوجه،أم الزوجه،زوجه الابن،زوجه الأب).

من المؤکّد أن هناک وجهات نظر أخری لدی المفسّرین فی تفسیر هذه الجمله،لکن ما قلناه أوضح و أقوی من جمیعها.

فمن جملتها أنّ جماعه منهم اعتبروا«النسب»بمعنی أولاد الابن،و«الصهر» بمعنی أولاد البنت،ذلک لأن الارتباط النسبی یحسب علی أساس الآباء لا علی أساس الأمهات.

و کما قلنا بشکل مفصل-فی ذیل الآیه(۶۱)من سوره آل عمران-فإنّ هذا اشتباه کبیر،استمدّ من سنن أیّام ما قبل الإسلام،حیث اعتبروا النسب عن طریق الأب فقط،و لیس للأم أی أثر،فی حین أن من المسلمات فی الفقه الإسلامی و بین جمیع علماء الإسلام أن الحرمه النسبیه من ناحیه الأب و من ناحیه الام أیضا (و لزیاده الاطلاع،راجع التّفسیر ذیل الآیه(۶۱)من سوره آل عمران).

و الجدیر بالذکر،أن لدینا حدیثا معروفا،نقل فی کتب الشیعه و السنه،و طبقا لهذا الحدیث فإنّ الآیه أعلاه نزلت فی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و علی علیه السّلام،و ذلک أنّ النّبی زوّج ابنته فاطمه من علی علیهما السّلام،و لهذا فقد کان علی علیه السّلام ابن عمّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و زوج ابنته أیضا،و هذا معنی«نسبا و صهرا». (۱)

ص:۲۸۵

۱- ۱) -مجمع البیان،و تفسیر روح المعانی،ذیل هذه الآیه.

و لکن هـذه الرّوایـات تعتبر بیـان للمصادیق الواضـحه،و لا تقـدح بعمومیه مفهوم الآیه،فالآیه تشـمل کل ارتباط یکون عن طریق النسب و المصاهره،و أحد مصادیقها الواضحه کان ارتباط علی علیه السّلام من جهتین مع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

فی ختام الآیه یقول تبارک و تعالی بصیغه التأکید علی المسائل الماضیه:

وَ کٰانَ رَبُّکَ قَدِیراً

.

و یبیّن القرآن الکریم فی نهایه المطاف فی الآیه الأخیره-مورد البحث- انحراف المشرکین عن أصل التوحید،من خلال المقایسه بین قـدره الأصـنام و قـدره الخـالق،حیث مرّت نمـاذج منهـا فی الآیـات السـابقه،یقول: وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ یَنْفَعُهُمْ وَ لاٰ یَضُرُّهُمْ .

من المسـلّم أنّ وجود المنفعه و الضرر لا یکون وحده معیار العباده،لکن القرآن یبیّن من خلال هذا التعبیر هذه النکته،و هی أنّهم یفتقدون أیه حجه فی هذه العباده،لأنّ الأصنام موجودات عدیمه الخاصیه تماما،و فاقده لأیه قیمه،و لأی تأثیر سلبی أو إیجابی.

و یضـیف القرآن الکریم فی ختام الآیه أن الکفره یعین بعضهم بعضا فی مواجهه خالقهم«فی طریق الکفر» وَ کٰانَ الْکٰافِرُ عَلیٰ رَبِّهِ ظَهِیراً .

إن هؤلاء لیسوا وحدهم فی طریق الضـلال،إنهم یقوی بعضهم بعضا بشکل قاطع،و یعبئون القوی و یقیمون العراقیل ضد دین اللّه و نبیّه و المؤمنین الحقیقیین.

و إذا رأینا أن بعض المفسّـرین یحصـر«الکافر»الوارد فی هـذه الآیه فی«أبی جهل»فمن باب ذکر المصداق البارز،و إلاّ فإنّ الکافر فی کل مورد له معنی واسع یشمل جمیع الکفار.

ص:۲۸۶

مسألتان

اشاره

۱-وحده القیاده

فی الآیه الأولی-مورد البحث-قرأنا قوله تعالی: وَ لَوْ شِئْنٰا لَبَعَثْنٰا فِی کُلِّ قَرْیَهٍ نَذِیراً و لکننا لم نفعل مثل هذا...و من المسلّم أن عله ذلک لأن الأنبیاء قاده الأمم،و نعلم أن التعدد فی مسأله القیاده یؤدی إلی إضعاف کل أمّه و شعب،خاصّه و أنّ الکلام هنا عن خاتم الأنبیاء صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و یجب أن تستمر هذه القیاده حتی نهایه العالم.لذا تتّضح-أکثر-أهمیه التمرکز و الوحده فی القیاده.

القائد الواحد یستطیع أن یوحد جمیع القوی،و یمنحها الانسجام و الوحده.

و فی الحقیقه فإن مسأله وحده القیاده انعکاس لحقیقه التوحید فی المجتمع الإنسانی،و یکون فی النقطه المقابله ظواهر الشرک و التفرقه و النفاق.

و ما ورد فی الآیه(۲۴)من سوره فاطر: وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلاّٰ خَلاٰ فِیهٰا نَذِیرٌ فلیس ثمّه منافاه مع البحث أعلاه،لأن الکلام فیها عن الأمه،لا أهل کل مدینه و کل بلد.

فلو أغمضنا النظر عن مقام الأنبیاء،فإنّ هذا الأصل صحیح أیضا حتی فی أدنی مستویات القیاده، و الشعوب التی صارت أسیره التعدد فی القیاده،انتهت إلی التجزئه فی سائر شؤونها،فضلا عن الضعف و العجز.

۲-القرآن وسیله الجهاد الکبیر

«الجهاد الکبیر»تعبیر بلیغ عن أهمیه منهج الکفاح الرّبانی البنّاء.

الملفت للانتباه فی الآیات أعلاه،هو أنّ هذا العنوان قد أعطی للقرآن،أو بعباره أخری:للأشخاص الذین یجاهدون بالقرآن مظاهر الضلال و الانحرافات و التلوثات.

هذا التعبیر یبیّن المواجهات المنطقیه و العقائدیه من جهه،و یکشف عن

عظمه مقام القرآن من جهه أخرى.

ورد فى بعض الرّوايات:أنّ أبا سفيان بن حرب و أبا جهل بن هشام، و الأخنس بن شريق بن عمر بن وهب الثقفى حليف بنى زهره...خرجوا ليله ليستمعوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يصلى من الليل فى بيته.فأخذ كلّ رجل منهم مجلسا يستمع فيه،و كلّ لا يعلم بمكان صاحبه،فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق،فتلاوموا،و قال بعضهم لبعض:لا تعودوا،فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا!ثمّ انصرفوا.حتى إذا كانت الليله الثّانيه عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه،فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق،فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوّل مرّه!ثمّ انصرفوا.حتى إذا كانت الليله الثّالثه أخذ كلّ رجل منهم مجلسه،فباتوا يستمعون له،حتى إذا طلع الفجر تفرقوا،فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود! فتعاهدوا على ذلك،ثمّ تفرقوا.

فلمّا أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه،ثمّ خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته،فقال:أخبرنى-يا أبا حنظله-عن رأيك فيما سمعت من محمّد.فقال:يا أبا ثعلبه،و اللّه لقد سمعت أشياء أعرفها،و أعرف ما يراد بها،و سمعت أشياء ما عرفت معناها،و لا ما يراد بها.

قال الأخنس:و أنا و الذى حلفت به.

قال:ثمّ خرج من عنده حتى أتى أبا جهل،فدخل عليه بيته،فقال:يا أبا الحكم،ما رأيك فيما سمعت من محمّد؟ فقال:ماذا سمعت!؟تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف.أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا،و أعطوا فأعطينا،حتى إذا تجاثينا على الركب،و كنّا كفرسى رهان،قالوا:منّا نبى يأتيه الوحى من السماء.فمتى ندرك مثل هذه؟و اللّه لا نؤمن به أبدا و لا نصدقه!!.

قال:فقام عنه الأخنس و تركه. (۱)

نعم،جاذبيه القرآن ردت هؤلاء إلى أنفسهم ليالى متواليه،و كانوا حتى بياض الصبح غرقى هذه الجاذبيه الإلهيه،لكن التكبر و التعصب و الحرص على المصالح الماديه كان مسلطا عليهم بحيث منعهم من قبول الحق.

و لا شك أنّ هذا النّور الإلهى له هذه القدره على أن يجذب إليه كل قلب مستعد أينما كان،و لهذا كان القرآن وسيله«الجهاد الكبير»فى الآيات مورد البحث.

۱- ۱) -سيره ابن هشام،ج ۱،ص ۳۳۷،و فى ظلال القرآن،ج ۶،ص ۱۷۲.

الآيات [سوره الفرقان (٢٥): الآيات ۵۶ الی ۵۹]

اشاره

وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً (۵۶) قُلْ مٰا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ أَنْ یَتَّخِذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً (۵۷) وَ تَوَکَّلْ عَلَی اَلْحَیِّ اَلَّذِی لاٰ یَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ کَفیٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبٰادِهِ خَبِیراً (۵۸) اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ ثُمَّ اِسْتَویٰ عَلَی اَلْعَرْشِ اَلرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِیراً (۵۹)

التّفسیر

اشاره

أجری هو هدایتکم:

کان الکلام فی الآیات السابقه حول إصرار الوثنیین علی عبادتهم الأصنام التی لا تضرّ و لا تنفع،و فی الآیه الحالیه الأولی یشیر القرآن إلی مهمّه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قباله هؤلاء المتعصبین المعاندین،فیقول تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً . (۱)

ص: ۲۹۰

۱- ۱) -«نذیر»فی اعتقاد البعض صیغه مبالغه،فی حین أنّ«مبشر»اسم فاعل فقط،هذا التفاوت التعبیری یمکن أن یکون بسبب أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان فی مواجهه فئه بلا إیمان و کان لها إصرار بالغ علی انحرافها،فلا بد أن یبالغ فی إنذارها.(روح المعانی ذیل الآیه مورد البحث).

إذا لم يتقبل هؤلاء دعوتک،فلا جناح عليک،فقد أديت مهمتک فی البشاره و الإنذار،و دعوت القلوب المستعده إلی اللّه.

هذا الخطاب،کما يشخص مهمّه النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،کذلک يسلّيه،و فيه نوع من التهديد لهذه الفئه الضاله،و عدم المبالاه بهم.

ثمّ يأمر النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أن يقول لهم أننی لا أريد منکم فی مقابل هذا القرآن و ابلاغکم رساله السماء أی أجر و عوض: قُلْ مٰا أَسْئَلُکُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ثمّ يضيف:إن الأجر الوحيد الذی أطلبه أن يهتدی الناس إلی طريق اللّه إِلاّ مَنْ شٰاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِيلاً .

يعنی أجری و جزائی هو هدايتکم فقط،و بکامل الإراده و الإختيار أيضا،فلا إکراه و لا إجبار فيه،و کم هو جميل هذا التعبير الکاشف عن غايه لطف و محبه النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم لأتباعه،ذلک لأنّه عدّ (۱) أجره و جزاءه سعادتهم.

بديهی أنّ للنّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أجرا معنويا عظيما علی هدايه الأمه،ذلک لأن«الدال علی الخير کفاعله».

و ذکر المفسّرون احتمالات أخری أيضا فی تفسير هذه الآيه من جملتها:

يری جماعه من المفسّرين أنّ معنی هذه الآيه هکذا«أنا لا أريد منکم أی جزاء إلاّ ما أردتم من إنفاق الأموال علی المحتاجين فی سبيل اللّه،و ذلک مرتبط برغبتکم». (۲)

لکنّ التّفسير الأوّل أقرب إلی معنی الآيه.

اتّضح ممّا قلناه أعلاه،أنّ الضمير فی«عليه»يرجع إلی القرآن و تبليغ دين الإسلام،لأن الکلام کان فی عدم المطالبه بالأجر و الجزاء فی مقابل هذه الدعوه.

هذه الجمله بالإضافه إلی أنّها تقطع حجج المشرکين،فهی توضح أن قبول

۱- ۱) -بناء علی هذا فالاستثناء فی الآيه أعلاه«استثناء متصل»و إن بدا منقطا لأول وهله.

۲- ۲) -الاستثناء فی هذه الحاله«استثناء منقطع».

هذه الدعوه الإلهيه سهل و يسير جدّا لكل أحد،بلا مشقّه و لا خساره.

و هـذا بنفسه شاهد على صدق دعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و نقاء فكره و منهجه،و ذلک لأنّ الأدعياء الكاذبين لا بدّ أن يدخلوا فى هذا العمل رغبتهم فى الأجر و الجزاء بصوره مباشره أو غير مباشره.

و تبيّن الآيه التى بعدها المعتمد الأساس للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاٰ يَمُوتُ .

فمع هـذا المعتمـد و الملجأ و المولى الـذى ما زال و لن يزال حيا دائما، فلا حاجه لک بأجر و جزاء هؤلاء،و لا خوف عليک من ضررهم و مؤامراتهم.

و الآن حيث الأمر على هذه الصوره فسبح اللّه تنزيها له من كل نقص، و أحمده إزاء كل هذه الكمالات وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ .

من الممكن اعتبـار هـذه الجمله بمنزله التعليـل للجمله السـابقه،لأنّ تعـالى هو المنزّه من كـل عيب و نقص،و أهـل لكل كمال و جمال،و حقيق بالتوكل عليه.

ثمّ يضـيف القرآن الكريم:لا تقلق من بهتان و مؤامرات الأعـداء،لأنّ اللّه مطلع على ذنوب عباده و سيحاسـبهم: وَ كَفىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبٰادِهِ خَبِيراً .

الآـيه التـاليه بيـان لقـدره الخـالق فى سـاحه عـالم الوجود،و وصف آخر لهـذا الملاـذ الأمين،يقول تعالى: اَلَّذِى خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فِى سِتَّهِ أَيّٰامٍ .ثمّ اِسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ فأخذ بتدبير العالم.

إنّ من له هـذه القـدره الواسـعه يسـتطيع أن يحفـظ المتـوكلين عليه من كـل خطر و حـادثه،فكمـا أنّ خلـق العـالم كـان بواسـطه قدرته،كذلک فإنّ إداره و قياده و تدبير ذلک العالم بأمر ذاته المقدسه.

ضمنا،فإنّ خلق العالم بشـكل تدريجى إشاره إلى أنّ اللّه لا يعجل فى أى عمل،فإذا لم يجاز أعداءک سـريعا،فلأجل أن يمنحهم الفسحه و الفرصه حتى يأخذوا بإصلاح أنفسهم،فضلا عن أن من يعجل هو من يخاف الفوت،و هذا غير

متصور بالنسبه إلى اللّه القادر المتعال.

فی مسأله خلق عالم الوجود فی سته أیّام، فإنّ«الیوم»فی مثل هذه الموارد بمعنی«المرحله»،أو الفتره الزمنیه و هذه الفتره من الممکن أن تستغرق ملایین أو ملیارات من السنین،و شواهد هذا المعنی فی الأدب العربی و غیره کثیره،بحثناه بشکل مفصل فی تفسیر الآیه(۵۴)من سوره الأعراف،و شرحنا هناک هذه المراحل الست.

و أیضا فإنّ معنی«العرش»و جمله اِسْتَویٰ عَلَی الْعَرْشِ وردت هناک أیضا.

و فی ختام الآیه یضیف تعالی: اَلرَّحْمٰنُ :من شملت رحمته العامّه جمیع الموجودات،فالمطیع و العاصی و المؤمن و الکافر یغترفون من خوان نعمته التی لا انقطاع فیها.

و الآن،حیث ربّک الرحمن القادر المقتدر،فإذا أردت شیئا فاطلب منه فإنّه المطلع علی احتیاجات جمیع عباده: فَسْئَلْ بِهِ خَبِیراً .

هذه الجمله-فی الحقیقه-نتیجه لمجموع البحوث السابقه.یأمر اللّه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:أعلن لهم أنّنی لا أرید منکم أجرا،و توکل علی اللّه الجامع لکل الصفات،القادر،و الرحمن،و الخبیر،و المطلع،و أطلب منه أی شیء تریده.

للمفسّرین أقوال أخری فی تفسیر هذه الجمله،فقد جعلوا السؤال هنا بمعنی الاستفهام(لا الطلب)،و قالوا:إن مفهوم الجمله هو:إذا أردت أن تسأل فی موضوع خلق الوجود و قدره الخالق،فاسأله هو،فهو العالم بکل شیء.

بعض آخر،بالإضافه إلی أنّهم فسروا«السؤال»ب«الاستفهام»قالوا:إن المقصود ب«الخبیر»جبرئیل،أو النّبی،یعنی:اسألهما عن صفات اللّه.

التّفسیر الأخیر بعید جدّا بالتأکید،و ما قبله أیضا غیر متناسب کثیرا مع الآیات السابقه، و الأقرب هو ما قلناه فی معنی الآیه من أن المقصود من السؤال

هو الطلب من اللّه. (۱)

مسألتان

اشاره

۱-أجر الرساله

نقرأ فی کثیر من آیات القرآن أنّ أنبیاء اللّه کانوا یبیّنون هذه الحقیقه بصراحه:

إنّنا لا نسأل أی أجر من أی أحد،بل إنّ أجرنا علی اللّه العظیم فقط.

الآیات ۱۰۹ و ۱۲۷ و ۱۴۵ و ۱۶۴ و ۱۸۰ سوره الشعراء،و کذلک الآیات ۲۹ و ۵۱ سوره هود،و الآیه ۷۲ سوره یونس و ۴۷ سوره سبأ،تدل علی هذا المعنی.

لا شک أن عدم المطالبه بالأجر هذه،تدفع کل اتهام عن الأنبیاء،فضلا عن أنّهم یستطیعون أن یواصلوا عملهم بحریه تامه،و ترتفع الموانع و الحواجز التی قد تحدد من حریه ألسنتهم بسبب العلاقه المادیه.

أمّا الملفت للانتباه فإنّه تلاحظ ثلاثه تعابیر مختلفه فیما یخص الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

۱-التعبیر الذی ورد فی الآیات أعلاه قُلْ مٰا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ أَنْ یَتَّخِذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً هذا التعبیر الفذ البلیغ الرائع.

۲-التعبیر الوارد فی الآیه(۲۳)من سوره الشوری قُلْ لاٰ أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبیٰ .

۳-التعبیر الوارد فی الآیه(۴۷)من سوره سبأ قُلْ مٰا سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَکُمْ،إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلَی اللّٰهِ .

من انضمام هذه التعابیر الثلاثه إلی بعضها،تتحصل النتیجه التالیه:فیما یخص

ص :۲۹۴

۱- ۱) -طبقا لهذا التّفسیر ف«الباء»فی«به»زائده،أمّا طبقا للتفاسیر الأخری،فإن«الباء»بمعنی«عن».

الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،إذا عدّت الموده فی القربی أجر رسالته،فهذه الموده-من جانب-فی نفع المؤمنین أنفسهم لا بنفع النّبی.و من جانب آخر فإن هذه الموده وسیله حصول الهدایه علی طریق اللّه تبارک و تعالی.

بناء علی هذا،فإنّ مجموع هذه الآیات یشیر إلی أن الموده فی قربی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هی استمرار منهج رساله و قیاده ذلک النّبی،و بعباره أخری:لمواصله طریق النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هدایته و قیادته یجب الارتباط بذوی قرباه،و الاعتماد علی قیادتهم،هذا هو الأمر الذی یدافع عنه اتباع أهل البیت فی مسأله الإمامه،فإنّهم یعتقدون أن امتداد القیاده بعد النّبی سیستمر إلی الأبد،لا فی شکل النبوّه،بل فی شکل الإمامه.

و من اللازم الالتفات إلی هذه النکته أیضا،و هی أن المحبه عامل مؤثر فی الأتباع،کما نقرأ فی الآیه(۳۱)من سوره آل عمران: قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِی... ذلک لأنّی المبلغ بأمره.

و رابطه الحب من حیث الأصل،تأخذ الإنسان باتجاه المحبوب و إراداته، و کلما کانت رابطه الحب أکثر قوّه،کانت هذه الجاذبیه قویه أکثر.خصوصا المحبّه التی یکون دافعها کمال«المحبوب»،و یکون الإحساس بهذا الکمال سببا فی أن یسعی الإنسان لیتقرب إلی مبدأ الکمال و إلی تنفیذ إراداته. (۱)

۲-علی من یجب التوکل؟

فی الآیات أعلاه،یأمر اللّه تبارک و تعالی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالتوکل، و أن یصرف النظر عن جمیع المخلوقات،و ینظر إلی اللّه عزّ و جلّ فقط.

و لذلک یعدد صفات لهذه الذات المقدسه،هی فی الحقیقه شرائط أساسیه

۱- ۱) -من أجل توضیح أکثر فی هذا الصدد،راجع التّفسیر الأمثل(ذیل الآیه ۳۱ سوره آل عمران).

فیمن یستطیع أن یکون ملاذا واقعیا و آمنا للناس.

الأولی:هی أن یکون حیا،و ذلک أنّ موجودا میتا فاقدا لخصائص الحیاه -مثل الأصنام-لا یمکنه أبدا أن یکون معتمدا.

الثّانیه:هی أن تکون حیاته خالده،بالشکل الذی لا یحدث احتمال موته تزلزلا فی فکر المتوکلین.

الثّالثه:هی أن یحیط بکل شیء علما،فیکون مطلعا علی احتیاجات المتوکلین،و علی خطط و مؤامرات الأعداء أیضا.

الرّابعه:هی أن یکون علی کل شیء قدیرا،حیث لا وجود فیه لأی شکل من العجز و عدم الاستطاعه الموجبین لضعف هذا الملجأ.

الخامسه:هی أن تکون الحاکمیه له علی جمیع الأمور،و إدارتها بیده المقتدره.

و نحن نعلم أن هذه الصفات لیست إلاّ للّه تبارک و تعالی،و لهذا فهو وحده الملجأ الباعث علی الاطمئنان الذی لا یتزلزل أمام کل الحوادث.

الآيات [سوره الفرقان (٢٥): الآيات ۶٠ الى ۶٢]

اشاره

وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اُسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قٰالُوا وَ مَا اَلرَّحْمٰنُ أَ نَسْجُدُ لِمٰا تَأْمُرُنٰا وَ زٰادَهُمْ نُفُوراً (۶٠) تَبٰارَكَ اَلَّذِى جَعَلَ فِى اَلسَّمٰاءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيهٰا سِرٰاجاً وَ قَمَراً مُنِيراً (۶١) وَ هُوَ اَلَّذِى جَعَلَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرٰادَ شُكُوراً (۶٢)

التّفسير

اشاره

البروج السماويه:

كان الكلام فى الآيات الماضيه عن عظمه و قدره اللّه،و عن رحمته أيضا، و يضيف اللّه تعالى فى الآيه الأولى هنا: وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قٰالُوا وَ مَا الرَّحْمٰنُ .

نحن لا نعرف«الرحمن»أصلا،و هذه الكلمه ليس لها مفهوم واضح عندنا، أَ نَسْجُدُ لِمٰا تَأْمُرُنٰا نحن لا نخضع لأى أحد،و سوف لن نكون أتباع أمر هذا أو ذاك وَ زٰادَهُمْ نُفُوراً اى أنّهم يتكلمون بهذا الكلام و يزدادون ابتعادا و نفورا عن الحقّ.

لا شكّ أنّ أنسب اسم من أسماء اللّه للدعوه إلى الخضوع و السجود بين يديه،

هو ذلک الاسم الممتلئ جاذبیه«الرحمن»مع مفهوم رحمته العامّه الواسعه،لکن أولئک بسبب عمی قلوبهم و لجاجتهم،لم یظهروا تأثرا حیال هذه الدعوه،بل تلقوها بالسخریه و الاستهزاء،و قالوا علی سبیل التحقیر: وَ مَا الرَّحْمٰنُ کما قال فرعون حیال دعوه موسی علیه السّلام: وَ مٰا رَبُّ الْعٰالَمِینَ . (۱) فهؤلاء لم یکونوا علی استعداد حتی لیقولوا:«و من الرحمن»أو«من ربّ العالمین».

و رغم أن بعض المفسّرین یری أن اسم«الرحمن»لم یکن مأنوسا بین عرب الجاهلیه،و حینما سمعوا هذا الوصف من النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم طرحوا هذا السؤال علی سبیل التعجب واقعا،حتی کان یقول البعض منهم:«ما نعرف الرحمن إلاّ رجلا بالیمامه»(یعنون به مسیلمه الکذاب الذی ادعی النبوّه کذبا،و عرفه و قومه بهذا الاسم«الرحمن»).

لکن هذا القول بعید جدّا،لأنّ ماده هذا الاسم و صیغته کلاهما عربیان،و کان النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یتلو-دائما-فی بدایه السور القرآنیه،الآیه بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ و علی هذا فلم یکن هدف أولئک إلاّ التحجج و السخریه،و العباره التالیه شاهد علی هذه الحقیقه أیضا لأنهم یقولون: أَ نَسْجُدُ لِمٰا تَأْمُرُنٰا .

و بما أن تعالیم القاده الإلهیین تؤثر فی القلوب المؤهله فقط،فإنّ عمی القلوب من المعاندین مضافا الی عدم انتفاعهم بها،فإنّها تزیدهم نفورا لأنّ آیات القرآن کقطرات المطر الباعثه علی الحیاه تنمی الورد و الخضره فی البستان، و الشوک فی الأرض السبخه،و لذا لا مجال للتعجب حیث یقول: وَ زٰادَهُمْ نُفُوراً . (۲)

۱- ۱) -سوره الشعراء،الآیه ۲۳.

۲- ۲) -علی هذا فإنّ فاعل(زاد)هو ذلک الأمر بالسجود الذی ترک أثرا معکوسا فی أولئک المرضی قلوبهم،و إن نقل بعض المفسّرین أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سجد بعد هذا الکلام و سجد المؤمنون أیضا،فسبّب هذا ابتعاد أولئک أکثر،بناء علی هذا ففاعل (زاد)السجده،لکن المعنی الأوّل أکثر صحّه.

الآیه التالیه إجابه علی سؤالهم حیث کانوا یقولون:«و ما الرحمن»،و إن کانوا یقولون هذا علی سبیل السخریه،لکن القرآن یجیبهم إجابه جاده،یقول تعالی:

تَبٰارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّمٰاءِ بُرُوجاً

.

«البروج»جمع«برج»فی الأصل بمعنی«الظهور»و لذا یسمون ذلک القسم الأعلی و الأظهر من جدار أطراف المدینه أو محل تجمع الفرقه العسکریه«برج»، و لهذا أیضا یقال حینما تظهر المرأه زینتها«تبرجت المرأه»، و هذه الکلمه تطلق أیضا علی القصور العالیه.

علی أیه حال،فالبروج السماویه،إشاره إلی الصور الفلکیه الخاصّه حیث تستقر الشمس و القمر فی کل فصل و کل موضع من السنه إزاء واحد منها،یقولون مثلا:استقرت الشمس فی برج«الحمل»یعنی أنّها تکون بمحاذاه«الصوره الفلکیه»،«الحمل»،أو القمر فی«العقرب»یعنی وقفت کره القمر أمام الصوره الفلکیه«العقرب»(تطلق الصوره الفلکیه علی مجموعه من النجوم لها شکل خاص فی نظر المشاهد).

بهذا الترتیب،أشارت الآیه إلی منازل الشمس و القمر السماویه،و تضیف علی أثر ذلک: وَ جَعَلَ فِیهٰا سِرٰاجاً وَ قَمَراً مُنِیراً (۱) .

تبیّن هذه الآیه النظم الدقیق لسیر الشمس و القمر فی السماء(و بدیهی أن هذه التغییرات فی الحقیقه ترتبط بدوران الأرض حول الشمس دائما).و النظام الفذ الدقیق الذی یحکمهما ملایین السنین بلا زیاده أو نقصان،بالشکل الذی یستطیع الفلکیون-أحیانا-أن یتنبئوا.قبل مئات السنین بوضع حرکه الشمس و القمر فی یوم معین و ساعه معینه بالنسبه إلی مئات السنین الآتیه،هذا النظام الحاکم علی هذه الأفلاک السماویه العظیمه شاهد ناطق علی وجود الخالق المدبر

---

۱ - ۱) -طبقا للتفسیر أعلاه،فإنّ ضمیر«فیها»یرجع إلی البروج،و ینبغی أن یکون هکذا،ذلک لأنّ الموضوع المهم هو دوران الشمس و القمر ضمن نظام خاص فی البروج:و لیس وجود البروج فی السماء فقط.

و المدير لعالم الوجود الكبير.

مع هـذه الدلائل الواضـحه،و مع هذه المنازل البديعه و الدقيقه للشـمس و القمر، فهل ما زلتم تجهلونه و تقولون:«و ما الرحمن»!؟ أمّا لماذا سـميت الشـمس،«سـراجا»،و قرن القمر بصفه«منير»؟ فمن الممكن أن يكون دليله أن«السراج»بمعنى المنبع الضوئى الذى نوره مسـتمد من ذاته و هذا ينطبق على حال الشمس،حيث أنّ من المسلمات العلميه طبقا للتحقيقات أن نورها من نفسها.بخلاف القمر الـذى نوره من ضـياء الشـمس،و لـذا وصـفه ب «المنير»الـذى يسـتمد نوره من غيره دائما،(فى التّفسـير الأمثل،أوردنا القول مفصلا فى هذا الصدد،ذيل الآيه ۵ و ۶ سوره يونس).

فى الآـيه الأـخيره،يواصـل القرآن الكريم التعريـف بالخـالق سـبحانه،و يتحـدث مرّه أخرى فى قسم آخر من نظـام الوجود،فيقول تعالى: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ خِلْفَهً لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرٰادَ شُكُوراً .

هذا النظام البديع الحاكم على الليل و النهار،حيث يعقب أحدهما الآخر متناوبين متواصـلين على هذا النظم ملايين السنين...النظم الذى لولاه لانعدمت حياه الإنسان نتيجه لشده النور و الحراره أو الظلمه و العتمه،و هذا دليل رائع للذين يريدون أن يعرفوا اللّه عزّ و جلّ.

و من المعلوم أن نشوء نظام«الليل»و«النهار»نتيجه لـدوران الأرض حول الشـمس،و أن تغيراتهما التدريجيه و المنظمه،حيث ينقص من أحدهما و يزاد فى الآخر دائما بسبب ميل محور الأرض عن مدارها ممّا يؤدى لوجود الفصول الأربعه.

فإذا دارت كرتنا الأرضـيه فى حركتها الـدورانيه أسـرع أو أبطأ من دورانها الفعلى ففى احدى الصور تطول الليالى الى درجه أنّها تجمد كل شيء،و يطول النهار الى درجه أنّ الشمس تحرق كل شيء...و فى صوره اخرى فإنّ الفاصله

القصيره بين الليل و النهار كانت ستبطل تأثيرهما و فائدتهما. فضلا عن أنّ القوّه المركزيه الطارده كانت سترتفع بحيث ستقذف جميع الموجودات الأرضيه بعيدا عن الكره الأرضيه.

و الخلاصه أنّ التأمل فى هذا النظام يوقظ فطره معرفه اللّه فى الإنسان من جهه(و لعل التعبير بالتذكر و التذكير إشاره إلى هذه الحقيقه)،و من جهه أخرى يحى روح الشكر فيه،و قد أشير إلى ذلك بقوله تعالى: أَوْ أَرٰادَ شُكُوراً .

الجدير بالذكر أنّنا نقرأ فى بعض الرّوايات التى نقلت عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو الأئمّه المعصومين فى تفسير الآيه،أن تعاقب الليل و النهار من أجل أن الإنسان إذا أهمل أداء واجب من واجباته تجاه اللّه سبحانه و تعالى فإنّه بإمكانه جبرانه أو قضاءه فى الوقت الآخر منهما.هذا المعنى من الممكن أن يكون تفسيرا ثانيا للآيه،و ممّا سبق من كون الآيات القرآنيه ذات بطون،فلا منافاه بين هذا المعنى و المعنى الأوّل أيضا.

و فى ذلك

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «كلّ ما فاتك بالليل فاقضه بالنهار،قال اللّه تبارك و تعالى: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرٰادَ شُكُوراً يعنى أن يقضى الرجل ما فاته بالليل بالنهار،و ما فاته بالنهار بالليل». (۱)

نفس هذا المعنى نقله«الفخر الرازى»عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

۱- ۱) -من لا يحضره الفقيه،طبقا لنقل نور الثقلين،ج ۴ ذيل الآيه.

الآيات [سوره الفرقان (٢۵): الآيات ۶٣ الی ۶٧]

اشاره

وَ عِبٰادُ اَلرَّحْمٰنِ اَلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى اَلْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذٰا خٰاطَبَهُمُ اَلْجٰاهِلُونَ قٰالُوا سَلاٰماً (۶٣) وَ اَلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِيٰاماً (۶۴) وَ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اِصْرِفْ عَنّٰا عَذٰابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذٰابَهٰا كٰانَ غَرٰاماً (۶۵) إِنَّهٰا سٰاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقٰاماً (۶۶) وَ اَلَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً (۶٧)

التّفسير

اشاره

الصفات الخاصّه لعباد الرحمن:

هذه الآيات-فما بعد-تستعرض بحثا جامعا فذا حول الصفات الخاصّه لعباد الرحمن،إكمالا للآيات الماضيه حيث كان المشركون المعاندون حينما يذكر اسم اللّه«الرحمن»يقولون و ملء رؤوسهم استهزاء و غرور«و ما الرحمن!؟ و رأينا أن القرآن يعرّف لهم«الرحمن»ضمن آيتين،و جاء الدور الآن ليعرّف «عباد الرحمن».

تبيّن هذه الآيات اثنتى عشره صفه من صفاتهم الخاصّه،حيث يرتبط بعضها بالجوانب الاعتقاديه،و بعض منها أخلاقى،و منها ما هو اجتماعى،بعض منها

یتعلق بالفرد،و بعض آخر بالجماعه،و هی أوّلا و آخرا مجموعه من أعلی القیم الإنسانیه.

یقول تعالی: وَ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی الْأَرْضِ هَوْناً . (۱)

إن أوّل صفه ل:«عباد الرحمن»هو نفی الکبر و الغرور و التعالی،الذی یبدو فی جمیع أعمال الإنسان حتی فی طریقه المشی،لأنّ الملکات الأخلاقیه تظهر نفسها فی حنایا أعمال و أقوال و حرکات الإنسان بحیث أن من الممکن تشخیص قسم مهم من أخلاقه-بدقّه-من أسلوب مشیته.

نعم،إنّهم متواضعون،و التواضع مفتاح الإیمان،فی حین یعتبر الغرور و الکبر مفتاح الکفر.

لقد رأینا بأم أعیننا فی الحیاه الیومیه،و قرأنا مرارا فی آیات القرآن أیضا،أن المتکبرین المغرورین لم یکونوا مستعدین حتی لیصغوا إلی کلام القاده الإلهیین، کانوا یتلقون الحقائق بالسخریه،و لم تکن رؤیتهم أبعد من أطراف أنوفهم،تری أ یمکن أن یجتمع الإیمان فی هذه الحال مع الکبر؟! نعم،هؤلاء المؤمنون،عباد ربهم الرحمن،و العلامه الأولی لعبودیتهم هو التواضع...التواضع الذی نفذ فی جمیع ذرات وجودهم،فهو ظاهر حتی فی مشیتهم.

فإذا رأینا أنّ إحدی أهم القواعد التی یأمر اللّه بها نبیّه هی وَ لاٰ تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً،إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبٰالَ طُولاً (۲) فلنفس هذا السبب أیضا،و هو أن التواضع روح الإیمان.

حقّا إذا کان للإنسان أدنی معرفه بنفسه و بعالم الوجود،فسیعلم کم هو ضئیل

۱- ۱) -«هون»مصدر،و هو بمعنی الناعم و الهادی المتواضع،و استعمال المصدر فی معنی اسم الفاعل هنا للتوکید،یعنی أنّهم فی ما هم علیه کأنّهم عین الهدوء و التواضع.
۲- ۲) -سوره الإسراء،الآیه ۳۷.

حيال هـذا العالم الكبير،حتى و إن كانت رقبته كالجبال،فإن أعلى جبال الأرض أمام عظمه الأرض أقل من تعرجات قشر(النارنج)بالنسبه إليها،تلكم الأرض التى هى نفسها لا شىء بالنسبه إلى الأفلاك العظيمه.

ترى أ ليست هـذه الحاله من الكبر و الغرور،دليلا على الجهل المطلق!؟ نقرأ فى حديث رائع عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أنّه كان يعبر أحد الأزقه يوما ما،فرأى جماعه من الناس مجتمعين،فسألهم عن سبب ذلك فقالوا: مجنون شغل الناس بأعمال جنونيه مضحكه،

فقال:رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أ تريدون أن أخبركم من هو المجنون حقا،فسكتوا و أنصتوا بكل وجودهم فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«المتبختر فى مشيه، الناظر فى عطفيه،المحرك جنبيه بمنكبيه،الذى لا يرجى خيره و لا يؤمن شرّه، فذلك المجنون،و هذا مبتلى!».

الصفه الثّانيه ل«عباد الرحمن»الحلم و الصبر،كما يقول القرآن فى مواصلته هذه الآيه وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً .

السّلام الذى هو علامه اللامبالاه المقترنه بالعظمه،و ليس الناشئ عن الضعف.

السّلام دليل عدم المقابله بالمثل حيال الجهله الحمقى،سلام الوداع لأقوالهم غير المترويه،ليس سلام التحيه الذى هو علامه المحبه و رابطه الصداقه.

و الخلاصه،أنه السّلام الذى هو علامه الحلم و الصبر و العظمه.

نعم،المظهر الآخر من مظاهر عظمتهم الروحيه،هو التحمل و سعه الصدر اللذين بدونهما سوف لا يطوى أى إنسان طريق«العبوديه للّه»الصعب الممتلئ بالعقبات،خصوصا فى المجتمعات التى يكثر فيها الفاسدون و«مفسدون»و جهله.

و تتناول الآيه الثّانيه،خاصيتهم الثالثه التى هى العباده الخالصه للّه،فيقول تعالى: وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً .

فى عتمه الليل حيث أعين الغافلين نائمه،و حيث لا مجال للتظاهر و الرياء،

حرّموا على أنفسهم لذه النوم،و نهضوا إلى ما هو ألذّ من ذلك،حيث ذكر اللّه و القيام و السجود بين يدى عظمته عزّ و جلّ،فيقضون شطرا من الليل فى مناجاه المحبوب،فينورون قلوبهم و أرواحهم بذكره و باسمه.

و رغم أن جمله«يبيتون»دليل على أنّهم يقضون الليل بالسجود و القيام إلى الصباح،لكن المعلوم أنّ المقصود هو شطر كبير من الليل،و إن كان المقصود هو كل الليل فإنّ ذلك يكون فى بعض الموارد.

كما أن تقديم«السجود»على«القيام»بسبب أهميته،و إن كان القيام مقدّم على السجود عمليا فى حال الصلاه. (۱)

الصفه الرّابعه لهم هى الخوف من العذاب الإلهى وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً .أى شديدا و مستديما. إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً .

و مع أنّهم مشتغلون بذكر اللّه و عبادته فى الليالى،و يقضون النهار فى إنجاز تكاليفهم،فإنّ قلوبهم أيضا مملوءه بالخوف من المسؤوليات،ذلك الخوف الباعث على القوّه فى الحركه أكثر و أفضل باتجاه أداء التكاليف، ذلك الخوف الذى يوجه الإنسان من داخله كشرطى قوى،فينجز تكاليفه على النحو الأحسن دون أن يكون له آمر و رقيب،فى ذات الوقت الذى يرى نفسه مقصرا أمام اللّه.

كلمه«غرام»فى الأصل بمعنى المصيبه،و الألم الشديد الذى لا يفارق الإنسان.و يطلق«الغريم» (۲) على الشخص الدائن،لأنّه يلازم الإنسان دائما من أجل أخذ حقّه.

و يطلق«الغرام»أيضا على العشق و العلاقه المتوقده التى تدفع الإنسان بإصرار باتجاه عمل أو شيء آخر،و تطلق هذه الكلمه على«جهنم»لأنّ عذابها

ص :۳۰۵

۱- ۱) -ينبغى الانتباه إلى أنّ«سجدا»جمع«ساجد»،و قياما»جمع«قائم».

۲- ۲) -تطلق«الغريم»على«الدائن»و«المدين»أيضا.(لسان العرب ماده غرم).

شدید و دائم لا یزول.

و لعل الفرق بین«مستقرا»و«مقاما»أن جهنم مکان دائم للکافرین فهی لهم «مقام»،و مکان مؤقت للمؤمنین،أی«مستقر»،و بهذا الترتیب یکون قد أشیر إلی کلا الفریقین الذین یردان جهنم.

و من الواضح أن جهنم محل إقامه و مستقر سیء،و شتان بین الراحه و النعیم و بین النیران الحارقه.

و من المحتمل أیضا أن تکون«مستقرا»و«مقاما»کلاهما لمعنی واحد، و تأکید علی دوام عقوبات جهنم،و هو صحیح فی مقابل الجنّه،حیث نقرأ عنها فی آخر هذه الآیات نفسها خٰالِدِینَ فِیهٰا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقٰاماً . (۱)

فی الآیه الأخیره یشیر جل ذکره إلی الصفه الممتازه الخامسه ل«عباد الرحمن»التی هی الاعتدال و الابتعاد عن أی نوع من الإفراط و التفریط فی الأفعال،خصوصا فی مسأله الإنفاق،فیقول تعالی: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً .

الملفت للانتباه أنه یعتبر أصل الإنفاق أمرا مسلما لا یحتاج إلی ذکر،ذلک لأن الإنفاق أحد الأعمال الضروریه لکل إنسان،لذا یورد الکلام فی کیفیه إنفاقهم فیقول:إن إنفاقهم إنفاق عادل(معتدل)بعید عن أی إسراف و بخل،فلا یبذلون بحیث تبقی أزواجهم و أولادهم جیاعا،و لا یقترون بحیث لا یستفید الآخرون من مواهبهم و عطایاهم.

فی تفسیر«الإسراف»و«الإقتار»کنقطتین متقابلتین،للمفسّرین أقوال مختلفه یرجع جمیعها إلی أمر واحد،و هو أنّ«الإسراف»هو أن ینفق المسلم أکثر من الحد،و فی غیر حق،و بلا داع،و«الإقتار»هو أن ینفق أقل من الواجب.

ص: ۳۰۶

۱- ۱) -سوره الفرقان،الآیه ۷۶.

فی إحدی الروایات الإسلامیه،ورد تشبیه رائع للإسراف و الإقتار وحد الاعتدال،تقول الرّوایه:

تلا أبو عبد اللّه علیه السّلام هذه الآیه: وَ الَّذِینَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ یُسْرِفُوا وَ لَمْ یَقْتُرُوا وَ کٰانَ بَیْنَ ذٰلِکَ قَوٰاماً .قال:فأخذ قبضه من حصی و قبضها بیده،فقال:هذا الإقتار الذی ذکره اللّه عزّ و جلّ فی کتابه،ثمّ قبض قبضه أخری فأرخی کفّه کلّها،ثمّ قال:هذا الإسراف،ثمّ أخذ قبضه أخری فأرخی بعضها و أمسک بعضها و قال:هذا القوام». (۱)

کلمه«قوام»(علی وزن عوام)لغه بمعنی العدل و الاستقامه و الحد و الوسط بین شیئین،و«قوام»(علی وزن کتاب):الشیء الذی یکون أساس القیام و الاستقرار.

مسألتان

اشاره

۱-طریقه مشی المؤمنین

قرأنا فی الآیات أعلاه أنّ التواضع أحد علائم«عباد الرحمن»،التواضع الذی یهیمن علی أرواحهم بحیث یظهر حتی فی مشیتهم،التواضع الذی یدفعهم إلی التسلیم أمام الحق.لکن من الممکن أحیانا أن یتوهم البعض فی التواضع ضعفا و عجزا و خورا و کسلا،و هذا النمط من التفکیر خطیر جدّا.

التواضع فی المشی لیس هو الضعف و الخطوه الخائره،بل إنّ الخطوات المحکمه التی تحکی عن الجدیه و القدره هی من صمیم التواضع.

نقرأ

فی سیره النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن أحد أصحابه یقول: «ما رأیت أحدا أسرع فی مشیته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،کأنّما الأرض تطوی له،و إنّا لنجهد أنفسنا و إنّه لغیر

ص: ۳۰۷

۱- ۱) -الکافی:طبقا لنقل تفسیر نور الثقلین،ج ۴،ص ۲۹.

مکترث». (۱)

و نقرأ

فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه اَلَّذِینَ یَمْشُونَ عَلَی الْأَرْضِ أنّه قال:«و الرجل یمشی بسجیته التی جبل علیها لا یتکلف و لا یتبختر». (۲)

و

ورد فی حدیث آخر،فی حالات النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «قد کان یتکفأ فی مشیه کأنّما یمشی فی صبب». (۳)

یعنی حینما کان الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یمشی فإنّه یخطو خطوات سریعه دونما استعجال،کأنّما یمشی فی منحدر.

علی أیه حال فإنّ طریقه المشی لیست مقصوده بذاتها،بل هی نافذه إلی معرفه الحاله الروحیه للإنسان،و الآیه فی الحقیقه تشیر إلی نفوذ روح التواضع و الخشوع فی أرواح و قلوب«عباد الرحمن».

۲-البخل و الإسراف

لا شک أنّ«الإسراف»واحد من الأعمال الذمیمه بنظر القرآن و الإسلام، و ورد ذم کثیر له فی الآیات و الرّوایات،فالإسراف کان نهجا فرعونیا: وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعٰالٍ فِی الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِینَ . (۴)

و المسرفون هم أصحاب جهنم و الجحیم وَ أَنَّ الْمُسْرِفِینَ هُمْ أَصْحٰابُ النّٰارِ . (۵)

و مع الالتفات إلی أنّه أصبح ثابتا الیوم أن منابع الثروات الأرضیه لیست

۱- ۱) -فی ظلال القرآن،ذیل الآیه مورد البحث،و فی تفسیر القرطبی ینقل روایه أخری فی هذا الصدد أیضا لها شبه کبیر بما قلناه أعلاه.

۲- ۲) -مجمع البیان،ذیل الآیه مورد البحث.

۳- ۳) -تفسیر روح المعانی،ذیل الآیه مورد البحث.

۴- ۴) -سوره یونس،الآیه ۸۳.

۵- ۵) -سوره غافر،الآیه ۴۳.

كثيره جدا نسبه إلى زياده الكثافه السكانيه للبشريه حتى يمكن للإنسان أن يسرف،و كل إسراف سيكون سببا فى حرمان أناس لا ذنب لهم،فضلا عن أن الإسراف عاده قرين التكبر و الغرور و البعد عن خلق اللّه.

فى نفس الوقت فإنّ التقتير و البخل أيضا،ذميم و قبيح و غير مقبول بنفس الدرجه،فالأصل على أساس النظره التوحيديه،أن اللّه تبارك و تعالى هو المالك الأصلى،و نحن جميعا مستخلفون من قبله،و كلّ نوع من التصرف دون إجازته و رضاه فهو قبيح و غير مقبول،و نحن نعلم أن اللّه لم يأذن بالإسراف و لم يأذن بالبخل.

ص:٣٠٩

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۶۸ الی ۷۱]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ لاٰ يَدْعُونَ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ وَ لاٰ يَقْتُلُونَ اَلنَّفْسَ اَلَّتِى حَرَّمَ اَللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ لاٰ يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثٰاماً (۶۸) يُضٰاعَفْ لَهُ اَلْعَذٰابُ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهٰاناً (۶۹) إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صٰالِحاً فَأُوْلٰئِكَ يُبَدِّلُ اَللّٰهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ وَ كٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً (۷۰) وَ مَنْ تٰابَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اَللّٰهِ مَتٰاباً (۷۱)

التّفسير

اشاره

بحث آخر فی صفات عباد الرحمن:

ميزه«عباد الرحمن»السادسه التی وردت فی هذه الآيات هی التوحيد الخالص الذی يبعدهم عن كل أنواع الشرك و الثنويه و التعدديه فی العباده،فيقول تعالی: وَ الَّذِينَ لاٰ يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ .

فقد أنار التوحيد آفاق قلوبهم و حياتهم الفرديه و الاجتماعيه،و انقشعت عن سماء أفكارهم و أرواحهم ظلمات الشرك.

ص: ۳۱۰

الصفه السابعه طهارتهم من التلوث بدم الأبرياء وَ لاٰ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ . (۱)

و یستفاد جیدا من الآیه أعلاه أن جمیع الأنفس الإنسانیه محترمه فی الأصل،و محرم إراقه دمائها إلاّ إذا تحققت أسباب ترفع هذا الاحترام الذاتی فتبیح إراقه الدم.

صفتهم الثّامنه هی أن عفافهم لا یتلوث أبدا: وَ لاٰ یَزْنُونَ .

إنّهم علی مفترق طریقین:الکفر و الإیمان،فینتخبون الإیمان،و علی مفترق طریقین الأمان و اللاأمان فی الأرواح،فهم یتخیرون الأمان،و علی مفترق طریقین:الطهر و التلوث:فهم یتخیرون النقاء و الطهر.إنّهم یهیئون المحیط الخالی من کل انواع الشرک و التعدی و الفساد و التلوث،بجدهم و اجتهادهم.

و فی ختام هذه الآیه یضیف تعالی من أجل التأکید أکثر: وَ مَنْ یَفْعَلْ ذٰلِکَ یَلْقَ أَثٰاماً .

«الإثم»و«آثام»فی الأصل بمعنی الأعمال التی تمنع من وصول الإنسان إلی المثوبه،ثمّ أطلقت علی کل ذنب،لکنّها هنا بمعنی جزاء الذنب.

قال بعضهم أیضا:إن«إثم»بمعنی الذنب و«آثام»بمعنی عقوبه الذنب (۲) فإذا رأینا أن بعض المفسّرین ذکروها بمعنی صحراء أو جبل أو بئر فی جهنم فهو فی الواقع من قبیل بیان المصداق.

و حول فلسفه تحریم الزنا،قدمنا بحثا مفصلا فی ذیل الآیه(۳۳)سوره الإسراء.

و من الملفت للنظر فی الآیه أعلاه،أنها بحثت أولا فی مسأله الشرک،ثمّ قتل

---

۱ - ۱) -الاستثناء فی الجمله أعلاه«استثناء مفرغ»اصطلاحا،و کان فی التقدیر هکذا«لا یقتلون النفس التی حرم اللّه بسبب من الأسباب إلاّ بالحق».

۲- ۲) -تفسیر الفخر الرازی.

النفس،ثمّ الزنا،و يستفاد من بعض الرّوايات أن هذه الذنوب الثلاثه تكون من حيث الأهميه بحسب الترتيب الذى أوردته الآيه.

ينقل ابن مسعود عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،قال: سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أى الذنب أعظم؟قال:«أن تجعل للّه ندا و هو خلقك»قال:قلت:ثمّ أىّ؟قال:«أن تقتل ولدك مخافه أن يطعم معك» قال:قلت:ثمّ أىّ؟قال:«أن تزانى حليله جارك»فأنزل اللّه تصديقها. (۱)

و بالرغم من أن الكلام فى هذا الحديث،ورد عن نوع خاص من القتل و الزنا، لكن مع الانتباه إلى إطلاق مفهوم الآيه يتجلى أنّ هذا الحكم يشمل جميع أنواع القتل و الزنا،و ما فى الرّوايه مصداق أوضح لهما.

تتكئ الآيه التاليه أيضا على ما سبق،من أن لهذه الذنوب الثّلاثه أهميه قصوى،فيقول تعالى: يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً .

و يتجسد هنا سؤالان:

الأوّل:لماذا يتضاعف عذاب هذا النوع من الأشخاص؟و لماذا لا يجازون على قدر ذنوبهم؟و هل ينسجم هذا مع أصول العداله!؟
الثّانى:إنّ الكلام هنا عن الخلود فى العذاب،فى حين أنّ الخلود هنا مرتبط بالكفار فقط.و الذنب الأوّل من هذه الذنوب الثلاثه التى ذكرت فى الآيه يكون كفرا،فقط،و أمّا قتل النفس و الزنا فليسا سببا للخلود فى العذاب.

بحث المفسّرون كثيرا فى الإجابه على السؤال الأول،و أصح ما أوردوه هو أن المقصود من مضاعفه العذاب أن كل ذنب من هذه الذنوب الثلاثه المذكوره فى هذه الآيه سيكون له عقاب منفصل،فتكون العقوبات بمجموعها عذابا مضاعفا.

۱- ۱) -صحيح«البخارى»و«مسلم»طبقا لنقل مجمع البيان ذيل الآيه مورد البحث.

فضلا عن أنّ ذنبا ما يكون أحيانا مصدر الذنوب الأخرى، مثل الكفر الذى يسبب ترك الواجبات و ارتكاب المحرمات،و هذا نفسه موجب لمضاعفه العذاب الإلهى.

لهذا اتّخذ بعض المفسّرين هذه الآيه دليلا على هذا الأصل المعروف أن:

«الكفار مكلفون بالفروع كما أنّهم مكلفون بالأصول».

و أمّا فى الإجابه على السؤال الثّانى:فيمكن القول أن بعض الذنوب عظيم إلى درجه يكون عندها سببا فى الخروج من هذه الدنيا بلا إيمان،كما قلنا فى مسأله قتل النفس فى ذيل الآيه(۹۳)سوره النساء. (۱)

و من الممكن أن يكون الأمر كذلك فى مورد الزنا أيضا،خاصّه إذا كان الزنا بمحصنه.

و من المحتمل أيضا أن«الخلود»فى الآيه أعلاه يقصد به من يرتكب هذه الذنوب الثلاثه معا،الشرك و قتل النفس و الزنا،و الشاهد على هذا المعنى:الآيه التاليه حيث تقول: إِلاّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً .

و اعتبر بعض المفسّرين-أيضا-أن«الخلود»هنا بمعنى المده الطويله لا الخالده،لكن التّفسير الأوّل و الثّانى أصح.

و من الملفت للنظر هنا-فضلا عن مسأله العقوبات العاديه-عقوبه أخرى ذكرت أيضا هى التحقير و المهانه،أى البعد النفسى من العذاب،و قد تكون بذاتها تفسيرا لمسأله مضاعفه العذاب،ذلك لأنّهم يعذبون عذابا جسديا و عذابا روحيا.

لكن القرآن المجيد كما مرّ سابقا،لم يغلق طريق العوده أمام المجرمين فى أى وقت من الأوقات،بل يدعو المذنبين إلى التوبه و يرغبهم فيها، ففى،الآيه التاليه يقول تعالى هكذا:

۱- ۱) -التفسير الأمثل،الجزء الثالث.

إِلاّ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صٰالِحاً فَأُوْلٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ،وَ كٰانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً

.

كما مرّ بنا فى الآيه الماضيه،ففى الوقت الذى ذكرت ثلاثه ذنوب هى من أعظم الذنوب،تركت الآيه باب التوبه مفتوحا أمام هؤلاء الأشخاص،و هذا دليل على أن كل مذنب نادم يمكنه العوده إلى اللّه،بشرط أن تكون توبته حقيقيه، و علامتها ذلك العمل الصالح(المعوّض)الذى ورد فى الآيه،و إلاّ فإن مجرّد الاستغفار باللسان أو الندم غير المستقر فى القلب لا يكون دليلا على التوبه أبدا.

المسأله المهمّه فيما يتعلق بالآيه أعلاه هى:كيف يبدل اللّه«سيئات»أولئك «حسنات»؟

تبديل السيئات حسنات:

هنا عدّه تفاسير،يمكن القبول بها جميعا:

١-حينما يتوب الإنسان و يؤمن باللّه،تتحقّق تحولات عميقه فى جميع وجوده،و بسبب هذا التحول و الانقلاب الداخلى تتبدل سيئات أعماله فى المستقبل حسنات،فإذا كان قاتلا للنفس المحترمه فى الماضى،فإنّه يتبنى مكانها فى المستقبل الدفاع عن المظلومين و مواجهه الظالمين.و إذا كان زانيا،فإنّه يكون بعدها عفيفا و طاهرا،و هذا التوفيق الإلهى يناله العبد فى ظل الإيمان و التوبه.

٢-أن اللّه تبارك و تعالى بلطفه و كرمه و فضله و إنعامه يمحو سيئات أعمال العبد بعد التوبه،و يضع مكانها حسنات،نقرأ

فى روايه عن أبى ذر:قال:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يؤتى بالرجل يوم القيامه فيقال اعرضوا صغار ذنوبه،و تخبأ كبارها، فيقال:عملت يوم كذا و كذا،و هو يقرّ ليس بمنكر،و هو مشفق من الكبائر أن تجىء،فإذا أراد اللّه خيرا قال:أعطوه مكان كل سيئه حسنه،فيقول:يا ربّ لى ذنوب ما رأيتها ها هنا؟»قال:و رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضحك حتى بدت نواجذه،

ثمّ تلا: فَأُوْلٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ . (۱)

۳-التّفسير الثّالث هو أن المقصود من السيئات ليس نفس الأعمال التى يقوم بها الإنسان،بل آثارها السيئه التى تنطبع بها روح و نفس الإنسان،فحينما يتوب و يؤمن تجتث تلك الآثار السيئه من روحه و نفسه،و تبدل بآثار الخير،و هذا هو معنى تبديل السيئات حسنات.

و لا منافاه بين هذه التفاسير الثلاثه قطعا،و من الممكن أن تجتمع كل هذه التفاسير الثلاثه فى مفهوم الآيه.

الآيه التاليه تشرح كيفيه التوبه الصحيحه،فيقول تعالى: وَ مَنْ تٰابَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ مَتٰاباً . (۲)

يعنى أن التوبه و ترك الذنب ينبغى ألا تكون بسبب قبح الذنب،بل ينبغى- إضافه إلى ذلك-أن يكون الدافع إليها خلوص النيه، و العوده إلى اللّه تبارك و تعالى.

لهذا فإنّ ترك شرب الخمر أو الكذب بسبب إضرارهما مثلا،و إن كان حسنا، لكنّ القيمه الأسس لهذا الفعل لا تتحقق إلاّ إذا استمدّ من الدافع الربّانى.

بعض المفسّرين ذكروا تفسيرا آخر لهذه الآيه،و هو أن هذه الجمله جواب على التعجب الذى قد تسببه الآيه السابقه أحيانا فى بعض الأذهان،و هو:كيف يمكن أن يبدل اللّه السيئات حسنات؟!،فتجيب هذه الآيه:حينما يؤوب الإنسان إلى ربه العظيم،فلا عجب فى هذا الأمر.

تفسير ثالث ذكر لهذه الآيه،و هو أن كلّ من تاب من ذنبه فإنّه يعود إلى اللّه، و مثوبته بلا حساب.

ص: ۳۱۵

۱- ۱) -عوالى اللئالى،طبقا لنقل نور الثقلين،ج ۴،ص ۳۳.

۲- ۲) -«متاب»مصدر ميمى بمعنى التوبه،و لأنّه مفعول مطلق هنا،فهو للتوكيد.

و بالرغم من عدم وجود منافاه بين هذه التفاسير الثلاثه،لكن التّفسير الأوّل أقرب،خاصّه و أنّه يتفق مع الرّوايه المنقوله فى تفسير على بن إبراهيم القمى فى ذيل هذه الآيه.

ص: ۳۱۶

الآيات [سوره الفرقان (۲۵): الآيات ۷۲ الى ۷۶]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ لاٰ يَشْهَدُونَ اَلزُّورَ وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرٰاماً (۷۲) وَ اَلَّذِينَ إِذٰا ذُكِّرُوا بِآيٰاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهٰا صُمًّا وَ عُمْيٰاناً (۷۳) وَ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنٰا هَبْ لَنٰا مِنْ أَزْوٰاجِنٰا وَ ذُرِّيّٰاتِنٰا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اِجْعَلْنٰا لِلْمُتَّقِينَ إِمٰاماً (۷۴) أُوْلٰئِكَ يُجْزَوْنَ اَلْغُرْفَةَ بِمٰا صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيهٰا تَحِيَّةً وَ سَلاٰماً (۷۵) خٰالِدِينَ فِيهٰا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقٰاماً (۷۶)

التّفسير

اشاره

جزاء«عباد الرحمن»:

فى متابعه للآيات الماضيه التى كررت القول فى خصائص«عباد الرحمن»، تشرح هذه الآيات بقيه هذه الصفات:

الصفه الرفيعه التاسعه لهم،هى احترام و حفظ حقوق الآخرين:إنّ هؤلاء لا يشهدون بالباطل مطلقا: وَ الَّذِينَ لاٰ يَشْهَدُونَ الزُّورَ .

المفسّرون الكبار فسّروا هذه الآيه على نحوين:

اعتبر بعضهم«الزور»بمعنى«الشهاده بالباطل»كما قلنا أعلاه،لأنّ«الزور» لغه بمعنى التمايل و الانحراف،و حيث أن الكذب و الباطل و الظلم من الانحرافات، فإن«الزور»يطلق عليها.

هذه العباره(شهاده الزور)فى كتاب الشهادات فى فقهنا،موجوده بنفس هذا العنوان،و قد نهى عنها فى روايات متعدده،و إن لم نرفى تلك الرّوايات استدلالا بالآيه أعلاه.

التّفسير الآخر:هو أنّ المقصود من«الشهود»هو«الحضور»يعنى أن عباد الرحمن لا يتواجدون فى مجالس الباطل.

و فى بعض الرّوايات التى وردت عن طرق أئمّه أهل البيت عليهم السّلام،فسّرت ب«الغناء»أى تلك المجالس التى يتمّ فيها إنشاد اللهو مصحوبا بأنغام الآلات الموسيقيه أو بدونها.

لا شكّ أنّ مراد هذا النوع من الرّوايات ليس هو تحديد مفهوم«الزور» الواسع ب«الغناء»، فالغناء واحد من مصاديقه البارزه إنه يشمل سائر مجالس اللهو و اللعب و شرب الخمر و الكذب و الغيبه و أمثال ذلك.

و لا يستبعد أيضا أن يجتمع كلا التّفسيرين فى معنى الآيه،و على هذا فعباد الرحمن لا يؤدون الشهاده الكاذبه،و لا يشهدون مجالس اللهو و الباطل و الخطيئه،ذلك لأنّ الحضور فى هذه المجالس-فضلا عن ارتكاب الذنب-فإنه مقدمه لتلوث القلب و الروح.

ثمّ يشير تعالى فى آخر الآيه إلى صفتهم الرفيعه العاشره،و هى امتلاك الهدف الإيجابى فى الحياه،فيقول: وَ إِذٰا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرٰاماً .

إنّهم لا يحضرون مجالس الباطل،و لا يتلوثون باللغو و البطلان.و مع الالتفات إلى أن«اللغو»يشمل كل عمل لا ينطوى على هدف عقلائى،فإن ذلك يدل على أن«عباد الرحمن»يتحرون دائما الهدف المعقول و المفيد و البناء،و ينفرون من

اللاهـدفيه و الأعمـال الباطله،فإذا اعترضـهم هـذا النوع من الأعمال فى مسـير حياتهم،مروا بمحاذاتها مرور اللامبالى،و لا مبالاتهم نفسها دليل على عدم رضاهم الداخلى عن هذه الأعمال،فهم عظماء بحيث لا تؤثر عليهم الأجواء الفاسده و لا تغيرهم.

و لاـ شك أنّ عـدم اعتنائهم بهـذه الأمور من جهه أنّهم لا طريق لهم إلى مواجهه الفساد و النهى عن المنكر،و إلّا فلا شكّ أنّهم سوف يقفون و يؤدون تكاليفهم حتى المرحله الأخيره.

الصـفه الحاديه عشـر لهذه النخبه امتلاك العين الباصـره و الأذن السامعه حين مواجهتهم لآيات الخالق، فيقول تعالى: وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً .

من المسلّم أنّ المقصود ليس الإشـاره إلى عمل الكفار،ذلك لأنّهم لا اعتناء لهم بآيات اللّه أصـلا،بل إن المقصود:فئه المنافقين أو مسـلمو الظاهر،الـذين يقعون على آيات اللّه بأعين و آذان موصـده،دون أن يتـدبروا حقائقها و يسبروا غورها، فيعرفوا ما يريده اللّه و يتفكروا فيه،و يستهدوه فى أعمالهم.

و لاـ يمكن طى طريـق اللّه بعين و أذن موصـدتين،فالأـذن السـامعه و العين الباصـره لازمتـان لطى هـذا الطريـق،العين النـاظره فى الباطن،المتعمقه فى الأشياء، و الأذن المرهفه العارفه بلطائف الحكمه.

و لو تأملنا جيدا لأدركنا أن ضـرر هذه الفئه ذات الأعين و الآذان الموصده و فى ظنها أنّها تتبع الآيات الإلهيه،ليس أقلّ من ضـرر الأعداء الذين يطعنون بأصل شريعه الحق عن وعى و سبق إصرار،بل أن ضررهم أكثر بمراتب أحيانا.

التلقى الواعى عن الـدين هو المعين الأساس للمقاومه و الثبات و الصـمود،لأن من اليسـير خـداع من يقتصـر على ظواهر الـدين،و بتحريفه يتم الانحراف عن الخط الأصيل،فيهوى بهم ذلك إلى وادى الكفر و الضلاله و عدم الإيمان.

هذا النوع من الأفراد أداه بيد الأعداء،و لقمه سائغه للشياطين،المؤمنون وحدهم هم المتدبرون المبصرون السامعون كمثل الجبل الراسخ،فلا يكونون لعبه بيد هذا أو ذاك.

نقرأ فی حدیث عن أبی بصیر،قال:سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: وَ الَّذِینَ إِذٰا ذُكِّرُوا بِآیٰاتِ رَبِّهِمْ لَمْ یَخِرُّوا عَلَیْهٰا صُمًّا وَ عُمْیٰاناً ،قال:

«مستبصرين ليسوا بشكاك». (۱)

الصفه الثّانيه عشر الخاصّه لهؤلاء المؤمنين الحقيقيين،هی التوجه الخاص إلى تربيه أبنائهم و عوائلهم،و إيمانهم بمسؤوليتهم العظيمه إزاء هؤلاء وَ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنٰا هَبْ لَنٰا مِنْ أَزْوٰاجِنٰا وَ ذُرِّیّٰاتِنٰا قُرَّهَ أَعْیُنٍ .

بديهی أن معنى هذا ليس أن يقبعوا فی زاويه و يتضرعوا بالدعاء،بل إن الدعاء دليل شوقهم و عشقهم الداخلی لهذا الأمر،و رمز جدهم و اجتهادهم.

من المسلّم أنّ أفرادا كهؤلاء لا يقصرون فی بذل ما لديهم من طاقه و قدره فی تربيه أبنائهم و أزواجهم،و تعريفهم بأصول و فروع الإسلام،و سبل الحق و العداله و فی ما لا تصل إليه قدرتهم و طاقتهم،فإنّهم يدعون اللّه،يسألونه التوفيق بلطفه.

فالدعاء الصحيح من حيث الأصل،ينبغی أن يكون هكذا:السعی بمقدار الاستطاعه،و الدعاء خارج حدّ الاستطاعه.

«قرّه العين»كنايه عمّن يسرّ به،هذا التعبير أخذ فی الأصل من كلمه«قر» التی بمعنى البرد،و كما هو معروف(و قد صرح به كثير من المفسّرين)أن دمعه الشوق و السرور بارده،و دموع الحزن و الغم حاره حارقه،لذا ف«قرّه عين» بمعنى الشیء الذی يسبب بروده عين الإنسان،يعنی أن دمعه الشوق تنسكب من عينيه،و هذه كنايه جميله عن السرور و الفرح. (۲)

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۴،ص ۴۳.

۲- ۲) -الشاهد على هذا القول،الشعر الذی نقله القرطبی فی تفسيره عن أحد الشعراء العرب. فكم سخنت بالأمس عين قريره و قرت عيون دمعها اليوم ساكب

مسأله تربیه الأبناء و إرشاد الزوجات،و مسئولیه الآباء و الأمهات إزاء أطفالهم من أهم المسائل التی أكد علیها القرآن،و سنفصل القول فیها إن شاء اللّه فی ذیل الآیه(۶)من سوره التحریم.

و أخیرا فالصفه الرفیعه الثّالثه عشر لعباد الرحمن التی هی أهم هذه الصفات من وجهه نظر معینه:هی أنّهم لا یقنعون أبدا أنّهم علی طریق الحق،بل أن همتهم عالیه بحیث یریدون أن یكونوا أئمه و قدوات للمؤمنین،لیدعوا الناس إلی هذا الطریق أیضا.

إنّهم لیسوا كالزهاد المنزوین فی الزوایا،و لیس همّهم انقاذ أنفسهم من الغرق، بل إن سعیهم هو أن ینقذوا الغرقی.

لذا یقول فی آخر الآیه،إنّهم الذین یقولون: وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِینَ إِماماً .

ینبغی الالتفات إلی هذه النكته أیضا،إنّهم لا یدعون لیكونوا فی موقع العظماء جزافا،بل إنّهم یهیئون أسباب العظمه و الإمامه بحیث تجتمع فیهم الصفات اللائقه بالقدوه الحقیقیه،و هذا عمل عسیر جدا،و له شرائط صعبه و ثقیله.

و لا ننس أنّ القرآن لا یذكر فی هذه الآیات صفات جمیع المؤمنین،بل أوصاف نخبه ممتازه من المؤمنین فی الصف المتقدم بعنوان«عباد الرحمن».نعم، إنّهم عباد الرحمن،و كما أن رحمه اللّه العامّه تشمل الجمیع فإنّ رحمه اللّه بهؤلاء العباد عامّه أیضا من أكثر من جهه،فعلمهم و فكرهم و بیانهم و قلمهم و مالهم و قدرتهم تخدم بلا انقطاع فی طریق هدایه خلق اللّه.

أولئك نماذج و أسوات المجتمع الإنسانی.

أولئك قدوات المتقین.

إنّهم أنوار الهدایه فی البحار و الصحاری.ینادون التائهین إلیهم لینقذوهم من الغرق فی الدوامه،و من السقوط فی المزالق.

نقرأ فی روایات متعدده أنّ هذه الآیه نزلت فی علی علیه السّلام و ائمّه أهل البیت علیهم السّلام.

و نقرأ

فی روایه أخری عن الإمام الصادق علیه السّلام: «إیانا عنی». (۱)

و لا شک أن أئمه أهل البیت علیهم السّلام من أوضح مصادیق هذه الآیه،لکن هذا لا یمنع من اتساع مفهوم الآیه،فالمؤمنون الآخرون أیضا یکون کل منهم إماما و قدوه للآخرین بمستویات متفاوته.

و استنتج بعض المفسّرین من هذه الآیه أن طلب الرئاسه المعنویه و الروحانیه لیس غیر مذموم فقط،بل إنه مطلوب و مرغوب فیه أیضا. (۲)

و ینبغی الالتفات ضمنا إلی أن کلمه«إمام»و إن کانت للمفرد،إلاّ أنّها تأتی بمعنی الجمع،و هکذا هی فی الآیه.

بعد إکمال هذه الصفات الثلاثه عشره،یشیر تعالی إلی عباد الرحمن هؤلاء مع جمیع هذه الخصائص،و فی صوره الکوکبه الصغیره،فیبیّن جزاءهم الإلهی أُوْلٰئِکَ یُجْزَوْنَ الْغُرْفَهَ بِمٰا صَبَرُوا .

«غرفه»من ماده«غرف»(علی وزن حرف):بمعنی رفع الشیء و تناوله، و یقال لما یغترف و یتناول«غرفه» (کاغتراف الإنسان الماء من العین بیده للشرب)ثمّ أطلقت علی الأقسام العلیا من البناء،و منازل الطبقات العلیا،و هی هنا کنایه عن أعلی منازل الجنّه.

لذلک فإنّ«عباد الرحمن»بامتلاکهم هذه الصفات،یکونون فی الصف الأوّل من المؤمنین،و ینبغی أن تکون درجتهم فی الجنّه أعلی درجه أیضا.

المهم أنّه یقول:إن هذا المقام العالی قد أعطی لهم بسبب ما قدموا من ضریبه الصبر و الاستقامه فی طریق اللّه،و من الممکن أن یتصور أن هذا وصف آخر من

۱- ۱) -أورد هذه الروایات فی تفسیر آخر هذه الآیه«علی بن إبراهیم»،و مؤلف کتاب نور الثقلین فی تفسیریهما.

۲- ۲) -یراجع تفسیر«القرطبی»و تفسیر«الفخر الرازی».

أوصافهم،لكن هذا فى الحقيقه ليس وصفا جديدا،بل هو ضمانه تطبيق جميع الصفات السابقه،و إلاّ فهل يمكن أن نتصور عباده الخالق،و مواجهه الطغيان و الشهوات،و ترك شهاده الزور،و التواضع و الخشوع و غيرها من الصفات بدون صبر و استقامه.

هذا البيان يذكّر الإنسان بالحديث المعروف

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام حيث يقول: «و الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد» فبقاء الجسد من بقاء الرأس،ذلك لأن قياده جميع أعضاء البدن تستقر فى دماغ الإنسان.

و على هذا فللصبر هنا مفهوم واسع،فالتحمل و الصمود أمام مشكلات طريق الحق،و الجهاد و المواجهه ضد العصاه،و الوقوف أمام دواعى الذنوب،تجتمع كلها فى ذلك المفهوم،و إذا فسر فى بعض الرّوايات بالصبر على الفقر و الحرمان المالى، فمن المسلم أن ذلك من قبيل بيان المصداق.

ثمّ يضيف تعالى: وَ يُلَقَّوْنَ فِيهٰا تَحِيَّةً وَ سَلاٰماً .

أهل الجنّه يحى بعضهم بعضا،و تسلم الملائكه عليهم،و أعلى من كل ذلك أن اللّه يحييهم و يسلم عليهم، كما نقرأ فى الآيه(۵۸)من سوره يس سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ،و نقرأ فى الآيه(۲۳ و ۲۴)من سوره يونس وَ الْمَلاٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ.... .

ترى هل ل«التحيه»و«السّلام»هنا معنيان،أم معنى واحد!؟ثمّه أقوال بين المفسّرين،لكن مع الالتفات إلى أن«التحيه»فى الأصل بمعنى الدعاء لحياه الغير، و«سلام»من ماده السلامه،و بمعنى الدعاء للغير.

على هذا نستنتج:أن الكلمه الأولى بعنوان طلب الحياه،للمخاطب و الكلمه الثّانيه طلب اقتران هذه الحياه مع السلامه،و لو أن هاتين الكلمتين تأتيان بمعنى واحد أحيانا.

ص :۳۲۳

«التحیه»فی العرف لها معنی أوسع،فهی کل ما یقولونه فی بیان اللقاء مع الآخرین،فیکون سببا فی سرورهم و احترامهم و إظهار المحبّه لهم.

ثمّ یقول تبارک و تعالی للتأکید أکثر: خالِدِینَ فِیها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً .

ص :324

الآیه [سوره الفرقان (۲۵): آیه ۷۷]

اشاره

قُلْ مٰا یَعْبَؤُا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لاٰ دُعٰاؤُکُمْ فَقَدْ کَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ یَکُونُ لِزٰاماً (۷۷)

التّفسیر

اشاره

لو لا دعاؤکم،لما کانت لکم قیمه:

هـذه الآـیه التی هی الآـیه الأـخیره فی سوره الفرقـان،جـاءت فی الحقیقه نتیجه لکل السوره،و للأبحاث التی بصـدد صـفات«عباد الرحمن»فی الآیات السابقه، فیقول تبارک و تعالی مخاطبا النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: قُلْ مٰا یَعْبَؤُا بِکُمْ رَبِّی لَوْ لاٰ دُعٰاؤُکُمْ .

«یعبؤ»من ماده«عبء»بمعنی«الثقل»،و علی هذا فجمله لا یعبأ یعنی لا یزن،و بعباره أخری لا یعتنی.

و لو أن احتمالات کثیره ذکرت هنا فی مسأله معنی الدعاء،لکن أساس جمیعها یعود إلی أصل واحد.

فذهب البعض:إن الدعاء هو نفس ذلک المعنی المعروف للدعاء.

بعض آخر فسّره بمعنی الإیمان.

و بعض بمعنی العباده و التوحید.

و آخر،بمعنی الشکر.

ص :۳۲۵

و بعض:بمعنى التضرع إلى اللّه فى المحن و الشدائد.

لكنّ أساس جميعها هو الإيمان و التوجه إلى اللّه.

و بناء على هذا،يكون مفهوم الآيه هكذا:إن ما يعطيكم الوزن و القيمه و القدر عند اللّه هو الإيمان باللّه و التوجه إليه،و العبوديه له.

ثمّ يضيف تعالى: فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً .

من الممكن التصور أن تضادا بين بدايه الآيه و نهايتها،أو أنّه لا يبدو على الأقل الارتباط و الانسجام اللازم بينهما،و لكن إذا دققنا قليلا يتّضح أنّ المقصود أساسا هو:أنّكم قد كذبتم فيما مضى بآيات اللّه و بأنبيائه،فإذا لم تتوجهوا إلى اللّه، و لم نسلكوا طريق الإيمان به و العبوديه له،فلن تكون لكم أيه قيمه أو مقام عنده، و ستحيط بكم عقوبات تكذيبكم. (۱)

و من جمله الشواهد الواضحه التى تؤيد هذا التّفسير،

الحديث المنقول عن الإمام الباقر عليه السّلام ،أنّه سئل:«كثره القراءه أفضل أو كثره الدعاء»؟فقال عليه السّلام:«كثره الدعاء أفضل و قرأ هذه الآيه». (۲)

ص: ۳۲۶

۱- ۱) -الآيه أعلاه من الآيات التى هى مورد مناقشات كثيره بين المفسّرين،و ما قلناه فى تفسيرها هو أوضح تفسير،لكن جماعه من المفسّرين المعروفين ذكروا لها تفسير آخر خلاصته هكذا. لا اعتناء للّه بكم،ذلك لأنّكم كذبتم بآياته،إلاّ أن اللّه يدعوكم إلى الإيمان(طبقا لهذا التّفسير:«دعاؤكم»من قبيل إضافه المصدر إلى المفعول،و فاعله ضمير يعود إلى«ربّى». لكن طبقا للتفسير الذى اخترناه فإن«دعاؤكم»من قبيل إضافه المصدر إلى الفاعل،و ظاهر إضافه المصدر إلى الضمير هى أن تكون الإضافه إلى الفاعل،إلاّ أن تظهر قرينه على خلافه). ثمّه تفسير ثالث لهذه الآيه و هو أنّ الهدف بيان:إنّكم أيّها البشر،غالبا ما سلكتم طريق التكذيب،فلا وزن و لا قدر لكم عند اللّه،إلاّ لأجل تلك الأقليه مثل«عباد الرحمن»الذين يتوجهون إلى اللّه و يدعونه بإخلاص(هذا التّفسير و إن كان صحيحا من ناحيه المعنى و المضمون،لكنّه لا يوافق ظاهر الآيه كثيرا،ذلك لأنّ الضمير فى«دعاؤكم»و«كذبتم»يعود ظاهرا إلى فئه واحده لا فئتين(فتأمل!).

۲- ۲) -تفسير الصافى،ذيل هذه الآيه-نقلوا لهذه الرّوايه أيضا تفاسير أخرى يتفاوت يسير،نقلت أيضا روايات أخرى شاهده على التّفسير أعلاه،بعضها عن أمالى الشيخ الطوسى،و بعضها عن تفسير على بن إبراهيم ذيل هذه الآيه.

بحث

اشاره

الدعاء طريق إصلاح النفس و معرفه اللّه:

معلوم أن مسأله الـدعاء أعطيت أهميه كبيره فى آيات القرآن و الرّوايات الإسـلاميه،حيث كانت الآيه أعلاه أنموذجا منها،غير أن قد يكون القبول بهذا الأمر ابتداء صعبا على البعض،كأنّه يقال:الدعاء عمل سهل جدّا،و يمكن أن يؤديه الجميع أو يتوسعون أكثر فيقولون:الدعاء عمل المغلوبين على أمرهم،الأمر الذى لا أهميه له.

لكـن الاشـتباه هنـا ينشأ مـن أنّهـم ينظرون إلى الـدعاء الخـالى مـن شـرائطه،فى حين إذا أخـذت الشـرائط الخـاصّه للـدعاء بنظر الإعتبار،فإن هذه الحقيقه تثبت بوضوح.و هى أن الدعاء وسيله مؤثره فى إصلاح النفس،و الارتباط القريب بين اللّه و الإنسان.

أوّل شرائط الدعاء،معرفه المدعو.

الشـرط الثانى:تخليه القلب و إعـداد الروح لـدعائه تبارك و تعالى،ذلك لأن الإنسان حينما يـذهب باتجاه أحد،ينبغى أن يملك الاستعداد للقائه.

الشرط الثّالث للدعاء:هو جلب رضاه من يدعوه الإنسان،ذلك لأنّه لا يحتمل التأثير بدون ذلك إلا نادرا.

و أخيرا فالشـرط الرّابع لاسـتجابه الدعاء:هو أن يستخدم الإنسان كلّ قدرته، و قوته و استطاعته فى عمله،و يؤديه بأعلى درجه من الجدّ و الاجتهاد،ثمّ يرفع يديه و يوجه قلبه إلى بارئه بالدعاء فى ما وراء ذلك.

ذلك لأنّه ورد صريحا فى الرّوايات الإسلاميه،أن الإنسان إذا قصّر فى العمل الذى يستطيع أن يؤديه بنفسه،ثمّ يتوسل بالدعاء فلن يستجاب دعاؤه.

من هنا،فإنّ الدعاء وسيله لمعرفه الخالق و معرفه صفاته الجماليه و الجلاليه،

و وسیله أیضا للتوبه من الذنب،و لتطهیر الروح،و سبب أیضا لأداء الحسنات للجهاد و الجدّ و الاجتهاد إلی منتهی الاستطاعه.

لهذا نجد عبارات مهمّه حول الدعاء لا یمکن فهمها إلاّ علی ضوء ما قلناه، مثلا:

نقرأ

فی روایه عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «الدعاء سلاح المؤمن،و عمود الدین،و نور السماوات و الأرض». (۱)

و نقرأ

فی حدیث آخر عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام: «الدعاء مفاتیح النجاح و مقالید الفلاح،و خیر الدعاء ما صدر عن صدر نقی،و قلب تقی». (۲)

و نقرأ

فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام: «الدعاء أنفذ من السنان». (۳)

فضلا عن کل ذلک،فإن من الطبیعی أن حوادث تقع فی حیاه الإنسان،فتغرقه فی الیأس من حیث الأسباب الظاهریه،فالدعاء یمکنه أن یکون شرفه علی أمل الفوز،و وسیله مؤثره فی مواجهه الیأس و القنوط.

لهذا فالدعاء إزاء الحوادث الصعبه المرهقه،یمنح الإنسان قدره و قوه و أملا و طمأنینه،و أثرا لا یمکن إنکاره من الناحیه النفسیه.

و قدّمنا بحثا مفصلا بصدد مسأله الدعاء،و فلسفته،و شرائطه،و نتائجه،فی التّفسیر الأمثل ذیل الآیه(۱۸۶)من سوره البقره،فتفضل بمراجعته هناک من أجل التوضیح أکثر.

اللّهمّ،اجعلنا من خاصّه عبادک،و ترحم علینا بتوفیق اکتساب خصائص و صفات«عباد الرحمن».

ص: ۳۲۸

۱- ۱) -اصول الکافی،الجزء الثّانی،أبواب الدعاء باب أن الدعاء سلاح المؤمن.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السابق.

ربّنا،افتح لنا أبواب الدعاء و اجعل ذلک سببا لتثمین وجودنا بین یدیک.

اللّهمّ،تفضل علینا بتوفیقات الدعاء المطلوبه بین یدیک،و لا تحرمنا من الاستجابه.

إنّک علی کل شیء قدیر و بالإجابه جدیر.

نهایه سوره الفرقان

ص :۳۲۹

سوره الشّعراء

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها مائتان و سبع و عشرون آیه

ص :۳۳۱

محتوى سوره الشعراء:

المعروف بين المفسّرين أنّ جميع آيات هذه السوره المائتين و سبع و عشرين نزلت فى مكّه عدا الآيات الأربع الأخيره. (۱)

إيقاع آيات هذه السوره يتناغم أيضا مع إيقاعات السور المكيه الأخرى، و نعلم أنّ السور المكيه التى أنزلت فى بدايه دعوه الإسلام،تستند على بيان الأصول الاعتقاديه:التوحيد و المعاد،و دعوه أنبياء اللّه،و أهميه القرآن.

و تدور جميع موضوعات سوره الشعراء حول هذه المسائل تقريبا.

و يمكن تلخيص محتوى هذه السوره فى عده أقسام:

القسم الأوّل:مطلع هذه السوره الذى يتكون من الحروف المقطعه،ثمّ يتحدث فى عظمه القرآن،و تسليه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مواجهه إصرار و حماقه المشركين،و الإشاره إلى بعض دلائل التوحيد،و صفات اللّه تبارك و تعالى.

القسم الثّانى:يحكى جوانب من قصص سبعه أنبياء عظام و مواجهاتهم مع أقوامهم،و فى مكابرات و حماقات أولئك حيال هؤلاء الأنبياء،حيث فصّل الحديث أكثر فى بعض منها،كما فى قصه موسى و فرعون،و اختصره فى بعض آخر منها،كما فى قصّه إبراهيم و نوح و هود و صالح و لوط و شعيب.

۱- ۱) -تفسير«مجمع البيان»و تفسير«الفخر الرازى»و تفسير«القرطبى»و تفسير«التبيان»،و استثنى فى تفسير«روح المعانى»خمس آيات.لكن بعض المفسّرين مثل العلاّمه الطباطبائى فى«الميزان»لم يقبل استثناء هذه الآيات.و سوف يكون لنا بحث أكثر إن شاء اللّه فى ذيل هذه الآيات.

فی هذا القسم بخاصّه،أشیر إلی منطق المشرکین.الضعیف الممزوج بالتعصب فی کل عصر و زمان فی مواجهه أنبیاء اللّه، و الذی یشبه کثیرا منطق مشرکی عصر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فکان هذا سببا فی تسلیه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المؤمنین الأوائل:،لیعلموا تاریخ هذا الصنف من الناس و منطقهم،حتی لا یتأثروا و یتراخوا،و حتی لا یفسحوا للضعف و الفتور لیجد طریقا إلی أنفسهم.

و فیه بشکل خاص أیضا،ترکیز علی العذاب العظیم و الابتلاءات المروعه التی حلّت بهذه الأمم،و الذی هو بذاته تهدید مؤثر لأعداء النّبی فی تلک الشرائط.

القسم الثّالث:و تغلب علیه جنبه الاستنتاج من القسمین الأولیین،یتناول الحدیث حول النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و عظمه القرآن،و تکذیب المشرکین،و الأوامر الصادره إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیما یتعلق بطریقه الدعوه،و کیفیه التعامل مع المؤمنین،و یختم السوره بالبشری للمؤمنین الصالحین،و بالتهدید الشدید للظالمین.

و بالمناسبه،فإنّ اسم هذه السوره أخذ من مجموعه الآیات الأخیره التی تتحدّث حول الشعراء غیر المؤمنین.

و هناک نکته جدیره بالاهتمام أیضا،و هی أن هذه السوره تعتبر من أکبر السور بعد سوره البقره من حیث عدد الآیات،و إن کانت لیست کذلک من حیث عدد الکلمات،بل هی أقصر من کثیر من السور.

فضیله سوره الشعراء:

ورد فی الحدیث الشریف عن رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی بیان أهمیه تلاوه هذه السوره أنّه قال:

«من قرأ سوره الشعراء کان له من الأجر عشر حسنات بعدد کل من صدّق بنوح و کذب به،و هود و شعیب و صالح و ابراهیم،و بعدد کل من کذب بعیسی و صدق بمحمّد».

و لا- يخفى أن كلّ هذا الأجر و الثواب ليس على التلاوه بدون التفكر و العمل بها،بل ان القرائن المتعدد فى روايات فضائل السور تحكى عن أن المراد من التلاوه هى ما كانت مقدمه للتفكر،ثمّ العزم و العمل،و قد أشرتا الى ذلك سابقا.

و ممّا يؤيد هذا المعنى التعبير الوارد فى نفس الحديث أعلاه،لأنّ استحقاق الحسنات بعدد المصدّقين و المكذبين للأنبياء من أجل أن يكون الشخص فى صف المصدّقين و يتجنّب منهج المكذبين.

ص: ۳۳۵

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ طسم (۱) تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ (۲) لَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاّٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (۳) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنٰاقُهُمْ لَهٰا خٰاضِعِينَ (۴) وَ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ اَلرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (۵) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبٰؤُا مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۶)

التّفسير

اشاره

إنهم يعرضون عن كل جديد!

مرّه أخرى نواجه فی بدايه هذه السوره مثلا آخر من الحروف المقطعه و هو:

طسم

.

و كان لنا فی تفسير هذه الحروف المقطعه بحوث مسهبه و مستقلّه فی مستهل سوره البقره و سوره آل عمران و سوره الأعراف!فلا نرى حاجه إلى التكرار و الإعاده! إلاّ أنّ ما ينبغی أن نضيفه هنا هو ما ورد من روايات متعدده عن النّبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو

ص: ۳۳۶

بعض أصحابه فی تفسیر«طسم»و یدلّ جمیعها علی أنّ هذه الحروف علامات «مختصره»عن أسماء اللّه تعالی،أو أسماء القرآن،أو الأمکنه المقدسه،أو بعض أشجار الجنّه!...

و هذه الرّوایات تؤید التّفسیر الذی نقلناه فی مستهلّ سوره الأعراف فی هذا الصدد،کما أنّها فی الوقت ذاته لا تنافی ما قلناه فی مستهل سوره البقره من أن المراد من هذه الحروف بیان أعجاز القرآن و عظمته، حیث أن هذا الکلام العظیم مؤلف من حروف بسیطه و صغیره! و الآیه التالیه تبیّن عظمه القرآن بهذا النحو: تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ .

و بالطبع فإنّ«تلک»فی لغه العرب اسم إشاره للبعید،و یشار بها للمؤنث «المفرد»و«الجمع»،کما قد یشار بها لجمع التکسیر. (١)

و کما بیّنا آنفا فقد یعبّر فی لغه العرب عن عظمه الشیء-و إن کان قریبا-باسم الإشاره(للبعید)فکان الموضوع لأهمیّته و ارتفاع«و علوّ»مرتبه بعید عنّا، و مکانه فی السماوات العلی! و ممّا ینبغی الالتفات إلیه و ملاحظته أنّ هذه الآیه بنصّها وردت فی بدایه سوره یوسف و سوره القصص-أیضا-دون زیاده أو نقصان.کما أنّها وردت بعد الحروف المقطعه فی مستهلّ السور آنفه الذکر،و هی تدل علی ارتباط هذه الحروف بعظمه القرآن.

و وصف القرآن ب«المبین»المشتق من«البیان»،هو إشاره إلی کونه جلیّا بیّنا عظیما معجزا-فکلّما أمعن الإنسان النظر فی محتواه تعرّف علی إعجازه أکثر فأکثر...ثمّ بعد هذا فإنّ القرآن یبیّن الحق و یمیزه عن الباطل،و یوضّح سبیل السعاده و النصر و النجاه من الضلال!

١- ١) -کقوله تعالی وَ تِلْکَ الْأَیّامُ نُداوِلُها بَیْنَ النّاسِ .

و الآیه التالیه تسرّی عن قلب النّبی و تثبته فتقول: لَعَلَّکَ بٰاخِعٌ نَفْسَکَ أَلاّٰ یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ .

کلمه«باخع»مشتقّه من(البخع)(علی وزن الدّمع)! و معناه إهلاک النفس من شده الغمّ...و هذا التعبیر یدلّ علی مدی تحرّق قلب النّبی و شفقته لأمته،و أداء رسالته،و ما کان علیه من إصرار فی خطته،و تجلّد فی مواجهه شدته و محنته،لأنّه یری القلوب المتعطشه الظامئه فی جوار النبع القرآنی الزلال،و لکنّها لا تزال علی ظمئها و لا ترتوی من معینه العذب،فکان یتحرق لذلک! کان قلقا-و باخعا نفسه-أن یری الإنسان الذی منحه اللّه العقل و اللبّ یسیر فی الطریق المظالم،بالرغم من کل هذا الضیاء،و یهوی فی الوادی السحیق لیکون من الهالکین! أجل،کان جمیع الأنبیاء علی هذه الشاکله من الإشفاق علی أممهم و لا سیما الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الذی ورد فی شأنه هذا التعبیر القرآنی أکثر من مرّه...

قال بعض المفسّرین:إن سبب نزول الآیه الأنفه الذکر هو أن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یدعو أهل مکّه إلی توحید اللّه باستمرار،إلاّ أنّهم لم یؤمنوا.فأسف النّبی و تأثر تأثرا بالغا حتی بدت أماراته فی وجهه،فنزلت الآیه آنفه الذکر لتسرّی عن قلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. (۱)

و لبیان أنّ اللّه علی کل شیء قدیر حتی أنّه یستطیع أن یسوقهم إلی الإیمان به سوقا و یضطرّهم إلی ذلک،فإنّ الآیه التالیه تقول: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّمٰاءِ آیَهً فَظَلَّتْ أَعْنٰاقُهُمْ لَهٰا خٰاضِعِینَ .

و هی إشاره إلی أن اللّه قادر علی إنزال معجزه مذهله-من السماء-أو أن یرسل علیهم عذابا شدیدا فیذعنوا له،یطأطئوا برؤوسهم خضوعا له،یستسلموا

۱- ۱) -تفسیر أبو الفتوح الرازی،ج ۸ ذیل الآیه محل البحث.

لأمره و حكمه،إلّا أن الإيمان بإكراه لا قيمه له.فالمهم أن يخضعوا للحق عن إراده و وعى و إدراك و تفكر.

و من الواضح أنّ المراد بخضوع الأعناق خضوع أصحابها... فاللغه العربيه تذكر الرقبه أو العنق كنايه عن الإنسان لأنّها جزء مهمّ منه،و يقال مثلا-كنايه عن البغاه القساه:غلاظ الرقاب،و عن المضطهدين و الضعفاء:الرقاب الذليله! و بالطبع فهناك احتمالات أخر لتفسير«أعناقهم»من جملتها أنّ الأعناق تعنى الرؤساء،كما أن من التفاسير أن الأعناق تعنى طوائف من الناس.و جميع هذه الاحتمالات ضعيفه.

ثمّ يتحدث القرآن عن مواقف المشركين و الكفار من آيات القرآن فيقول:

وَ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ

.

و التعبير ب«ذكر»هو إشاره إلى أن القرآن موقظ و منبه،و هذا الأمر متحقّق فى جميع آياته و سوره!إلّا أن هذه الجماعه معرضه عن ذكره و تنبيهه،فهى تفرّ عن كل ذلك!...

و التعبير ب«الرحمن»إشاره إلى أن نزول هذه الآيات من قبل اللّه إنّما هو من رحمته العامّه،إذ تدعو جميع الناس دون استثناء إلى السعاده و الكمال! كما أن هذا التعبير-أيضا-ربّما كان لتحريك الإحساس بالشكر للّه،فهذا الذكر من اللّه الذى عمّت نعمه وجودكم من القرن إلى القدم،فكيف يمكن الإعراض عن ولى النعمه؟!و إذا كان سبحانه لا يتعجل بإنزال العذاب عليكم، فذلك من رحمته أيضا...

و التعبير ب«محدث»-أى جديد-إشاره إلى أن آيات القرآن تنزل واحده تلو الأخرى،و كلّ منها ذو محتوى جديد، و لكن ما جدوى ذلك،فهم مع كل هذه الحقائق الجديده-معرضون...فكأنّهم اتّفقوا على خرافات السلف و تعلّقوا بها- فهم لا يرضون أن يودّعوا ضلالهم و جهلهم و خرافاتهم!!فأساسا مهما كان

الجدید موجبا للهدایه،فإنّ الجهله و المتعصبین یخالفون الحق و لا یذعنون له...

و نقرأ فی سوره«المؤمنون»الآیه ۶۸ منه إذ تقول: أَ فَلَمْ یَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جٰاءَهُمْ مٰا لَمْ یَأْتِ آبٰاءَهُمُ الْأَوَّلِینَ فبذریعه ما لم یأت آباءهم تجدهم متعصبین مخالفین! ثمّ یضیف القرآن:أنّ هؤلاء لا یقفون عند حدود الإعراض،بل یتجاوزون إلی مرحله التکذیب،بل إلی أشدّ منه لیصلوا إلی الاستهزاء به،فیقول: فَقَدْ کَذَّبُوا فَسَیَأْتِیهِمْ أَنْبٰاءُ مٰا کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ .

«الأنباء»:جمع«انبأ»،أی الخبر المهمّ،و المراد من هذه الکلمه ما سیصیبهم من العقاب الشدید الدنیوی و الأخروی.علی أنّ بعض المفسّرین کالشیخ الطوسی فی«التبیان»،قال بأن هذا العقاب منحصر العقاب الآخره.إلّا أن أغلب المفسّرین یعتقدون بشموله لعقاب الدارین،و هو-فی الواقع-کذلک!...لأنّ الآیه مطلقه.

و بغض النظر عن کل ذلک فإنّ للکفر و الإنکار انعکاسات واسعه و شامله فی جمیع حیاه الإنسان...فکیف یمکن السکوت عنها! و التحقیق فی هذه الآیه و الآیه السابقه یکشف أن الإنسان حین ینحرف عن الجاده المستقیمه فإنّه یفصل نفسه عن الحق-بشکل مستمر-.

ففی المرحله الأولی یعرض عن الحق و یصرف بوجهه عنه...ثمّ بالتدریج یبلغ مرحله الإنکار و التکذیب..ثمّ یتجاوز هذه المرحله إلی السخریه و الاستهزاء...و نتیجه لذلک ینال عقاب اللّه و جزاءه«و قد ورد نظیر هذا التعبیر فی الآیتین ۴ و ۵ من سوره الأنعام».

ملاحظتان

۱-ورد فی بعض خطب أمیر المؤمنین«فی نهج البلاغه»المعروفه بالخطبه

القاصعه إشاره إلى هذه الحقیقه،و هی أن اللّه أرسل الأنبیاء علی شاکله یستطیع معها أن یؤمن الناس بدعوتهم إلی اللّه دون إکراه،بحیث لو لم یکونوا کذلک لکان الإیمان إجباریا،إذ

یقول: «و لو أراد اللّه سبحانه لأنبیائه حیث بعثهم أن یفتح لهم کنوز الذهبان و معادن العقیان و مغارس الجنان و أن یحشر معهم طیور السماء و وحوش الأرضین لفعل...و لو فعل لسقط البلاء و بطل الجزاء...» (۱) .

و

ورد فی کتاب الکافی ذیل الآیه محل البحث «لو أنزل اللّه من السماء آیه فظلّت أعناقهم لها خاضعین.و لو فعل لسقط البلوی عن الناس أجمعین». (۲)

و ممّا یسترعی النظر أنه

ورد فی بعض الکتب المعروفه کالإرشاد للشیخ المفید،و روضه الکافی،و کمال الدین للشیخ الصدوق،و تفسیر القمی،أن الإمام الصادق علیه السّلام قال فی تفسیر الآیه: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَیْهِمْ مِنَ السَّمٰاءِ آیَةً... قال:

«تخضع رقابهم-یعنی بنی أمیه-و هی الصیحه فی السماء باسم صاحب الأمر-صلوات اللّه علیه-». (۳)

و واضح أنّ المراد من هذه الرّوایات هو بیان مصداق من هذا المفهوم الواسع للآیه،إذ ستخضع أخیرا جمیع الحکومات الباغیه و المتجبره و الظالمه التی تواصل السیر علی منهج حکومه بنی أمیه،و ذلک عند ما یظهر المصلح المهدی علیه السّلام إمام الحکومه العالمیه،فتستسلم إذعانا لقدرته و حمایه اللّه له و تنحنی له إجلالا.

۲-أحد البحوث التی کثر الکلام فیها و التعلیق علیها فی القرون الأولی-أو الصدر الأوّل-للإسلام هو البحث أو الکلام عن کون کلام اللّه قدیما أو حادثا؟! و قد انجرّ هذا الکلام إلی کتب التّفسیر أیضا،و قد استدل جماعه من المفسّرین بالتعبیر الوارد فی الآیه آنفا«محدث»علی کون القرآن حادثا.

۱- ۱) -راجع نهج البلاغه،الخطبه القاصعه،رقم ۱۹۲«تواضع الأنبیاء».

۲- ۲) -الکافی حسب نقل تفسیر نور الثقلین ذیل الآیه محل البحث.

۳- ۳) -تفسیر المیزان،و نور الثقلین ذیل الآیات محل البحث.

إلّا أنّه-كما أشرنا من قبل أيضا-فإنّ أساس هذا البحث لا يمكن أن يكون منطقيّا بأيّ وجه،و يبدو أنّ ذوى السلطه أو أولى الأمر فى ذلک الزمان من بنى أميه و بنى العباس،کان لهم الأثر الکبير فى هذه البحوث المضله ليحرفوا أفکار المسلمين عن المسائل المهمّه و الجديّه،و ليشغلوا علماء المسلمين بهذه المسائل حفاظا على حکومتهم و سلطتهم.

لأنّه إذا کان المراد من کلام اللّه هو محتوى القرآن،فهو من الأزل فى علم اللّه و اللّه خبير بکل ما فيه،و إذا کان المراد منه نزول الوحى و کلمات القرآن و حروفه، فذلک حادث قطعا و لا خلاف فيه.

فبناء على ذلک فالقرآن تاره هو قديم بذلک النحو،و أخرى هو حادث قطعا بهذه الصوره،فعلى المجتمع الإسلامى أن يکون فطنا و لا سيما العلماء،فلا يبتلوا بالبحوث المضله الانحرافيه المبتدعه من قبل الجبابره و أعداء الإسلام.

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۷ الى ۹]

اشاره

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى اَلْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (۷) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۹)

التّفسير

اشاره

الزوجيه فى النباتات:

كـان الكلام فى الآيـات المتقـدمه عن إعراض الكفـار عن الآيـات التشـريعيه (أى القرآن المجيـد)،أمّا فى الآيـات محل البحث فالكلام عن الآيات التكوينيه و دلائل اللّه فى خلقه و ما أوجده سبحانه،فالكفار لم يصمّوا آذانهم و يوصدوا أبواب قلوبهم بوجه أحاديث النّبى و كلماته فحسب،بل كانوا يحرمون أعينهم رؤيه دلائل الحق المنتشره حولهم.

فتقول الآيه الأولى من هذه الآيات: أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . (۱)

---

۱ – ۱) -يتعـدى الفعل«يرى»عاده إلى المفعول بـدون حرف الجر(إلى)و قـد تتعـدى إلى المفعولين،و إنّما تعدت هنا بحرف الجر (إلى)لأنّ المراد منها النظر العميق الدقيق لا الرؤيه السطحيه...

و التعبير ب«زوج»فی شأن النباتات یستحق الدقّه...فبالرغم من أنّ أغلب المفسّرین قالوا بأن الزوج یعنی النوع أو الصنف،و أن الأزواج معناها الأصناف و الأنواع،إلاّ أنّه ما یمنع أن نفسر معنی الزوج بما یتبادر إلی الذهن من المعنی المعروف و هو الإشاره إلی الزوجیّه فی النباتات؟! کان الناس فیما مضی یدرکون أن بعض النباتات لها جنسان(ذکر و أنثی) و کانوا یستعینون بتلقیح النباتات لتثمر...و کانت هذه المسأله معروفه و واضحه تماما فی النخیل...

إلاّ أنّ العالم السویدی و الخبیر بعلم النبات«لینه»وفّق لأول مرّه فی أواسط القرن الثامن عشر المیلادی لاکتشاف هذه الحقیقه،و هی أن الزوجیه فی عالم النباتات قانون عام تقریبا،و النباتات کسائر الحیوانات تحمل عن طریق تلقیح الذکر لأنثاه ثمّ تقذف بالثمار...

غیر أنّ القرآن المجید أشار إلی هذه الظاهره«الزوجیه فی النبات»فی آیات مختلفه مرارا قبل هذا العالم السویدی بقرون،کما هی الحال فی الآیات محل البحث.و فی الآیه الرّابعه من سوره الرعد،و الآیه العاشره من سوره لقمان،و الآیه السابعه من سوره ق.و هذه الإشاره بنفسها إحدی معاجز القرآن العلمیه! و کلمه«کریم»فی الأصل تعنی کل شیء قیّم و ثمین،فقد تستعمل فی الإنسان،و قد تستعمل فی النبات،و قد تستعمل فی الکتاب[أی الرساله المعهوده بین المتراسلین]

أیضا...کما هی الحال فی شأن حدیث ملکه سبأ عن کتاب سلیمان إلیها إذا قالت: إِنِّی أُلْقِیَ إِلَیَّ کِتٰابٌ کَرِیمٌ . (۱)

و المراد من کَمْ أَنْبَتْنٰا فِیهٰا مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ هو النباتات المهمّه ذوات الفائده،و طبعا ما من نبات إلاّ و له فائده أو فوائد جمّه،و مع تقدم العلم تتجلی هذه

۱- ۱) -النمل،۲۹.

الحقیقه یوما بعد یوم.

و تأتی الآیه التالیه لتقول مؤکّده بصراحه: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً .

أجل إن الالتفات إلی هذه الحقیقه،و هی أن هذا التراب الذی لا قیمه له ظاهرا،بما فیه من ترکیب معین هو مبدأ ظهور أنواع الأزهار الجمیله،و الأشجار المثمره الظلیله،و الفواکه ذات الألوان الزاهیه،و ما فیها من خواص مختلفه.و هو- أی التراب-یبیّن منتهی قدره اللّه،إلاّ أن أولئک الذین طبع علی قلوبهم فی غفله و جهل إلی درجه یرون معها آیات اللّه بأعینهم،و مع ذلک یجحدونها و یکفرون بها، و یترسخ فی قلوبهم العناد و الجدل! لذلک فإنّ الآیه هذه تعقّب قائله: وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ .

أی إنّ عدم الإیمان لدی أولئک أمسی کالصفه الراسخه فیهم،فلا عجب أن لا ینتفعوا من هذه الآیات،لأنّ قابلیّه المحل من شرائط التأثیر الأصیله أیضا کما نقرأ قوله تعالی: هُدیً لِلْمُتَّقِینَ . (۱)

و فی آخر آیه من الآیات محل البحث یرد الخطاب فی تعبیر یدلّ علی التهدید و الترهیب و التشویق و الترغیب،فیقول سبحانه: وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ...

«العزیز»معناه المقتدر الذی لا یغلب و لا یقهر،فهو قادر علی إظهار الآیات العظمی،کما أنه قادر علی إهلاک المکذبین و تدمیرهم..إلاّ أنّه مع کل ذلک رحیم، و رحمته وسعت کل شیء، و یکفی الرجوع بإخلاص إلیه فی لحظه قصیره!لتشمل رحمته من أناب إلیه و تاب،فیعفو عنه بلطفه و رحمته! و لعل تقدیم کلمه«العزیز»علی«الرحیم»لأنّه لو تقدمت کلمه الرحیم علی العزیز لأشعرت الإحساس بالضعف،إلاّ أنّه قدم سبحانه الوصف بالعزیز لیعلم أنّه و هو فی منتهی قدرته ذو رحمه واسعه!

ص: ۳۴۵

۱- ۱) -البقره،الآیه ۲.

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۰ الی ۱۵]

اشاره

وَ إِذْ نٰادىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِينَ (۱۰) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لاٰ يَتَّقُونَ (۱۱) قٰالَ رَبِّ إِنِّي أَخٰافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (۱۲) وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لاٰ يَنْطَلِقُ لِسٰانِي فَأَرْسِلْ إِلىٰ هٰارُونَ (۱۳) وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۱۴) قٰالَ كَلاّٰ فَاذْهَبٰا بِآيٰاتِنٰا إِنّٰا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (۱۵)

التّفسير

اشاره

بدايه رساله موسى:

قلنا إنّ في هذه السوره بيانا لقصص سبعه من الأنبياء الكرام العظام،ليكون درس اعتبار لعامّه المسلمين،و لا سيما المسلمين الأوائل في عصر النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم...

فأوّل قصّه تتناولها هذه السوره هي قصه موسى عليه السّلام،و تشرح جوانب مختلفه من حياته و مواجهته لفرعون و اتباعه حتى هلاكهم بالغرق في النيل! و قد جاء الكلام عن بني إسرائيل و موسى و فرعون و قومه حتى الآن في سور شتى«كالبقره و المائده و الأعراف و يونس و الإسراء و طه»كما ورد الكلام في هذا الشأن أيضا في بعض السور التاليه!...

و هذه البحوث و إن تكررت-بحسب الظاهر-إلاّ أن الإمعان أو التدقيق فيها يكشف عن أن كلّ بحث منها يتناول جانبا خاصّا من هذه القصّه ذات المحتوى العزيز،و يعوّل على هدف معين!...

مثلاـ.حين نزلت الآيات-محل البحث-كان المسلمون قلّه ضعافا و كان أعداؤهم كثره أولى قوّه و بأس شديد،بحيث لا يمكن الموازنه بين الفرقتين،فكان ينبغى أن يبيّن اللّه قصص الأمم السابقه المشابهه لحال هؤلاء،ليعلم المسلمون أن هذه القوّه التى يمتلكها الأعداء و هذا الضعف الظاهرى الذى يكتنف المسلمين لن يؤدى أىّ منهما بنفسه إلى اندحار المسلمين،و لتزداد معنويات المسلمين و تثبّت استقامتهم و مقاومتهم...

و ممّا يلفت النظر تكرار عباره: وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ بعد تمام الحديث عن كل نبى...و هو التعبير ذاته الوارد فى بدايه هذه السوره فى شأن النّبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم..و هذا الاتساق فى التعبير شاهد حىّ على أن ذكر هذه الجوانب من قصص الأنبياء إنّما هو للظروف المتشابهه التى اكتنفت المسلمين من حيث الحاله النفسيه و الاجتماعيه كما كان عليها الأنبياء السابقون...

فتقول الآيتان الأوليان من الآيات محل البحث وَ إِذْ نٰادىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لاٰ يَتَّقُونَ .و يتركون ظلمهم و فسادهم و عنادهم للحق.

و ينبغى الالتفات إلى أنّ الصفه الوحيده المذكوره عن قوم فرعون هنا هى الظلم،و من الواضح أن الظلم له معنى جامع واسع و من مصاديقه الشرك كما تقول الآيه(۱۳)من سوره لقمان إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ...

كما أنّ استعباد بنى إسرائيل و استثمارهم و ما قارنهما من زجر و تعذيب من المصاديق الأخرى أيضا،ثمّ بعد هذا كله فإن قوم فرعون ظلموا أنفسهم بأعمالهم المخالفه،و هكذا يمكن تلخيص أهداف دعوه الأنبياء جميعهم بمبارزه الظلم

بجميع أبعاده!...

و يحكى القرآن مقاله موسى الكليم لربّ العزه و ما طلبه منه من مزيد القوه و العون لحمل الرساله العظمى،فيقول فى الآيه التاليه: قٰالَ رَبِّ إِنِّي أَخٰافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ و أخشى أن أطرد قبل أن أكمل أداء رسالتى بما ألاقيه من صخب و تكذيب فلا يتحقق الهدف المنشود...

و كان لموسى الحق فى كلامه هذا تماما،لأنّ فرعون و أتباعه و حاشيته كانوا مهيمنين على مصر،بحيث لم يكن لأحد أن يخالفهم و لو برأيه،و إذا أحسّوا بأدنى نغمه مخالفه لأى شخص بادروا إلى الإجهاز عليه فورا..

و إضافه إلى ذلك فان صدرى لا يتّسع لاستيعاب هذه الرساله الالهيه:

وَ يَضِيقُ صَدْرِي

.

ثمّ بعد هذا كله فلسانى قد يعجز عن بيانها: وَ لاٰ يَنْطَلِقُ لِسٰانِي...

فلذلك فإنى أطلب أن تشدّ أزرى بأخى فَأَرْسِلْ إِلىٰ هٰارُونَ . (۱)

لنؤدى رسالتك الكبرى بأكمل وجه بتعاضدنا فى مواجهه الظالمين و المستكبرين.

و بغض النظر عن كلّ ذلك فإنّ قوم فرعون يطاردوننى وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ كما يعتقدون لأنّى قتلت واحدا منهم-حين كان يتنازع مع إسرائيلى مظلوم-بضربه حاسمه!و أنا قلق من ذلك فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ .

و فى الحقيقه إنّ موسى عليه السّلام كان يرى أربع مشاكل كبرى فى طريقه،فكان يطلب من اللّه حلّها لأداء رسالته و هذه المشاكل هى...

مشكله التكذيب.

مشكله ضيق الصدر.

۱- ۱) -فى هذه الجمله حذف و تقديره:فأرسل جبرئيل إلى هارون.

مشكله عدم الفصاحه الكافيه.

و مشكله القصاص! و يتّضح ضمنا أنّ موسى لم يكن خائفا على نفسه،بل كان خوفه أن لا يصل إلى الهدف و المقصد للأسباب آنفه الذكر،لذلك فقد كان يطلب من اللّه سبحانه مزيد القوّه لهذه المواجهه!...

طلبات موسى عليه السّلام من اللّه فى هذا الصدد خير شاهد على هذه الحقيقه، إذ طلب أن يشرح صدره و حلّ عقده لسانه و أن يرسل إلى هارون للمعاضده فى التبليغ كما جاء ذلك فى سوره طه بصوره أكثر تفصيلا إذ قال: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً .

فاستجاب اللّه طلب موسى و دعوه الصادقه و قالَ كَلاّ فلن يستطيعوا قتلك، أو كلاّ لن يضيق صدرك و ينعقد لسانك،و قد أجبنا دعوتك أيضا فى شأن أخيك، فهو مأمور معك فى هذه المهمّه: فَاذْهَبا بِآياتِنا لتدعوا فرعون و قومه إلى توحيد اللّه.

و لا تظنّا بأنّ اللّه بعيد عنكم أو لا يسمع ما تقولان إِنّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ...

فأنا معكما و لن أترككما أبدا،و سأنصركما فى الحوادث الصعبه،فاذهبا مطمئنى الخاطر،و امضيا فى هذا السبيل بأقدام ثابته و عزيمه راسخه!...

و هكذا فإنّ اللّه سبحانه أعطى لموسى الاطمئنان الكافى فى جمل ثلاث و حقّق له طلبه...إذ طمأنه بقوله: كَلاّ على أنّ قوم فرعون لن يقتلوه و لن يستطيعوا ذلك...و لن تحدث له مشكله بسبب ضيق صدره أو التلكؤ فى لسانه و بقوله: فَاذْهَبا بِآياتِنا أرسل أخاه ليعينه على أمره.و بقوله: إِنّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ وعدهما أنّهما سيكونان أبدا تحت ظل خيمته و حمايته!...

ص: ٣٤٩

و ممّا ينبغى الالتفات إليه ورود الضمير فى آخر الجمله بصيغه الجمع فى قوله: إِنّٰا مَعَكُمْ و لعل ذلك إشاره إلى أن اللّه حاضر مع موسى و هارون و من يواجهانهما من الطغاه و الفراعنه فى جميع المحاورات،و يسمع ما يدور بينهم جميعا،فينصر موسى و أخاه هارون على أولئك الطغاه!...

و ما ذهب إليه بعض المفسّرين من أن كلمه«مع»داله على النصره و الحمايه فلا تشمل قوم فرعون،غير سديد،بل إن«مع»تعنى حضور الخالق الدائم فى جميع الميادين و المحاورات حتى مع المذنبين،حتى مع المذنبين،و حتى مع الموجودات التى لا روح فيها،فهو فى كل مكان و لا يخلو منه مكان.

و التعبير ب«مستمعون»،أى الإصغاء المقرون بالتوجه هو تأكيد على هذه الحقيقه أيضا.

ص :٣٥٠

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶ الى ۲۲]

اشاره

فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنّا رَسُولُ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۱۶) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِی إِسْرائِيلَ (۱۷) قالَ أَ لَمْ نُرَبِّکَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِکَ سِنِينَ (۱۸) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَکَ اَلَّتِی فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ اَلْکافِرِينَ (۱۹) قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ اَلضّالِّينَ (۲۰) فَفَرَرْتُ مِنْکُمْ لَمّا خِفْتُکُمْ فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً وَ جَعَلَنِی مِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۲۱) وَ تِلْکَ نِعْمَهٌ تَمُنُّها عَلَیَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِی إِسْرائِيلَ (۲۲)

التّفسير

اشاره

مواجهه فرعون مواجهه منطقيه و قاطعه:

انتهت فی الآيات المتقدمه المرحله الأولی لمأموريه«موسی عليه السّلام»و هی موضوع الوحی«و الرساله»و طلبه أسباب الوصول إلی هذا الهدف الکبير!...

و تعقيبا علی المرحله الآنفه تأتی الآيات-محل البحث-لتمثل المرحله الثّانيه،أی مواجهه موسی و هارون لفرعون،و الکلام المصيری الذی جری بينهم! تقول الآيه الأولی من هذه الآيات مقدمه لهذه المرحله: فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا

إِنّٰا رَسُولُ رَبِّ الْعٰالَمِينَ

.

و جمله فَأْتِيٰا فِرْعَوْنَ تكشف عن أنّهما ينبغى أن يواجها فرعون نفسه بأيّه قيمه أو أىّ ثمن كان...

و التعبير ب«رسول»بصيغه الإفراد مع أنّهما«موسى و هارون»نبيّان مرسلان،يشير إلى وحده دعوتهما،فكأنّهما روحان فى بدن واحد لهما خطّه واحده و هدف واحد. (١)

و ضمن دعوتكما لفرعون بأنّكما رسولا ربّ العالمين اطلبا منه أن يرسل بنى إسرائيل و يرفع يده عنهم: أَنْ أَرْسِلْ مَعَنٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ .

و بديهى أن المراد من الآيه أن يرفع فرعون عن بنى إسرائيل نير العبوديّه و القهر و الاستعباد،ليتحرروا و يأتوا مع موسى و هارون،و ليس المراد هو إرسال بنى إسرائيل معهما فحسب.

و هنا يلتفت فرعون فيتكلم بكلمات مدروسه و ممزوجه بالخبث و الشيطنه لينفى الرساله و يقول لموسى: أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينٰا وَلِيداً...

.

إذ التقطناك من أمواج النيل الهادره فأنقذناك من الهلاك،و هيّأنا لك مرضعه، و عفونا عن الحكم الصادر فى قتل أبناء بنى إسرائيل الذى كنت مشمولا به، فتربّيت فى محيط هادئ آمن منعّما...و بعد أن تربيت فى بيتنا عشت زمانا وَ لَبِثْتَ فِينٰا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ .

ثمّ توجه إلى موسى و ذكّره بموضوع قتل القبطى فقال: وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ .

---

١ - ١) -يقول الراغب فى«المفردات»:«الرّسول»من الكلمات التى تطلق على المفرد و الجمع،و إن جمعت أحيانا على«الرسل» فمنهم من يرى أنها مصدر أيضا و معناها الرساله،و نعرف أنه لا تثنيه و لا جمع فى المصدر.و قد ورد فى لسان العرب أنّ الرّسول بمعنى الرساله،إلاّ أن هذه الكلمه تحمل المعنى الوصفى حتما،و كثيرا ما تجمع أو تثنى و قد ورد فى سوره طه عن هذه القصه و قصه موسى و هارون:«إنّا رسولا ربك»!...

إشاره إلى أنه كيف يمكنك أن تكون نبيّا و لديك مثل هذه السابقه؟! ثمّ بعد هذا كله: وَ أَنْتَ مِنَ الْكٰافِرِينَ !(أى بنعمه فرعون) فلطالما جلست على مائدتنا و تناولت من زادنا فكيف تكون نبيّا و أنت كافر بنعمتى؟! و فى الحقيقه،كان فرعون يريد أن يجعل موسى محكوما بهذه التهم المواجهه إليه،و بهذا المنطق الاستدراجى.

و المراد من قصّه القتل المذكوره هنا هو ما جاء فى سوره القصص«الآيه ١۵ منها»حيث جاء فيها أن موسى وجد رجلين يقتتلان هذا من شيعته و هذا من عدوّه،فاستغاثه الذى هو من شيعته على الذى من عدوّه فوكزه موسى فقضى عليه انتصارا لشيعته!...

و عند ما سمع موسى كلمات فرعون الممزوجه بالخبث و الشيطنه أجاب على إشكالات فرعون الثلاثه،إلاّ أنه قدّم الإجابه على الإشكال الثّانى نظرا لأهميته.

(أو أنه أساسا لم يجد الإشكال الأوّل يستحق الإجابه،لأن تربيه الشخص لا تكون دليلا على عدم جواز هدايه مربّيه إن كان المربى ضالا،ليسلك سبيل الرشاد).

و على كل حال أجابه موسى عليه السّلام: قٰالَ فَعَلْتُهٰا إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّٰالِّينَ .

و هنا كلام طويل بن المفسّرين على المراد من كلمه«الضالين»الوارده فى تعبير موسى عليه السّلام...لأنّه كما نعلم لا مجال لأن تكون للنبيّ سابقه سوء حتى قبل مرحله النبوّه..لأنّها تزلزل موقعه فى أفكار عامّه الناس،و يبقى الهدف من بعثته ناقصا غير تام،و لذلك فإنّ العصمه فى الأنبياء لازمه حتى قبل زمان نبوتهم!...هذا من جهه...

و من جهه أخرى ينبغى أن يكون هذا الكلام جوابا مسكتا و مفحما لفرعون! لذلك فإن كثيرا من المفسّرين يعتقدون أن المراد من«الضال»هنا هو كونه أخطأ فى الموضوع،أى أن موسى كانت ضربته للرجل القبطى لا بقصد القتل،بل لكى

یحمی المظلوم و یدافع عنه،و لم یدر أنّه ستؤول ضربته إلی الإجهاز علیه و قتله، فبناء علی ذلک فإنّ الضالّ هنا معناه«الغافل»و المراد منه الغافل عن العاقبه التی أدّی عمله إلیها.

و قال بعض المفسّرین:إنّ المراد من ذلک أنّه لم یکن أیّ خطأ فی قتل القبطی الظالم لأنّه کان مستحقا،بل إنّ موسی علیه السّلام یرید أن یقول:إنّه لم یدر أن عاقبه عمله ستکون علی هذا الوجه،و أنه لا یستطیع البقاء فی مصر و علیه أن یخرج بعیدا عن وطنه،و أن یتأخر منهجه«فی أداء رسالته».

و لکن الظاهر أنّ هذا لا یعدّ جوابا لفرعون،بل هو موضوع کان لموسی أن یبیّنه لأتباعه و من حوله من محبّیه!لا أنه ردّ علی إشکال فرعون! و التّفسیر الثّالث الذی من المحتمل أن یکون مناسبا أکثر لمقام موسی علیه السّلام -من جهات متعدده-و یتلاءم و عظمه کیانه،أن موسی علیه السّلام استخدم التوریه فی تعبیره جوابا علی کلام فرعون،فقال کلاما ظاهره أنّه لم یعرف طریق الحق فی ذلک الزمان...لکنّ اللّه عرّفه إیاه بعدئذ،و وهب له حکما-فجعله من المرسلین، إلاّ أنه کان یقصد فی الباطن أنه لم یدر أن عمله حینئذ سیؤدی إلی هذه النتیجه!من الجهد و العناء و اضطراب البال-مع أنّ أصل عمله کان حقا و مطابقا لقانون العداله «أو أنه یوم کانت هذه الحادثه قد وقعت کان موسی علیه السّلام قد ضلّ طریقه فصادف أمامه هذه القضیّه»...

و نحن نعرف أن«التوریه»هی أن یقول الإنسان کلاما باطنه حق،إلاّ أن الطرف الآخر یفهم من ظاهره شیئا آخر،و هذا الأمر یقع فی موارد خاصّه یبتلی الإنسان فیها بالحرج أو الضیق،و لا یرید أن یکذب،و هو فی الوقت ذاته علی ظاهر کلامه... (۱)

۱- ۱) -هذا الکلام یوافق مضمون الحدیث الوارد عن الإمام الرضا علیه السّلام فی تفسیر الآیه،راجع کتاب عیون اخبار الرضا،ج ۴، ص ۴۸ نقلا عن«نور الثقلین».

ثمّ يضيف موسى قائلاً: فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ! و هناك اختلاف بين كلمات المفسّرين فى المراد من«الحكم»فى هذه الآيه، أهو مقام النبوه،أم مقام العلم،أم سواهما؟!لكن مع ملاحظه ذيل الآيه نفسها المذكور فيها مقام الرساله بإزاء الحكم يتّضح أنّه غير الرساله و النبوّه! و الشاهد الآخر على هذا الموضوع الآيه(٧٩)من سوره آل عمران إذ قال:

مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّٰهُ الْكِتٰابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنّٰاسِ كُونُوا عِبٰاداً لِي مِنْ دُونِ اللّٰهِ... .

إن كلمه«الحكم»تعنى فى اللغه:المنع من أجل الإصلاح،هذا هو الأصل فى ما وضعت له،و لذا سمّوا لجام الحيوان«حكمه»على وزن(صدقه)ثمّ أطلقت هذه الكلمه على ما يطابق الحكمه،و من هنا سمى العقل و العلم حكما أيضا لهذا التناسب،و قد يقال:إنّه يستفاد من الآيه(١۴)من سوره القصص أن موسى عليه السّلام كان قد بلغ مقام الحكم و العلم قبل هذه القضيه إذ تقول: وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوىٰ آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً .

فنجيب على ذلك أن للعلم و الحكمه مراحل مختلفه،فكان موسى عليه السّلام قد بلغ مرحله منهما من قبل،و حين بلغ مقام النبوّه أدرك المرحله الأكمل!...

ثمّ يردّ موسى عليه السّلام على كلام فرعون الذى يمنّ به عليه فى أنّه ربّاه و تعهده منذ طفولته و صباه،معترضا عليه بلحن قاطع فيقول: وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهٰا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرٰائِيلَ .

صحيح أنّ يد الحوادث ساقتنى-و أنا طفل رضيع-إلى قصرك،لأتربّى فى كنفك،و كان فى ذلك بيان لقدره اللّه،لكن ترى كيف جئت إليك؟و لم لا تربيت فى أحضان والدىّ و فى بيتهما؟! ألم يكن ذلك لأنّك عبّدت بنى إسرائيل و صفّدت أيديهم بنير الأسر!حتى

أمرت أن يقتل الأطفال الذكور و تستحيا النساء للخدمه؟! فهذا الظالم المفرط من قبلك،كان سببا لأن تضعنى أمى فى الصندوق حفاظا علىّ،و تلقينى فى أمواج النيل،و كانت مشيئه اللّه أن تسوق الأمواج«زورقى» الصغير حتى توصله إلى قصرك...أجل إن ظلمك الفاحش هو الذى جعلنى رهين منّتك و حرمنى من بيت أبى الكريم،و صيرنى فى قصرك الملوّث!...

و بهذا التّفسير يتّضح ارتباط جواب موسى بسؤال فرعون تماما.

كما يحتمل فى تفسير هذه الآيه أنّ مراد موسى عليه السّلام هو الاعتراض على فرعون بأنّه لو كانت تربيتى عندك نعمه من قبلك،فهى إزاء ظلمك لبنى إسرائيل بمثابه القطره فى مقابل البحر،فأيه نعمه لك علىّ مع ما عندك من الظلم و الجور على الناس؟! و التّفسير الثّالث لجواب موسى لفرعون،هو أنّه:لو تربيت فى قصرك و تمتعت بنعمك المختلفه،فلا تنس بناه قصرك الأوائل فهم أرقّاء من قومى،و الموجودون لجميع تلك النعم هم أسراؤك من بنى إسرائيل،فكيف تمنّ علىّ بجهود قومى و أتعابهم؟! و هذه التفاسير الثلاثه لا تتنافى جميعا،و إن كان التّفسير الأوّل من بعض الجهات أكثر وضوحا! و يستفاد من عباره:«من المرسلين»ضمنا بأنّنى لست الوحيد المرسل من قبل اللّه.فمن قبلى جاء رسل عدّه،و أنا واحد منهم،إلاّ أن فرعون نسيهم أو تناساهم!!

ص :۳۵۶

الآيات [سوره الشعراء (٢۶): الآيات ٢٣ الی ٢٩]

اشاره

قٰالَ فِرْعَوْنُ وَ مٰا رَبُّ اَلْعٰالَمِينَ (٢٣) قٰالَ رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢۴) قٰالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لاٰ تَسْتَمِعُونَ (٢۵) قٰالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبٰائِكُمُ اَلْأَوَّلِينَ (٢۶) قٰالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ اَلَّذِی أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قٰالَ رَبُّ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قٰالَ لَئِنِ اِتَّخَذْتَ إِلٰهَاً غَيْرِی لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ اَلْمَسْجُونِينَ (٢٩)

التّفسير

اشاره

الاتهام بالجنون و التهديد بالسجن:

حين واجه موسى عليه السّلام فرعون بلهجه شديده:و أجابه بضرس قاطع،و أفحم فرعون فی ردّه،غيّر فرعون مجری كلامه،و سأل موسى عن معنى كلامه أنّه رسول ربّ العالمين،و قٰالَ فِرْعَوْنُ وَ مٰا رَبُّ الْعٰالَمِينَ ..

و من المستبعد جدّا أن يكون فرعون قد سأل موسى عليه السّلام هذا السؤال لفهم الحقيقه و معرفه الموضوع،بل يبدو أنّه سأله متجاهلا و مستهزئا.

إلاّـ أنّ موسى-على كل حال-لم يجد بدا كسائر الباحثين الواعين اليقظين، أن يجيب على فرعون بجدّ...و حيث أن ذات اللّه سبحانه بعيده عن متناول أفكار الناس،فإنّه أخذ يحدثه عن آيات اللّه فى الآفاق و آثاره الحيّه إذ قٰالَ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ .

فالسماوات بما فيهن من عظمه،و الأرض على سعتها...و الموجودات المتعدده بألوانها بحيث لا تساوى أنت و قصرك بإزائها إلاّ ذرّه فى مقابل المجرّه! كلّها من خلق ربّى، فمثل هذا الخالق المدبّر لهذا العالم جدير بالعباده،لا الموجود الضعيف التافه مثلك!...

و ينبغى الالتفات إلى أن عبده الأوثان كانوا يعتقدون أنّ لكلّ موجود فى هذا العالم ربّا،و كانوا يعدّون العالم تركيبا من نظم متفرقه،إلاّ أن كلام موسى عليه السّلام يشير إلى أن هذا النظام الواحد المتحكم على هذه المجموعه فى عالم الوجود دليل على أن له ربّا واحدا...

و جمله إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ لعلها إشاره إلى أنّ موسى عليه السّلام يريد أن يفهم فرعون و من حوله-و لو تلويحا-أنه يعرف أن الهدف من هذا السؤال ليس إدراك الحقيقه...لأنّه لو أراد إدراك الحقيقه و البحث عنها لكان استدلاله كافيا...فكأنّه يقول لهم:افتحوا أعينكم قليلا و تفكروا ساعه فى السماوات و الأرض بما فيهما من الآثار و عجائب المخلوقات...لتطلعوا على معالمها و تصححوا نظرتكم نحو الكون! إلاّـ أن فرعون لم يتيقظ من نومه الغافلين بهذا البيان المتين المحكم لهذا المعلم الكبير الرّبانى السماوى...فعاد لمواصله الاستهزاء و السخريه،و اتبع طريقه المستكبرين القديمه بغرور،و قٰالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لاٰ تَسْتَمِعُونَ .

و معلوم من هم الذين حول فرعون؟فهم أشخاص من نسيجه و جماعه من أصحاب القوّه و الظلم و القهر و المال.

ص :٣٥٨

يقول ابن عباس:كان الذين حول فرعون هناك خمسمائه نفر،و هم يعدّون من خواص قومه. (۱)

و كـان الهـدف من كلاـم فرعون أن لاـ يترك كلاـم موسـى المنطقى يؤثر فى القلوب المظلمه لأولئك الرهط...فعـدّه كلاما بلا محتوى و غير مفهوم.

إلاّـ أن موسـى عليه السّـلام عاد مرّه أخرى إلى كلامه المنطقى دون أى خوف و لا وهن و لا إيهام،فواصل كلامه و قٰالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبٰائِكُمُ الْأَوَّلِينَ .

إن موسـى عليه السّـلام بـدأ فى المرحله الأـولى ب«الآيـات الآفـاقيه»،و فى المرحله الثّانيه أشار إلى«الآيات الانفسـيه»،و أشار إلى أسـرار الخلق فى وجود النـاس أنفسـهم و آثـار ربوبيه اللّه فى أرواح البشـر و أجسـامهم،ليفكر هؤلاـء المغرورون على الأقـلّ فى أنفسهم و يحاولوا التعرّف عليها و بالتالى معرفه من خلقها.

إلاّـ أن فرعون تمـادى فى حمـاقته،و تجـاوز مرحله الاسـتهزاء إلى اتهـام موسـى بـالجنون،ف قٰالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ...

و ذلك ما اعتاده الجبابره و المستكبرون على مدى التاريخ من نسبه الجنون إلى المصلحين الرّبانيين!...

و ممّا يستجلب النظر أن هذا الضالّ المغرور لم يكن مستعدّا حتى لأنّ يقول:

«إنّ رسولنـا الـذى أرسـل إلينـا»،بل قال:«إنّ رسولكم الـذى أرسل إليكم»،لأن التعبير برسولكم-أيضا-له طابع الاسـتهزاء المقترن بالنظره الاستعلائيه...يعنى:

إننى أكبر من أن يـدعونى رسول...و كـان الهـدف من اتهامه موسـى بالجنون هو إحباط و إفشال منطقه القوىّ المتين لئلا يترك أثرا فى أفكار الحاضرين.

إلاّـ أن هـذه التهمه لم تؤثر فى روح موسـى عليه السّـلام و معنويـاته العـاليه،و واصـل بيان آثار اللّه فى عالم الإيجاد فى الآفاق و الأنفس،مبينا خط التوحيد الأصيل ف

۱- ۱) -راجع تفسير أبى الفتوح الرازى ذيل الآيه محل البحث.

قٰالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ

.

فإذا كنت-يا فرعون-تحكم حكما ظاهريّا فى أرض محدوده تدعى مصر، فإنّ حكومه ربّى الواقعيه تسع المشرق و المغرب و ما بينهما جميعا،و آثاره تشرق فى وجوه الموجودات!...و أساسا فإنّ هذه الشمس فى شروقها و غروبها و ما يتحكم فيها من نظام،كل ذلك بنفسه آيه له و دليل على عظمته...إلاّ أنّ العيب كامن فيكم،لأنّكم لا تعقلون،و لم تعتادوا التفكير(و ينبغى الالتفات إلى أن جمله إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هى إشاره إلى أنه لو كنتم تتفكرون و تستعملون العقل فى ماضى حياتكم و حاضرها لتوصلتم إلى إدراك هذه المسأله).

و فى الواقع إن موسى عليه السّلام أجاب على اتهامهم إياه بالجنون بأسلوب بليغ بأنّه ليس مجنونا،و أن المجنون هو من لا يرى كل هذه الآثار و دلائل وجود الخالق، و العجيب أنه مع وجود الآثار على باب الدار و الجدار،فانه يوجد من لا يفكر فى هذه الآثار!».

و صحيح أنّ موسى عليه السّلام أشار بادئ الأمر إلى تدبير أمر السماوات و الأرض، إلاّ أنه حيث أن السماء عاليه جدا،و أن الأرض ذات أسرار غريبه،فقد وضع موسى عليه السّلام أخيرا إصبعه على نقطه لا يمكن لأحد إنكارها،و يواجهها الإنسان كلّ يوم،و هى نظام طلوع الشمس و غروبها و ما فيها من منهج دقيق...و ليس لأحد من البشر أن يدعى أنّ بيده نظامها أبدا...

و التعبير ب«ما بينهما»إشاره إلى الوحده و الارتباط فى ما بين المشرق و المغرب،و هكذا كان التعبير فى شأن السماوات و الأرض. قٰالَ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا .

و يبيّن التعبير رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبٰائِكُمُ الْأَوَّلِينَ أيضا ارتباط النسل و الوحده فيه...

غير أن هذا المنطق المتين الذى لا يتزعزع غاظ فرعون بشده،فالتجأ إلى

استعمال«حربه»یفزع إلیها المستکبرون عند الاندحار،فجابه موسی و قٰالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَیْرِی لَأَجْعَلَنَّکَ مِنَ الْمَسْجُونِینَ .

فأنا لا أعرف کلماتک،إنّما أعرف وجود إله و معبود کبیر و هو أنا...و من قال بغیره فهو محکوم بالإعدام أو السجن!...

و یعتقد بعض المفسّرین أن الألف و اللام فی«من المسجونین»هما للعهد، و هی إشاره إلی سجن خاص من ألقی فیه یبقی سجینا حتی تخرج جنازته. (۱)

و فی الواقع کان فرعون یرید أن یسکت موسی بهذا المنطق الارهابی،لأن مواصله موسی علیه السّلام بمثل هذه الکلمات ستکون سببا فی إیقاظ الناس،و لیس أخطر علی الجبابره من شیء کإیقاظ الناس!...

۱- ۱) -راجع تفسیر المیزان،و الفخر الرازی،و روح المعانی ذیل الآیه محل البحث.

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۳۰ الی ۳۷]

اشاره

قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُکَ بِشَیْءٍ مُبِینٍ (۳۰) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ اَلصّادِقِینَ (۳۱) فَأَلْقی عَصاهُ فَإِذا هِیَ ثُعْبانٌ مُبِینٌ (۳۲) وَ نَزَعَ یَدَهُ فَإِذا هِیَ بَیْضاءُ لِلنّاظِرِینَ (۳۳) قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِیمٌ (۳۴) یُرِیدُ أَنْ یُخْرِجَکُمْ مِنْ أَرْضِکُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ (۳۵) قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ اِبْعَثْ فِی اَلْمَدائِنِ حاشِرِینَ (۳۶) یَأْتُوکَ بِکُلِّ سَحّارٍ عَلِیمٍ (۳۷)

التّفسیر

اشاره

بلادکم فی خطر:

رأینا فی الآیات المتقدمه کیف حافظ موسی علیه السّلام علی تفوّقه-من حیث المنطق-علی فرعون،و بیّن للحاضرین إلی أیّه درجه یعوّل مبدؤه علی منطقه و عقله،و أن ادعاء فرعون واه و ضعیف،فتاره یسخر من موسی،و تاره یرمیه بالجنون،و أخیرا یلجأ إلی التهدید بالسجن و الإعدام!...

و هنا یقلب موسی علیه السّلام صفحه جدیده،فعلیه أن یسلک طریقه أخری یخذل

ص: ۳۶۲

فیها فرعون و یعجزه.علیه أن یلجأ إلی القوّه أیضا،القوّه الإلهیه التی تنبع من الإعجاز،فالتفت إلی فرعون متحدّیا و قٰالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُکَ بِشَیْءٍ مُبِینٍ ...

و هنا وجد فرعون نفسه فی طریق مغلق مسدود...لأن موسی علیه السّلام أشار إلی خطّه جدیده!و لفت انظار الحاضرین نحوه،إذ لو أراد فرعون أن لا یعتدّ بکلامه، لاعتراض علیه الجمیع و لقالوا:دعه لیرینا عمله المهم،فلو کان قادرا علی ذلک فلنری،و نعلم حینئذ أنّه لا یمکن الوقوف امامه،و إلاّ فستنکشف مهزلته!!و علی کل حال لیس من الیسیر تجاوز کلام موسی ببساطه...

فاضطر فرعون إلی الاستجابه لاقتراح موسی علیه السّلام و قٰالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِینَ .

فَأَلْقیٰ عَصٰاهُ فَإِذٰا هِیَ ثُعْبٰانٌ مُبِینٌ

«بأمر اللّه».

ثمّ أظهر إعجازا آخر حیث أدخل یده فی جیبه(أعلی الثوب)و أخرجها فإذا هی بیضاء منیره: وَ نَزَعَ یَدَهُ فَإِذٰا هِیَ بَیْضٰاءُ لِلنّٰاظِرِینَ .

فی الحقیقه إن هاتین المعجزتین الکبیرتین،إحداهما کانت مظهر الخوف، و الأخری مظهر الأمل،فالأولی تناسب مقام الإنذار،و الثّانیه للبشاره!و الأولی تبیّن عذاب اللّه،و الأخری نور و آیه رحمه!لأنّ المعجزه ینبغی أن تکون منسجمه مع دعوه النّبی علیه السّلام.

«الثعبان»معناه الحیه العظیمه،و یحتمل الراغب فی مفرداته أن«الثعبان»من ماده(ثعب)المأخوذ معناه من جریان الماء،لأنّ حرکه هذا الحیوان تشبه الأنهار المتحرکه! و التعبیر ب«المبین»لعله إشاره إلی هذه الحقیقه!و هی أنّ عصّا موسی علیه السّلام تبدلت إلی ثعبان عظیم فعلا،و لم یکن فی الأمر من إیهام أو سحر.

و لا بأس بذکر هذه اللطیفه الدقیقه هنا،و هی أنّ الآیه محل البحث عبرت[عن تبدل العصا

ب«ثعبان».أمّا الآیه العاشره من سوره النمل،و الآیه الحادیه

و الثلاـثون من سوره القصـص،فقـد عبرت عنهـا ب«جـان»«ما تجنّه (۱) الأـرض و مـا يمشـى عليها من الأفاعى الصـغار بسـرعه و قفز».أمّا الآيه العشرون من سوره طه فقد عبّرت عنها بأنّها«حيه»«المشتقّه من الحياه».

و هذا التفاوت أو الاختلاف فى التعابير مثير للسؤال فى بدو النظر،إلّا أنّ الاختلاف أو التفاوت إنّما هو لبيان واحد من أمرين:

۱-لعله إشاره إلى حالات ذلك الثعبان المتباينه،ففى البـدايه تبـدلت العصا إلى جانّ أو حيه صـغيره،ثمّ بـدأت تكبر حتى صارت ثعبانا مبينا!...

۲-أو أنّ هـذه الألفاظ الثلاثه«الثعبان،و الجان،و الحيه»كلّ منها يرمز إلى بعض الخصائص الموجوده فى تلك العصا المتبدله إلى حـاله جديـده!فالثعبـان إشـاره إلى عظمتهـا،و الجـان إشاره إلى سـرعتها،و الحيه إشاره إلى حياتها! غير أن فرعون اضـطرب لهـذا المشـهد المهول و غرق فى وحشه عميقه و لكى يحافظ على قدرته الشـيطانيه التى أحدق بها الخطر بظهور موسـى عليه السّلام،و كذلك من أجل أن يرفع من معنويات أصـحابه و الملأ من حوله فى توجيه معاجز موسى و لفت نظرهم عنها،فقد قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذٰا لَسٰاحِرٌ عَلِيمٌ .

ذلـك الإنسـان الـذى كـان يـدعوه مجنونـا إلى لحظـات آنفـه،و إذا هـو الآـن يعـبر عنـه بـالعليم،و هكـذا هى طريقـه الجبـابره و أسلوبهم،حيث تتبدل كلماتهم فى مجلس واحد عدّه مرّات،و يحاولون التشبث بأى شىء للوصول إلى هدفهم.

و كان فرعون يعتقد أن اتهام موسـى بالسـحر ألصق به و أكثر قبولا عند السامعين،لأنّ ذلك العصـر كان عصـر السـحر،فإذا أظهر موسى عليه السّلام معاجزه فمن اليسير توجيهها بالسحر.

و من أجل أن يعبّئ الملأ و يثير حفيظتهم ضد موسى عليه السّلام،قال لهم:

۱- ۱) -جن يجن«من الأضـداد فى اللغه»و الضد فى الألفاظ ما يحمل معنيين متضادين،مثل الجون يطلق على الأسود و الأبيض،و جن بمعنى ستره و أظهره.

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَمْ مِنْ أَرْضِكَمْ بِسِحْرِهِ فَمٰا ذٰا تَأْمُرُونَ؟

.

و الغريب فى الأمر أن فرعون الذى قال هذا الكلام هو الذى كان يقول من قبل: أَ لَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ؟! و الآن حيث يرى عرشه متزعزعا ينسى مالكيته المطلقه لهذه الأرض، و يعدّها ملك الناس، فيقول لهم:أرضكم فى خطر،إن موسى يريد أن يخرجكم من أرضكم،ففكروا فى حيله!...

فرعون هـذا لم يكن قبل ساعه مستعدا لأن يصغى لأحد،كان الآمر بلا منازع، أمّا الآن فهو فى حرج شديد يقول لمن حوله:«ماذا تأمرون»؟!إنّها استشاره عاجزه و من موقف الضعف فحسب!...

و يستفاد من الآيه(١١٠)من سوره الأعراف أنّ اتباع فرعون و من حوله ائتمروا فيما بينهم و تشاوروا فى الأمر،و كانوا فى حاله من الاضطراب النفسى بحيث كان كلّ منهم يسأل الآخر قائلا:و أنت ما تقول؟و ماذا تأمرون؟! أجل هذه سنّه الجبابره فى كل عصر و زمان...فحين يسيطرون على الأوضاع يزعمون أن كل شىء لهم،و يعدون الجميع عبيدهم،و لا يفهمون شيئا سوى منطق الاستبداد.إلّا أنّهم حين تهتزّ عروشهم الظالمه و يرون حكوماتهم فى خطر، ينزلون مؤقتا عن استبدادهم و يلجأون إلى الناس و يتحدثون باسم الناس، فالأرض أرض الشعب،و الحكومه تمثل الشعب و يحترمون آراء الشعب،و لكن حين يستقر الطوفان و يهدأ التيار،فإذا هم أصحاب الأمس و«عادت حليمه إلى عادتها القديمه».

و رأينا فى عصرنا بقايا السلاطين القدامى كيف يحسبون أن الدوله ملكهم المطلق حين تقبل الدنيا عليهم،و يأمرون من يرفض إتباعهم بالخروج عن تلك البلاد قائلين له:اذهب فى أرض اللّه العريضه الواسعه،ففى هذا البلد لا بدّ من تنفيذ ما نقول لا غير.و رأينا هذه الحاله عند ما بدأت هبّت رياح الثوره الإسلاميه كيف

أن الطواغيت أخذوا باحترام الشعب و تعظيمه،و حتى أنّهم أقروا بذنوبهم و طلبوا العفو،و لكن الناس الذين عرفوا سجيّتهم طوال سنين مديده لم ينخدعوا بذلك.

و بعد المشاوره فيما بينهم التفت الملأ من قوم فرعون إليه و قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ . (۱) أى أمهلهما و ابعث رسلك الى جميع المناطق و الأمصار.

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ

.

و فى الواقع أن رهط فرعون إمّا أنّهم غفلوا،و إمّا أنّهم قبلوا اتهامه لموسى و أعين للأمر.فهيأوا خطه على أنّه ساحر،و لا بدّ من مواجهته بسحره أعظم منه و أكثر مهاره!...

و قالوا:لحسن الحظّ إنّ فى بلادنا العريضه سحره كثيرين،فلا بدّ من جمع السحره لإحباط سحر موسى عليه السّلام.

و كلمه(حاشرين)مأخوذه من ماده(الحشر)و معناه التعبئه و السوق لميدان الحرب و أمثال ذلك،و هكذا فينبغى على المأمورين أن يعبئوا السحره لمواجهه موسى عليه السّلام بأىّ ثمن كان!...

۱- ۱) -(أرجه)مشتقّه من«الإرجاء»و معناها التأخير و عدم الاستعجال فى القضاء،و الضمير فى(أرجه)يعود على موسى، و أصل الكلمه كان(أرجئه)و حذفت الهمزه للتخفيف!

الآيات [سوره الشعراء (٢۶): الآيات ٣٨ الى ۴٢]

اشاره

فَجُمِعَ اَلسَّحَرَةُ لِمِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَ قِيلَ لِلنّٰاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنٰا نَتَّبِعُ اَلسَّحَرَةَ إِنْ كٰانُوا هُمُ اَلْغٰالِبِينَ (۴٠) فَلَمّٰا جٰاءَ اَلسَّحَرَةُ قٰالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنٰا لَأَجْراً إِنْ كُنّٰا نَحْنُ اَلْغٰالِبِينَ (۴١) قٰالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ اَلْمُقَرَّبِينَ (۴٢)

التّفسير

اشاره

اجتماع السحره من كلّ مكان:

فى هذه الآيات يعرض مشهدا آخر من هذه القصّه المثيره، إذ تحرك المأمورون بحسب اقتراح أصحاب فرعون إلى مدن مصر لجمع السحره و البحث عنهم،و كان الوعد المحدد فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ .

و بتعبير آخر:إنّهم هيئوهم من قبل لمثل هذا اليوم،كى تجتمعوا فى الوعد المقرر فى«ميدان العرض»..

و المراد من«اليوم المعلوم»كما يستفاد من بعض الآيات فى سوره الأعراف، أنّه بعض أعياد أهل مصر،و قد اختاره موسى عليه السّلام للمواجهه و منازله السحره...

و كان هدفه أن يجد الناس فرصه أوسع للاجتماع،لأنّه كان مطمئنا بأنّه سينتصر،

ص:٣۶٧

و كان يريد أن يظهر آيات اللّه و ضعف فرعون و الملأ من حوله للجميع،و ليشرق نور الإيمان فى قلوب جماعه كثيرين!...

و طلب من الناس الحضور فى هذا المشهد: وَ قِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ و هذا التعبير يدلّ على أنّ المأمورين من قبل فرعون بذلوا قصارى جهودهم فى هذا الصدد...و كانوا يعلمون أنّهم لو أجبروا الناس على الحضور لكان ردّ الفعل سلبيّا،لأنّ الإنسان يكره الإجبار و يعرض عنه بالفطره!لذلك قالوا:هل ترغبون فى الحضور؟و هل أنتم مجتمعون؟و من البديهى أن هذا الأسلوب جرّ الكثير إلى حضور ذلك المشهد.

و قيل للناس:إنّ الهدف من هذا الحضور و الاجتماع هو أنّ السحره إذا انتصروا فمعنى ذلك انتصار الالهه و ينبغى علينا اتباعهم: لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ فلا بدّ من تهييج الساحه للمساعده فى هزيمه عدو الالهه إلى الأبد.

و واضح أنّ وجود المتفرجين كلّما كان أكثر شدّ من أزر الطرف المبارز،و كان مدعاه لأن يبذل أقصى جهده،كما أنه يزيد من معنوياته و عند ما ينتصر الطرف المبارز يستطيع أن يثير الصخب و الضجيج إلى درجه يتوارى بها خصمه،كما أن وجود المتفرجين الموالين بإمكانه أن يضعف من روحيّه الطرف المواجه «الخصم»فلا يدعه ينتصر! أجل إن اتباع فرعون بهذه الآمال كانوا يرغبون أن يحضر الناس،كما أنّ موسى عليه السّلام كان يطلب-من اللّه-أن يحضر مثل هذا الجمع الحاشد الهائل!ليبيّن هدفه بأحسن وجه.

كل هذا من جهه،و من جهه أخرى كان السحره يحلمون بالجائزه من قبل فرعون فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبِينَ ...

و كان فرعون قلقا مضطرب البال،لأنّه فى طريق مسدود،و كان مستعدّا لأن

يمنح السحره أقصى الامتيازات،لذلك فقد أجابهم بالرضا و قٰالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .اى إن فرعون قال لهم:ما الذى تريدون و تبتغون؟!المال أم الجاه، فكلاهما تحت يدىّ!...

و هذا التعبير يدلّ على أن التقرب من فرعون فى ذلك المحيط كان مهمّا إلى درجه قصوى!بحيث يذكره فرعون للسحره و يعدّه أجرا عظيما،و فى الحقيقه لا أجر أعظم من أن يصل الإنسان إلى مقربه من القدره المطلوبه!...

فإذا كان الضالّون يعدّون التقرب من فرعون أعظم أجر،فإنّ عباد اللّه لا يرون أجرا أعظم من التقرب الى اللّه تعالى حتى الجنّه بما فيها من النعيم المقيم لا تقاس بنظره من وجهه الكريم لهم!...

و لذلك فإنّ الشهداء فى سبيل اللّه الذين ينبغى أن ينالوا أعظم الأجر لإيثارهم الكبير،ينالون التقرب من اللّه بشهاده القرآن!و التعبير القرآنى عِنْدَ رَبِّهِمْ شاهد بليغ على هذه الحقيقه!...

و كذلك فإنّ المؤمن السليم القلب حين يؤدى العباده اللّه،يؤديها بهدف«قربه الى اللّه»...

الآيات [سوره الشعراء (٢٦): الآيات ۴۳ الى ۵۱]

اشاره

قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۴۳) فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّهِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ اَلْغالِبُونَ (۴۴) فَأَلْقى مُوسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۴۵) فَأُلْقِيَ اَلسَّحَرَهُ ساجِدِينَ (۴۶) قالُوا آمَنّا بِرَبِّ اَلْعالَمِينَ (۴۷) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۴۸) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ اَلَّذِي عَلَّمَكُمُ اَلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۴۹) قالُوا لا ضَيْرَ إِنّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۵۰) إِنّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنّا أَوَّلَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۵۱)

التّفسير

اشاره

نور الإيمان في قلوب السحره:

حين اتفق السحره مع فرعون و وعدهم بالأجر و القرب منه،و شدّ من عزمهم، فإنّهم بدأوا بتهيئه المقدمات و وفروا خلال ما سنحت لهم الفرصه عصيّهم و حبالهم، و يظهر أنّهم صيّروها جوفاء و طلوها بماده كيميائيه كالزئبق-مثلا-بحيث تتحرك

و تلمع عنـد شـروق الشـمس عليهـا! و أخيرا كـان اليوم الموعود و الميقـات المعلوم،و انثـال النـاس إلى سـاحه العرض ليشـهدوا المبـارزه التـاريخيّه،ففرعون و قومه من جانب،و السـحره من جانب آخر،و موسـى و أخوه هارون من جانب ثالث،كلهم حضـروا هناك! و كعاده القرآن في حـذف المقـدمات المفهومه من خلال الآيات المـذكوره، و الشـروع بـذكر أصل الموضوع،فيتحدّث عن مواجهه موسى للسحره حيث التفت إليهم و: قٰالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا مٰا أَنْتُمْ مُلْقُونَ .

و يستفاد من الآيه(١١٥)من سوره الأعراف،أنّ موسى عليه السّلام قال ذلك عند ما سأله السحره:هل تلقى أنت أوّلا أم نلقى نحن أوّلا؟ و هذا الاقتراح من قبل موسـى عليه السّـلام يدلّ أنّه كان مطمئنا لانتصاره،و دليلا على هدوئه و سـكينته أمام ذلك الحشـد الهائـل من الأعـداء و أتباع فرعون...كان هـذا الاقتراح يعـدّ أوّل«ضـربه»يـدمغ بها السـحره،و يبيّن فيها أنه يتمتع بالهـدوء النفسـى الخاص،و أنّه مرتبط بمكان آخر و متصل به.

و أمّا السـحره الغارقون بغرورهم،و الـذين بذلوا أقصـى جهودهم لانتصارهم في هذا«الميدان»،فقد كانوا مسـتعدين و مؤمّلين لأن يغلبوا موسى عليه السّلام فَأَلْقَوْا حِبٰالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قٰالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّٰا لَنَحْنُ الْغٰالِبُونَ . (١)

أجـل،لقـد اسـتندوا إلى عزّه فرعون كسائر المتملقين،و بـدأوا باسـمه و قـدرته الواهيه! و هنا-كما يبيّن القرآن في مكان آخر من سوره و آياته-تحركت العصيّ كأنّها الأفاعى و الثعابين و يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهٰا تَسْعىٰ . (٢)

و قد انتخب السحره العصى كوسائل لسحرهم،لتتغلّب حسب تصوّرهم على

١- ١) -«الحبال»جمع«حبل»على وزن(طبل)و معناها واضح،و العصى جمع العصا.

٢- ٢) -سوره طه،الآيه ۶۶.

عصی موسی،و أضافوا علیها الحبال لیثبتوا علوّهم و فضلهم علیه...

فتهللت أساریر وجوه الناس و وجه فرعون فرحا،و أشرق الأمل فی عینی فرعون و أتباعه،و سرّوا سرورا لم یکن لیخفی علی أحد،و سرت فیهم نشوه اللّذه من هذا المشهد! إلاّ أنّ موسی علیه السّلام لم یمهل الحاضرین لیستمر هذا المشهد و یدوم هذا الفصل المثیر،فتقدم فَأَلْقیٰ مُوسیٰ عَصٰاهُ فتحولت الی ثعبان عظیم و بدأت بالتهام وسائل و أدوات السحره بسرعه بالغه فَإِذٰا هِیَ تَلْقَفُ مٰا یَأْفِکُونَ . (۱)

و هنا طاف صمت مهیب علی وجوه الحاضرین و غشّاهم الوجوم و فغرت الأفواه من الدهشه و العجب،و جمدت العیون،و لکن سرعان ما انفجر المشهد بصراخ المتفرجین المذعورین ففر جماعه من مکانهم و بقی آخرون یترقبون نهایه المشهد،و أفواه السحره فاغره من الدهشه...

و تبدّل کل شیء،و ثاب السحره إلی رشدهم بعد أن کانوا-إلی تلک اللحظه- مع فرعون غارقین فی الشیطنه،و لأنّهم کانوا عارفین بقضایا السحر و دقائقه، فإنّهم تیقنوا أن عصا موسی لم تکن سحرا،بل هی معجزه إلهیه کبری فَأُلْقِیَ السَّحَرَهُ سٰاجِدِینَ .

الطریف أنّ القرآن یعبر عن خضوع السحره ب«ألقی»و هذا التعبیر إشاره إلی منتهی التأثیر و جاذبیه معجزه موسی لهم،حتی کأنّهم سقطوا علی الأرض و سجدوا دون اختیارهم...

و اقترن هذا العمل العبادی-و هو السجود-بالقول بلسانهم ف قٰالُوا آمَنّٰا بِرَبِّ الْعٰالَمِینَ .

و لئلا یبقی مجال للإبهام و الغموض و التردد،و لئلا یفسر فرعون ذلک تفسیرا

---

۱ – ۱) -(تلقف)مشتق من(اللقف)علی زنه(السقف)و معناه إمساک الشیء بسرعه،سواء کان ذلک بالید أم الفم،و معلوم أن المراد هنا الإمساک بالفم و الابتلاع،و(یأفکون)مشتق من(الإفک)و معناه الکذب،و هی إشاره إلی وسائلهم الباطله.

آخر فإنّهم قالوا: رَبِّ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ .

و هـذا التعبير يـدلّ على أنّه و إن كـان موسـى عليه السّلام متكفلا لأمر المبـارزه و إلقاء العصا و محاجحه السحره،إلاّ أنّ أخاه هارون كان يعاضده فى الأمر،و كان مستعدا لتقديم أى عون لأخيه.

و هذا التبدل و التغيّر المفاجئ العجيب فى نفوس السحره بحيث خطوا فى لحظه واحده من الظلمه المطلقه إلى النور المبين.و لم يكتفوا بـذلك حتى أقحموا أنفسـهم فى خطر القتـل،و أعرضوا عن مغريـات فرعون و مصـالحهم الماديه...كـلّ ذلـك لمـا كـان عنـدهم من«علم»اسـتطاعوا من خلالـه أن يتركوا الباطـل و يتمسـكوا بالحقّ! إنّهم لم يجوبوا باقى الطريق بخطى العقل فحسب،بل ركبوا خيول العشق، و قد سـكروا من عطر أزهاره،حتى كأنّهم لم يفيقوا من سكرتهم،و سنرى أنّهم لهذا السبب استقاموا بشجاعه أمام تهديدات فرعون الرهيبه...

نقرأ

حـديثا عن الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنه قال: «ما من قلب إلاّ بين إصـبعين من أصابع الرحمان،إن شاء أقامه،و إن شاء أزاغه» (١) (و بـديهى أن مشـيئه اللّه فى هـاتين المرحلتين تتعلق باسـتعداد الإنسـان،و هـذا التوفيق أو سـلب التوفيق إنّما هو لأجل قابليه القلوب المختلفه،و ليس اعتباطا).

أمّا فرعون،فحيث وجد نفسه مهزوما معنويا و يرى من جانب آخر أن وجوده و سلطانه فى خطر،و خاصّه أنه كان يعرف أيّ تأثير عميق لإيمان السـحره فى قلوب سائر الناس،و من الممكن أن يسـجد جماعه آخرون كما سجد السحره،فقد تذرع بوسيله جديده و ابتكار ماكر،فالتفت إلى السحره و قٰالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ . (٢)

١- ١) -تفسير فى ظلال القرآن،ج ۶،ص ٢٠٨.

٢- ٢) -جاء التعبير فى هذه الآيه(٧١)من سوره طه ب آمَنْتُمْ لَهُ و جاء التعبير فى الآيه(١٢٣)من سوره الأعراف

لقد تربع على عرش الاستبداد سنين طوالا،و لم يكن يترقب من الناس أن لا يسجدوا أو يقوموا بعمل دون إذنه فحسب،بل كان ترقّبه أن تكون قلوب الناس و أفكارهم مرهونه به و بأمره،فليس لهم أن يفكّروا دون اذنه!! و هكذا هى سنه الجبابره و المستكبرين!.

هذا المغرور الطائش لم يكن مستعدّا لأن يذكر اسم اللّه و لا اسم موسى،بل اكتفى بالقول(آمنتم له)!و المراد من هذا التعبير هو التحقير!! إلاّ أن فرعون لم يقنع بهذا المقدار،بل أضاف جملتين أخريين ليثبّت موقعه كما يتصوّر أوّلا،و ليحول بين أفكار الناس اليقظين فيعيدهم غفله نياما.

فاتّهم السحره أوّلا بأنّهم تواطؤوا مع موسى عليه السّلام و تآمروا على أهل مصر جميعا،فقال: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ .

و قد اتفقتم مع موسى من قبل أن تردوا هذه الساحه،فتضلوا أهل مصر و تجرّوهم إلى الخضوع تحت سيطره حكومتكم،و تريدون أن تطردوا أصحاب هذا البلد و تخرجوهم من ديارهم و تحلّوا العبيد محلهم...

إلاّ أننى لا أدعكم تنتصرون فى هذه المؤامره،و سأخنق المؤامره فى مهدها فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاٰفٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ .

أى:لا أكتفى بإعدامكم فحسب،بل أقتلكم قتلا بالتعذيب و الزجر بين الملأ العام،و على جذوع النخل،(لأن قطع الأيدى و الأرجل من خلاف يؤدى إلى الموت البطىء،فيذوق معه الإنسان التعذيب أكثر).

و هذه هى طريقه الجبابره و الحكّام الظلمه فى كل عصر و زمان،ففى البدء يتهمون الرجال المصلحين بالتآمر ضد الناس،و بعد الاستفاده من حربه التهمه يعملون السيف فى رقاب ليضعف موقع المطالبين بالحق و لا يجدوا معاضدا لهم، فيزيحوهم من طريقهم.

إلاّ أن فرعون لم يحقق هدفه هنا،لأن السحره قبل لحظه-و المؤمنين فى هذه

اللحظه-قد غمر قلوبهم الإيمان،و أضرمهم عشق اللّه،بحيث لم يهزّهم تهديد فرعون،فأجابوه بضرس قاطع و احبطوا خطته و قٰالُوا لاٰ ضَيْرَ إِنّٰا إِلىٰ رَبِّنٰا مُنْقَلِبُونَ .

فأنت بهذا العمل لا تنقص منّا شيئا،بل توصلنا إلى معشوقنا الحقيقى و المعبود الواقعى،فيوم كانت هذا التهديدات تؤثر فينا لم نعرف أنفسنا و لم نعرف ربّنا،و كنّا، ضالين مضلين،إلاّ أنّنا عثرنا اليوم على ضالتنا(فاقض ما أنت قاض)! ثمّ أضافوا بأنّهم واجهوا النّبى موسى عليه السّلام من قبل بالتكذيب و أذنبوا كثيرا، و لكن مع ذلك ف إِنّٰا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنٰا رَبُّنٰا خَطٰايٰانٰا أَنْ كُنّٰا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ...

إنّنا لا نستوحش اليوم من أى شىء،لا من تهديداتک،و لا من تقطيع الأيدى و الأرجل من خلاف و لا من الصلب على جذوع النخل.

و إذا كنّا نخاف من شىء،فإنّما نخاف من ذنوبنا الماضيه،و نرجو أن تمحى فى ظل الإيمان و بفضل اللّه و لطفه! أيه طاقه و قوّه هذه التى إن وجدت فى الإنسان صغرت عندها أعظم القوى، و هانت عنده أشد الأمور،و كرمت نفسه بسخاء فى موقف التضحيه و الإيثار؟! إنّها قوّه الإيمان.

إنّها شعله العشق النيره،التى تجعل الشهاده فى سبيل اللّه أحلى من الشهد و العسل،و تصيّر الوصال إلى المحبوب أسمى الأهداف! هذه هى القوّه التى استعان بها النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ربّى المسلمين الأوائل عليها، و أوصل أمه جهلاء متأخره إلى أوج الفخر بسرعه مذهله،فكانت الأمه المسلمه التى أذهلت الدنيا! إلاّ أن هذا المشهد-على كل حال-كان غاليا و صعبا على فرعون و قومه، بالرغم من أنّه طبّق تهديداته-طبقا لبعض الروايات-فاستشهد على يديه السحره المؤمنون-إلاّ أن ذلک لم يطفئ عواطف الناس تجاه موسى فحسب،بل أثارها

أكثر فأكثر!...

ففى كل مكان كانت اصـداء النّبى الجديـد...و فى كل حدب و صوب حديث عن أوائل الشـهداء المؤمنين،و هكذا آمن جماعه بهذا النحو،حتى أن جماعه من قوم فرعون و أصحابه المقربين حتى زوجته،آمنوا بموسى ايضا.

و هنا ينقدح هذا السؤال،و هو:كيف عبر السحره التائبون المؤمنون عن أنفسهم بأنّهم أوّل المؤمنين...

هـل كـان مرادهم أنّهم أوّل المـؤمنين فى ذلـك المشـهد؟! أو كـان مرادهم أنّهم أوّل المؤمنين من حمـاه فرعون؟! أو أنّهم أوّل المؤمنين الذين وردوا«الشهاده».

كل هذه الأمور محتمله،و لا تتنافى فى ما بينها.

و هذه التفاسـير إنّما تصحّ فى صوره ما لو قلنا بأنّ جماعه من بنى إسـرائيل أو من غيرهم آمنوا بموسى قبل ذلك،أما لو قلنا بأنّهم أمروا بعـد البعثه أن يتصـلوا بفرعون مباشـره و أن يوردوا الضـربه الأولى عليه،فلا يبعد أن يكونوا أول المؤمنين،و لا حاجه عندئذ إلى تفسير آخر.

ص :۳۷۶

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۵۲ الی ۵۹]

اشاره

وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی أَنْ أَسْرِ بِعِبادِی إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (۵۲) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ (۵۳) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِیلُونَ (۵۴) وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ (۵۵) وَ إِنّا لَجَمِیعٌ حاذِرُونَ (۵۶) فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنّاتٍ وَ عُیُونٍ (۵۷) وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِیمٍ (۵۸) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِی إِسْرائِیلَ (۵۹)

التّفسیر

اشاره

مصیر الفراعنه:

فی الآیات المتقدمه...رأینا کیف أنّ موسی خرج منتصرا من تلک المواجهه.

رغم عدم إیمان فرعون و قومه إلّا أن هذه القضیه کان لها عده آثار مهمّه،یعدّ کلّ منها انتصارا مهمّا:

۱-آمن بنو إسرائیل بنبیّهم«موسی علیه السّلام»و التفّوا حوله بقلوب موحّده...لأنّهم بعد سنوات طوال من القهر و التعسف و الجور یرون نبیّا سماویا فی أوساطهم یضمن هدایتهم و علی استعداد لأنّ یقود ثورتهم نحو الحریه و تحقیق النصر علی فرعون.

ص :۳۷۷

۲-لقد شقّ موسى عليه السّلام طريقه وسط أهل مصر من الأقباط و غيرهم...و مال إليه جمع منهم،أو على الأقل خافوا من مخالفته،و طافت أصداء دعوه موسى فى أرجاء مصر جمعاء! ۳-و أهمّ من كل ذلك أنّ فرعون لم ير فى نفسه القدره-لا من جهه أفكار عامّه الناس،و لا من جهه الخوف على مقامه-على مواجهه رجل له عصا كهذه العصا،و لسان مؤثر كلسان موسى.

هذه الأمور هيأت أرضيه ملائمه لأن ينشر موسى عليه السّلام دعوته بين الناس،و يتمّ الحجه عليهم! و مرّت سنون طوال على هذا المنوال،و موسى عليه السّلام يظهر المعاجز تلو المعاجز -كما أشارت إليها سوره الأعراف و بينّاها فى ذيل الآيات ۱۳۰-۱۳۵ منها-إلى جانب منطقه المتين، حتى ابتلى اللّه أهل مصر بالقحط و الجذب لسنوات لعلهم يتّقون«لمزيد الإيضاح لا بأس بمراجعه تفسير الآيات آنفه الذكر»...

و لمّا أتمّ موسى على أهل مصر الحجه البالغه،و امتازت صفوف المؤمنين من صفوف المنكرين،نزل الوحى على موسى أن يخرج بقومه من مصر،و الآيات التاليه تجسد هذا المشهد فتقول أوّلا: وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ .

و هذه خطه إلهيه على موسى عليه السّلام أن يمتثلها و يسرى بقومه ليلا،و إنّ على فرعون و قومه أن يعلموا ذلك فيتبعوهم ليحدث ما يحدث بأمر اللّه.

و التعبير ب«عبادى»بضمير الإفراد،مع أن الفعل(أوحينا)فى الجمله ذاتها مسند إلى ضمير الجمع،إنّما هو لبيان منتهى محبه اللّه لعباده المؤمنين...

و فعلا امتثل موسى عليه السّلام هذا الأمر،و عبأ بنى إسرائيل بعيدا عن أعين أعدائهم، و أمرهم بالتحرك،و اختار الليل خاصّه لتنفيذ أمر اللّه لتكون خطته نافذه.

إلاّ أن من البديهى أن حركه جماعه بهذا الشكل ليس هينا يسيرا يمكن

إخفاؤه لزمان طويل،فما كان أسرع أن رفع جواسيس فرعون هذا الخبر إليه، و كما يحدثنا القرآن عن ذلك أن فرعون أرسل رسله و أعوانه الى المدن لجمع القوات: فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ .

بالطبع فإنّ فى تلك الظروف،وصول إبلاغ فرعون إلى المدائن، و جميع مناطق مصر،يحتاج إلى زمان معتنى به لكن من الطبيعى أن يصل هذا البلاغ المدن القريبه بسرعه و تتحرك القوى المعدّه فورا،و تؤدى مقدمه الجيش مهمّتها،و تتبعها بقيه الأفواج بالتدريج...

و لتعبئه الناس-ضمنا-و تهيئه الأرضيه لإثارتهم ضد موسى و قومه،أمر فرعون أن يعلن إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ .

فبناء على ذلك فنحن منتصرون عند مواجهتنا لهذه الفئه القليله حتما.

و«الشرذمه»فى الأصل تعنى القله من الجماعه،كما تعنى ما تبقى من الشيء،و يطلق على اللبوس الممزق الخلق«شراذم»،فبناء على هذا يكون المعنى أنّ هؤلاء«أى موسى و قومه»بالإضافه إلى أنّهم قليلون فهم متفرقون،فكأن فرعون،بهذا التعبير أراد أن يجسم عدم انسجام بنى إسرائيل من حيث أعداد الجيش فيهم...

ثمّ تضيف الآيه الأخرى حاكيه عن لسان فرعون وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ فمن يسقى مزارعنا غدا،و من يبنى لنا القصور؟و من يخدم فى البيوت و القصور غيرهم؟! ثمّ إنّا من مؤامرتهم يجب أن نكون على حذر سواء أقاموا أم رحلوا: وَ إِنّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ و مستعدون جميعا لمواجهتهم.

و قد فسّر بعضهم«حاذرون»على أنها من الحذر،بمعنى الخوف و الخشيه من التآمر،و فسّر بعضهم(حاذرون)على أنها من الحذر،بمعنى الفطنه و التهيؤ من حيث السلاح و القوّه.إلاّ أن هذين التّفسيرين لا منافاه بينهما،فربّما كان فرعون

و قومه قلقين من موسى و مستعدين لمواجهته أيضا.

ثمّ يذكر القرآن النتيجه الإجماليه لعاقبه فرعون و قومه و زوال حكومته، و قيام حكومه بنى إسرائيل،فيقول: فَأَخْرَجْنٰاهُمْ مِنْ جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ... وَ كُنُوزٍ وَ مَقٰامٍ كَرِيمٍ .

أجل كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنٰاهٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ .

و هناك اختلاف بين المفسّرين فى المراد من كلمه مَقٰامٍ كَرِيمٍ ،فقال بعضهم بأنّها القصور المجلله و المساكن المظلله...

و قال بعضهم بأنّها المجالس المنعقده بالحبور و السرور و النشاط.

و قال بعضهم:المراد مقام الحكام و الأمراء،الذين يجلسون على كراسيهم و من حولهم أتباعهم و جنودهم يمتثلون أوامرهم...

و قال بعضهم:بل يعنى المنابر التى كان يصعدها الخطباء«المنابر التى كانت لصالح فرعون و حكومته و جهازه فهى بمثابه أبواق إعلام له».

و بالطبع فإن المعنى الأوّل أنسب من الجميع كما يبدو،رغم أن هذه المعانى غير متباينه و من الممكن أن تجتمع هذه المعانى جميعا فى مفهوم الآيه...

فالمستكبرون(فرعون و قومه)أخرجوا من قصورهم و حكومتهم و موقعهم و قدرتهم،كما أخرجوا من مجالسهم المنعقده بالحبور و السرور.

ملاحظتان

اشاره

۱-هل حكم بنو إسرائيل فى مصر؟!

على أساس تعبير الآيات المتقدمه كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنٰاهٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ ...فإنّ جمعا من المفسّرين يعتقدون أن بنى إسرائيل عادوا إلى مصر و سيطروا على

الحكم،و مكثوا فی مصر حاکمین مدّه. (۱)

و ظاهر الآیات المتقدمه یناسب هذا التّفسیر.

فی حین أن بعض المفسّرین یعتقد أن بنی إسرائیل تحرکوا نحو بیت المقدس بعد هلاک فرعون و أتباعه،إلّا أنّهم بعد مدّه مدیده رجعوا إلی مصر و شکلوا فیها حکومتهم. (۲)

و تتطابق فصول التوراه الحالیه المتعلقه بهذا القسم مع هذا التّفسیر.

و یعتقد بعض آخر من المفسّرین أن بنی إسرائیل صاروا جماعتین أو فئتین، فجماعه منهم بقیت فی مصر و حکمت فیها،و تحرکت جماعه منهم مع موسی نحو بیت المقدس.

و ذکر احتمال آخر،و هو أن بنی إسرائیل حکموا مصر بعد موسی علیه السّلام و فی زمان النّبی سلیمان بن داود،و الآیه کَذٰلِکَ وَ أَوْرَثْنٰاهٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ ناظره إلی هذا المعنی! إلّا أنّه مع ملاحظه أن موسی علیه السّلام نبی ثائر کبیر،فمن البعید جدّا أن یترک هذه الأرض التی تهاوت أرکان حکومتها و قد أصبحت مقالید أمورها بیده فیذرها کلیا دون أن یخطط لها خطه و یتجه نحو فلسطین و بیت المقدس و الصحاری الشاسعه، و لا سیما أن بنی إسرائیل قد سکنوا مصر لسنین طوال،و تعودوا علی محیطها، فبناء علی هذا لا یخرج الأمر من أحد حالین...أمّا أن نقول:إن بنی إسرائیل عادوا جمیعا إلی مصر و حکموا فیها،أو أن نقول:إن قسما منهم بقوا فی مصر بأمر موسی علیه السّلام و استولوا علی العرش و حکموا فی مصر!...و فی غیر هاتین الحالین لا یتجلّی مفهوم لإخراج الفراعنه منها و وراثه بنی إسرائیل لها...

ص: ۳۸۱

---

۱ - ۱) -راجع مجمع البیان و القرطبی:ذیل الآیات محل البحث،کما أن الألوسی فسّر هذا الموضوع فی روح المعانی تفسیرا یستحق النظر!

۲- ۲) -روح المعانی ذیل الآیات محل البحث.

۲-ترتیب الآیات

یشرح القرآن فیما یأتی من الآیات کیفیه غرق فرعون و اتباعه،و هـذا الأمر یدعو إلی التساؤل:کیف یذکر القرآن إخراج فرعون و قومه من جنات و عیون و کنوز و مقام کریم و إیراثه«ذلک»بنی إسرائیل!ثمّ یذکر کیفیه غرق فرعون و قومه؟مع أن الترتیب الطبیعی للآیات لیس کذلک...

هـذا الأمر ربّما یکون من قبیل بیان الإجمال ثمّ التفصیل،أی أن القرآن ذکر الموضوع أوّلا بصوره مجمله،ثمّ وضحه فی الآیات الاخر! کما یمکن أن یکون من قبیل ذکر النتیجه،ثمّ شرح المقدمات«فتدبر».

ص:۳۸۲

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۶۰ الی ۶۸]

اشاره

فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِینَ (۶۰) فَلَمّا تَراءَا اَلْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسی إِنّا لَمُدْرَکُونَ (۶۱) قالَ کَلاّ إِنَّ مَعِی رَبِّی سَیَهْدِینِ (۶۲) فَأَوْحَیْنا إِلی مُوسی أَنِ اِضْرِبْ بِعَصاکَ اَلْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَکانَ کُلُّ فِرْقٍ کَالطَّوْدِ اَلْعَظِیمِ (۶۳) وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ اَلْآخَرِینَ (۶۴) وَ أَنْجَیْنا مُوسی وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِینَ (۶۵) ثُمَّ أَغْرَقْنَا اَلْآخَرِینَ (۶۶) إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (۶۷) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ اَلْعَزِیزُ اَلرَّحِیمُ (۶۸)

التّفسیر

اشاره

عاقبه فرعون و أتباعه الوخیمه

فی هذه الآیات یبرز المشهد الأخیر من قصّه موسی و فرعون،و هو کیفیه هلاک فرعون و قومه،و نجاه بنی إسرائیل و انتصارهم! و کما قرأنا فی الآیات المتقدمه فإنّ فرعون أرسل المدائن حاشرین،و هیأ مقدارا کافیا من«القوّه»و الجیش،قال بعض المفسّرین:کان ما أرسله فرعون علی أنّه مقدمه الجیش ستمائه ألف مقاتل،و تبعهم نفسه بألف ألف مقاتل«أی

مليون». (۱)

تحركوا فى جوف الليل ليدركوهم بسرعه،فبلغوهم صباحا كما تقول الآيه الأولى من الآيات محل البحث: فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (۲)
فَلَمّا تَرٰاءَا الْجَمْعٰانِ قٰالَ أَصْحٰابُ مُوسىٰ إِنّا لَمُدْرَكُونَ .

فأما منا بحر خضم متلاطم بالأمواج،و من ورائنا بحر من الجيوش المتعطشه للدماء بتجهيزاتها الكامله...هؤلاء الغاضبون علينا و هم الـذين قتلوا أطفالنا الأبرياء سـنين طوالا...و فرعون نفسه رجل دموى جبار...فعلى هـذا سيحاصـروننا بسـرعه،و يقتلوننا جميعا بحدّ السيوف،أو سيأسروننا و يعذبوننا،و القرائن جميعها تدل على ذلك.

و هنا مرّت لحظات عسـيره على بنى إسـرائيل...لحظات مرّه لا يمكن وصف مرارتها...و لعل جماعه منهم تزلزل إيمانهم و فقـدوا معنوياتهم و روحياتهم.

إلاّـ أنّ موسـى عليه السّـلام كـان مطمئنـا هادئ البال،و كان يعرف أن وعـد اللّه فى هلاك فرعون و قومه و نجاه بنى إسـرائيل لا يتخلف أبدا و لن يخلف اللّه وعده رسله!...

لذلك التفت إلى بنى إسرائيل الفزعين بكمال الاطمئنان و الثقه و قٰالَ كَلاّٰ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ .

و لعلّ هذا التعبير يشير إلى وعد اللّه لموسى و أخيه هارون حين أمرهما بإنذار قومهما،إذ قال لهما:إنى معكما أسمع و أرى. (۳)

إذ كان موسـى يعلم أن اللّه معه فى كل مكان،و خاصّه تعويله فى كلامه على كلمه(ربّى)أى اللّه المالك و المربّى هذا يدل على أنّ موسى عليه السّلام كان يدرى أنّه

۱- ۱) -كلمه مليون و أخواتها(مليار،بليون إلخ)من مصطلحات العصر و هى غير عربيه،و كان العرب يقولون ألف ألف.

۲- ۲) -قال بعض المفسّرين:المراد من«مشرقين»،أن بنى إسرائيل ساروا نحو الشرق،و اتّباع فرعون و قومه بالاتجاه نفسه، لأنّ بيت المقدس يقع شرق مصر!

۳- ۳) -سوره طه،الآيه ۴۶.

لا یطوی هذا الطریق بخطاه،بل بلطف اللّه القادر الرحیم...

و فی هـذه الحال التی قـد یکون البعض سـمعوا کلامه دون أن یصدقوه،و کانوا ینتظرون آخر لحظات حیاتهم،صدر أمر اللّه کما یقول القرآن: فَأَوْحَیْنا إِلیٰ مُوسیٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصٰاکَ الْبَحْرَ... .

تلک العصـا التی هی فی یوم آیه إنـذار،و فی یوم آخر آیه رحمه و نجاه! فامتثل موسـی علیه السّلام أمر ربه فضـرب البحر،فإذا أمـامه مشــهد رائع عجیب، تهللت لـه أســاریر وجـوه بنی إسـرائیل،إذا انشـقّ البحر فَانْفَلَقَ فَکٰانَ کُلُّ فِرْقٍ کَالطَّوْدِ الْعَظِیمِ ! و«انفلق»مأخوذ من«الفلق»و معناه الإنشـقاق و«فرق»من ماده«فرق» علی زنه«حلق»و معناه الانفصال! و بتعبیر آخر،کما یقول الراغب فی مفرداته:أن الفرق بین(فلق)و(فرق)هو أن الأوّل یشیر إلی الإنشقاق(أو الانشطار)و الثّانی یشیر إلی الانفصال، و لذا تطلق الفرقه و الفرق علی القطعه أو الجماعه التی انفصلت عن البقیّه!...

«الطود»معناه الجبل العظیم،و وصف الطود بالعظمه فی الآیه تأکید آخر علی معناه.

و علی کل حال،فإنّ اللّه الذی ینفذ أمره فی کل شـیء،و بأمره تموج البحار و تتصرف الریاح و تتحرک العواصف و کل شـیء فی عـالم الوجود من رشـحات فضـله و قـدرته أصـدر أمره الی البحر،و أمواجه،فالتحمت الأمواج و تراکمت بعضـها إلی بعض،و ظهرت ما بینها طرق سالکه،فمرّت کل فرقه من بنی إسـرائیل فی إحدی الطرق! إلاّ أنّ فرعون و أتباعه بالرغم من مشاهدتهم هذه المعجزه الکبری الواضـحه لم یـذعنوا للحق،و لم ینزلوا عن مرکب غرورهم،فاتبعوا موسـی و رهطه لیبلغوا مصـیرهم المحتوم،کما یقول القرآن فی هذا الشأن: وَ أَزْلَفْنٰا ثَمَّ الْآخَرِینَ ...

و هكـذا ورد فرعون و قومه البحر أيضا،و اتبعوا عبيـدهم القـدماء الذين استرقّوهم بطغيانهم،و هم غافلون عن أن لحظات عمرهم تقترب من النهايه،و أن عذاب اللّه سينزل فيهم! و تقول الآيه التاليه: وَ أَنْجَيْنٰا مُوسىٰ وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ .

و حين خرج آخر من كان من بنى إسرائيل من البحر،و دخل آخر من كان من أتباع فرعون البحر،صـدر أمر اللّه فعادت الأمواج إلى حالتها الأولى فانهالت عليهم فجأه،فهلك فرعون و قومه فى البحر،و صار كل منهم كالقشّه فى وسط الأمواج المتلاطمه.

و يبيّن القرآن هذه الحاله بعباره موجزه متينه فيقول: ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ...

و هكـذا انتهى كل شـىء فى لحظه واحـده...فالأرقاء أصـبحوا أحرارا،و هلك الجبابره،و انطوت صـفحه من صـفحات التأريـخ،و انتهت تلك الحضاره المشيده على دماء المستضعفين،و ورث الحكومه و الملك المستضعفون بعدهم.

أجل إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ فكأنّ فى أعينهم عمى،و فى آذانهم و قرا،و على قلوب أقفالا.

فحيث لاـ يؤمن فرعون و قومه مع مـا رأوا من المشاهـد العجيبه،فلاـ تعجب إذا ألاّـ يؤمن بـك المشـركون-يا محمـد-و لا تحزن عليهم لعـدم إيمـانهم،فالتاريـخ- يحمل بين طياته و ثناياه كثيرا من هـذه المشاهـد! و التعبير ب«أكثرهم»إشاره إلى أن جماعه من قوم فرعون آمنوا بموسى و التحقوا بأصحابه،لا آسيه امرأه فرعون فحسب،و لا رفيق موسى المخلص المذكور فى القرآن على أنه مؤمن من آل فرعون،بل آخرون أيضا كالسحره التائبين مثلا.

أمّا آخر آيه من هـذه الآيات فتشير فى عباره موجزه و ذات معنى غزير إلى قدره اللّه و رحمته المطلقه و اللامتناهيه،فتقول: وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ .

ص :٣٨٦

فمن عزته أنه متى شاء أن يهلك الأمم المسرفه الباغيه أصدر أمره فأهلكها، و لا يحتاج أن يرسل جنودا من ملائكه السماء لإهلاك أمّه جبّاره...فيكفى أن يهلكها بما هو سبب حياتها،كما أهلك فرعون و قومه بالنيل الذى كان أساس حياتهم و ثروتهم و قدرتهم،فإذا هو يقبرهم فيه!! و من رحمته أنّه لا يعجل فى الأمر أبدا،بل يمهل سنين طوالا.و يرسل معاجزه إتماما للحجه،و من رحمته أن يخلص هؤلاء المستعبدين من قبضه الجبابره الظالمين.

مسائل مهمه:

اشاره

۱-معبر بنى إسرائيل!

ورد التعبير فى القرآن مرارا عن موسى أنه عبر بقومه«البحر» (۱) كما جاء فى بعض الآيات لفظ«اليمّ»بدلا من البحر. (۲)

و الآن ينبغى أن نعرف ما المراد من«البحر»و«اليم»هنا،أهو إشاره إلى النهر الكبير الواسع فى مصر،النيل الذى يروى جميع أراضيها؟أم هو إشاره إلى البحر الأحمر«المعروف ببحر القلزم فى بعض المصطلحات»؟ يستفاد من التوراه الحاليه-و كذلك من كلمات بعض المفسّرين-أنه إشاره إلى البحر الأحمر...إلّا أن القرائن الموجوده و المتوفره تدل على أنّ المراد منه هو نهر النيل،لأن«البحر»كما يقول الراغب فى مفرداته يعنى فى اللغه الماء الكثير الواسع،و اليم بهذا المعنى أيضا.فلا مانع إذا من إطلاق الكلمتين على نهر النيل.

و أمّا القرائن المؤيده لهذا الرأى فهى:

ص: ۳۸۷

۱- ۱) -اقرأ فى سوره«يونس:الآيه ۹۰-و طه الآيه ۷۷-و الشعراء الآيه ۶۳،و الآيه محل البحث أيضا.

۲- ۲) -اقرأ سوره طه الآيه ۷۸-و القصص الآيه ۴۰-و الذاريات الآيه ۴۰.

۱-أنّ منطقه سكن الفراعنه التى كانت مركزا لمدن مصر العامره كانت نقطه قريبه من النيل حتما...و إذا أخذنا بنظر الإعتبار معيار محلهم الفعلى«الأهرام» أو ما حولها،فإنّ بنى إسرائيل لا بدّ لهم أن يعبروا نهر النيل ليصلوا إلى الأرض المقدسه،لأن هذه المنطقه تقع غرب النيل و لا بدّ لهم من أن يتجهوا نحو الشرق للوصول إلى الأرض المقدسه!«فلاحظوا بدقه»! ۲-أنّ الفاصله بين المناطق العامره (۱) من مصر و التى هى قريبه من النيل بالطبع،بعيده عن البحر الأحمر بحيث لا يمكن أن تطوى المسافه بينها و بين البحر بليله أو نصف ليله...

و يستفاد من الآيات المتقدمه بوضوح أن بنى إسرائيل غادروا أرض الفراعنه ليلا،و طبيعى أن تكون المغادره فى الليل.أمّا فرعون و جيشه فقد اتبعوهم حتى بلغوهم مشرقين«عند الصباح».

۳-لم تكن حاجه ليعبر بنو إسرائيل البحر الأحمر حتى يصلوا الأرض المقدسه،إذ كانت هناك منطقه يابسه ضيقه قبل حفر ترعه السويس«أو ما يصطلح عليها بقناه السويس»...إلاّ أن نفترض أن البحر الأحمر كان متصلا بالبحر الأبيض المتوسط فى الزمن السابق،و لم تكن هناك منطقه يابسه،و هذا الفرض غير ثابت بأىّ وجه!...

۴-يعبّر القرآن عن قصه موسى بإلقائه فى«اليم»«من قبل أمه»الآيه ۳۹ من سوره طه،كما يعبر عن غرق فرعون و أتباعه بقوله: فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مٰا غَشِيَهُمْ الآيه ۷۸ من السوره ذاتها.و كلتا القضيتين فى قصه واحده و سوره واحده أيضا(طه)و كون اللفظين مطلقين-(اليم)فى الآيه السابقه و(اليم)فى الآيه اللاحقه-يشعر بأنّهما واحد... و مع ملاحظه أن أمّ موسى لم تلق موسى فى

ص:۳۸۸

۱- ۱) -العامره هنا اسم فاعل بمعنى المفعول أى المعموره.

البحر الأحمر قطعا،بل ألقته فى النيل طبقا لما تذكره التواريخ،فيعلم أن غرق فرعون و قومه كان فى النيل«فلاحظوا بدقّه».

۲-كيفيه نجاه بنى إسرائيل و غرق فرعون و قومه

هناك بعض المفسّرين ممن لا يميل إلى كون نجاه بنى إسرائيل و غرق فرعون و قومه معجزه،بل حادثه طبيعيه،كما يصرّون على ذلك،فوجّهوا ذلك كله بأسباب طبيعيه.

لذلك قالوا:إنّ هذا الموضوع يمكن تطبيقه بواسطه الجسور المتحركه المستعمله فى العصر الحديث. (۱)

و قال بعضهم:إنّ موسى عليه السّلام كان مطلعا على طرق خاصّه،و كان يمكنه العبور من البرازخ(أو الطرق الموجوده فى بحر سوف)أى خليج السويس،إلى جزيره سيناء.و انفلاق البحر-فى الآيات محل البحث-إشاره إلى هذا المعنى (۲) ...

و قال بعضهم:من المحتمل جدا أن يكون وصول موسى و قومه البحر عند منتهى جزره،فاستطاع أن يعبر بهم من النقاط اليابسه و يجتازها بسرعه،و لكن عند ما ورد فرعون و قومه البحر شرع المدّ فورا فأغرقوا بالنيل حينئذ و هلكوا...

و لكن الحق أن أيّا من هذه الاحتمالات لا ينسجم و ظاهر الآيات-إن لم نقل و صريح الآيات-و مع قبول معاجز الأنبياء الوارد بيانها مرارا فى سور القرآن، و خاصّه معجزه عصا موسى نفسها،فلا حاجه لمثل هذه التوجيهات...

فما يمنع أن تتراكم أمواج النيل بعد ضربها من قبل موسى بالعصا بأمر اللّه الحاكم على قانون العليّه فى عالم الوجود،و تنجذب متأثره بما فيها من سرّ غامض،لتترك طريقا يبسا بيّنا(يمرّ فى وسط البحر)ثمّ تتلاشى هذه الجاذبيّه بعد

۱- ۱) -أعلام القرآن،ص ۶۲۲.

۲- ۲) -المصدر السابق.

مده،و يعود البحر إلى حالته الطبيعيه و إلى أمواجه المتلاطمه!... و ليس هذا استثناء فى قانون العليّه،بل هو اعتراف بتأثير علل غير معتاده،لا نعرفها لقصور علمنا أو لقلّه معلوماتنا!

۳-اللّه عزيز رحيم

ينبغى ملاحظه هذه اللطيفه،إذ جاءت الآيه الأخيره-من الآيات محل البحث-بمثابه استنتاج لما جرى من أمر موسى و فرعون و قومهما،و انتصار جيش الحق و انهزام الباطل!إذ تصف هذه الآيه«اللّه»سبحانه بالعزيز الرحيم...

فالوصف الأوّل إشاره إلى أنّ قدرته لا تضعف و لا تقهر،و الوصف الثّانى إشاره إلى أنه يوصل رحمته لعباده جميعا،و خاصّه بتقديم وصف(العزيز)على(الرحيم)لئلا يتوهّم أن رحمته من منطلق الضعف،بل هو مع قدرته رحيم!...

و بالطبع فإنّ من المفسّرين من يرى أن وصفه بالعزيز إشاره إلى اندحار أعدائه،و وصفه بالرحيم إشاره إلى انتصار أوليائه،إلاّ أنه لا مانع أبدا أن يشمل الوصفان الطائفتين معا...لأنّ الجميع ينعمون برحمته حتى المسيئون...و الجميع يخافون من سطوته حتى الصالحون...

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۶۹ الی ۸۲]

اشاره

وَ اُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرٰاهِيمَ (۶۹) إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مٰا تَعْبُدُونَ (۷۰) قٰالُوا نَعْبُدُ أَصْنٰاماً فَنَظَلُّ لَهٰا عٰاكِفِينَ (۷۱) قٰالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (۷۲) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (۷۳) قٰالُوا بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ (۷۴) قٰالَ أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۷۵) أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمُ اَلْأَقْدَمُونَ (۷۶) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاّٰ رَبَّ اَلْعٰالَمِينَ (۷۷) اَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (۷۸) وَ اَلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ (۷۹) وَ إِذٰا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (۸۰) وَ اَلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (۸۱) وَ اَلَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ اَلدِّينِ (۸۲)

التّفسير

اشاره

أعبد ربّا...هذه صفاته:

كما ذكرنا فى بدايه هذه السوره،فإنّ اللّه يبيّن حال سبعه من الأنبياء العظام، و مواجهاتهم أقوامهم لهدايتهم، لتكون«مدعاه»تسليه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين القلّه معه فى عصره،و فى الوقت ذاته إنذار لجميع الأعداء و المستكبرين أيضا...

ص: ۳۹۱

لذلك تعقّب هذه الآيات على قصّه موسى و فرعون المليئه بالدروس لتبيّن قصه إبراهيم و مواجهاته المشركين،و تبدأ هذه الآيات بمحاوره إبراهيم لعمه آزر (۱) فتقول:

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرٰاهِيمَ

.

و من بين جميع الأخبار المتعلقه بهذا النبيّ العظيم يركّز القرآن الكريم على هذا القسم: إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مٰا تَعْبُدُونَ ؟ و من المسلّم به أنّ إبراهيم كان يعلم أيّ شيء يعبدون،لكن كان هدفه أن يستدرجهم ليعترفوا بما يعبدون،و التعبير ب«ما»مبيّن ضمنا نوعا من التحقير! فأجابوه مباشره قٰالُوا نَعْبُدُ أَصْنٰاماً فَنَظَلُّ لَهٰا عٰاكِفِينَ !و هذا التعبير يدلّ على أنّهم يحسّوا بالخجل من عملهم هذا،بل يفتخرون به،إذا كان كافيا أن يجيبوه:

نعبد أصناما،إلاّ أنّهم أضافوا هذه العباره: فَنَظَلُّ لَهٰا عٰاكِفِينَ ! التعبير ب«نظلّ»يطلق عاده على الأعمال التى تؤدى خلال اليوم،و ذكره بصيغه الفعل المضارع إشاره إلى الاستمرار و الدوام.

كلمه«عاكفين»مأخوذه من«العكوف»،و معناه التوجه نحو الشيء و ملازمته باحترام،و هى تأكيد لما سبق من التعبير.

«الأصنام»جمع الصنم،و هو الهيكل أو التمثال المصنوع من الذهب أو الخشب أو ما شاكلهما للعباده،و كانوا يتصورون أنها مظهر للتقديس...

و على كل حال،فإنّ إبراهيم لما سمع كلامهم رشقهم بنبال الإشكال و الاعتراض بشدّه،و قمعهم بجملتين حاسمتين جعلهم فى طريق مغلق،ف قٰالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ؟! إن أقلّ ما ينبغى توفره فى المعبود هو أن يسمع نداء عابده،و أن ينصره فى

۱- ۱) -بيّنا مرارا أنّ لفظ«الأب»يطلق فى لغه العرب و القرآن على الوالد كما يطلق على العم،و هنا استعمل هذا اللفظ بمعناه الثانى.

البلاء،أو يضره عند مخالفه أمره!...

إلاّ أن هذه الأصـنام ليس فيها ما يدلّ على أن لها أقلّ إحساس أو شعور أو أدنى تأثير فى عواقب الناس،فهى أحجار أو فلزات«أو معادن أو خشب لا قيمه لها!و إنّما أعطتها الخرافات هذه الهاله و هذه القيمه الكاذبه!...

إلاـ أن عبـده الأصـنام الجهله المتعصبين واجهوا سؤال إبراهيم بجوابهم القـديم الـذى يكررونه دائمـا،ف قَالُوا بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ .

و هـذا الجواب الذى يكشف عن تقليدهم الأعمى لأسـلافهم الجهله هو الجواب الوحيد الذى اسـتطاعوا أن يردّوا به على إبراهيم عليه السّـلام،و هو جواب دليـل بطلانه كـامن فيه،و ليس أى عاقل يجيز لنفسه أن يقفو أثر غيره و يصم أذنيه و يغمض عينيه،و لا سيما أن تجارب الخلف أكثر من السلف عاده،و لا يوجد دليل على تقليدهم الأعمى!...

و التعبير ب كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ تأكيد أكثر على تقليدهم،أى نفعل كما كانوا يفعلون،سواء عبدوا الأصنام أم سواها.

فـالتفت إبراهيم موبّخـا لهم و مبينـا موقفه منهم و قٰالَ أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلاّٰ رَبَّ الْعٰالَمِينَ ...

أجل...إنّهم جميعا أعدائى و أنا معاديهم،و لا أسالمهم أبدا...

و ممّا ينبغى الالتفات إليه أن إبراهيم الخليل عليه السّـلام يقول:«فإنّهم عـدوّ لى»و إن كان لازم هـذا التعبير أنّه عـدوّ لهم أيضا،إلاّ أن هذا التعبير لعله ناشـئ من أن عباده الأصـنام أساس الشقاء و الضلال و عذاب الدنيا و الآخره«للإنسان»،و هذه الأمور فى حكم عـداوتها للإنسان.أضف إلى ذلك أنه يسـتفاد من آيات متعـدده من القرآن أن الأصـنام تبرأ من عبدتها يوم القيامه و تعاديهم،و تحاججهم بأمر اللّه و تنفر

منهم. (۱)

و استثناء ربّ العالمين مع أنّه لم يكن من معبوداتهم،و كما يصطلح عليه استثناء منقطع،إنّما هو للتأكيد على التوحيد الخالص.

كما يرد هذا الاحتمال و هو أن من بين عبده الأصنام من كان يعبد اللّه إضافه إلى عباده الأصنام،فاستثنى إبراهيم«ربّ العالمين»من الأصنام،رعايه لهذا الموضوع...

و ذكر الضمير«هم»الذی يستعمل عاده للجمع«فی العاقلين»و قد ورد فی شأن الأصنام،لما ذكرناه من بيان آنفا...

ثمّ يصف إبراهيم الخليل ربّ العالمين و يذكر نعمه المعنويه و المادّيه، و يقايسها بالأصنام التی لا تسمع الدعاء و لا تنفع و لا تضرّ،ليتّضح الأمر جليّا...

فيبدأ بذكر نعمه الخلق و الهدايه فيقول: اَلَّذِی خَلَقَنِی فَهُوَ يَهْدِينِ فقد هدانی فی عالم التكوين،و وفر لی وسائل الحياه الماديه و المعنويه،كما هدانی فی عالم التشريع فأوحی إلیّ و أرسل إلیّ الكتاب السماوی...

و ذكر«الفاء»بعد نعمه الخلق،هو إشاره إلى أن الهدايه لا تنفصل عن الخلق أبدا،و جمله(يهدين)الوارده بصيغه الفعل المضارع،دليل واضح على استمرار هدايته،و حاجه الإنسان إليه فی جميع مراحل عمره! فكأن إبراهيم فی كلامه هذا يريد أن يبيّن هذه الحقيقه،و هی إنّنی كنت مع اللّه منذ أن خلقنی،و معه فی جميع الأحوال،و أشعر بحضوره فی حياتی،فهو وليی حيث ما كنت و يقلبنی حيثما شاء!...

و بعد بيان أولى مراحل الربوبيه،و هی الهدايه بعد الخلق،يذكر إبراهيم الخليل عليه السّلام النعم الماديه فيقول: وَ الَّذِی هُوَ يُطْعِمُنِی وَ يَسْقِينِ .

۱- ۱) -لمزيد الإيضاح فی هذا الصدد يراجع تفسير الآيه(۸۲)من سوره مريم.

أجل،إنّنى أرى النعم جميعا من لطفه،فلحمى و جلدى و طعامى و شرابى،كل ذلك من بركاته!...

و لست مشمولا بنعمه فى حال الصحه فقط،بل فى كل حال وَ إِذٰا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ .

و مع أنّ المرض أيضا قد يكون من اللّه،إلاّ أن إبراهيم نسبه إلى نفسه رعايه للأدب فى الكلام...

ثمّ يتجاوز مرحله الحياه الدنيا إلى مرحله أوسع منها...إلى الحياه الدائمه فى الدار الآخره،ليكشف أنه على مائده اللّه حيثما كان،لا فى الدنيا فحسب،بل فى الآخره أيضا.فيقول: وَ الَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ .

أجل،إنّ موتى بيده و عودتى إلى الحياه مرّه أخرى منه أيضا..

و حين أرد عرصات يوم القيامه أعلّق حبل رجائى على كرمه: وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ .

و ممّا لا شك فيه أن الأنبياء معصومون من الذنب،و ليس عليهم وزر كى يغفر لهم...إلاّ أنّه-كما قلنا سابقا-قد تعدّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين أحيانا،و قد يستغفرون أحيانا من عمل صالح لأنّهم تركوا خيرا منه...فيقال عندئذ فى حق أحدهم:ترك الأولى.

فإبراهيم عليه السّلام لا يعوّل على أعماله الصالحه،فهى لا شىء بإزاء كرم اللّه،و لا تقاس بنعم اللّه المتواتره،بل يعوّل على لطف اللّه فحسب،و هذه هى آخر مرحله من مراحل الانقطاع إلى اللّه!...

و ملخّص الكلام أن إبراهيم عليه السّلام من أجلّ أن يبيّن المعبود الحقيقى يمضى نحو خالقيّه اللّه أولا،ثمّ يبيّن بجلاء مقام ربوبيته فى جميع المراحل:

فالمرحله الأولى مرحله الهدايه.

ثمّ مرحله النعم الماديّه،و هى أعمّ من إيجاد المقتضى و الظروف الملائمه أو

دفع الموانع...

و المرحله الأخیره هی مرحله الحیاه الدائمه فی الدار الأخری،فهناک یتجلّی وجه الرب بالهبات و الصفح عن الذنوب و مغفرتها!...

و هکذا یبطل إبراهیم الخرافات التی کانت فی قومه،من تعدد الآلهه و الأرباب و ینحنی خضوعا للخالق العظیم.

ص:۳۹۶

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۸۳ الی ۸۷]

اشاره

رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصّالِحِینَ (۸۳) وَ اِجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی اَلْآخِرِینَ (۸۴) وَ اِجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَهِ جَنَّهِ اَلنَّعِیمِ (۸۵) وَ اِغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کانَ مِنَ اَلضّالِّینَ (۸۶) وَ لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ (۸۷)

التّفسیر

اشاره

دعاء إبراهیم علیه السّلام:

من هنا تبدأ أدعیه إبراهیم الخلیل و سؤالاته من اللّه،فکأنّه بعد أن دعا قومه الضالین نحو اللّه،و بیّن آثار الربوبیه المتجلیّه فی عالم الوجود...یتجه بوجهه نحو اللّه و یعرض عنهم،فکل ما یحتاجه فانه یطلبه من اللّه،لیکشف للناس و لعبده الأصنام أنه مهما أرادوه من شؤون الدنیا و الآخره،فعلیهم أن یسألوه من اللّه،و هو تأکید آخر-ضمنی-علی ربوبیته المطلقه.

فأوّل ما یطلبه إبراهیم من ساحته المقدسه هو رَبِّ هَبْ لِی حُکْماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصّالِحِینَ .

فالمقام الأوّل هنا الذی یریده إبراهیم لنفسه من اللّه هو الحکم،ثمّ الإلحاق

ص:۳۹۷

بالصالحين...

و«الحكم»و«الحكمه»کلاهما من جذر واحد...و«الحکمه»کما یقول عنها الراغب فی مفرداته:هی الوصول إلی الحق عن طریق العلم و معرفه الموجودات و الأفعال الصالحه،و بتعبیر آخر:هی معرفه القیم و المعاییر التی یستطیع الإنسان بها أن یعرف الحق حیثما کان،و یمیز الباطل فی أی ثوب کان،و هو ما یعبّر عنه عند الفلاسفه ب«کمال القوّه النظریه».

و هی الحقیقه التی تلقّاها لقمان من ربّه وَ لَقَدْ آتَیْنا لُقْمانَ الْحِکْمَهَ . (۱) و عبّر عنها بالخیر الکثیر فی الآیه(۲۶۹)من سوره البقره وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً .

و یبدو أنّ للحکم مفهوما أسمی من الحکمه...أی إنّه العلم المقترن بالاستعداد للتنفیذ و العمل،و بتعبیر آخر:إن الحکم هو القدره علی القضاء الصحیح الخالی من الهوی و الخطأ! أجل،إنّ إبراهیم علیه السّلام یطلب من اللّه قبل کل شیء المعرفه العمیقه الصحیحه المقرونه بالحاکمیّه،لأن أی منهج لا یتحقق دون هذا الأساس! و بعد هذا الطلب یسأل من اللّه إلحاقه بالصالحین،و هو إشاره إلی الجوانب العملیه،أو کما یصطلح علیها ب«الحکمه العملیه»فی مقابل الطلب السابق و هو «الحکمه النظریه»!...

و لا شک أن إبراهیم علیه السّلام کان یتمتع بمقام«الحکم»و کان فی زمره الصالحین أیضا...فلم سأل اللّه ذلک؟! الجواب علی هذا السؤال هو أنّه لیس للحکمه حد معین،و لا لصلاح الإنسان حدّ،فهو یطلب ذلک لیبلغ المراتب العلیا من العلم و العمل یوما بعد یوم،حتی و هو

۱- ۱) -سوره لقمان،الآیه ۱۲.

فی موقع النبوه، و أنه من أولی العزم..لا یکتفی بهذه العناوین...

ثمّ-إضافه إلی ذلک-فإنّ إبراهیم علیه السّلام یعلم أن کل ذلک من اللّه سبحانه،و من الممکن فی أی لحظه أن تسلب هذه المواهب أو تزل به القدم،لذا فهو یطلب دوامها من اللّه إضافه إلی التکامل،کما أننا نخطو و نسیر إن شاء اللّه فی الصراط المستقیم،و مع ذلک فکلّ یوم نسأل ربّنا فی الصلاه أن یهدینا الصراط المستقیم، و نطلب منه التکامل و مواصله هذا الطریق! و بعد هذین الطلبین...یطلب موضوعا مهما آخر بهذه العباره: وَ اجْعَلْ لِی لِسٰانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ .

أی اجعلنی بحال تذکرنی الأجیال الآتیه بخیر،و اجعل منهجی مستمرا بینهم فیتخذونی أسوه و قدوه لهم فیتحرکون و یسیرون فی منهاجک المستقیم و سبیلک القویم...

فاستجاب اللّه دعاء إبراهیم کما یقول سبحانه فی القرآن الکریم: وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ لِسٰانَ صِدْقٍ عَلِیًّا . (۱)

و لا یبعد أن یکون هذا الطلب شاملا لما سأله إبراهیم الخلیل ربه بعد بناء الکعبه،فقال: رَبَّنٰا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتٰابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُزَکِّیهِمْ . (۲)

و نعرف أن هذا الدعاء تحقق بظهور نبیّ الإسلام.و ذکر إبراهیم الخلیل بالخیر فی هذه الأمه عن هذا الطریق،و بقی هذا الذکر الجمیل مستمرا...

ثمّ ینظر إبراهیم إلی أفق أبعد من أفق الدنیا،و یتوجه إلی الدار الآخره، فیدعو بدعاء رابع فیقول: وَ اجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَهِ جَنَّهِ النَّعِیمِ .

«جنه النعیم»التی تتماوج فیها النعم المعنویه و المادیه،النعم التی لا زوال لها

ص: ۳۹۹

۱- ۱) -سوره مریم،الآیه ۵۰.

۲- ۲) -البقره،الآیه ۱۲۹.

و لا اضمحلال...النعم التی لا یمکن أن نتصورها نحن-سجناء الدنیا-فهی ما لا عین رأت و لا أذن سمعت!...

و قلنا سابقا:إن التعبیر بالإرث فی شأن الجنّه إمّا لأنّ معنی الإرث الحصول علی الشیء دون مشقّه و عناء،و من المسلّم أن تلک النعم التی فی الجنّه تقاس بطاعاتنا،فطاعاتنا بالنسبه لا تمثل شیئا إلیها!...أو أنّ ذلک-طبقا لما ورد فی بعض الرّوایات-لأن کل إنسان له بیت فی الجنه و آخر فی النار،فإذا دخل النّار ورث الآخرون بیته فی الجنّه...

و فی خامس أدعیته یتوجه نظره إلی عمّه الضالّ،و کما وعده أنّه سیستغفر له، فإنّه یقول فی هذا الدعاء: وَ اغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کانَ مِنَ الضّالِّینَ .

و هذا الوعد هو ما صرحت به الآیه(۱۱۴)من سوره التوبه إذ تحکی عنه وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَها إِیّاهُ !وعده من قبل،و کان هدفه أن ینفذ إلی قلبه عن هذا الطریق،و أن یجرّه إلی طریق الإیمان،لذلک قال له مثل هذا القول و عمل به أیضا...و طبقا لروایه عن ابن عباس أن إبراهیم علیه السّلام استغفر لعمّه آزر مرارا،إلاّ أنه حین غادر آزر الدنیا کافرا و ثبت عداؤه للدین الحق،قطع إبراهیم استغفار عن عمه، کما نری فی ذیل الآیه النص التالی: فَلَمّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . (1)

و أخیرا فإنّ دعاءه السادس من ربّه فی شأن یوم التغابن،یوم القیامه،بهذه الصوره وَ لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ .

(و لا تخزنی)،مأخوذ من ماده(خزی)علی زنه(حزب)و کما یقول الراغب فی مفرداته،معناه الذل و الانکسار الروحی الذی یظهر علی وجه الإنسان من

۱- ۱) -لمزید الإیضاح یراجع تفسیر الآیه ۱۱۴ سوره التوبه.

الحیاء المفرط،أو من جهه الآخرین حین یحرجونه و یخجلونه! و هذا التعبیر من إبراهیم،بالإضافه إلی أنه درس للآخرین،هو دلیل علی منتهی الإحساس بالمسؤولیه و الاعتماد علی لطف اللّه العظیم.

ص :۴۰۱

الآيات [سوره الشعراء (۲۶)]: الآيات ۸۸ الی ۱۰۴

اشاره

يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ (۸۸) إِلاّٰ مَنْ أَتَى اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۸۹) وَ أُزْلِفَتِ اَلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (۹۰) وَ بُرِّزَتِ اَلْجَحِيمُ لِلْغٰاوِينَ (۹۱) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۹۲) مِنْ دُونِ اَللّٰهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (۹۳) فَكُبْكِبُوا فِيهٰا هُمْ وَ اَلْغٰاوُونَ (۹۴) وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (۹۵) قٰالُوا وَ هُمْ فِيهٰا يَخْتَصِمُونَ (۹۶) تَاللّٰهِ إِنْ كُنّٰا لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۹۷) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۹۸) وَ مٰا أَضَلَّنٰا إِلاَّ اَلْمُجْرِمُونَ (۹۹) فَمٰا لَنٰا مِنْ شٰافِعِينَ (۱۰۰) وَ لاٰ صَدِيقٍ حَمِيمٍ (۱۰۱) فَلَوْ أَنَّ لَنٰا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۰۲) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۰۳) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۰۴)

التّفسير

اشاره

الخصام بين المشركين و معبوداتهم:

أشير فی آخر آيه من البحث السابق إلى يوم القيامه و مسأله المعاد...أمّا فی هذه الآيات فنلحظ تصوير يوم القيامه ببيان جامع،كما نلاحظ فيها أهم المتاع

ص:۴۰۲

«فی تلک السوق»،و عاقبه المؤمنین و عاقبه الکافرین و الضالین و جنود إبلیس، و یدلّ ظاهر الآیات أن هذا الوصف و هذا التصویر هو من کلام إبراهیم الخلیل، و أنه ختام دعائه ربّه،و هکذا یعتقد-أیضا-أغلب المفسّرین...و إن کان هناک من یحتمل أنه هو من کلام اللّه،و أن الآیات محل البحث هی منه سبحانه جاءت مکمله لکلام إبراهیم علیه السّلام و موضحه له،إلاّ أن هذا الاحتمال یبدو ضعیفا!...

و علی کل حال،فأوّل ما تبدأ به هذه الآیات هو یَوْمَ لاٰ یَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ .

و فی الحقیقه إنّ هاتین الدعامتین المهمتین فی الحیاه الدنیا«المال و البنون» لیس فیهما أدنی نفع لصاحبهما یوم القیامه،و کل ما کان دون هاتین الدعامتین رتبه من الأمور الدنیویه-من باب أولی-لا نفع فیه،و لا فائده من ورائه! و بدیهی أنّ المراد من المال و البنین هنا لیس هو ما یکون-من المال و البنین -فی مرضاه اللّه،بل المراد منه الاستناد إلی الأمور المادیّه،فالمراد إذا هو أن هذه الدعامات المادیه لا تحلّ معضلا فی ذلک الیوم...أمّا لو کان أیّ من البنین و المال فی مرضاه اللّه فلن یکون ذلک مادّیا.. إذ یصطبغ بصیغه اللّه و یعدّ من«الباقیات الصالحات»!...

ثمّ یضیف القرآن فی ختام الآیه،علی سبیل الاستثناء إِلاّٰ مَنْ أَتَی اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ .

و هکذا یتّضح أنّ أفضل ما ینجی یوم القیامه هو القلب السلیم،و یا له من تعبیر رائع جامع،تعبیر یتجسد فیه الإیمان و النیه الخالصه،کما یحتوی علی کل ما یکون من عمل صالح!و لم لا یکون لمثل هذا القلب من ثمر سوی العمل الصالح؟! و بتعبیر آخر:کما أن قلب الإنسان و روحه یؤثران فی أعماله،فإن أعماله لها أثر واسع فی القلب أیضا،سواء کانت أعمالا رحمانیه أم شیطانیه!...

ثمّ يبيّن القرآن الجنّه و النار بالنحو التالی فیقول: وَ أَزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ (۱) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِیمُ لِلْغاوِینَ .أی الضالین.

و هذا الأمر-فی الحقیقه-قبل ورود کلّ من أهل الجنّه و النار إلیهما!فکلّ طائفه تری مکانها من قریب..فیسرّ المؤمنون و یستولی الرعب علی الغاوین، و هذا أوّل جزائهما هناک! الطریف هنا أنّ القرآن لا یقول:اقترب المتقون أو أزلف المتقون إلی الجنه، بل یقول: وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِینَ و هذا یدل علی مقامهم الکریم و عظم شأنهم!...

کما ینبغی الإشاره إلی هذه اللطیفه،و هی أن التعبیر بالغاوین هو التعبیر ذاته الوارد فی قصه الشیطان،إذ طرده اللّه عن ساحته المقدسه فقال له: إِنَّ عِبادِی لَیسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغاوِینَ . (۲)

ثمّ یتحدث القرآن عن ملامه هؤلاء الضالین،و ما یقال لهم من کلمات التوبیخ أو العتاب،فیقول: وَ قِیلَ لَهُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فهل یستطیعون معونتکم فی هذه الشده التی أنتم فیها،أو أن یطلبوا منکم أو من غیرکم النصر و المعونه هَلْ یَنْصُرُونَکُمْ أَوْ یَنْتَصِرُونَ (۳) ...

إلاّ أنّهم لا یملکون جوابا لهذا السؤال!کما لا یتوقع أحد منهم ذلک!...

فَکُبْکِبُوا فِیها هُمْ وَ الْغاوُونَ

.

کما یقول بعض المفسّرین:إن کلاّ منهم سیلقی علی الآخر یوم القیامه! وَ جُنُودُ إِبْلِیسَ أَجْمَعُونَ .

و فی الحقیقه أن هذه الفرق الثلاث،الأصنام و العابدین لها و جنود إبلیس

۱- ۱) -أزلفت:فعل مشتق من(الزلفی)علی وزن(کبری)و معنی الفعل«قربت».

۲- ۲) -سوره الحجر،الآیه ۴۲.

۳- ۳) -قد یکون المراد من«ینتصرون»هو أن یطلبوا العون و النصر لأنفسهم أو لغیرهم...أو مجموعهما،لاننا سنلاحظ فی الآیات المقبله أن العبده و معبودیهم یساقون إلی النار.

الـدالين على هـذا الانحراف،يساقون جميعا إلى النار...و لكن بهـذه الكيفيه...و هى أن تلقى الفرق فرقه بعد أخرى فى النار.لأن«كبكبوا»فى الأصل مأخوذه من (كبّ)،و(الكبّ)معناه إلقاء الشىء بوجهه فى الحفره و ما أشبهها،و تكراره «كبكب»يؤدى هـذا المعنى من السقوط،و هـذا يدلّ أنّهم حين يلقون فى النار مثلهم كمثل الصخره إذ تهوى من أعلى الجبل أو تلقى من قمه الجبل،فهى تصل أولا نقطه ما فى الوادى ثمّ تتدحرج إلى نقاط أخر حتى تستقرّ فى القعر!.

إلاّ أن الكلام لا يقف عند هـذا الحدّ،بل يقع النزاع و الجدال بين هـذه الفرق أو الطوائف الثلاث،فيجسم القرآن مخاصمتهم هنا،فيقول: قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ .

أجل...إن العبده الضالين الغاوين يقسمون باللّه فيقولون: تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ (١) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (٢) وَ ما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ ...

المجرمون الذين كانوا ساده مجتمعاتنا و رؤساءنا و كبراءنا،فأضلونا حفظا لمنافعهم،و جرّونا إلى طريق الشقوه و الغوايه...كما يحتمل أن يكون المراد من المجرمين هم الشياطين أو الاسلاف الضالين الذين جرّوهم إلى هذه العاقبه الوخيمه.

فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ

...

و الخلاصه أن الأصنام لا تشفع لنا كما كنا نتصور ذلك فى الدنيا،و لا يتأتى لأى صديق أن يعيننا هنالك...

و ممّا ينبغى الالتفات إليه،أنّ كلمه(شافعين)جاءت فى الآيه السابقه بصيغه الجمع كما ترى،إلاّ أن كلمه(صديق)جاءت بصيغه الإفراد،و لعلّ منشأ هذا التفاوت و الاختلاف،هو أن هؤلاء الضالين يرون بأم أعينهم المؤمنين الجانحين

۱- ۱) -(إن كنا)مخففه من(إنّا كنا)...

۲- ۲) -يحتمل أن تكون(إذ)هنا للظرفيه،كما يحتمل أن تكون تعليليه...

يشفع لهم الأنبياء و الأوصياء أو الملائكه و بعض الأصدقاء الصالحين،فأولئك الضالون يتمنون الشافعين أيضا،و أن يكون عندهم صديق هنالك!...

إضافه إلى ذلك فإن كلمتى(الصديق)و(العدو)كما يقول بعض المفسّرين، تطلقان على المفرد و الجمع أيضا...

إلاّـ أنّهم مـا أسـرع أن يلتفتوا إلى واقعهم المرّ،إذ لاـ جـدوى هناك للحسـره و لا مجال للعمل فى تلك الـدار لجبران ما فات فى دنياهم،فيتمنون العوده إلى دار الدنيا...و يقولون: فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ...

و صـحيح أنّهم فى ذلك اليوم و فى عرصات القيامه يؤمنون بربّهم،إلاّ أن هـذا الإيمان نوع من الإيمان الاضـطرارى غير المؤثر،و ليس كالايمان الاختيارى، و فى هذه الدنيا حيث يكون أساسا للهدايه و العمل الصالح.

و لكن لا يحقق هـذا التمنى شـيئا،و لا يحلّ معضـلا،و لن تسـمح سـنه اللّه بـذلك، و هم يـدركون تلك الحقيقه،لأنّهم يتفوّهون بكلمه«لو» (۱) ...

و أخيرا بعـد الانتهاء من هذا القسم من قصه إبراهيم،و كلماته مع قومه الضالين،و دعائه ربّه،و وصـفه ليوم القيامه،يكرر اللّه آيتين مثيرتين بمثابه النتيجه لعباده جميعا،و هاتان الآيتان وردتا فى ختام قصه موسى و فرعون،كما وردتا فى قصص الأنبياء الآخرين من السوره ذاتها فيقول: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ ...

و تكرار هـاتين الآـيتين،هو للتسـريه عن قلب النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و تسـليته و من معه من الصـحابه القله و كـذلك المؤمنين فى كل عصـر و مصـر لئلا يسـتوحشوا فى الطريق من قله أهله و كثره الأعداء...و ليطمئنوا إلى رحمه اللّه و عزته،كما أن هـذا التكرار بنفسه تهديـد للغـاوين الضـالين.و إشاره إلى أنه لو وجـدوا الفرصه فى حياتهم و أمهلهم اللّه إمهالا فليس ذلك عن ضعف منه سبحانه،بل هو من رحمته و كرمه!

۱- ۱) -تعدّ(لو)من حروف الشرط-و عاده-تستعمل حينما يكون الشرط محالا...

ملاحظات

اشاره

١-القلب السليم-وحده-وسيله النجاه

فى أثناء كلام إبراهيم الخليل عليه السّلام قرأنا ضمن ما ساقته الآيات المتقدمه من تعابير فى وصف القيامه،أنّه لا ينفع فى ذلك اليوم شىء إِلاّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

(السليم)مأخوذ من السلامه،و له مفهوم واضح،و هو السالم و البعيد من أىّ انحراف أخلاقى و عقائدى،أو أىّ مرض آخر!...

ترى...ألم يقل اللّه القرآن فى شأن المنافقين فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً . (١)

و نلاحظ تعاريف للقلب السليم فى عدد من الأحاديث الغزيره المعنى.

-١

ففىّ حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام-ذيل الآيه محل البحث (٢) -يقول فيه: «و كل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط».

٢-و نعلم من جهه أخرى أن العلائق الماديه الشديده و حب الدنيا...كل ذلك يجرّ الإنسان إلى كل انحراف و خطيئه،لأن

«حبّ الدنيا رأس كل خطيئه» (٣) .

و لذلك فالقلب السليم هو القلب الخالى من حبّ الدنيا،كما ورد هذا المضمون فى حديث للإمام الصادق عليه السّلام-ذيل محل البحث-إذ

يقول: «هو القلب الذى سلم من حبّ الدنيا». (۴)

و مع الالتفات إلى الآيه(١٩٧)من سوره البقره إذ تقول: وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّٰادِ التَّقْوىٰ ...يتّضح أن القلب السليم هو القلب الذى يكون محلا لتقوى اللّه.

١- ١) -سوره البقره،الآيه ١٠.

٢- ٢) -راجع مجمع البيان ذيل الآيات محل البحث.

٣- ٣) -بحار الأنوار،ج ٧٠،ص ٢٣٩.

۴- ۴) -تفسير الصافى فى ذيل الآيه محل البحث.

۳-و آخر ما نقوله-هنا-أنّ القلب السليم هو القلب الذى ليس فيه سوى اللّه، كما يجيب الإمام الصادق عليه السّلام على سؤال فى هذا الشأن

فيقول: «القلب السليم الذى يلقى ربّه و ليس فيه أحد سواه». (۱)

و لا يخفى أن المراد من القلب فى مثل هذه الموارد هو روح الإنسان و نفسه.

و هناك مسائل كثيره وردت فى الروايات الإسلاميه تتحدث حول سلامه القلب و الآفات التى تصيبه،و طريق مبارزتها و مكافحتها،و يستفاد من مجموع هذا المفهوم الإسلامى المتين أن الإسلام يهتم قبل كلّ شىء بالأساس الفكرى و العقائدى و الأخلاقى، لان جميع المناهج التطبيقيه و العمليه للإنسان هى انعكاسات لذلک الأساس و آثاره!...

فكما أنّ سلامه القلب الظاهريه سبب لسلامه الجسم،و أن مرضه سبب لمرض أعضائه جميعا،لأنّ تغذيه الخلايا فى البدن تتمّ بواسطه الدم الذى يتوزع و يرسل إلى جميع الأعضاء بإعانه القلب على هذه المهمّه...فكذلک هى الحال بالنسبه لسلامه مناهج حياه الإنسان و فسادها،كل ذلک انعكاس عن سلامه العقيده و الأخلاق أو فسادهما...

و نختتم هذا البحث

بحديث عن الإمام الصادق عليه السّلام إذ قال: «إنّ القلوب أربعه:

قلب فيه نفاق و إيمان،و قلب منكوس،و قلب مطبوع،و قلب أزهر أجرد،«أجرد من غير اللّه»إلى أن قال عليه السّلام:و أمّا الأزهر فقلب المؤمن،إن أعطاه شكر و إن ابتلاه صبر.و أمّا المنكوس فقلب المشرک أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلىٰ وَجْهِهِ أَهْدىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ فإن القلب الذى فيه إيمان و نفاق،فهم قوم كانوا بالطائف،فإن أدرک أحدهم أجله على نفاقه هلک،و إن أدركه على إيمانه نجا». (۲)

۲-و جاء فى الروايات متعدده عن الإمامين الصادقين(أبى جعفر و أبى

۱- ۱) -الكافى...طبقا لما جاء فى تفسير الصافى-ذيل الآيه محل البحث.

۲- ۲) -أصول الكافى ج ۲ ص ۴۲۲ ط الرّابعه،باب فى ظلمه قلب المنافق.

عبد اللّه عليهما السّلام)فى تفسير فَكَبْكِبُوا فِيهٰا هُمْ وَ الْغٰاوُونَ قولهما:«هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره». (۱)

و هذا الحديث يدل على أنّ القول بلا عمل قبيح و مذموم جدّا،إذ يلقى أصحابه فى النار،فأولئك قوم ضالون مضلّون،و كلامهم يهدى،الناس إلى الحق، بينما عملهم يجرّهم إلى الباطل،بل إن عملهم كاشف عن عدم إيمانهم بأقوالهم! و ينبغى الالتفات-ضمنا-إلى أن كلمه«غاوون»المأخوذه من«الغيّ»لا تعنى الضلال مطلقا،بل كما يقول الراغب فى المفردات:هو نوع من الجهل و الضلال الناشئ عن فساد العقيده.

۳-وردت فى ذيل الآيه فَمٰا لَنٰا مِنْ شٰافِعِينَ وَ لاٰ صَدِيقٍ حَمِيمٍ روايات متعدده،و بعضها صريحه فى أن:

«الشافعون الأئمّه و الصديق من المؤمنين». (۲)

و

جاء فى حديث آخر عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى أنه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «إن الرجل يقول فى الجنّه:ما فعل صديقى فلان؟و صديقه فى الجحيم،فيقول اللّه:أخرجوا له صديقه إلى الجنّه، فيقول من بقى فى النار:فما لنا من شافعين و لا صديق حميم». (۳)

و بديهى أنّه لا الشفاعه بدون معيار و ملاك،و لا السؤال فى شأن الصديق دون حساب،فلا بد من وجود ارتباط أو علاقه بين الشفيع و المشفوع له ليتحقق هذا الهدف...«بيّنا تفصيل هذا الموضوع فى بحث الشفاعه،فى تفسير الآيه ۴۸ من سوره البقره-فليراجع فى محله».

ص:۴۰۹

۱- ۱) -نقل هذه الروايه مؤلف تفسير نور الثقلين عن أصول الكافى،و تفسير على بن إبراهيم،و المحاسن للبرقى.

۲- ۲) -المحاسن للبرقى.ذيل الآيه محل البحث.

۳- ۳) -مجمع البيان ذيل الآيه.

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۰۵ الی ۱۱۵]

اشاره

کَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ اَلْمُرْسَلِینَ (۱۰۵) إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۰۶) إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ (۱۰۷) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ (۱۰۸) وَ مٰا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلیٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۱۰۹) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ (۱۱۰) قٰالُوا أَ نُؤْمِنُ لَکَ وَ اِتَّبَعَکَ اَلْأَرْذَلُونَ (۱۱۱) قٰالَ وَ مٰا عِلْمِی بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۱۲) إِنْ حِسٰابُهُمْ إِلاّٰ عَلیٰ رَبِّی لَوْ تَشْعُرُونَ (۱۱۳) وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۱۴) إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِیرٌ مُبِینٌ (۱۱۵)

التّفسیر

اشاره

یا نوح،لم یحف بک الأرذلون؟!

یتحدّث القرآن الکریم بعد الانتهاء ممّا جری لإبراهیم و قومه الضّالین،عن قوم نوح علیه السّلام حدیثا للعبره و الاتعاظ...فیذکر عنادهم و شدّتهم فی موقفهم من نوح علیه السّلام و عدم حیائهم و عاقبتهم الألیمه ضمن عدّه آیات...فیقول أوّلا: کَذَّبَتْ

قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ

(۱) .

و واضح أن قوم نوح إنّما كذبوا نوحا فحسب...و لكن لمّا كانت دعوه المرسلين واحده من حيث الأصول،فقد عدّ تكذيب نوح تكذيبا للمرسلين جميعا...و لذا قال القرآن كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ .

كما و يحتمل أنّ قوم نوح أساسا كانوا منكرين لجميع الأديان و المذاهب، سواء قبل ظهور نوح أو بعده...

ثمّ يشير القرآن الكريم إلى هذا الجانب من حياه نوح عليه السّلام،الذى سبق أن أشار إليه فى كلامه حول إبراهيم و موسى عليهما السّلام،فيقول: إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ ...

و التعبير بكلمه«أخ»تعبير يبيّن منتهى المحبّه و العلاقه الحميمه على أساس المساواه...أى أن نوحا دون أن يطلب التفوق و الاستعلاء عليهم،كان يدعوهم إلى تقوى اللّه فى منتهى الصفاء.

و التعبير بالأخوه لم يرد فى شأن نوح فى القرآن فحسب،بل جاء فى شأن كثير من الأنبياء،كهود و صالح و لوط،و هو يلهم جميع القاده و الأدلاء على طريق الحق أن يراعوا فى دعواتهم منتهى المحبه المقرونه بالاجتناب عن طلب التفوق لجذب النفوس نحو مذهب الحق،و لا يستثقله الناس!...

و بعد دعوه نوح قومه إلى التقوى التى هى أساس كل أنواع الهدايه و النجاه، يضيف القرآن فيقول على لسان نوح و هو يخاطب قومه: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ فإن إطاعتى من إطاعه اللّه سبحانه...

و هذا التعبير يدلّ على أن نوحا عليه السّلام كانت له صفه ممتده من الأمانه بين قومه،

---

۱ - ۱) -تأنيث لفظ(كذبت)لأن(قوم)فى معنى الجماعه،و الجماعه فيها تأنيث لفظى...و قال بعضهم:إن كلمه(قوم)بذاتها مؤنثه،لأنّهم قالوا فى تصغيرها«قويمه»نقل الوجه الأوّل الطبرسى فى مجمع البيان،و نقل الوجه الثّانى الفخر الرازى فى تفسيره...إلّا أن«الآلوسى»قال فى روح المعانى:إن لفظ«قوم»يستعمل فى المذكر و المؤنث على السواء...

و كـانوا يعرفونه بهـذه الصـفه السـاميه،فهو يقول لهم: إِنِّی لَکَمْ رَسُولٌ أَمِینٌ و لهـذا فـإنّی أمین أیضا فی أداء الرساله الالهیه،و لن تجدوا خیانه منّی أبدا...

و تقدیم التقوی علی الإطاعه،لأنه ما لم یکن هناک إیمان و اعتقاد باللّه و خشیه منه،فلن تتحقق الإطاعه لنبیّه...

و مرّه أخری یتمسک نوح علیه السّلام بحقانیه دعوته،و یأتی بـدلیل آخر یقطع به لسان المتـذرعین بالحجـج الواهیه،فیقول: وَ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجرِیَ إِلاّ عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ .

و معلوم أن الـدوافع الإلهیه-عاده-دلیل علی صـدق مـدعی النبوّه،فی حین أن الـدوافع المادّیه تـدل بوضوح علی أن الهـدف من ورائها هو طلب المنفعه، و لا سیما أن العرب فی ذلک العصر کانوا یعرفون هذه المسأله فی شأن الکهنه و أضرابهم...

ثمّ یذکر القرآن ذلک التعبیر نفسه الذی جاء علی لسان نوح،بعد التأکید علی رسالته و أمانته،إذ یقول: فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِیعُونِ ...

إلاّ أنّ المشرکین الحمقی،حین رأوا سبل ما تذرّعوا به من الحجج الواهیه موصده،تمسکوا بهذه المسأله، ف قالُوا أَ نُؤْمِنُ لَکَ وَ اتَّبَعَکَ الْأَرْذَلُونَ .

إن قیمه الزعیم ینبغی أن تعرف ممن حوله من الأتبـاع،و بعباره أخری«إن الولی یعرف من زوّاره-کما یقال»فحین نلاحظ قومک یا نوح،نجدهم حفنه من الأراذل و الفقراء و الحفاه و الکسبه الضـعاف،قد داروا حولک،فکیف تتوقع أن یتبعک الاثریاء الأغنیاء الشـرفاء و الوجهـاء و یخضـعوا لـک؟! و صـحیح أنّهم کـانوا صـادقین و مصـیبین فی أنّ الزعیم یعرف عن طریق أتبـاعه، إلاّـ أن خطـأهم الکبیر هو عـدم معرفتهم مفهوم الشخصـیه و معیارهـا...إذ کـانوا یرون معیار القیم فی المال و الثروه و الألبسه و البیوت و المراکب الغالیه و الجمیله،و کانوا غافلین عن النقاء و الصفاء و التقوی و الطهاره و طلب الحق،و الصفات العلیا

للإنسانيه الموجوده فى الطبقات الفقيره و القلّه من الاشراف.

إن روح الطبقيه كانت حاكمه على أفكارهم فى أسوأ أشكالها،و لذلك كانوا يسمّون الفقراء الحفاه بالأراذل.

و«الأراذل»جمع(أرذل)كما أنّه جمع(للرذل)و معناه الحقير...و لو كانوا يتحررون من قيود المجتمع الطبقى،لأدركوا جيدا أن إيمان هذه الطائفه نفسها دليل على حقانيه دعوه النّبى و أصالتها! إلاّ أنّ نوحا عليه السّلام جابهم و ردّهم بتعبير متين،و جرّدهم من سلاحهم و قٰالَ وَ مٰا عِلْمِي بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ .

فما مضى منهم مضى،و المهم هو أنّهم اليوم استجابوا لدعوه النّبى،و قالوا له:

لبّيك،و توجهوا لبناء شخصياتهم،و مكنوا الحقّ من أن ينفذ إلى قلوبهم!...

و إذا كانوا فى ما مضى من الزمن قد عملوا صالحا أو طالحا،فلست محاسبا و لا مسئولا عنهم آنئذ إِنْ حِسٰابُهُمْ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ .

و يستفاد من هذا الكلام-ضمنا-أنّهم كانوا يريدون أن يتهموا هؤلاء الطائفه من المؤمنين،بالإضافه إلى خلوّ أيديهم،بسوء سابقتهم الأخلاقيه و العمليه،مع أن الفساد و الانحراف الخلقى عاده فى المجتمعات المرفهه أكثر من سواها بدرجات...فهم الذين تتوفر لديهم كل وسائل الفساد،و هم سكارى المقام و المال، و قلّ أن يكونوا من الصالحين.

إلاّ أن نوحا عليه السّلام-دون أن يصطدم بهم فى مثل هذه الأمور-يقول:ما علمى بهم و بما كانوا يعملون،فإذا كان الأمر كما تزعمون فإنّما حسابهم على ربى لو تشعرون! و إنّما عليّ أن أبسط جناحى لجميع طلاّب الحق وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ الْمُؤْمِنِينَ .

و هذه العباره فى الحقيقه جواب ضمنى لطلب هؤلاء المثرين الأغنياء المغرورين،الذين كانوا يطلبون من نوح أن يطرد طائفه الفقراء من حوله،ليتقربوا

منه و يكونوا من أتباعه بعد طرد أولئك الفقراء...

و لكن المسؤوليه الملقاه على عاتقى هى أن أنذر الناس فحسب إِنْ أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ .

فمن سمع إنذارى و عاد إلى الصراط المستقيم بعد ضلاله،فهو من أتباعى كائنا من كان،و فى أى مستوى طبقى و مقام اجتماعى أو مادى! و ممّا ينبغى الالتفات إليه أن هذا الإيراد لم يتعرّض له نوح النّبى الذى هو أول الرسل من أولى العزم فحسب،بل و وجه الى النّبى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سائر الأنبياء به، فالأغنياء كانوا ينظرون بنظاراتهم الفكريه السوداء شخصيات هؤلاء الفقراء البيضاء،فيرونها سوداء،فيطلبون طردهم دائما.و لم يقبلوا بربّ و لا نبى يتبعه مثل هؤلاء العباد الفقراء!...

إلاّ أنه ما أعذب و أحلى تعبير القرآن عنهم فى سوره الكهف،إذ يقول:

وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لاٰ تَعْدُ عَيْنٰاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَهَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ لاٰ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنٰا وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ وَ كٰانَ أَمْرُهُ فُرُطاً .

و هذا الإيراد أو الإشكال يوردونه حتى على قاده الحق و الأدلاّء على الهدى فى كل عصر و زمان،و هو أن معظم أتباعكم المستضعفون!أو الحفاه الجائعون.

إنّهم يريدون أن يعيبوا بكلامهم هذا الرساله و المذهب،مع أنّهم من حيث لا يشعرون،يمدحون و يطرون ذلك المذهب و يوقّعون على أصالته.

ص :۴۱۴

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۱۶ الی ۱۲۲]

اشاره

قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ یٰا نُوحُ لَتَکُونَنَّ مِنَ اَلْمَرْجُومِینَ (۱۱۶) قٰالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِی کَذَّبُونِ (۱۱۷) فَافْتَحْ بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِی وَ مَنْ مَعِیَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ (۱۱۸) فَأَنْجَیْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی اَلْفُلْکِ اَلْمَشْحُونِ (۱۱۹) ثُمَّ أَغْرَقْنٰا بَعْدُ اَلْبٰاقِینَ (۱۲۰) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ (۱۲۱) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ اَلْعَزِیزُ اَلرَّحِیمُ (۱۲۲)

التّفسیر

اشاره

نجاه نوح و غرق المشرکین:

کان ردّ فعل هؤلاء القوم الضالین فی مواجهه نبیّهم نوح علیه السّلام،هو منهج المستکبرین علی امتداد التاریخ و هو الاعتماد علی القوّه و التهدید بالموت و الفناء: قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ یٰا نُوحُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِینَ .

و التعبیر ب«من المرجومین»یدل علی أنّ الرجم بالحجاره بینهم کان جاریا فی شأن المخالفین...و فی الحقیقه إنّهم یقولون لنوح:إذا قررت أن تواصل دعوتک للتوحید...و الاستمرار علی عقیدتک و دینک،فستنال ما یناله المخالفون

ص: ۴۱۵

-عامّه-و هو الرجم بالحجاره،الذی یعد واحدا من أسوأ أنواع القتل. (۱)

و لما رأی نوح أن دعوته المستمره الطویله بما فیها من منطق بیّن...و بما یقترن بها من اصطبار،لم تؤثر إلاّ فی جماعه قله آمنوا به...شکا إلی ربّه أخیرا، و ضمن بیان حاله،سأل ربه أن ینجیّه من قبضه الظالمین،و أن یبعده عنهم...إذ قٰالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِی کَذَّبُونِ .

و صحیح أن اللّه مطّلع علی کل شیء،إلاّ أنه لبیان الشکوی و تمهیدا للسؤال التالی،یذکر نوح مثل هذا الکلام.

و ممّا یلفت النظر أنّ نوحا لم یشتک من المصائب التی أبتلی بها،بل اشتکی من تکذیب قومه إیّاه فحسب،إذ لم یصدقوه و لم یقبلوا رسالته الالهیه لهدایتهم...

ثمّ یلتفت إلی ربّه فیقول:و الآن حیث لم یبق طریق لهدایه هؤلاء القوم فاقض بیننا و افصل بینی و بینهم: فَافْتَحْ بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ فَتْحاً .

«الفتح»معناه واضح،و هو ما یقابل الغلق و یضاده،و له استعمالان...فتاره یستعمل فی القضایا المادیه کفتح الباب مثلا،و تاره یستعمل فی القضایا المعنویه کفتح الهمّ و رفع الغم،و کفتح المستغلق من العلوم،و فتح القضیه،ای بیان الحکم حسم النزاع! ثمّ یضیف فیقول: وَ نَجِّنِی وَ مَنْ مَعِیَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ .

و هنا یعبر القرآن عن إدراک رحمه اللّه نوحا،و إهلاک المکذبین بعاقبه وخیمه مفجعه،إذ یقول: فَأَنْجَیْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ الْمَشْحُونِ ای الملیء بالناس و انواع الحیوانات ثُمَّ أَغْرَقْنٰا بَعْدُ الْبٰاقِینَ...

«المشحون»مأخوذ من ماده(شحن)علی وزن(صحن)و معناه الملء،و قد

۱- ۱) -«الرجم»مأخوذ من(رجام)علی وزن(کتاب)و هو جمع(رجمه)علی وزن(لقمه)و معناها القطعه من الحجر التی توضع علی القبر،أو ما یطوف حوله عبده الأوثان،کما یعنی الرجم القذف بالحجاره حتی القتل،کما یأتی أحیانا بمعنی القتل بأیّ شکل کان،لأن القتل کان بالحجر سابقا.

يستعمل بمعنى التجهيز...و«الشحناء»تطلق على العداوه التى تستوعب جميع جوانب الإنسان،و المراد من«المشحون»هنا هو أنّ ذلك الفلک[أى السفينه]

كان مملوءا من البشر و جميع الوسائل...و لم يكن فيه أى نقص...إى أن اللّه بعد ما جهز السفينه و أعدّها للحركه،أرسل الطوفان لئلاـ يبتلى نوح و جميع من فى الفلك بأى نوع من أنواع الأذى...و هذا بنفسه إحدى نعم اللّه عليهم! و فى ختام هذه القصه القصيره،يقول القرآن ما قاله فى ختام قصه موسى و إبراهيم عليهما السّلام،فيكرر قوله: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً أى فى ما جرى لنوح عليه السّلام و دعوته المستمره و صبره و نجاته و غرق مخالفيه وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ .

و لهذا فلا تحزن يا رسول اللّه من إعراض المشركين و عنادهم،و استقم كما أمرت...فإنّ عاقبتک و عاقبه أصحابک عاقبه نوح و أصحابه،و عاقبه الضالين من قومک كعاقبه الضالين من قوم نوح.

وَ

اعلم إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ .

فرحمته تقتضى أن يمهلهم و يتمّ عليهم الحجه بإعطاء الفرصه الكافيه،و عزته تستلزم أن ينصرک عليهم،و تكون عاقبه أمرهم خسرا!...

ص: ۴۱۷

الآيات [سوره الشعراء (٢۶): الآيات ١٢٣ الی ١٣۵]

اشاره

كَذَّبَتْ عادٌ اَلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لا تَتَّقُونَ (١٢۴) إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢۵) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (١٢۶) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلیٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (١٢٧) أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَ إِذٰا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّٰارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (١٣١) وَ اِتَّقُوا اَلَّذِی أَمَدَّكُمْ بِمٰا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعٰامٍ وَ بَنِينَ (١٣٣) وَ جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ (١٣۴) إِنِّی أَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣۵)

التّفسير

اشاره

جنايات عاد و اعمالهم العدوانيه:

و الآن يأتی الكلام عن«عاد»قوم«هود»إذ يعرض القرآن جانبا من حياتهم و عاقبتهم، و ما فيها من دروس العبر،ضمن ثمانی عشره آيه من آياته!...

«عاد»-كما قلنا من قبل-جماعه كانوا يقطنون فی«الأحقاف»،و هی منطقه فی حضر موت تابعه لليمن،تقع جنوب الجزيره العربيه...

ص:۴١٨

فیقول القرآن: کَذَّبَتْ عٰادٌ الْمُرْسَلِینَ . (۱)

بالرغم من أنّهم کذبوا هودا فحسب،إلّا أنّه لمّا کانت دعوه هود هی دعوه الأنبیاء جمیعا،فکأنّهم کذّبوا الأنبیاء جمیعا...

و بعد ذکر هذا الإجمال یقع التفصیل،فیتحدّث القرآن عنهم فیقول: إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ .

لقد دعاهم إلی التوحید و التقوی فی منتهی الشفقه و العطف و الحرص علیهم، لذلک عبّر عنه القرآن بکلمه«أخوهم»...

ثمّ أضاف قائلا: إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ و ما سبق من حیاتی بین ظهرانیکم یدل علی هذه الحقیقه،فإنّی لم أخنکم أبدا...و لم تجدوا منّی غیر الصدق و الحق!...

ثمّ یضیف مؤکّدا: لما کنتم تعرفوننی جیدا فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِیعُونِ ...لأنّ إطاعتکم إیّای إطاعه للّه سبحانه...و لا تتصوروا بأنّی أدعوکم لانتفع من وراء دعوتی إیّاکم فی حیاتی الدنیا و أنال المال و الجاه،فلست کذلک وَ مٰا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلیٰ رَبِّ الْعٰالَمِینَ ...فجمیع النعم و البرکات من قبله سبحانه،و إذا أردت شیئا طلبته منه،فهو ربّ العالمین جمیعا...

و القرآن الکریم یستند فی هذا القسم من سیره«هود»فی قومه إلی أربعه أمور علی الترتیب...

فالأمر الأوّل:هو محتوی دعوه«هود»الذی یدور حول توحید اللّه و تقواه، و قرأنا ذلک بجلاء فی ما مضی من الآی...

أمّا الأمور الثلاثه الأخر فیذکرها القرآن حاکیا عن لسان هود فی ثوب الاستفهام الإنکاری،فیقول: أَ تَبْنُونَ بِکُلِّ رِیعٍ آیَهً تَعْبَثُونَ .

۱- ۱) -لما کانت«عاد»قبیله،و تتألف من جماعه من الناس أنث الفعل کما یری،فجاء کَذَّبَتْ عٰادٌ لأنّ لفظی القبیله و الجماعه مؤنثان...

«الريع»فى الأصل يطلق على المكان المرتفع،أمّا كلمه(تعبثون)فمأخوذ من«العبث»،و معناه العمل بلا هدف صحيح،و مع ملاحظه كلمه(آيه)التى تدل على العلامه يتّضح معنى العباره بجلاء...و هو أنّ هؤلاء القوم المثرين،كانوا يبنون على قمم الجبال و المرتفعات الأخر مبانى عاليه للظهور و التفاخر على الآخرين، و هذه المبانى[كالأبراج و ما شاكلها]

لم يكن من روائها أى هدف سوى لفت أنظار الآخرين،و إظهار قدرتهم و قوّتهم-من خلالها-!! و ما قاله بعض المفسّرين من أنّ المراد من هذا التعبير هو المبانى و المنازل التى كانت تبنى على المرتفعات،و كانت مركزا للهو و اللعب،كما هو جار فى عصرنا بين الطغاه...فيبدو بعيدا،لأن هذا التعبير لا ينسجم مع كلمتى(الآيه) و(العبث).

كما أنّ هناك احتمال ثالث ذكره بعض المفسّرين،و هو أنّ عادا كانت تبنى هذه البنايات للاشراف على الشوارع العامّه،ليستهزئوا منها بالماره،إلّا أنّ التّفسير الأوّل يبدو أكثر صحه من سواه...

و أمّا الأمر الثّالث الذى ذكره القرآن حاكيا على لسان هود منتقدا به قومه، فهو قوله: وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ .

«المصانع»جمع«مصنع»و معناه المكان أو البناء المجلّل المحكم،و النّبى هود لا يعترض عليهم لأنّ لديهم هذه البنايات المريحه الملائمه،بل يريد أن يقول لهم:إنّكم غارقون فى أمواج الدنيا،و منهمكون بعباده الزينه و الجمال و العمل فى القصور حتى نسيتم الدار الآخره!...فلم تتخذوا الدنيا على أنها دار ممر،بل اتخذتموها دار مقر دائم لكم...

أجل،إنّ مثل هذه المبانى التى تذهل أهلها،و تجعلهم غافلين عن اليوم الآخر،هى لا شك مذمومه! و

فى بعض الرّوايات عن أنس بن مالك أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خرج فرأى قبه

فقال:ما هذه؟فقالوا له أصحابه:هذا الرجل من الأنصار فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم فی الناس أعرض عنه و صنع ذلک مرارا حتی عرف الرجل الغضب به و بالاعراض عنه،فشکی ذلک إلی أصحابه و قال:و اللّه إنّی لأنکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما أدری ما حدث فیّ و ما صنعت؟ قالوا:خرج رسول اللّه فرأی قبّتک فقال:لمن هذه؟فأخبرناه،فرجع الی قبّته فسواها بالأرض،فخرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ذات یوم فلم یر القبه فقال:ما فعلت القبه التی کانت ها هنا قالوا:شکی إلینا صاحبها انحراصل عنه فأخبرناه فهدمها فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«إن کلّ ما یبنی و بال علی صاحبه یوم القیامه،إلاّ ما لا بدّ منه». (1)

و یعرف من هذه الرّوایه و ما شابهها من الرّوایات نظر الإسلام بجلاء،فکل بناء«طاغوتی»مشید بالإسراف و البذخ و مستوجب للغفله...یمقته الإسلام، و یکره للمسلمین أن یبنوا مثل هذه الأبنیه التی یبنیها المستکبرون المغرورون الغافلون عن اللّه،و لا سیما فی محیط یسکن فیه المحرومون و المستضعفون...

إلاّ أن ما ینبغی التنویه به،أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یستعمل القوه للوصول إلی هذا الهدف الإنسانی أبدا،و لم یأمر بتخریب البناء،بل استطاع أن یحقق هدفه برد فعل لطیف کالإعراض و عدم الاهتمام بالبناء مثلا!...

ثمّ ینتقد النّبی«هود»قومه علی قسوتهم و بطشهم عند النزاع و الجدال فیقول:

وَ إِذٰا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّٰارِینَ

.

فمن الممکن أن یعمل الإنسان عملا یستوجب العقوبه،إلاّ أنّه لا یصح تجاوز الحد و الانحراف عن جاده الحق و العدل عند محاسبته و معاقبته، و أن یعامل ذو الجرم الصغیر معامله ذی الجرم الکبیر...و أن تسفک الدماء عند الغضب و یقع التماصع بالسیف (2) ،فذلک ما کان یلجأ إلیه الجبابره و الظلمه و الطغاه آنئذ...

1- 1) -مجمع البیان:ذیل الآیه محل البحث،نور الثقلین،ج 4،ص 63.

2- 2) -التماصع،التطاحن و القتال.(المصحح).

و یری الراغب فی المفردات أن«البطش»علی زنه(نقش)هو أخذ الشیء بقوّه و قسّوه و استعلاء...

و فی الحقیقه أن هودا یوبخ عبده الدنیا عن طرق ثلاثه:

الأوّل:علاماتهم التی کانت مظهرا لحبّ الاستعلاء و حب الذات،و التی کانت تبنی علی المرتفعات العالیه لیفخروا بها علی سواهم.

ثمّ یوبخهم علی مصانعهم و قصورهم المحکمه،التی تجرهم إلی الغفله عن اللّه،و إن الدنیا دار ممر لا مقر.

و أخیرا فإنّه ینتقدهم فی تجاوزهم الحدّ و البطش عند الانتقام...

و القدر الجامع بین هذه الأمور الثلاثه هو الإحساس بالاستعلاء و حبّ البقاء.و یدلّ هذا الأمر علی أن عشق الدنیا کان قد همین علیهم،و أغفلهم عن ذکر اللّه حتی ادعو الألوهیه...فهم بأعمالهم هذه یؤکّدون هذه الحقیقه،و هی أن

«حب الدنیا رأس کل خطیئه». (۱)

و القسم الثّالث من حدیث هود ممّا بیّنه لقومه، هو ذکر نعم اللّه علی عباده لیحرک فیهم-عن هذا الطریق-الإحساس بالشکر لعلهم یرجعون نحو اللّه...

و فی هذا الصدد یتبع النّبی هود أسلوبی الإجمال و التفصیل،و هما مؤثران فی کثیر من الأبحاث،فیلتفت نحوهم أولا فیقول: وَ اتَّقُوا الَّذِی أَمَدَّکُمْ بِمٰا تَعْلَمُونَ . (۲)

و بعد هذا التعبیر المجمل یذکر تفصیل نعم اللّه علیهم،فیقول: أَمَدَّکُمْ بِأَنْعٰامٍ وَ بَنِینَ ...

فمن جهه وفّر لکم الأمور المادیه،و کان القسم المهم منها-خاصّه فی ذلک

۱- ۱) -تفسیر الفخر الرازی ذیل الآیه محل البحث.

۲- ۲) -(أمدّ)مأخوذ من«الإمداد»،و یطلق فی الأصل علی أمور توضع بعضها بعد بعض بشکل منظم،و حیث أن اللّه یرسل نعمه بشکل منظم إلی عباده استعملت هذه الکلمه هنا أیضا...

العصر-الأنعام و المطایا من النیاق و غیرها.و من جهه أخری وفّر لکم القوّه الکافیه و هی«الأبناء»للحفاظ علی الأنعام و تدجینها...

و هذا التعبیر تکرر فی آیات مختلفه،فعند عدّ النعم المادیه تذکر الأموال أولا ثمّ الأبناء ثانیا،و هم الحفظه للأموال و منمّوها،و یبدو أن هذا ترتیب طبیعی،لا أن الأموال أهم من الأبناء...إذ نقرأ فی الآیه(۶)من سوره الإسراء... وَ أَمْدَدْنٰاکُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِینَ وَ جَعَلْنٰاکُمْ أَکْثَرَ نَفِیراً ...

ثمّ یضیف بعد ذلک: وَ جَنّٰاتٍ وَ عُیُونٍ .

و هکذا فقد وفر اللّه لکم سبل الحیاه جمیعا،من حیث الأبناء أو القوّه الإنسانیه،و الزراعه و التدجین و وسائل الحمل و النقل،بشکل لا یحس الإنسان معه بأی نقص أو قلق فی حیاته!

لکن ما الذی حدث حتی نسیتم واهب هذه النعم جمیعا،و أنتم تجلسون علی مائدته لیل نهار،و لا تعرفون قدره؟! و أخیرا،فإنّ هودا فی آخر مقطع من حدیثه مع قومه ینذرهم و یهددهم بسوء الحساب و عقاب اللّه لهم،فیقول: إِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ ...

ذلک الیوم الذی ترون فیه نتائج أعمالکم و ظلمکم و غرورکم و استکبارکم، و حب الذات و ترک عباده اللّه...ترون کل ذلک بأم أعینکم.

و عاده-یستعمل لفظ(الیوم العظیم)فی القرآن،و یراد منه یوم القیامه العظیم من کل وجه...إلاّ أنّه قد یستعمل فی القرآن فی الیوم الصعب الموحش المؤلم علی الأمم...

کما نقرأ فی هذه السوره فی قصه«شعیب»،أن قومه بعد أن جحدوه و لم یؤمنوا به و عاندوه و استهزءوا به،أرسل اللّه علیهم صاعقه«و کانت قطعه من الغیم» فعاقبهم بها،فسمّی ذلک الیوم بالیوم العظیم،کما تقول الآیه: فَأَخَذَهُمْ عَذٰابُ یَوْمِ الظُّلَّهِ إِنَّهُ کٰانَ عَذٰابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ .

فبناء على هـذا قد يكون التعبير ب«يوم عظيم»فی الآیه محل البحث،إشاره إلی الیوم الذی ابتلی به المعاندون من قوم هود(عاد)بالعذاب الألیم و هو الاعصار المدمر،و سیتجلی الشاهد علی هذا المعنی فی الآیات المقبله...

کما یمکن أن یکون إشاره إلی یوم القیامه و عذابه...أو إلی العذابین معا،فیوم الاعصار یوم عظیم،و یوم القیامه یوم عظیم أیضا...

ص :۴۲۴

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۳۶ الی ۱۴۰]

اشاره

قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ اَلْواعِظِينَ (۱۳۶) إِنْ هٰذا إِلاّ خُلُقُ اَلْأَوَّلِينَ (۱۳۷) وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (۱۳۸) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْناهُمْ إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳۹) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۴۰)

التّفسیر

اشاره

لا تتعب نفسک فی نصحنا:

رأینا فی الآیات المتقدمه أحادیث النّبی هود المحترق القلب شفقه لقومه المعاندین«عاد»و ما حملته هذه الأحادیث من معان غریزه سامیه... و الآن ینبغی أن نعرف جواب قومه الجارح و غیر المنطقی و لا المعقول،یقول القرآن فی هذا الصدد قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ فلن یؤثر ذلک فینا، فلا تتعب نفسک.

أمّا اعتراضک علینا بهذه الأمور فلا محل له من الاعراب إِنْ هٰذا إِلاّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ .

و لیس الأمر کما تقول،فإنّه لا شیء بعد الموت وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ لا فی هذا

ص:۴۲۵

العالم،و لا فى العالم الآخر.

و«الخلق»-بضم الخاء و اللام-معناه العاده و السلوك و الأخلاق لأن هذه الكلمه جاءت بصيغه الإفراد بمعنى الطبع و السجيّه و العاده الأخلاقيه...و هى هنا إشاره إلى الأعمال التى كانت تصدر منهم كعباده الأصنام،و بناء القصور العاليه الجميله،و حب الذات،و التفاخر عن طريق تشييد الأبراج على النقاط المرتفعه، و كذلك البطش عند الانتقام أو الجزاء...أى إن ما نقوم به من أعمال هو ما كان يقوم به السلف فلا مجال للاعتراض و الانتقاد!...

و فسّر«الخلق»بعضهم بالكذب،أى إنّ ما تقوله فى شأن اللّه و القيامه كلام باطل قيل من قبل(إلاّ أن هذا التّفسير إنّما يقبل إذا قرئ النص:إن هذا إلاّ خلق الأولين.فيكون الخلق فيه على وزن(الحلق)إلاّ أن القراءه المشهوره ليست كذلك!).

و يبيّن القرآن عاقبه قوم هود الوبيله فيقول: فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ .

و فى ختام هذه الاحداث يذكر القرآن تلكما الجملتين المعبّرتين،اللتين تكررتا فى نهايه قصص نوح و إبراهيم و موسى عليهما السّلام...فيقول: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً على قدره اللّه،و استقامه الأنبياء و عاقبه المستكبرين السيئه،و لكن مع ذلك وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ .

فيمهل إمهالا كافيا.و يمنح الفرصه.و يبيّن الدلائل الواضحه للمضلين ليهتدوا...إلاّ أنه عند المجازاه و العقاب،و بعد إتمام الحجه يأخذ أخذا عسيرا لا مفرّ لأحد منه أبدا...

ص :۴۲۶

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۴۱ الی ۱۵۲]

اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۴۱) إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صٰالِحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۴۲) إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۴۳) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۴۴) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۴۵) أَ تُتْرَكُونَ فِی مٰا هٰاهُنٰا آمِنِينَ (۱۴۶) فِی جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۴۷) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُهٰا هَضِيمٌ (۱۴۸) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ اَلْجِبٰالِ بُيُوتاً فٰارِهِينَ (۱۴۹) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۵۰) وَ لاٰ تُطِيعُوا أَمْرَ اَلْمُسْرِفِينَ (۱۵۱) اَلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ يُصْلِحُونَ (۱۵۲)

التّفسير

اشاره

لا تطيعوا المسرفين المفسدين:

القسم الخامس من قصص الأنبياء فی هذه السوره،هو قصّه«ثمود»الموجزه القصيره،و نبيّهم«صالح»الذين كانوا يقنطون فی«وادی القری»بين المدينه و الشام،و كانت حياتهم مترفه مرفهه...إلاّ أنّهم لطغيانهم و عنادهم أبيدوا و أبيروا حتی لم يبق منهم ديّار و لم تترک لهم آثار...

ص:۴۲۷

و بـدايه القصّه هـذه مشابهه لبدايه قصه عاد«قوم هود»و بدايه قصه نوح و قومه،و هى تكشف كيف يتكرر التاريخ،فتقول: كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ...

لأنّ دعوه المرسلين جميعا دعوه واحده،فتكذيب ثمود نبيّهم صالحا تكذيب للمرسلين أيضا...

و بعد ذكر هذا الإجمال يفصّل القرآن ما كان بين صلاح و قومه،فيقول: إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَ لا تَتَّقُونَ ...

لقـد كـان النّبى صالـح هاديا و دليلا لقومه مشـفقا عليهم،فهو بمثابه«الأخ»لهم، و لم يكن لـديه نظره اسـتعلائيه و لا منافع ماديّه،و لذلك فقد عبّر القرآن عنه بكلمه «أخوهم»...و قد بدأ دعوته إيّاهم كسائر الأنبياء بتقوى اللّه و الإحساس بالمسؤوليه!...

ثمّ يقول لهم معرفـا نفسه: إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ و سوابقى معكم شاهـد مبين على هـذا الأـمر فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ إذ لا أريـد إلّا رضا اللّه و الخير و السعاده لكم...

و لـذلك فأنـا لاـ أطلب عوضـا منكم فى تبليغى إيّاكم... وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ فأنا أدعوكم له،و أرجو الثواب منه سبحانه...

كان هذا أوّل قسم من سيره صالح التى تلخصت فى دعوته قومه و بيان رسالته إليهم...

ثمّ يضع«صالـح»إصبعه على نقاط حساسه من حياتهم،فيتناولها بالنقد و يحاكمهم محاكمه وجدانيه،فيقول: أَ تُتْرَكُونَ فِی ما هاهُنا آمِنِينَ .

و تتصورون أن هـذه الحيـاه الماديه التى تسـتغفل الإنسان دائمه له و هو خالـد فيها!فلـذلك تأمنون من الجزاء،و أن يـد الموت لا تنوشـكم؟! و بالأسـلوب المتين،أسـلوب الإجمـال و التفصيل...يشـرح النّبى صالـح لقومه تلك الجمله المغلقه و المجمله بقوله:و تحسبون أنّكم مخلّدون فِی جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ

وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ

(۱) .

ثمّ ينتقدهم على بيوتهم المرفهه المحكمه فيقول: وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ .

«الفاره»مشتق من(فره على وزن فرح)و معناه فى الأصل السرور المقرون باللامبالاه و عباده الهوى...كما يستعمل فى المهاره عند العمل أحيانا...و مع أن المعنيين ينسجمان مع الآيه،إلّا أنّه مع ملاحظه توبيخ نبيّهم صالح إيّاهم و ملامته لهم فيبدو أنّ المعنى الأوّل أنسب...

و من مجموع هذه الآيات و بمقايستها مع ما تقدم من الآيات فى شأن عاد، يستفاد أن عادا«قوم هود»كان أكثر اهتمامهم فى حب الذات و المقام و المفاخره على سواهم...فى حين أن ثمود«قوم صالح»كانوا أسرى بطونهم و الحياه المرفهه»...و يهتمون أكبر اهتمامهم بالتنعم،إلّا أنّ عاقبه الجماعتين كانت واحده، لأنّهم جعلوا دعوه الأنبياء التى تحررهم من سجن عباده الذات للوصول إلى عباده اللّه،جعلوها تحت أقدامهم،فنال كلّ منهم عقابه الصارم الوبيل...

و بعد ذكر هذه الانتقادات يتحدث النّبى صالح عليه السّلام فى القسم الثّالث من كلامه مع قومه،فيقول: فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ .

ص:۴۲۹

۱- ۱) -«الطلع»مأخوذ من ماده«الطلوع»و يستعمل فى ما يكون منه الرطب بعدئذ،و هو معروف و شكله جميل منضوم نضيد،له غلاف ينشقّ عنه العذق أول الربيع.ثمّ يلقح بيد الإنسان أو بالرياح ليكون الثمر...و قد يستعمل الطلع فى الثمره الأولى للنخل!و«الهضيم»من ماده«هضم»،و له معان مختلفه،فتاره يراد منه الثمره الناضجه،و تاره يطلق على الثمر اللين القابل للهضم،و تاره يطلق على المهضوم،و قد يستعمل بمعنى المنضوم المنضد،فإذا كان الطلع فى الآيه محل البحث بمعنى العذق أوّل طلوعه،فالهضيم معناه المنضود،و إذا كان الطلع أول الثمر فالهضيم معناه الناضج اللين اللطيف...

ملاحظه:

اشاره

العلاقه بين الإسراف و الفساد فى الأرض!

نعرف أن«الإسراف»هو التجاوز عن حدّ قانون التكوين و قانون التشريع...

و واضح أيضا أنّ أىّ تجاوز عن الحد موجب للفساد و الاختلال و بتعبير آخر:إن مصدر الفساد هو الإسراف،و نتيجه الإسراف هى الفساد أيضا.

و ينبغى الالتفات إلى أنّ الإسراف له معنى واسع،فقد يطلق على المسائل الماديه كالأكل و الشرب،كما فى الآيه(۳۱)من سوره الأعراف كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا .

و قد يرد فى الانتقام و القصاص-عند تجاوز الحد-كما فى الآيه(۳۳)من سوره الإسراء... فَلاٰ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كٰانَ مَنْصُوراً .

و قد يستعمل فى الإنفاق و البذل عند التبذير و عدم التدبير،كما فى الآيه(۶۷) من سوره الفرقان: وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً .

و قد يأتى فى الحكم أو القضاء الذى يجرّ إلى الكذب،كما فى الآيه(۲۸)من سوره غافر: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّٰابٌ !
و قد يستعمل فى الإعتقاد المنتهى إلى الشك و التردد و الارتياب كما فى الآيه (۳۴)من سوره غافر إذ تقول: كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتٰابٌ .

و قد يأتى بمعنى الاستعلاء و الاستكبار و الاستثمار كما جاء فى الآيه(۳۱) من سوره الدخان فى شأن فرعون إِنَّهُ كٰانَ عٰالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ .

و أخيرا فقد يأتى بمعنى مطلق الذنوب كما هو فى الآيه(۵۳)من سوره الزمر قُلْ يٰا عِبٰادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً .

و بملاحظه كل ما بيّناه آنفا،تتّضح العلاقه بين الإسراف و الفساد بجلاء...

يقول العلاّمه الطباطبائى فى الميزان:«إن الكون على ما بين أجزائه من

التضاد و التراحم،مؤلف تأليفا خاصا يتلائم معه أجزاؤه بعضها مع بعض فی النتائج و الآثار...فالكون يسير بالنظام الجاری فيه إلی غايات صالحه مقصوده، و هو بما بين أجزائه من الارتباط التام يخط لكل من أجزائه سبيلا خاصّا يسير فيها بأعمال خاصّه،من غير أن يميل عن حاق وسطها إلی يمين أو يسار أو ينحرف بإفراط أو تفريط،فإنّ فی الميل و الانحراف إفسادا للنظام المرسوم و يتبعه إفساد غايته و غايه الكل...و من الضروری أن خروج بعض الأجزاء عن خطه المخطوط له،و إفساد النظم المفروض له و لغيره،يستعقب منازعه بقيه الأجزاء له،فإن استطاعت أن تقيمه و ترده إلی وسط الاعتدال فهو و إلاّ أفنته و عفت آثاره،حفظا لصلاح الكون و استبقاء لقوامه و الإنسان الذی هو أحد أجزاء الكون غير مستثنی من هذه الكليه،فإن جری علی ما يهديه إليه الفطره فاز بالسعاده المقدره له،و إن تعدّی حدود فطرته و أفسد فی الأرض،أخذه اللّه سبحانه بالسنين و المثلات و أنواع النكال و النقمه،لعله يرجع إلی الصلاح و السداد، قال اللّه تعالی: ظَهَرَ الْفَسٰادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِی النّٰاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . (1)

و إن أقاموا مع ذلك علی الفساد-لرسوخه فی نفوسهم-أخذهم اللّه بعذاب الاستئصال و طهّر الأرض من قذاره فسادهم قال اللّه تعالی: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنٰاهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ . (2) (3) .

و من هنا يتّضح بجلاء،لم ذكر اللّه سبحانه فی الآيات المتقدمه الإسراف و الفساد فی الأرض و عدم الإصلاح،فی سياق واحد و منسجم.

1- 1) -الروم،الآيه 41.

2- 2) -الأعراف،الآيه 96.

3- 3) -راجع تفسير الميزان،الجزء 15،الصفحه 333-334.

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۵۳ الی ۱۵۹]

اشاره

قٰالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مِنَ اَلْمُسَحَّرِينَ (۱۵۳) مٰا أَنْتَ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا فَأْتِ بِآيَهٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (۱۵۴) قٰالَ هٰذِهِ نٰاقَهٌ لَهٰا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۱۵۵) وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۵۶) فَعَقَرُوهٰا فَأَصْبَحُوا نٰادِمِينَ (۱۵۷) فَأَخَذَهُمُ اَلْعَذٰابُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَهً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۵۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۵۹)

التّفسير

اشاره

عناد قوم صالح و لجاجتهم:

لقد استمعتم إلی منطق صالح المتين و المحب للخير،مع قومه المضلين-فی الآيات المتقدمه-و الآن لنستمع إلی جواب قومه فی هذه الآيات.

إنهم واجهوه بكلام خشن و قٰالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ فلذلك فقدت عقلك و تتكلم بكلمات غير موزونه و لا معقوله.

ثمّ بعد هذا كله مٰا أَنْتَ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا و كل عاقل لا يبيح لنفسه أن يطيع

إنسانا مثله فَأْتِ بِآيَهٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ لكى نؤمن بك و نتبعك.

كلمه(المسحّر)مشتقّه من(السحر)و معناها المسحور،أى المصاب بالسحر، إذ كانوا يعتقدون أن السحره كانوا عن طريق السحر يعطلون عمل العقل،و هذا القول لم يتّهم به النبىّ صالحا فحسب،بل اتهم به كثير من الأنبياء،حتى أن المشركين اتّهموا نبيّنا محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم به فقالوا: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً (۱) .

أجل،إنّهم كانوا يرون معيار العقل أن يكون الإنسان متوقفا مع البيئه و المحيط، فيأكل الخبز-مثلا-بسعر يومه،و يطبّق نفسه على جميع المفاسد...فلو أن رجلا مصلحا إلهيّا دعا الناس للقيام و النهوض بوجه العقائد الفاسده و إصلاحها،عدوّه- بحسب منطقهم- مجنونا«مسحّرا».

و هناك احتمالات أخر فى معنى«المسحّرين»،صرفنا النظر عنها لعدم مناسبتها...

و على كل حال فإنّ هؤلاء المعاندين من قوم صالح،طلبوا منه معجزه لا من أجل معرفه الحق،بل تذرعا بالحجه الواهيه،و على نبيّهم أن يتم الحجه عليهم، فاستجاب لهم-و بأمر اللّه-قال: هٰذِهِ نٰاقَهٌ لَهٰا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ .

و«الناقه»معروفه عند العرب،و هى أنثى الجمل،و القرآن لم يذكر خصائص هذه الناقه التى كان لها حاله إعجازيه،إلاّ أنه ذكرها بنحو الإجمال...لكننا نعرف أنّها لم تكن ناقه كسائر النياق الطبيعيه،فكما يقول جماعه من المفسّرين:كانت هذه الناقه بحاله من الإعجاز بحيث خرجت من قلب الجبل.و من خصائصها أنّها كانت تشرب ماء الحىّ فى يوم،و اليوم الآخر لأهل الحى«أو القريه»و هكذا دواليك...كما أشارت الآيه آنفه الذكر إلى هذا المعنى،و وردت الإشاره إلى هذا المعنى فى الآيه(۲۸)من سوره القمر أيضا.

۱- ۱) -سوره الفرقان،الآيه ۸.

و قد ذکر المفسّرون لها خصائص أخر (۱) .

و علی کل حال،کان علی صالح علیه السّلام أن یعلمهم أن هذه الناقه ناقه عجیبه و خارقه للعاده،و هی آیه من آیات عظمه اللّه المطلقه فعلیهم أن یدعوها علی حالها،و قال: وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذٰابُ یَوْمٍ عَظِیمٍ ...

و بدیهی أن المترفین قوم صالح المعاندین کانوا یعلمون أن یقظه الناس ستؤدی إلی الإضرار بمنافعهم الشخصیه فتآمروا علی نحر الناقه: فَعَقَرُوهٰا فَأَصْبَحُوا نٰادِمِینَ (۲) لأنّهم رأوا أنفسهم قاب قوسین من العذاب الالهی.

و لما تجاوز طغیانهم الحدّ،و أثبتوا بأعمالهم أنّهم غیر مستعدین لقبول الحق، اقتضت إراده اللّه و مشیئته أن یطهر الأرض من وجودهم الملوّث فَأَخَذَهُمُ الْعَذٰابُ .

و کما نقرأ فی الآیه(۷۸)من سوره الأعراف،و الآیه(۶۷)من سوره هود،ما جاء عن عذاب اللّه لهم إجمالا...أن الأرض زلزلت من تحتهم لیلا،فانتبهوا من نومهم و جثوا علی الرکب فما أمهلهم العذاب و أخذتهم الرجفه و الصیحه،فاهتزت حیطانهم و هوت علیهم فأماتتهم جاثمین علی حالهم ففارقوا الدنیا بحال موحشه رهیبه!...

و یقول القرآن فی ختام هذه الحادثه ما قاله فی ختام حوادث قوم هود و قوم صالح و قوم نوح و قوم إبراهیم علیه السّلام،فیعبّر تعبیرا بلیغا موجزا یحمل بین ثنایاه عاقبه أولئک الظالمین:إن فی قصه قوم صالح،و فی صبره و تحمله و استقامته و منطقه القویم من جهه،و عناد قومه و غرورهم و انکارهم للمعجزه البیّنه،و المصیر

۱- ۱) -لمزید الإیضاح فی هذا الصدد یراجع تفسیر الآیه(۶۱)من سوره هود...

۲- ۲) -کلمه(عقروها)مأخوذه من ماده(عقر)علی زنه(قفل)و معناها فی الأصل أساس الشیء و جذره،و قد تأتی بمعنی حز الرأس،و تأتی بمعنی قطع الأرجل من الحیوان،و ما إلی ذلک.

الأسود الذی آلو إلیه دروس و عبر: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ .

أجل،لیس لأحد أن یغلب ربّه،فما فوق قوته من قوّه!!و هذه القوّه و هذه القدره العظیمه لا تمنع أن یرحم أولیاءه،بل أعداءه أیضا: وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ . (۱)

ص: ۴۳۵

۱- ۱) -تقول الروایات إن الـذی قتل ناقه صالح کان واحدا لا غیر...إلاّ أن القرآن یعبر عن هذا الفعل بصیغه الجمع(فعقروها). و هذا التعبیر لأن الآخرین کانوا راضین بعمله و یضمون أصواتهم إلی صوته،و یعتقدون بمعتقده...و تنفتح نافذه من هنا علی أصل اسلامی،و هو أنّ العلائق الفکریه و المذهبیّه تجعل المنتمین إلیها فی صف واحد،و تکون عاقبتهم واحده.لمزید الإیضاح یراجع الآیه(۶۵)من سوره هود...

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶۰ الى ۱۶۶]

اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۶۰) إِذْ قٰالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۶۱) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۶۲) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۶۳) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۶۴) أَ تَأْتُونَ اَلذُّكْرٰانَ مِنَ اَلْعٰالَمِينَ (۱۶۵) وَ تَذَرُونَ مٰا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عٰادُونَ (۱۶۶)

التّفسير

اشاره

السفله المعتدون:

سادس نبيّ-ورد جانب من حياته و حياه قومه المنحرفين في هذه السوره- هو«لوط»عليه السّلام،و مع أنّه كان يعيش في عصر إبراهيم الخليل،إلاّ أنّ قصته لم تأت بعد قصّه إبراهيم عليه السّلام،لأن القرآن لم يكن كتابا تاريخيا ليبيّن الحوادث بترتيب وقوعها...بل يلفت النظر إلى جوانبه التربويه البناءه،و التي تقتضي تناسبا آخر...

و قصّه لوط و ما جرى لقومه تنسجم في حياه الأنبياء الآخرين الذين ورد ذكرهم في ما بعد...

يقول القرآن أوّلا في هذا الصدد: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ .

ص: ۴۳۶

ورود«المرسلين»بصيغه الجمع،إمّا لأنّ دعوه الأنبياء عليهم السّلام واحده،فتكذيب الواحد منهم تكذيب للجميع،أو أن قوم لوط لم يؤمنوا بأىّ نبى قبل لوط واقعا و حقيقه...

ثمّ يشير القرآن الكريم إلى دعوه لوط التى تنسجم مع دعوه الأنبياء الآخرين الماضين،فيقول: إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ .

و لحن كلماته و قلبه المتحرق لهم،العميق فى تودّه إليهم،يدل على أنّه بمثابه «الأخ»لهم.

ثمّ أضاف لوط قائلا: إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ فلم تعرفوا عنّى خيانه حتى الآن... و سأرعى الأمانه فى إيصال رساله اللّه إليكم أبدا... فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِیعُونِ فأنا زعيمكم إلى السعاده و النجاه.

و لا تتصوروا أنّ هذه الدعوه وسيله اتخذها للحياه و العيش،و أنّ وراءها هدفا مادّيا،كلّا: وَ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّ عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ .

ثمّ يتناول بالنقد أعمالهم القبيحه،و قسما من انحرافاتهم الأخلاقيه...

و حيث أنّ أهم نقطه فى انحرافاتهم...هى مسأله الانحراف الجنسى،لذلك فإنّه ركّز عليها و قال: أَ تَأْتُونَ الذُّکْرانَ مِنَ الْعالَمِینَ .فتختارون الذكور من بين الناس لإشباع شهواتكم!! أى،إنّكم على الرغم ممّا خلق اللّه لكم من الجنس المخالف«النساء»حيث تستطيعون أن تعيشوا معهن بالزواج المشروع عيشا طاهرا هادئا،إلاّ أنّكم تركتم نعمه اللّه هذه وراءكم،و لوّثتم أنفسكم بمثل هذا العمل القبيح المخزى...

كما و يحتمل فى تفسير هذه الآيه أن«من العالمين»جاء قيدا لقوم لوط أنفسهم،أى إنّكم من دون العالمين وحدكم المنحرفون بهذا الانحراف و المبتلون به...كما أن هذا الاحتمال ينسجم مع بعض التواريخ إذ يقال أن أوّل أمّه ارتكبت

الانحراف الجنسی«اللواط»بشکل واسع هی قوم لوط، (۱) إلاّ أن التّفسیر الأوّل مع الآیه التالیه-أکثر انسجاما.

ثمّ أضاف قائلا: وَ تَذَرُونَ مٰا خَلَقَ لَکُمْ رَبُّکُمْ مِنْ أَزْوٰاجِکُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عٰادُونَ .

فالحاجه و الغریزه الطبیعیه،سواء کانت روحیه أم جسمیه لم تجرّکم إلی هذا العمل الانحرافی الشنیع ابدا،و إنّما جرّکم الطغیان و التجاوز،فتلوثتم و خزیتم به...

إن ما تقومون به یشبه من یترک الثمر الطیب و النافع و السالم،و یمضی نحو الغذاء المسموم الملوّث الممیت...فهذا الفعل لیس حاجه طبیعیه...بل هو التجاوز و الطغیان!

بحثان

اشاره

۱-الانحراف الجنسی انحراف مخجل

أشار القرآن فی سور متعدده منه-کالأعراف و هود و الحجر و الأنبیاء و النمل و العنکبوت،إلی ما کان علیه قوم لوط من الوزر الشنیع...إلاّ أن تعابیره-فی السور المذکوره آنفا-یختلف بعضها عن بعض...و فی الحقیقه إن کل تعبیر من هذه التعابیر یشیر إلی بعد من أبعاد عملهم الشنیع:

ففی«الأعراف»نقرأ مخاطبه لوط إیّاهم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ . (۲)

و فی الآیه(۷۴)سوره الأنبیاء یتحدث القرآن عن لوط فیقول: وَ نَجَّیْنٰاهُ مِنَ الْقَرْیَهِ الَّتِی کٰانَتْ تَعْمَلُ الْخَبٰائِثَ إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فٰاسِقِینَ .

أمّا فی الآیه-محل البحث-فقد قرأنا مخاطبه لوط إیاهم بقوله:

۱- ۱) -فی شأن انحراف هؤلاء القوم،یذکر التأریخ قصه یمکن مراجعتها فی تفسیر الآیه(۸۱)من سوره هود...

۲- ۲) -سوره الأعراف،الآیه ۸۱.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عٰادُونَ

.

و جاء فى الآيه(۵۵)من سوره النمل قوله لهم: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ «الآيه ۵۵».

كما جاء فى الآيه(۲۹)من سوره العنكبوت على لسان لوط مخاطبا إيّاهم إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجٰالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ . (۱)

و هكذا فقد ذكر هذا العمل القبيح بعناوين«إسراف»،«خبيث»،«فسق»، «تجاوز»،«جهل»،و«قطع السبيل».

«الإسراف»من جهه أنّهم نسوا نظام الخلق فى هذا الأمر،و تجاوزوا عن الحد،و«التعدّى»ذكر أيضا لهذا السبب.

و«الخبيث»هو ما ينفر منه طبع الإنسان السليم،و أىّ عمل أقبح من هذا العمل الذى ينفر منه؟! «الفسق»معناه الخروج عن الطاعه-طاعه اللّه-و التعرى عن الشخصيّه الإنسانيه،و هو من لوازم هذا العمل حتما.

و«الجهل»لعدم معرفتهم بعواقب هذا الفعل الوخيمه على الفرد و المجتمع!...

و أخيرا فإن«قطع السبيل»هو النتيجه السيئه لهذا الفعل،لأنّه سيؤدى إلى انقطاع النسل عند اتساع هذا الفعل،لأنّ العلاقه نحو الجنس المشابه ستحل محل العلاقه نحو الجنس المخالف بالتدريج(كما هى الحال بالنسبه للواط و السحاق).

۲-العواقب الوخيمه للانحراف الجنسى.

بالرغم من بحثنا لهذا الموضوع فى ذيل الآيات ۸۱-۸۳ بحثا مفصّلا فى أضرار هذا العمل القبيح،إلاّ أنه-نظرا لأهميته-نرى هنا من اللازم أن نذكر

۱- ۱) -قيل أن المراد من(تقطعون السبيل)أى تقطعون سبيل الفطره و تداوم النسل،و فسّره آخرون بأنّ المراد هو أن قوم لوط كانوا قطّاع طرق و سرّاقا!...

مطالب أخر مضافا إلى ما سبق!

فی الحدیث عن النّبی(محمّد)صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال: «لا یجد ریح الجنّه زنوق و هو المخنث». (۱)

و

فی حدیث آخر عن الإمام علی علیه السّلام أنه قال: «اللواط هو الکفر». (۲)

و

فی حدیث عن الإمام علی بن موسی الرضا فی فلسفه تحریم اللواط و السحاق أنه قال: «عله تحریم الذکران للذکران،و الإناث للإناث،لما رکب فی الإناث و ما طبع علیه الذکران،و لما فی إتیان الذکران الذکران،و الإناث للإناث من انقطاع النسل،و فساد التدبیر،و خراب الدنیا». (۳)

و هذه المسأله قبیحه جدّا فی نظر الإسلام بحیث جعل-فی أبواب الحدود- حدّه القتل دون شک...حتی الذین یقومون بعمل أدنی من اللواط و السحاق جعل لهم عقابا صارما...

ففی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال: «من قبل غلاما من شهوه،ألجمه اللّه یوم القیامه بلجام من نار». (۴)

و عقوبه من یفعل مثل هذا الفعل تتراوح من ثلاثین سوطا إلی تسعه و تسعین سوطا...

و علی کل حال،فلا شک أن الانحراف الجنسی من أخطر الانحرافات الاجتماعیه...لأنّه یلقی بظله المشؤوم علی جمیع المسائل الأخلاقیه،و یجر الإنسان إلی الانحراف العاطفی.

«و کان لنا بحث مفصل فی هذا الصدد فی ذیل الآیه ۸۱ من سوره هود».

۱- ۱) -بحار الأنوار،الطبعه الجدیده،ج ۷۹،ص ۶۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السابق،ص ۶۴.

۴- ۴) -بحار الأنوار،ج ۷۹،ص ۷۲.

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶۷ الى ۱۷۵]

اشاره

قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُخْرَجِينَ (۱۶۷) قٰالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ اَلْقٰالِينَ (۱۶۸) رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمّٰا يَعْمَلُونَ (۱۶۹) فَنَجَّيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۷۰) إِلاّٰ عَجُوزاً فِي اَلْغٰابِرِينَ (۱۷۱) ثُمَّ دَمَّرْنَا اَلْآخَرِينَ (۱۷۲) وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسٰاءَ مَطَرُ اَلْمُنْذَرِينَ (۱۷۳) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۴) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۷۵)

التّفسير

اشاره

عاقبه قوم لوط:

إن قوم لوط الغارقين بالغرور و المتماديه بهم رياح الشهوه،بدلا من أن يذعنوا لنصائح هذا القائد الإلهى،فتدخل مواعظه فى قلوبهم و يخلصوا من تلك الأمواج الرهيبه،فإنهم نهضوا لمواجهته و قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ...

إن كلامك يبلبل أفكارنا،و يسلب اطمئناننا و هدوأنا،فنحن غير مستعدين

حتی للإصغاء إلی کلامک...و إذا واصلت هذا الأسلوب و لم تنته منه،فإنّ أقل ما تجزی به هو الإبعاد و الإخراج من هذه الأرض...

و نقرأ فی مکان آخر من القرآن أن قوم لوط سعوا لتنفیذ تهدیدهم،و أمروا بإخراج لوط و أهله،فقالوا: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْیَتِکُمْ إِنَّهُمْ أُنٰاسٌ یَتَطَهَّرُونَ .

إن فعل هؤلاء الضالّین-بلغ بهم أن یعدوا التقوی و التطهر بینهم أکبر عیب، و أن یفخروا بالرجس و عدم الطهاره،و هذه هی العاقبه المشؤومه للمجتمع المسرع نحو الفساد! و یستفاد من عباره لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِینَ أنّ هذه الجماعه الفاسده کانوا قد أخرجوا أناسا طاهرین من حیّهم فهدّدوا لوطا بهذا الأمر أیضا،و هو أنه إذا لم تنته فستنال ما ناله سواک من الإبعاد و الإخراج...

و قد صرّح فی بعض التفاسیر أنّهم کانوا یخرجون المتطهرین من القریه بأسوأ الحال (۱) ...

إلّا أنّ لوطا لم یکترث بتهدیدهم،و واصل نصحه لهم و قٰالَ إِنِّی لِعَمَلِکُمْ مِنَ الْقٰالِینَ .

إنّه یرید أن یقول:سأواصل انتقادی إیّاکم...فافعلوا ما شئتم...فأنا لا أترک مواجهه هذه الأعمال القبیحه بالاعتراض و النقد!...

و التعبیر ب«من القالین»یدلّ أیضا علی أن جماعه کانوا مثل النّبی لوط یرفضون هذه الأعمال و یعترضون علیها...رغم أن المنحرفین أخرجوهم من قریتهم آخر الأمر.

کلمه«القالین»جمع«قال»من ماده(قلی)أو(قلی)«علی وزنی حلق و شرک»و معناها العداوه الشدیده التی تترک أثرها فی قلب الإنسان،و هذا التعبیر

۱- ۱) -تفسیر روح المعانی،و التّفسیر الکبیر للفخر الرازی،ذیل الآیات محل البحث.

یکشف عن شدّه تنفّر لوط من أعمالهم...

و الـذی یسترعی النظر أن لوطـا یقول:إنّی لعملکم من القـالین.أی إنّنی لا أعادیکم بأشخاصـکم،بل أعادی أعمالکم المخزیه،فلو ابتعدتم عن هذا العمل الشنیع فأنا محبّ لکم و غیر قال لکم.

و أخیرا لم تـؤثر مواعـظ لـوط و نصـائحه فی قومه،فبـدّل الفسـاد مجتمعهم کلّه إلی مسـتنقع عفن...و تمّت الحجه علیهم بمقـدار کـاف، و بلغت رسـاله لوط مرحلتهـا النهائیه...فعلیه أن یغادر هـذه المنطقه العفنه،و أن ینجّی من معه ممن اسـتجاب دعوته،لینزل عذاب اللّه علی القوم الفاسقین فیهلکهم،فسأل لوط ربّه أن یخلّصه من قومه،فقال: رَبِّ نَجِّنِی وَ أَهْلِی مِمّٰا یَعْمَلُونَ .

و بالرغم من أنّ بعضهم احتمل أن یکون المراد من الأهل من الآیه جمیع من آمن به...إلاّ أن الآیه(۳۶)من سوره الذاریات تقول: فَمٰا وَجَدْنٰا فِیهٰا غَیْرَ بَیْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِینَ .

و لکن کما أشرنا من قبل-فإن بعض التعابیر الوارده فی الآیات محل البحث، تشیر إلی أن جماعه من المؤمنین به کانوا قد أبعدوا و أخرجوا من القریه...

و یستفاد ممّا قیل-ضمنا-أن دعاء لوط لأهله لم یکن بسبب العلاقه العاطفیه و الارتباط النسبی القرابتی،بل لإیمانهم به...

فاستجاب اللّه دعاؤه کما تقول الآیه التالیه: فَنَجَّیْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِینَ إِلاّٰ عَجُوزاً فِی الْغٰابِرِینَ . (۱)

و هـذه العجوز لم تکن سوی زوج النّبی لوط التی کـانت منسـجمه مع أفکـار قومه الضالین و عقیـدتهم،و لم تؤمن بلوط أبـدا،و لذلک ابتلیت بما أبتلی به قومه من العذاب و الهلاک.

۱- ۱) -«الغابر»من ماده(الغبور)و معناه الباقی،و متی ما تحرکت جماعه و بقی شخص فی المکان فإنّه یدعی(غابرا)و لهذا السبب سمی التراب الباقی غبارا...و الغبره:الباقی من اللبن فی ثدی الحیوان.

و قد بيّنا تفصيل هذا الموضوع فى ذيل الآيات«۸۱-۸۳ من سوره هود».

أجل،لقـد نجّى اللّه لوطا و المؤمنين القلّه معه،فأمر أن يخرج بهم ليلا من تلك المـدينه-أو القريه-فترك قومه الغارقين بالفسق و الفجور على حالهم،فنزل عـذاب اللّه فى الغداه،فتزلزلت بهم الأرض و انهارت عليهم الأبنيه و القصور الجميله حتى أصـبح عاليها سافلهـا و هلكوا جميعا فى ديارهم،و قـد عبّر القرآن عن كان ذلك بعباره موجزه بليغه،فقال: ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ و لم يكف ذلك بل وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً و أىّ مطر!إنّه وابل من أحجار نزل على تلك الخرائب ليمحو أثرها من الانظار. فَسٰاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ !...

و الأمطار عاده تمنح الحياه،إلاّ أن هذا المطر كان موحشا مهلكا مخرّبا...

و يستفاد من الآيه(۸۲)من سوره هود أن قرى قوم لوط و مـدنهم قلب عاليهـا سافلهـا أوّلا،ثمّ أمطرت بالحجر النضـيد المتراكم،و لعله كان إمطارهم بالحجاره لمحوا آثارهم،فلم يبق منها غير تل كبير من الأحجار و التراب بدل تلك المدن العامره...

ترى هل كانت هـذه الأحجار قـد حملت من الصـحارى على أثر اعصار عظيم و سـقطت على رؤوسـهم؟أو هى أحجار نزلت من السـماء بـأمر من اللّه عليهم؟! أو كمـا يقول بعض المفسّـرين كـان هنـاك بركـان أو جبـل نـار قـد خمـد لفتره،ثمّ انفجر بأمر اللّه فـأمطرهم بالحجاره،ليس ذلك معلوما على نحو الـدقّه!إلاّ أن من المسلّم به أنّ هـذه الأحجار-أو هـذا المطر المهلك-لم يترك للحيـاه فى تلك الأرض من أثر! «و تفصـيل هـذا الموضوع ذكرناه فى ذيل الآيات ۸۱-۸۳ من سوره هود،كمـا ذكرناه فى الجزء الثامن مع«لطائف»مختلفه فلا بأس بمراجعتها»...

و مرّه أخرى نواجه فى نهـايه هـذه القصّه الجملتين اللتين تكررتا فى القصـص المشابهه لها فى هـذه السوره،فى شأن خمسه أنبياء كرام آخرين،إذ يقول القرآن:

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ

.

و أیّه آیه أجلی من هـذه الآیه التی تعرفکم علی هـذه المسائل المهمّه و البناءه، دون أن تحتاجوا إلی تجربه شخصیه!أجل إن تاریخ الماضین عبره و آیه للآتین، و لیس تجربه،لأنّ التجربه ینبغی علی الإنسان أن یتحمل فیها خسائر لیحصل علی نتائجها...إلاّ أنّنا هنا نحصل علی النتائج من خسائر الآخرین!.

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ

.

و أیه رحمه أعظم من أنّه لا یعاقب أقواما فاسقین کقوم لوط فورا،بل یمهلهم إمهالا کافیا لعلهم یهتدون،و یجددوا نظرهم فی أعمالهم!...

و أیه رحمه أعظم من أن لا یخلط عقابه«الأخضر بالیابس» بل لو کان فی ألف ألف (1) أسره غیر صالحه أسره واحده صالحه،فإنه ینجیها منها و ینزل العذاب علی أولئک! و أیه عزّه أعظم من أن تری بطرفه عین واحده دیار الفاسقین قد دمرت تدمیرا و لم یبق منها أی أثر! فالأرض التی کانت مهادا لأمنهم أمرت بإقبارهم،و المطر الذی تحیا به الأرض و الناس یکون ممیتا لهم!

۱- ۱) -ذکرنا آنفا أن مصطلح ألف ألف هو التعبیر العربی الصحیح و أن کلمه ملیون لیست عربیّه بل هی غربیه فتأمل.

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۷۶ الى ۱۸۴]

اشاره

كَذَّبَ أَصْحابُ اَلْأَيْكَهِ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۷۶) إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۷۷) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۷۸) فَاتَّقُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۷۹) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلى رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۱۸۰) أَوْفُوا اَلْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ اَلْمُخْسِرِينَ (۱۸۱) وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ اَلْمُسْتَقِيمِ (۱۸۲) وَ لا تَبْخَسُوا اَلنّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِي اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۱۸۳) وَ اِتَّقُوا اَلَّذِى خَلَقَكُمْ وَ اَلْجِبِلَّهَ اَلْأَوَّلِينَ (۱۸۴)

التّفسير

اشاره

شعيب و أصحاب الأيكه:

هذه هى القصّه السابعه،و الحلقه الأخيره من قصص الأنبياء الوارده فى هذه السوره...و هى قصه«شعيب»عليه السّلام و قومه المعاندين.

كان هذا النّبى يقطن فى«مدين»،«و هى مدينه تقع جنوب الشامات».

و«أيكه»على وزن(ليله)«قريه أو أرض معموره على مقربه من مدين».

ص:۴۴۶

و الآيه(٧٩)من سوره الحجر تدل على أن«أيكه»كانت تقع فى طريق أهل الحجاز إلى الشام.

تقول الآيه الأولى من الآيات محل البحث: كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَهِ الْمُرْسَلِينَ .

إنّهم لم يكذبوا نبيّهم شعيبا فحسب،بل كذبوا جميع الأنبياء،لأنّ دعوتهم واحده...أو لأنّهم لم يصدقوا و يقبلوا بأىّ رساله سماويه أبدا...

و الأيكه معناها فى الأصل محل مكتظ بالأشجار،و هى هنا إشاره إلى منطقه تقع على مقربه من«مدين»،سمّيت بذلك لأن فيها أشجارا كثيره و ماء و ظلالا!...

و القرائن تشير إلى أنّهم كانوا منعّمين مترفين ذوى حياه مرفهه و ثروه كثيره،و ربّما كانوا لهذه الأمور غرقى الغرور و الغفله!...

ثمّ يتحدث القرآن إجمالا عن شعيب عليه السّلام و عنهم فيقول: إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ .

و فى الحقيقه فإن دعوه شعيب عليه السّلام انطلقت من النقطه التى ابتدأها سائر الأنبياء،و هى التقوى و مخافه اللّه التى تعدّ أساس المناهج الإصلاحيه و التغييرات الأخلاقيه و الاجتماعيه جمعاء...

و الجدير بالذكر أن التعبير«أخوهم»الوارد فى قصص صالح و هود و نوح و لوط عليهم السّلام،لم يلاحظ هنا.و لعل منشأ ذلك يعود إلى أن«شعيبا»كان من أهل مدين أصلا-و تربطه باهلها روابط نسبيه،و ليس كذلك مع اصحاب الأيكه...و لذلك نرى فى سوره هود حين يشير القرآن إلى إرسال«شعيب»إلى قومه من أهل مدين يقول: وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً إلاّ أن الآيه محل البحث لما كانت تتحدث عن أصحاب الأيكه،و شعيب عليه السّلام لا تربطه رابطه نسبيه بهم لم تذكر التعبير «أخاهم»...

ثمّ أضاف شعيب قائلا: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ فطاعتكم

ص: ۴۴۷

لی طاعه للّه.

و اعلموا أنّی أبتغی ثوابه و وجهه وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّٰ عَلیٰ رَبِّ الْعٰالَمِينَ .

و هـذه التعابير هی التعابير ذاتها التی دعا بها سائر الأنبياء أممهم،فهی متحـده المآل و مدروسه،إذ تدعو إلی التقوی،و تؤكّد علی سـابقه أمـانه النّبی بين قومه،كما أنّها تؤكّـد علی أن الهـدف من الـدعوه إلی اللّه معنوی فحسب،و ليس ورائها هـدف مادی،و لا يطمع أیّ من الأنبياء بما فی يد الآخرين،ليكون مثارا للشكوک و ذريعه للمتذرعين! و«شعيب»كسائر الأنبياء الذين ورد جانب من تأريخ حيـاتهم فی هـذه السـوره،فهـو يـدعو قـومه بعـد الـدعوه العـامّه للتقوی و طـاعه اللّه،إلی إصـلاح انحرافـاتهم الأخلاـقيه و الاجتماعيه و ينتقـدهم علی هـذه الانحرافات،و حيث أن أهم انحراف عند قومه كان الاضـطراب الاقتصادی،و الاسـتثمار و الظلم الفـاحش فی الأثمـان و السلع،و التطفيف فی الكيل،لـذلک فقـد اهتم بهـذه المسائل أكثر من غيرها،و قال لهم: أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ (۱) الْمُسْتَقِيمِ وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .

و فی هذه الآيات الأخيره الثلاث يأمر شـعيب هؤلاء القوم الضالين بخمسه أوامر فی عبارات موجزه،و يتصور بعض المفسّـرين أن هذه العبارات بعضـها يؤكّد بعضا،إلاّ أن التدقيق فيها يدلّ علی أن هذه الأوامر الخمسه فی الواقع تشـير إلی خمسه مطالب أساسيه و مختلفه،أو بتعبير آخر:هی أربعه أوامر و نتيجه كليّه!...

و لكی يتّضح هذه الاختلاف أو التفاوت،فإنه يلزم الالتفات إلی هذه

ص:۴۴۸

---

۱ – ۱) -«القسـطاس»،«علی وزن نسـناس»معناه«ميزان»...قال بعضـهم:أصل هذه الكلمه روميّه،و قال بعضهم.بل هی عربيه، و يعتقد بعضـهم أن القسـطاس ميزان كبير،أما الميزان نفسه المسـتعمل فی لغه العرب فهو الصـغير،و قالوا:إن للقسـطاس مؤشرا و لسانا فهو لذلک دقيق الوزن!...

الحقيقه...و هی أن قوم شعیب(أهل مدین و أصحاب الأیکه)کانوا مستقرین فی منطقه حساسه تجاریه،و هی علی طریق القوافل القادمه من الحجاز إلی الشام، أو العائده من الشام إلی الحجاز،و من مناطق أخر.

و نحن نعرف أن هذه القوافل تحتاج فی أثناء الطریق إلی أمور کثیره...

و طالما یسیء أهل المنطقه الاستفاده من هذه الحاله،فهم یستغلونها فیشترون بضائعهم بأبخس ثمن...و یبیعون علیهم المستلزمات بأعلی ثمن«و ینبغی الالتفات إلی أن أکثر المعاملات فی ذلک الحین کانت قائمه علی أساس المعاوضه سلعه بسلعه»...

و ربما تذرعوا عند شراء البضاعه بأن فیها عده عیوب،و إذا أرادوا أن یبیعوا علیهم عرّفوها بأحسن التعاریف،و عند ما یزنون لأنفسهم یستوفون الوزن،و إذا کالوا الآخرین أو وزنوا لهم لا یهتمون بالمیزان الصحیح و الإستیفاء السلیم، و حیث أن الطرف المقابل محتاج إلی هذه الأمور علی کل حال و مضطر إلیها،فلا بدله من أن یقبلها و یسکت علیها!...

و بغض النظر عن القوافل التی تمرّ علیهم، فإنّ أهل المنطقه نفسها المضطرین إلی التعامل ببضائعهم مع هؤلاء المطففین،و لیسوا بأحسن حظا من أصحاب القوافل أیضا.

فقیمه المتاع سواء کان الجنس یراد بیعه أو شراؤه تتعین بحسب رغبه الکسبه هؤلاء.و الوزن و المکیال علی کل حال بأیدیهم،فهذا المسکین المستضعف علیه أن یستسلم لهم کالمیت بید غاسله! و مع ملاحظه ما ذکرناه آنفا،نعود الآن إلی تعابیر الآیات المختلفه...فتاره یقول شعیب لقومه:أوفوا الکیل،و فی مکان آخر یقول:زنوا بالقسطاس المستقیم، و نعرف أن تقویم الأجناس و البضائع یتم عن طریق الکیل أو الوزن،فهو یشیر الی کل واحد منهما و یهتم به اهتماما خاصا...لمزید التأکید علی أن لا یبخسوا الناس

أشياءهم...

ثمّ إنّ التطفيف أن بخس الناس له طرق شتى،فتاره يكون الميزان صحيحا إلّا صاحبه لا يؤدى حقه،و تاره يكون اللعب أو العيب فى الميزان...فهو يغش صاحبه بما فيه من عيب،و قد جاءت الإشارات فى الآيات الآنفه إلى جميع هذه الأمور.

و بعد اتضاح هذين التعبيرين أَوْفُوا الْكَيْلَ ... وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ نأتى الى معنى(لا تبخسوا)المأخوذه من«البخس»،و هو فى الأصل النقص ظلما من حقوق الناس...و قد يأتى أحيانا بمعنى الغش أو التلاعب المنتهى إلى تضييع حقوق الآخرين...فبناء على ما تقدم،فإن الجمله الآنفه وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ لها معنى واسع يشمل جميع أنواع الغش و التزوير و التضليل،و التلاعب فى المعاملات،و غمط حقوق الآخرين! و أمّا جمله وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ فمع ملاحظه أن«المخسر»هو من يوقع الآخر أو الشىء فى الخسران...فمعناه واسع أيضا،إذ يشمل بالإضافه إلى البخس و التطفيف كل ما من شأنه أن يكون سببا للخساره و إيذاء الطرف الآخر فى المعامله! و هكذا فإنّ جميع ما ذكر من الاستغلال و سوء الاستفاده و الظلم،و المخالفه فى المعامله و الغش و الإخسار،سواء كان ذلك فى الكميه أو الكيفيه،كله داخل فى التعليمات آنفه الذكر...

و حيث أن الاضطراب الاقتصادى،أو الأزمه الاقتصاديه،أساس لاضطراب المجتمع،فإنّ شعيبا يختتم هذه التعليمات بعنوان جامع فيقول: وَ لاٰ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .فتجرّوا المجتمع الى هاويه الفساد و الانحطاط،فعليكم أن تضعوا حدّا لأى نوع من الاستثمار و العدوان و تضييع حقوق الآخرين.

و هذه التعليمات ليست بناءه للمجتمع الثرى الظالم فى عصر شعيب فحسب،

بل هی بناءه و نافعه لکل عصر و زمان،و داعیه إلی العداله الاقتصادیه!...

ثمّ إن«شعیبا»فی آخر تعلیماته-فی هذا القسم-یدعوهم مرد اخری إلی تقوی اللّه فیقول: وَ اتَّقُوا الَّذِی خَلَقَکُمْ وَ الْجِبِلَّهَ الْأَوَّلِینَ .

فلستم أول قوم أو جماعه خلقوا علی هذه الأرض،فآباؤکم و الأمم الأخری جاءوا و ذهبوا،فلا تنسوا ماضیهم و ما تقبلون علیه...

(الجبله)مأخوذه من(الجبل)و هو معروف«ما ارتفع من الأرض کثیرا» و یسمی الطود أحیانا...فالجبله تطلق علی الجماعه الکثیره التی هی کالجبل فی العظمه...

قال بعضهم:الجبله مقدار عددها عشره آلاف! کما تطلق الجبله علی الطبیعه و الفطره الإنسانیه،لأنّها لا تتغیر،کما أن الجبل لا یتغیّر عاده...

و التعبیر المتقدم لعله إشاره إلی أن شعیبا یقول:إنّما أدعوکم إلی ترک الظلم و الفساد،و أداء حقوق الناس و رعایه العدل،لأنّ ذلک موجود فی داخل الفطره الإنسانیه منذ الخلق الأوّل،و أنا جئتکم لإحیاء هذه الفطره...

إلاّ أنّه-و للأسف-لم تؤثر کلمات هذا النّبی المشفق،فأجابوه بمنطق«مرّ و فظ»سنقرؤه فی الآیات المقبله...

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۸۵ الی ۱۹۱]

اشاره

قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ اَلْمُسَحَّرِينَ (۱۸۵) وَ ما أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ اَلْکاذِبِينَ (۱۸۶) فَأَسْقِطْ عَلَيْنا کِسَفاً مِنَ اَلسَّماءِ إِنْ کُنْتَ مِنَ اَلصّادِقِينَ (۱۸۷) قالَ رَبِّی أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (۱۸۸) فَکَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ اَلظُّلَّهِ إِنَّهُ کانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۸۹) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآيَهً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۹۰) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۹۱)

التّفسیر

اشاره

عاقبه الحمقی:

لما رأی قوم شعیب الظالمون-أنّهم لا یملکون دلیلا لیواجهوا به منطقه المتین...و من أجل أن یسیروا علی نهجهم و یواصلوا طریقهم،رشقوه بسیل من التهم و الأکاذیب.

فالتهمه الأولی هی ما یلصقها الجبابره دائما و المجرمون بالأنبیاء،و هی

السحر فاتّهموه بها و قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (۱) و لا يرى فى كلامك ما هو منطقى!!و تظن أنّك بهذا الكلام تستطيع تقييد حريتنا فى التصرف فى أموالنا كما نشاء!! ثمّ ما الفارق بينك و بيننا لنتّبعك؟!و لا مزيّه لك علينا وَ ما أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ .

و بعد إلقاء هذا الكلام المتناقض، إذ تاره يدعونه(من الكاذبين)و رجلا انتهازيا،و تاره يدعونه مجنونا أو من المسحّرين،و كان كلامهم الأخير هو:إن كنت نبيّا فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ حيث كنت تهددنا دائما بهذا اللون من العذاب.

و«كسف»على وزن(فرق)جمع(كسفه)على وزن(قطعه)و معناها قطعه أيضا و المراد من هذه«القطع من السماء»هى قطع الأحجار التى تهوى من السماء...

و هكذا يبلغ بهم صلفهم و وقاحتهم و عدم حيائهم إلى هذه الدرجه،و أظهروا كفرهم و تكذيبهم فى أسوأ الصور.

إلاّ أن شعيبا عليه السّلام،و هو يواجه هذه التعبيرات غير الموزونه و الكلمات القبيحه و طلبهم عذاب اللّه،كان جوابه الوحيد لهم أن قالَ رَبِّى أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ ...

و يشير إلى أنّ الأمر خارج عن يدى،و أن إنزال العذاب و إسقاط الكسف من السماء غير مخول بها ليطلب كل ذلك منّى...فاللّه يعرف أعمالكم و يعلم بها،و ما أنتم أهل له،فمتى لم تنفع المواعظ و تمّت الحجّه اللازمه،فإنّ عذابه لا مرد له و سيقطع دابركم لا محاله!...

و هذا التعبير و أمثاله ممّا يرد على لسان الأنبياء،و ما نلاحظه فى آيات

۱- ۱) -«المسحّر»كما أشرنا من قبل إليه،هو المسحور...أو الذى يقع عليه السحر من قبل السحره،لينفذوا فى عقله و يبطلوا عمله!!

القرآن يـدل على أنّهم كـانوا يوكلون جميع الأمور إلى اللّه،و إنّها بإذنه و أمره،و لم يـدّعوا أنّهم قادرون على كل شـىء،أو أنّهم يفعلون ما يشاءون!.

و على كل حال فإن عـذاب اللّه أزف موعـده- و كما يعبر القرآن عنه فى الآيه التاليه قائلا: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّهِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .

«الظله»فى الأصل معناها القطعه من السحاب المظلّل:أى ذى الظل...

يقول أغلب المفسّرين فى ذيل هذه الآيه:إن حرّا شديدا محرقا حلّ فى أرضـهم سـبعه أيّام،و لم يهب نسـيم بارد مطلقا،فإذا قطعه من السحاب تظهر فى السماء-بعد السبعه أيّام-و تحرك نسيم عليل فخرجوا من بيوتهم،و استظلّوا تحت السحاب من شدّه الحرّ.

و فجأه سطعت من بين السحابه صاعقه مميته بصوتها المذهل،و أحرقتهم بنارها و زلزلت الأرض و هلكوا جميعا.

و نعرف أن الصاعقه تنتـج عن تلاقح القوى أو«الطاقه»الموجبه و السابقه،أو ما يعبر عنها بالشـحنات الكهربائيه و حين تتلاقح هذه الشحنات بين السحاب و الأرض ينتج عنها صوت مرعب و شعله موحشه،و قد تهتز الأرض عند وقوعها فيتزلزل محل سقوطها...و هكذا يتّضح أن اختلاف التعابير فى آيات القرآن الوارده عن عذاب قوم شـعيب،يعود إلى حقيقه واحده!ففى سوره الأعراف جاء التعبير بالرجفه(الآيه(٩١)و فى سوره هود جاء التعبير بالصيحه(الآيه ٩۴)أمّا فى الآيات محل البحث فقد جاء التعبير ب عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّهِ ...

و بالرغم من أنّ بعض المفسّرين«كالقرطبى و الفخر الرازى و غيرهم»يحتمل أن أصـحاب الأيكه و أهل مدين كانوا جماعتين أو طائفتين،و كل طائفه نزل عليهم عـذاب خاص،إلاّ أنه مع ملاحظه هذه الآيات المتعلقه بهذا القسم-بدقه-يتجلّى أن هذا الاحتمال غير واردا!...

و تختتم القصّه هذه بما ختمت القصص الست السابقه عن أنبياء اللّه الكرام،إذ

يقول القرآن:إن فى حكايه أصحاب الايكه و دعوه نبيّهم شعيب و عنادهم و تكذيبهم،و بالتالى نزول العذاب على هؤلاء المتكبرين درس و عبره لمن اعتبر إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ .

و مع ذلك كله فإن اللّه رحيم ودود يمهلهم لعلهم يرجعون و يصلحون أنفسهم، فإذا تمادوا فى الغى و استوجبوا عذاب اللّه،أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

أجل وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ .

بحوث

اشاره

١-الانسجام التام فى دعوات الأنبياء

فى ختام قصص هؤلاء الأنبياء السبعه نجد أن هذه القصص تشكّل حلقه كامله من حيث الدروس التربويه...و ينبغى أن نلتفت إلى هذه«اللطيفه» (١) و هى أن قصص هؤلاء الأنبياء جميعا جاءت فى سور أخر من القرآن أيضا.إلاّ أنها لم تعرض بهذا العرض بحيث نجد أن بدايه دعوتهم منسجمه،كما أنّ نهاياتها منسجمه أيضا.

و لوحظ فى خمسه أقسام من هذه القصص أن محتوى الدعوه هو تقوى اللّه، ثمّ الإشاره إلى أمانه النّبى،و عدم مطالبته قومه بالأجر على تبليغه إيّاهم...و بعد هذه المسائل تعالج المسائل الاجتماعيه،و الانحرافات الأخلاقيه،من قبل الأنبياء بلغه تنمّ عن الإشفاق و المحبه...

ثمّ يبيّن القرآن ردّ فعل الأمم المنحرفه تجاه أنبيائهم،و أخيرا عاقبتهم الوخيمه،و يذكر عذاب كل منهم و كيفيته...

١- ١) -اللطيفه،ممّا لطف و دقّ و هى الشىء الخفى الذى يحتاج إلى دقه لإدراكه.(المصحح).

و فی نهایه کل من هذه القصص السبع یشیر القرآن إلی أن فی ذلک آیه و أن أکثرهم لا یؤمنون...

ثمّ یؤکّد القرآن أیضا فی نهایه کل قصّه منها علی قدره اللّه(و عزته)و رحمته.

و هذا الانسجام-قبل کل شیء-یدلّ علی تجلی مفهوم وحده دعوات الأنبیاء،بحیث کانوا ذوی منهج واحد و بدایه واحده و نهایه واحده...و جمیعهم کانوا معلمی مدارس الإنسانیه...و بالرغم من أنّ محتوی هذه المدارس کان ینبغی أن یتغیّر بتقدم الزمن و المجتمع الإنسانی،إلاّ أنّ الأصول و النتائج تبقی علی حالها.

ثمّ بعد هذا کله،فإن هذه القصص کانت تسرّی عن قلب النّبی و المؤمنین القلّه فی ذلک العصر(و المؤمنون فی کل عصر)و تسلّی خاطرهم،لئلا یحزنوا و ییأسوا من کثره المشرکین و الأعداء الضالین،و أن یثقوا و یتوقعوا العاقبه لهم...و أن یکون أملهم بذلک کبیرا...

کما أن ذلک إنذار للجبابره و المستکبرین و الظالین-فی کل عصر و زمان- لئلا یتصوروا بأنّ عذاب اللّه بعید عنهم...العذاب بأنواعه کالزلزله و الصاعقه، و الطوفان و البرکان...و انشقاق الأرض و الخسف،و الأمطار الغزیره التی تعقبها السیول المدمّره،و الإنسان المعاصر ضعیف أمامها کضعف الإنسان الغابر...لأن الإنسان المعاصر-بالرغم من جمیع قواه و تقدمه الصناعی عاجز أمام الطوفان و الصاعقه و الزلزله...و یبقی ضعیفا لا حول له و لا طول!...

کل ذلک من أجل أن الهدف من قصص القرآن هو تکامل الناس و بلوغهم الرشد،و الهدف تنویر القلوب و معالجه الهوی بالتعقّل...و أخیرا فإنّ الهدف هو مواجهه الظلم و الانحراف...

۲-التقوی،بدایه دعوه الأنبیاء جمیعا:

ممّا یلفت النظر أن قسما مهما من قصص هؤلاء الأنبیاء-الوارد ذکرهم فی سوره الشعراء-ذکر فی سوره هود و الأعراف،إلّا أن فی بدایه ذکرهم و بیان سیرتهم فی اقوامهم إلی الدعوه إلی وحدانیه اللّه-عاده-و یبتدأ فی تلک السور عند ذکرهم.بجمله یٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ ! إلّا أنّه فی هذه السوره(الشعراء)-کما لاحظنا-کانت بدایه دعوتهم قومهم أَ لاٰ تَتَّقُونَ ...و الحق أنّهما تعودان إلی نتیجه واحده...لأنّه إذا لم توجد فی الإنسان أدنی مراتب التقوی،و هی طلب الحق،فإنه لا یؤثر فیه شیء،لا الدعوه إلی التوحید و لا غیرها...لذا فإنّنا نقرأ فی بدایه سوره البقره قوله تعالی: ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ .

و بالطبع فإنّ التقوی لها مراحل-أو مراتب-و کل مرتبه هی درجه للرقی إلی المرحله التالیه أو المرتبه الأخری...

کما نلاحظ اختلافا آخر بین هذه السوره و سورتی الأعراف و هود،ففی سورتی الأعراف و هود کانت دعوه الأنبیاء تترکز علی نبذ الأصنام،أمّا المسائل الأخر فکانت تحت الشعاع،إلاّ أنه فی سوره الشعراء هذه تترکز الدعوه علی مکافحه الانحرافات الأخلاقیه و الاجتماعیه،کالمفاخره و طلب الاستعلاء، و الإسراف،و الانحراف الجنسی،و الاستثمار و التطفیف.إلخ...و هذا الأمر یکشف بأن تکرار هذه القصص فی القرآن له حساب خاص،و لکلّ هدف معین یعرف من السیاق!

۳-الانحرافات الاخلاقیه

ممّا یلفت النظر أنّ الأقوام المذکورین فی هذه السوره،بالإضافه إلی انحرافهم عن أصل التوحید نحو الشرک و عباده الأوثان،الذی یعدّ أصلا مشترکا

بینهم،فإنهم کانوا متورطین بانحرافات أخلاقیه و اجتماعیه خاصّه«و کل قوم لهم انحرافات خاصّه»...

فبعضهم کانوا أهل مفاخره و تکبر...کقوم هود علیه السّلام.

و بعضهم کانوا أهل إسراف و ترف کقوم صالح علیه السّلام.

و بعضهم کانوا مبتلین بالانحراف الجنسی کقوم لوط علیه السّلام.

و بعضهم کانوا عبده المال بحیث کانوا یتلاعبون بالمعاملات کقوم شعیب علیه السّلام.

و بعضهم کانوا مغرورین بالثروه کقوم نوح علیه السّلام.

إلّا أن عقابهم کان متشابها إلی حدّ ما،و کانت نهایتهم الهلاک...

فبعضهم أهلکوا بالصاعقه و الزلزله کقوم شعیب و قوم لوط و قوم صالح و قوم هود.

و بعضهم أهلکوا بالطوفان کقوم نوح علیه السّلام.

و فی الحقیقه،فإن الأرض التی هی مهد للدعه و الاطمئنان،و کانوا یمرحون علیها،أمرت بإهلاکهم!...

و الماء و الهواء الذین هما سببا حیاتهم نفذا الأمر بإماتتهم! و ما أعجب أن تکون حیاه الإنسان فی قلب الموت،و موته فی قلب الحیاه، و هو مع کل ذلک غافل مغرور!

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۹۲ الی ۱۹۷]

اشاره

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ اَلْعالَمِینَ (۱۹۲) نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِینُ (۱۹۳) عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ اَلْمُنْذِرِینَ (۱۹۴) بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ (۱۹۵) وَ إِنَّهُ لَفِی زُبُرِ اَلْأَوَّلِینَ (۱۹۶) أَ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُمْ آیَهً أَنْ یَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِی إِسْرائِیلَ (۱۹۷)

التّفسیر

اشاره

عظمه القرآن فی کتب«السابقین».

عظمه القرآن فی کتب«السابقین». (۱)

بعد بیان سبع قصص عن الأنبیاء السابقین،و العبر الکامنه فی تأریخ حیاتهم، یعود القرآن مره أخری إلی البحث الذی شرعت به السوره، بحث عظمه القرآن و حقانیه هذا الکلام الإلهی المبین،إذ یقول: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ اَلْعالَمِینَ .

و أساسا فإن بیان جوانب مختلفه عن سیر الأنبیاء السابقین بهذه الدقه و الظرافه،و الخو من أی نوع من الخرافات و الأساطیر الکاذبه،و فی محیط ملیء بالأساطیر و الخرافات،و من قبل إنسان لا یعرف القراءه و الکتابه،أو لم یسبق له

۱- ۱) -کلمه«السابقین»نعت و منعوته محذوف و تقدیره الأنبیاء(المصحح).

أن تعلمهما...كل ذلك بنفسه دليل على أن هذا الكتاب تنزيل من ربّ العالمين، و هذا نفسه دليل على إعجاز القرآن!! لذلك تضيف الآيه التاليه قائله: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .

و لو كان القرآن لم ينزله ملك الوحى«الروح الأمين من قبل اللّه»لم يكن بهذا الإشراق و الصفاء و الخلو من الخرافات و الأساطير و الأباطيل...

و ممّا يلفت النظر أن ملك الوحى وصف بوصفين فى الآيه:الأوّل أنّه الروح، و الوصف الثّانى أنّه الأمين...

فالروح هى أساس الحياه،و الأمانه،هى شرط أصيل فى الهدايه و القياده!...

أجل،إن هذا الروح الأمين نزل بالقرآن عَلىٰ قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ . (۱)

فالهدف هو أن تنذر الناس،و أن تحذرهم من مغبه الانحراف عن التوحيد، ليحذروا من سوء العاقبه...إن الهدف من بيان تأريخ السالفين لم يكن مجرّد شرفا فكريا و لملء الفراغ،بل إيجاد الإحساس بالمسؤوليه و اليقظه،و الهدف هو التربيه و بناء شخصيه الإنسان!...

و لئلا تبقى حجّه لأحد و لا عذر،فإنّ القرآن أنزل بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ ...

فهذا القرآن نازل بلسان عربى فصيح،خال من الإبهام،للإنذار و الإيقاظ، و لا سيما أنه نزل فى محيط يتذرع أهله بالحجج الواهيه،نزل بليغا واضحا...

هذا اللسان العربى هو أكمل الألسنه و اللغات و أغناها أدبا و مقاما.

و الجدير بالذكر أن أحد معانى«عربى»هو ذو الفصاحه و البلاغه-بقطع النظر عن كيفيه اللسان،و كما يقول الراغب فى المفردات:العربى:الفصيح البيّن من الكلام...

و فى هذه الصوره فإنه ليس المعوّل على لسان العرب،بل الأساس صراحه

۱- ۱) -واضح-هنا-أن المراد من القلب هو روح النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،لا القلب الذى يعدّ مضخّه للدم...و انتخاب هذا التعبير إشاره إلى أنّك يا رسول اللّه استوعبت القرآن بروحك و قلبك،و هذه المعجزه السماويه مقرّها قلبك.

القرآن و وضوح مفاهيمه،و الآيات التاليه تؤيد هذا المعنى،كما جاء فى الآيه (۴۴)من سوره فصلت وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقٰالُوا لَوْ لاٰ فُصِّلَتْ آيٰاتُهُ .

فالمراد من الأعجمى هنا هو الكلام غير الفصيح!...

و الآيه التاليه تشير إلى دليل آخر من دلائل حقانيه القرآن فتقول: وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ . (۱)

و خاصّه أن أوصاف هذا النّبى العظيم و أوصاف هذا الكتاب السماوى الخالد، جاءت فى توراه موسى عليه السّلام بحيث أن علماء بنى إسرائيل كانوا يعرفون كل ذلك، حتى قيل أن إيمان قبيلتى الأوس و الخزرج بالنّبى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان على أثر ما كان يتوقعه علماء اليهود عن ظهور هذا النّبى العظيم،و نزول هذا الكتاب السماوى الكريم..

لذا فإنّ القرآن يضيف هنا قائلا: أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَهً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰاءُ بَنِي إِسْرٰائِيلَ .

و واضح أنه مع وجود أولئك العلماء من بنى إسرائيل فى ذلك المحيط الملىء بالمشركين،لم يكن من الممكن أن يتحدث القرآن عن نفسه«جزافا»و اعتباطا..

لأنّه كان سيردّ عليه من كل حدب و صوب بالإنكار،و هذا بنفسه دليل على أن هذا الموضوع كان جليّا فى ذلك المحيط،بحيث لم يبق مجال للإنكار حين نزول الآيات-محل البحث- و نقرأ فى الآيه(۸۹)من سوره البقره أيضا: وَ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مٰا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ .

و كل هذا شاهد جليّ على صدق آيات القرآن و حقانيه دعوته!...

۱- ۱) -«الزبر»جمع:زبور و معناه الكتاب،و هو فى الأصل من ماده(زبر)على وزن(أسر)اى كتابه...

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۹۸ الى ۲۰۳]

اشاره

وَ لَوْ نَزَّلْنٰاهُ عَلىٰ بَعْضِ اَلْأَعْجَمِينَ (۱۹۸) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (۱۹۹) كَذٰلِكَ سَلَكْنٰاهُ فِي قُلُوبِ اَلْمُجْرِمِينَ (۲۰۰) لاٰ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّٰى يَرَوُا اَلْعَذٰابَ اَلْأَلِيمَ (۲۰۱) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۲۰۲) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (۲۰۳)

التّفسير

اشاره

لو نزّل القرآن على الأعاجم...

في هـذه الآيات يتكلم القرآن على واحده من الذرائع الاحتماليه من قبل الكفار و موقفه منها،و يستكمل البحث السابق في نزول القرآن بلسان عربي مبين، فيقول: وَ لَوْ نَزَّلْنٰاهُ عَلىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ .

قلنا سابقا أن كلمه«عربى»قد يراد منها من ينتمى إلى العرب،و قد تطلق على الكلام الفصيح أيضا.و«عجمى»في مقابل العربى كذلك له معنيان،فقد يراد منه من ينتمى إلى غير العرب،و قد يراد منه الكلام غير الفصيح،و كلا المعنيين في الآيه الآنفه محتمل،إلّا أن الاحتمال الأكثر هو أن المقصود غير العرب،كما يبدو.

بعض العرب ممن يتمسك بالعرقيه و يعبد القوميه كانوا متعصبين الى درجه

أجل،إنّهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ . (۱)

لا شک أن المراد من هذا العذاب الذی یأخذهم بغته، هو عذاب الدنیا و البلاء المهلک و عقاب الاستئصال!...

لذا فإنّ القرآن یحکی عن حالهم فیقول:إنّهم فی هذه الحال یرجعون إلی أنفسهم،و یندمون علی أفعالهم،و یتملکهم الخوف من المصیر المرعب،و یودون بأن یعطوا فرصه لجبران ما فات و الإیمان بالرساله الالهیه: فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ...

بحوث

اشاره

۱-العصبیه القومیه و القبلیه الشدیده!...

لا شک أن کل إنسان یرتبط بأرض أو قبیله أو قومیه فإنّه یعشقها،و هذه العلاقه بالأرض أو القبیله،لیست غیر معیبه فحسب،بل هی عامل بنّاء لأبناء المجتمع،إلّا أن لهذا الأمر حدودا،فلو تجاوز الحدود فإنه سینقلب إلی عامل مخرب،و ربّما إلی عامل مفجع.

و المراد من التعصب أو العصبیه القومیه أو القبلیه المذمومه و السلبیه،هو الإفراط فی التعصب أو العصبیه...

«التعصب»و«العصبیه»فی الأصل من ماده(عصب)و معناه واضح،و هو الغضروف الذی یربط المفاصل،ثمّ أطلق التعصب و العصبیه علی کل ارتباط...

إلّا أن هذا اللفظ أو هذین اللفظین یستعملان عاده فی المفهوم الإفراطی المذموم.

إن الدفاع المفرط عن القوم أو القبیله أو الأرض و الوطن،کان مصدرا لکثیر

۱- ۱) -ینبغی الالتفات إلی أن جمله«فیأتیهم»منصوبه و معطوفه علی«حتی یروا»،و ینبغی بیان معناها بهذه العلاقه.

من الحروب علی طول التاریخ،و عاملا علی انتقال الخرافات و التقالید السیئه علی أنها آداب و سنن فی قبیله ما أو أمّه ما!إلی امم أخر! هذا الدفاع أو الانتماء المتطرف،قد یبلغ حدا بحیث یری أسوأ أفراد قبیلته فی نظره جمیلا،و أحسن أفراد القبیله الأخری فی نظره سیئا...و کذلک الحال بالنسبه إلی السنن و الآداب السیئه و الحسنه...و بتعبیر آخر:إنّ التعصب القومی یلقی ستارا من الجهل و الأنانیه علی أفکار الإنسان و عقله،و یلغی التقییم الصحیح! هذه الحاله من العصبیه کانت لها صوره أکثر حده بین بعض الأمم،و منهم العرب المعروفون بالتعصب.

و قد قرأنا فی الآیات الآنفه أنّه لو أنزل اللّه القرآن علی غیر العرب لما کانوا به مؤمنین.

و قد ورد فی الرّوایات الإسلامیه التحذیر من التعصب،علی أنّه خلق مذموم، حتی أنّنا نقرأ

حدیثا عن رسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول فیه: «من کان فی قلبه حبّه من خردل من عصبیه،بعثه اللّه یوم القیامه مع أعراب الجاهلیه». (1)

و

نقرأ حدیثا آخر عن الإمام الصادق علیه السّلام یقول فیه: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقه الإیمان من عنقه». (2)

و یستفاد من الرّوایات الإسلامیه أیضا،أن إبلیس أوّل من تعصب...

یقول الإمام علی علیه السّلام فی بعض خطبه-المعروفه بالقاصعه-فی مجال التعصب کلاما بلیغا مؤثرا،ننقل جانبا منه هنا:

«أمّا إبلیس فتعصب علی آدم لأصله،و طعن علیه فی خلقته،فقال:أنا ناری

1- 1) -اصول الکافی،الجزء الثّانی(باب العصبیه ص 32).

2- 2) -المصدر السابق.

و أنت طينى). (۱)

ثمّ

يضيف الإمام على فى خطبته هذه قائلا: «فإن كان لا بدّ من العصبيه، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال،و محامد الأفعال،و محاسن الأمور». (۲)

و يتّضح من هذا الحديث-بجلاء أن التعصب و الدفاع المستميت عن بعض الحقائق و الايجابيات ليس غير مذموما فحسب،بل بامكانه أن يسدّ فراغا روحيا قد ينشأ من ترک بعض العادات الجاهليه المقيته.

لذلک نقرأ

عن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السّلام حين سئل عن التعصب قوله:«العصبيه التى يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين،و ليس من العصبيه أن يحب الرجل قومه،و لكن من العصبيه أن يعين قومه على الظلم». (۳)

و التعبير الآخر عن العصبيه الوارد فى بعض الروايات أو الآيات هو الحميه (حميه الجاهليه).

و بالرغم من أن الأحاديث فى هذا المجال كثيره،إلّا أننا نختم بحثنا بحديثين منها:

يقول أمير المؤمنين على عليه السّلام «إنّ اللّه يعذب سته بست-العرب بالعصبيه، و الدهاقنه بالكبر،و الأمراء بالجور،و الفقهاء بالحسد،و التجار بالخيانه،و أهل الرستاق بالجهل). (۴)

و كان رسول اللّه يتعوذ فى كل يوم من ست«من الشکّ و الشرک و الحميّه و الغضب و البغى و الحسد». (۵)

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه القاصعه،رقمها ۱۹۲.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -اصول الكافى،ج ۲،باب العصبيه،ص ۲۳۳.

۴- ۴) -البحار،ج ۷۳،ص ۲۸۹.

۵- ۵) -المصدر نفسه.

۲-طلب الرجوع إلى الدنيا...

من لحظه الموت تبدأ حسرات المجرمين و آهاتهم،و تشتعل فی قلوبهم رغبه الرجوع إلی الدنیا،و یصرخون و یدعون و لات حین مناص...

و فی القرآن الکریم أمثله کثیره فی هذا الصدد،أکثرها بساطه هذه الآیه محل البحث هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ .

أمّا فی الآیه(۲۷)من سوره الأنعام فنقرأ: یا لَیْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا .

أمّا فی الآیه(۶۶)سوره الأحزاب فتقول منها: یا لَیْتَنا أَطَعْنَا اللّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولاَ .

و نقرأ فی الآیتین ۹۹-۱۰۰ من سوره المؤمنون: حَتّی إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ .

و هذه الحاله تستمر حتی فی صوره وقوف المجرمین علی حافه النار،کما فی الآیه ۲۷ من سوره الأنعام،إذ تقول: وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلَی النّارِ فَقالُوا یا لَیْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ ...

إلاّ أن هذه العوده لن تتحقق،لأنّها سنه اللّه سبحانه،و لن تجد لسنه اللّه تبدیلا، و لن تجد لسنه اللّه تحویلا،فلو قطعت ثمره غیر ناضجه من الشجره ثمّ عادت،و لو سقط الجنین من بطن امّه قبل اکتماله،ثمّ عاد الی الرحم...لأمکن أن یعود هؤلاء...

فبناء علی ذلک فإن الطریق الوحید المعقول،هو التوقّی من حسره ما بعد الموت بالتوبه من الذنب،و الأعمال الصالحه،ما دامت الفرصه سانحه و إلاّ فلا ینفع الندم بعد فوات الأوان!...

۳-فضل العجم:

جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم عن الإمام الصادق ذیل الآیات محل البحث

أنه قال: «لو نزل القرآن على العجم ما آمنت به العرب...و قد نزل على العرب فآمنت به العجم،فهذه فضيله العجم». (۱)

«و فی هذا الصدد كانت لنا إشارات ذيل الآيه ۵۴ من سوره المائده».

ص :۴۶۸

۱- ۱) -الجزء الرّابع من تفسير نور الثقلين،ص ۱۶۵.

الآيات [سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۲۰۴ الی ۲۱۲]

اشاره

أَ فَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ (۲۰۴) أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنٰاهُمْ سِنِينَ (۲۰۵) ثُمَّ جٰاءَهُمْ مٰا كٰانُوا يُوعَدُونَ (۲۰۶) مٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يُمَتَّعُونَ (۲۰۷) وَ مٰا أَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّٰ لَهٰا مُنْذِرُونَ (۲۰۸) ذِكْرىٰ وَ مٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ (۲۰۹) وَ مٰا تَنَزَّلَتْ بِهِ اَلشَّيٰاطِينُ (۲۱۰) وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مٰا يَسْتَطِيعُونَ (۲۱۱) إِنَّهُمْ عَنِ اَلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (۲۱۲)

التّفسير

اشاره

تهمه أخرى للقرآن:

حيث أن الآيات المتقدمه ختمت بجمله هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ التى يقولها المجرمون عند ما يأتيهم العذاب بغته و هم علا أبواب الهلاك،طالبين الإمهال و الرجوع للتعويض عما فاتهم من الأعمال.فالآيات محل البحث تردّ عليهم عن طريقين:

الأوّل قوله تعالى: أَ فَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ .

إشاره إلى أنّه طالما استهزأتم أيّها المجرمون،و سخرتم من أنبيائكم،و طلبتم منهم نزول العذاب بسرعه...لكن حين أصبحتم فى قبضه العذاب تطلبون الإمهال

لتعوضوا عمّا فات من الأعمال،و كنتم ترون الأمر لهوا و لعبا فی یوم،لکن فی الیوم الآخر وجدتموه جدیّا- و علی کل حال فإنّ سنه اللّه أن لا یعذب قوما حتی یتمّ علیهم الحجّه البالغه...

لکن إذا تمّت الحجه،و فسح لهم المجال،و لم یثوبوا الی رشدهم أنزل عذابه فلا ینفع الابتهال،و الرجوع نحو ساحه ذی الجلال.

و الآخر أنّه أَ فَرَأَیْتَ إِنْ مَتَّعْنٰاهُمْ سِنِینَ ثُمَّ جٰاءَهُمْ مٰا کٰانُوا یُوعَدُونَ مٰا أَغْنیٰ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یُمَتَّعُونَ .

فعلی فرض أنّهم أمهلوا ثانیه(و لن یمهلوا بعد إتمام الحجه علیهم)و علی فرض أن یعمّروا سنین طوالا فی هذه الدنیا و یغرقوا فی بحر الغفله و الغرور،الا یکون عملهم التمتع و التلذذ بالمواهب المادیّه فحسب.و هل یعوضون عما فاتهم؟! کلّا أبدا..فمن المسلّم أنّهم لا یعرضون عمّا فاتهم.و هل تغنی المواهب المادیه عنهم شیئا عند نزول العذاب؟و هل تحلّ مشکلتهم أو تحدث تغییرا فی عاقبتهم؟! کما یرد هذا الاحتمال فی تفسیر الآیات الآنفه،و هو أنّهم لا یطلبون الإمهال للرجوع نحو الحق و التعویض عما فات،بل یطلبون الإمهال لمزید التمتع من النعم الزائله فی هذه الدنیا،إلاّ أن هذا التمتع لا یغنی عنهم شیئا،و لا بد أن یرحلوا-إن عاجلا و إن آجلا-من هذه الدار الفانیه إلی تلک الدار الباقیه،و أن یواجهوا أعمالهم هناک...

و هنا یثار سؤال-و هو أنّه مع الالتفات إلی أن اللّه بمستقبل کل قوم و جماعه، فما الحاجه إلی الإمهال؟ ثمّ أن الأمم السالفه کذبت أنبیاءها واحدا بعد الآخر،و بمقتضی قوله تعالی:

وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ

الوارد فی نهایه تلک القصص إن أکثرهم لم یؤمنوا، فعلام یأتی الأنبیاء منذرین و مبشرین؟! فالقرآن یجیب علی هذا السؤال بأن ذلک سنه اللّه وَ مٰا أَهْلَکْنٰا مِنْ قَرْیَهٍ إِلاّ

لَها مُنْذِرُونَ

فنرسل الأنبياء لهم لإتمام الحجّه و تقديم النصح و الموعظه ليتذكروا و يستيقظوا من غفلتهم ذِكْرى . (١)

و لو كنا نأخذهم بدون إتمام الحجه،و ذلك بإرسال المنذرين و المبشرين-من قبل اللّه-لكان ظلما منّا وَ مٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ .

فمن الظلم أن نهلك غير الظالمين،أو نهلك الظالمين دون إتمام الحجّه عليهم...

و ما ورد فى هـذه الآيات هو فى الحقيقه بيان للقاعده العقليه المعروفه ب«قاعده قبح العقاب بلا بيان»و شبيه لهذه الآيه ما جاء فى الآيه(١۵)من سوره الإسراء: وَ مٰا كُنّٰا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً .

أجل..إنّ العقاب بدون البيان الكافى قبيح،كما أنه ظلم،و اللّه العادل الحكيم محال أن يفعل ذلك أبدا،و هذا ما يعبر عنه فى علم الأصول ب(أصل البراءه) و معناه أن كل حكم لم يقم عليه الـدليل،فإنّه ينفى بواسـطه هـذا الأصل«لمزيد التوضـيح يراجع تفسير الآيه ۵٧ من سوره الإسراء»..

ثمّ يرد القرآن على إحـدى الـذرائع أو التهم البـاطله من قبـل اعـداء القرآن و هى أن النّـبى مرتبـط ببعض الجن،و هو يعلمه هـذه الآيات،و الحال أن القرآن يؤكّد أن هذه الآيات هى من«تنزيل ربّ العالمين».

فيضيف هنا قائلا: وَ مٰا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيٰاطِينُ .

ثمّ يبيّن جواب هذه التهمه الواهيه التى اختلقها الأعداء فيقول: وَ مٰا يَنْبَغِى لَهُمْ .

١- ١) -للمفسـرين فى محل(ذكرى)من الإعراب أربعه احتمالات...الأوّل:أنه مفعول لأجله و العامل«منذرون»و التّفسـير المذكور آنفـا فى المتن هو على هـذا الأسـاس. الثّـانى:أنّه مفعول مطلق لكلمه«منـذرون»لأنّ معناهمـا واحـد أو همـا متقاربـان فى المعنى. الثّالث:أنّه حال من الضمير فى منذرون. الرّابع:أنّها خبر لمبتدإ محذوف تقديره(هذه ذكرى).

أی أن محتوی هذا الکتاب العظیم الذی یدعو الی الحق و الطهاره و العدل و التقوی،و نفی کل أنواع الشرک،یدلّ دلاله واضحه علی أنّه لا شباهه له بأفکار الشیاطین و ما یلقونه.فالشیاطین لا یصدر منهم إلاّ الشر و الفساد،و هذا کتاب خیر و صلاح،فالدقّه فی محتواه تکشف عن أصالته.

ثمّ إن الشیاطین لیست لهم القدره علی ذلک وَ مٰا یَسْتَطِیعُونَ .

فإذا کانت لهم القدره فینبغی علی سائر من کان فی محیط نزول القرآن کالکهنه المرتبطین بالشیاطین(أو علی الأقل کان المشرکون یدّعون بأنّهم مرتبطون بالشیاطین)أن یأتوا بمثل هذا القرآن،مع أنّهم عجزوا عن الإتیان بمثله، و هذا العجز أثبت أن القرآن فوق قدرتهم و مستوی بلاغتهم و أفکارهم!...

و مضافا إلی کل ذلک،فإن الکهنه أنفسهم کانوا یعترفون أنّهم بعد ولاده النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انقطعت علاقتهم بالشیاطین الذین کانوا یأتونهم بأخبار السماء و إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ .

و یستفاد من سائر آیات القرآن أن الشیاطین کانوا یصعدون إلی السماء و یسترقون السمع من الملائکه،فینقلون ما یدور بین الملائکه من مطالب إلی أولیائهم،إلاّ أنّه بظهور نبیّ الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ولادته انقطع استراق السمع تماما، و زال الارتباط الخبری بین الشیاطین و أولیائهم...

و هذا الأمر کان یعلم به المشرکون أنفسهم،و علی فرض أن المشرکین کانوا لا یعلمون،فإن القرآن أخبرهم بذلک. (۱)

و لذا فقد جعله القرآن دلیلا فی الآیات الأنفه لدحض ما یتقوله الأعداء...

و هکذا فقد أجاب القرآن علی هذا الاتهام من ثلاثه طرق:

۱- ۱) -لمزید الإیضاح فی منع الشیاطین عن استراق السمع یراجع الجزء الأوّل من سیره ابن هشام،ص ۲۱۷ فما بعد.

۱-عدم التناسب بين محتوى القرآن و إلقاء الشياطين.

۲-عدم قدره الشياطين على ذلك.

۳-منع الشياطين من استراق السمع.

ص :۴۷۳

الآیات [سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۲۱۳ الی ۲۲۰]

اشاره

فَلاٰ تَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَکُونَ مِنَ اَلْمُعَذَّبِینَ (۲۱۳) وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ اَلْأَقْرَبِینَ (۲۱۴) وَ اِخْفِضْ جَنٰاحَکَ لِمَنِ اِتَّبَعَکَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ (۲۱۵) فَإِنْ عَصَوْکَ فَقُلْ إِنِّی بَرِیءٌ مِمّٰا تَعْمَلُونَ (۲۱۶) وَ تَوَکَّلْ عَلَی اَلْعَزِیزِ اَلرَّحِیمِ (۲۱۷) اَلَّذِی یَرٰاکَ حِینَ تَقُومُ (۲۱۸) وَ تَقَلُّبَکَ فِی اَلسّٰاجِدِینَ (۲۱۹) إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۲۲۰)

التّفسیر

اشاره

و أنذر عشیرتک الأقربین...

تعقیبا علی الأبحاث الوارده فی الآیات السابقه فی شأن مواقف المشرکین من الإسلام و القرآن...فإن اللّه سبحانه یبیّن لنبیّه-فی الآیات محل البحث- منهجه و خطّته فی خمسه أوامر،فی مواجهه المشرکین...

و قبل کل شیء فإن اللّه یدعو النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی الإعتقاد التام بالتوحید،التوحید الذی هو أساس دعوات الأنبیاء جمیعا...یقول سبحانه: فَلاٰ تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَکُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِینَ ...

و مع أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان من المقطوع به أنّه ینادی إلی التوحید و لا یمکن أن

یتصور انحرافه عن هذا الأصل...إلاّ أنّ أهمیه هذه المسأله کانت بحیث أن یکون شخص النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-قبل کل شیء-مخاطبا بها.لیعرف الآخرون موقفهم...ثمّ إن بناء الآخرین یبدأ من بناء شخصیه الإنسان نفسه...

ثمّ یأمره اللّه فی مرحله اخری أن ینطلق إلی مدی أرحب فی دعوته قائلا:

وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ

(۱) .

و لا شکّ أنّه للوصول إلی منهج تغییری ثوری واسع،لا بدّ من الابتداء من الحلقات الأدنی و الأصغر، فما أحسن أن یبدأ النّبی دعوته من أقربائه و أرحامه، لأنّهم یعرفون سوابقه النزیهه أکثر من سواهم کما أن علائق القربی و المودّه تستدعی الإصغاء إلی کلامه أکثر من غیرهم،و أن یکونوا أبعد من سواهم من حیث الحسد و الحقد و المخاصمه! إضافه إلی ذلک فإنّ هذا الأمر یدلّ علی أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیس لدیه أیه مداهنه و لا مساومه مع أحد،لیستثنی أقرباءه المشرکین عن دعوته إلی التوحید و الحق و العدل!...

و عند ما نزلت هذه الآیه،قام النّبی بما ینبغی علیه من أجل تنفیذ هذا الأمر الإلهی،و سیأتی تفصیل ذلک کله فی حقل البحوث بإذن اللّه...

أمّا المرحله الثّالثه،فإنّ اللّه یوصی النّبی فی دائره أوسع فیقول:علیک أن تعامل اتباعک باللطف و المحبه: وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ .

و هذا التعبیر الجمیل الرائع کنایه عن التواضع المشفوع بالمحبه و اللطف،کما أن الطیور تخفض أجنحتها لأفراخها محبّه منها لها،و تجعلها تحت أجنحتها لتکون مصانه من الحوادث المحتمله،و لتحفظها من التشتت و التفرّق!فکذلک الأمر بالنسبه للنّبی إذ أمر أن یخفض جناحه للمؤمنین الصادقین.

۱- ۱) -العشیره مشتقّه من«العشره»العدد المعروف[۱۰] و حیث أن العشره تعتبر فی نفسها عددا کاملا،فقد سمی أقرباء الرجل الذین یکمل بهم عشیره،و لعل المعاشره مأخوذه من هذا المعنی،لأنّها تجعل الناس بصوره مجموعه کامله.

و هذا التعبير الرائع ذو المعنى الغزير يبيّن دقائق مختلفه فى شأن محبه المؤمنين،و يمكن إدراكها بأدنى التفاته!...

و ذكر هـذه الجمله-ضـمنا-بعـد مسأله الإنـذار يكشف عن هـذه الحقيقه،و هى إذا كان التعويل على الخشونه فى بعض الموارد بمقتضى الضرورات التربويه،فإنّه و بلا فاصله يأتى التعويل على المحبّه و العاطفه ليتوفر منهما نمط مناسب...

ثمّ تأتى المرحله الرّابعه و هى أن الأعداء لم يقبلوا دعوتك و عصوا أوامرك.

فلاـ تبتئس و لاـ تحزن: فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تَعْمَلُونَ ...ليعرفوا موقفك منهم! و الظاهر أنّ الضـمير فى عصوك-يعود على عشيره النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأقربين...أى إذا لم يـذعنوا بعـد دعوتـك إيـاهم للحـق،و واصـلوا شـركهم و عنـادهم،فعليك أن تبيّن موقفك منهم،و هـذا التوقع الـذى احتمله القرآن حـدث فعلا،كما سـنذكر ذلك فى البحوث القادمه،إذ امتنع الجميع عن قبول دعوه النّبى ما عدا عليا عليه السّلام...فبعضـهم لاذ بالصـمت،و بعضهم أبدى مخالفته عن طريق الاستهزاء و السخريه...

و أخيرا فالأمر الالهى الخامس للنّبى لإكمال مناهجه السابقه،هو: وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ .

فلاـ تـدع لعنادهم مجالا للتأثير على عزيمتك...و لا لقلّه الأعوان و الأنصار طريقا لتوهين ارادتك،فلست وحـدك...و سـندك و ملاذك هو اللّه القادر العزيز الذى لا يقهر،و الرحيم الذى لا حدّ لرحمته...

اللّه الذى سمعت وصفه فى ختام قصص الأنبياء بالعزيز الرحيم!...

اللّه الذى بقدرته أحبط ظلم فرعون و غرور نمرود،و تمرّد قوم نوح،و أنانيه قوم هود،و اتباع الشهوات لقوم لوط. و كذلك أنقذ أنبياءه و رسله الذين كانوا قلّه، و شملهم برحمته الواسعه.

ذلك اللّه اَلَّذِي يَرٰاكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السّٰاجِدِينَ .

أجل إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ...

و هكـذا تـذكر الآيـات ثلاـث صـفات للّه بعـد وصـفه بالعزيز الرحيم و كلّ منها يمنـح الأمل و يشـدّ من عزم النّبى على مواصـله طريقه،إذ أن اللّه يرى جهوده و أتعابه و حركاته و سكناته،و قيامه و سجوده و ركعاته!..

ذلك اللّه الذى يسمع صوته.

اللّه الذى يعلم حاجاته و طلباته حاجته...

أجل،فعلى هذا الإله توكل،و أركن إليه أبدا.

بحثان

اشاره

١-تفسير وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّٰاجِدِینَ .

بين المفسّرين أقوال مختلفه فى معنى قوله تعالى: اَلَّذِی یَرٰاکَ حِینَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّٰاجِدِینَ .

و ظاهر الآيه هو ما ذكرناه آنفا،أن اللّه يرى قيامك و انتقالك و حركتك بين الساجدين.

و هـذا القيـام يمكـن أن يكـون قيامـا للصـلاه،أو القيـام للعبـاده مـن النـوم،أو القيـام للصـلاه فرادى،و فى مقـام تقلبـك فى الساجدين...الذى يشير إلى صلاه الجماعه.

«التقلب»معناه الحركه و الانتقال من حال إلى حال،و هـذا التعبير لعله إشاره إلى سـجود النبىّ بين الساجـدين فى أثناء الصـلاه،أو إلى حركه النّبى و تنقله بين أصحابه و هم مشغولون بالعباده،و كان يتابع أحوالهم و يسأل عنهم...

و فى المجمـوع فـإنّ هـذا التعـبير إشـاره إلى أن اللّه سـبحانه لاـ يخفى عليه شـىء من حالاتـك و سـعيك،سواء كـانت شخصـيّه فرديه،أم كانت مع المؤمنين فى صوره جماعيه،لتدبير امور العباد و لنشر مبدأ الحق مع الالتفات الى ان الأفعال الوارده

فی الآیه مضارعه و فیها معنی الحال و الاستقبال».

و هنا تفسیران آخران ذکرا فی معنی الآیه،إلاّ أنّهما لا ینسجمان مع ظاهرها، و لعلهما من بطون الآیه:

الأوّل:أنّ المراد من الآیه رؤیه النّبی و نظره إلی المصلین و الساجدین خلفه، لأنّه کما یری من أمامه یری من خلفه کما

ورد فی الحدیث: «لا ترفعوا قبلی و لا تضعوا قبلی،فإنّی أراکم من خلفی کما أراکم من أمامی» (۱) ثمّ تلا النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الآیه آنفه الذکر.

الثّانی:أنّ المراد منه أنّ انتقال فی أصلاب النبیّین من لدن آدم حتی أبیه عبد اللّه،کلّه تحت نظر اللّه سبحانه،أی حین تنتقل نطفتک المبارکه من نبیّ موحد ساجد إلی ساجد آخر فإن اللّه علیم بذلک...

و

قد جاء فی تفسیر علی بن ابراهیم عن الإمام الباقر علیه السّلام فی تفسیر وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّاجِدِینَ ما یشیر إلی هذا المعنی،قال علیه السّلام:«فی أصلاب النبیین صلوات اللّه علیهم». (۲)

و

فی تفسیر مجمع البیان فی توضیح هذه الجمله جاء عن الإمامین الباقر و الصادق علیه السّلام ما یلی: «فی أصلاب النبیین نبیّ بعد نبیّ،حتی أخرجه من صلب أبیه،عن نکاح غیر سفاح من لدن آدم». (۳)

و بالطبع فإنّه بقطع النظر عن الآیات آنفه الذکر و تفسیراتها،فإن الدلائل المتوفره تدلّ علی أن والد النّبی و أجداده لم یکونوا مشرکین أبدا،و ولدوا فی محیط منزّه عن الشرک و الدنس«لمزید الإیضاح یراجع تفسیر الآیه،۷۴ من سوره الأنعام»إلاّ أن التفاسیر الآنفه هی من بطون الآیه...

۱- ۱) -مجمع البیان ذیل الآیه محل البحث.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۴،ص ۶۹.

۳- ۳) -مجمع البیان ذیل الآیات محل البحث.

۲-إنذار الأقربين«حديث يوم الدار»

وفقا لما ورد في التواريخ الإسلاميه،أمر النّبي في السنه الثّالثه بدعوته الأقربين من عشيرته،لأنّ دعوته حتي ذلك الحين كانت مخفيه«سريّه»، و كان الذين دخلوا في الإسلام عددا قليلا،لذلک حين نزلت الآيه: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ و الآيه فَاصْدَعْ بِمٰا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (۱) أمر النّبي أن يجعل دعوته علنيه،و بدأ ذلك بدعوه أهله و أقربائه (۲) .

و أمّا كيفيه إبلاغه و إنذاره إيّاهم،فهو بإجمال أنّه دعا النبيّ«عشيرته»إلي بيت عمّه أبي طالب،و كانوا في ذلك اليوم حوالي أربعين رجلا،و كان ممن حضر هذه الدعوه بعض أعمام النّبي صلّي اللّه عليه و آله و سلّم كأبي طالب و الحمزه و أبو لهب و العباس،و بعد أن تناولوا الطعام،و أراد النّبي أن يؤدي ما عليه،تكلم أبو لهب كلمات أحبط بها خطه النّبي صلّي اللّه عليه و آله و سلّم،لذا فقد دعاهم النّبي في اليوم التالي أيضا.

و بعد أن تناولوا الطعام،

قال صلّي اللّه عليه و آله و سلّم: «يا بني عبد المطلب،إنّي و اللّه ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم بخير الدنيا و الآخره...و قد أمرني اللّه أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني علي أمري هذا،علي أن يكون أخي و وصيي و خليفتي فيكم؟»فأحجم القوم عنها غير علي،و كان أصغرهم(سنا)،فقال:«يا نبيّ اللّه،أنا أكون وزيرك عليه»،فأخذ رسول اللّه برقبته،و قال:«إنّ هذا وصييّ و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا»فقام القوم يضحكون،و يقولون لأبي طالب:

قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع. (۳)

و قد نقل هذا الحديث كثير من أهل السنه كابن جرير الطبري،و ابن أبي حاتم،و ابن مردويه،و أبو نعيم،و البيهقي،و الثعلبي،كما نقله«ابن الأثير»في

۱- ۱) -سوره الحج،الآيه ۹۴.

۲- ۲) -راجع سيره ابن هشام،ج ۱،ص ۲۸۰.

۳- ۳) -المراجعات،ص ۱۳۰.

الجزء الثّانی من کتابه«الکامل»،و أبو الفداء فی الجزء الأوّل من تأریخه، و جماعه آخرون. (۱)

و هذا الحدیث یوضع لنا کیف کان النّبی وحیدا حینذاک،و کیف ردّوا علیه دعوته بالسخریه و الاستهزاء،و کیف وقف علی علیه السّلام إلی جانب النّبی فی وحدته ناصرا و معینا...

و

فی حدیث آخر أن النّبی دعا قریشا واحدا واحدا و حذرهم من النار فقال:

«یا بنی کعب أنقذوا أنفسکم من النار».

و کان یدعو أحیانا بهذا الخطاب بنی عبد شمس،و بنی عبد مناف،و بنی عبد المطلب،و بنی هاشم فیقول:«أنقذوا أنفسکم من النار». (۲) فلست قادرا علی الدفاع عنکم فی حال کفرکم.

۱- ۱) -لمزید الإیضاح یراجع کتاب المراجعات،ص ۱۳۰ فما بعد و کتاب إحقاق الحق،ج ۴،ص ۶۲.

۲- ۲) -تفسیر القرطبی،ج ۷،ص ۴۸۵۹ ذیل الآیات محل البحث مع شیء من الاختصار.

الآيات [سوره الشعراء (٢۶): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧]

اشاره

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلىٰ مَنْ تَنَزَّلُ اَلشَّيٰاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلىٰ كُلِّ أَفّٰاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ اَلسَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كٰاذِبُونَ (٢٢٣) وَ اَلشُّعَرٰاءُ يَتَّبِعُهُمُ اَلْغٰاوُونَ (٢٢۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وٰادٍ يَهِيمُونَ (٢٢۵) وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مٰا لاٰ يَفْعَلُونَ (٢٢۶) إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ ذَكَرُوا اَللّٰهَ كَثِيراً وَ اِنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰا ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)

التّفسير

اشاره

النّبى ليس شاعرا:

هذه الآيات-محل البحث-هى آخر الآيات من سوره الشعراء،تعود ثانيه لتردّ على الاتهام السابق-من قبل الأعداء-بأن القرآن من إلقاء الشياطين، تردهم ببيان أخاذ بليغ مفحم،فتقول: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيٰاطِينُ تَنَزَّلُ عَلىٰ كُلِّ أَفّٰاكٍ أَثِيمٍ أى الكاذب المذنب،حيث يلقون إليهم ما يسمعونه مع اضافه

أكاذيب كثيره عليه يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كٰاذِبُونَ . (۱)

و ملخص الكلام أن ما تلقيه الشياطين له علائم واضحه،و يمكن معرفته بعلائمه أيضا.فالشيطان موجود موذ و مخرب، و ما يلقيه يجرى فى مسير الفساد و التخريب،و أتباعه هم الكذابون المجرمون،و ليس شىء من هذه الأمور ينطبق على القرآن،و لا على مبلّغه،و ليس فيها أى شبه بهما.

و الناس فى ذلك العصر-و ذلك المحيط-كانوا يعرفون النّبى محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أسلوبه و طريقته،فى صدقه و أمانته و صلاحه فى جميع المجالات...و محتوى القرآن ليس فيه سوى العدل و الحق و الإصلاح،فكيف يمكن أن تتهموه بأنّه من إلقاء الشياطين؟! و المراد من(الأفاك الأثيم)هو الكاهن المرتبط بالشياطين فتاره يقوم الشياطين باستراق السمع لأحاديث الملائكه،ثمّ بعد مزجه بأباطيل كثيره ينقلونه الى الكهنه.و هم بدورهم يضيفون عليه عشرات الأكاذيب و ينقلونها إلى الناس...

و بعد نزول الوحى خاصّه،و منع الشياطين من الصعود إلى السماء و استراق السمع.كان ما يلقيه الشياطين إلى الكهنه خفنه من الأكاذيب و الأراجيف...

فمع هذه الحال كيف يمكن أن يقاس محتوى القرآن بما تلقيه الشياطين...

و أن يقاس النّبى الصادق الأمين بحفنه من الكهنه الأفاكين الكاذبين!...

و هناك تفاسير مختلفه لجمله يُلْقُونَ السَّمْعَ :

فمنها:أن الضمير فى(يلقون)عائد على الشياطين و«السمع»المراد منه المسموعات،أى أن الشياطين يلقون مسموعاتهم إلى أوليائهم و أكثرهم كاذبون «و يضيفون على ما يلقيه الشياطين أكاذيب كثيره!»...

---

۱ - ۱) -«أفّاك»من:«الإفك».و الإفك هو الكذب الكبير.فمعنى الأفلاك من يكذب كثيرا أكاذيب كبيره...و«أثيم»من ماده «إثم»على وزن(اسم)و معناه فى الأصل:العمل الذى يؤخر صاحبه عن الثواب،و يطلق عاده على الذنب،فالأثيم هو المذنب...

و منها:إن الضمير فی الفعل یعود علی الأفاکین،إذ أنّهم کانوا یلقون-ما یسمعون من الشیاطین-إلی عامّه الناس،إلاّ أن التّفسیر الأوّل أصح ظاهرا (۱) ! و فی الآیه الرّابعه-من الآیات محل البحث-یردّ القرآن علی اتهام آخر کان الکفار یرمون به النّبی فیدعونه شاعرا،کما فی الآیه(۵)من سوره الأنبیاء بَلْ هُوَ شاعِرٌ و ربما دعوه بالشاعر المجنون،کما جاء فی الآیه(۳۶)من سوره الصافات وَ یَقُولُونَ أَ إِنّا لَتارِکُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ .

فالقرآن یردهم هنا ببیان بلیغ منطقی،بأن منهج النّبی یختلف عن منهج الشعراء.فالشعراء یتحرکون فی عالم من الخیال،و هو یتحرک علی أرض الواقع و الواقعیات،لتنظیم العالم الإنسانی...

و الشعراء یبحثون عن العیش و اللذه و الغزل(کما هی الحال بالنسبه لشعراء ذلک العصر فی الحجاز خاصّه حیث یظهر ذلک من أشعارهم بوضوح).

و لذا فإن أتباعهم هم الضالون: وَ الشُّعَراءُ یَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ .

ثمّ یضیف القرآن علی الجمله آنفه الذکر معقّبا أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِی کُلِّ وادٍ یَهِیمُونَ . (۲)

فهم غارقون فی أخیلتهم و تشبیهاتهم الشعریه، حتی أن القوافی تجرهم إلی هذا الاتجاه أو ذاک،و یهیمون معها فی کل واد...

و هم غالبا لیسوا أصحاب منطق و استدلال،و أشعارهم تنبع ممّا تهیج به عواطفهم و قرائحهم...و هذه العواطف تسوقهم فی کل آن من واد لآخر!...

فحین یرضون عن أحد یمدحونه و یرفعونه إلی أوج السماء،و إن کان حقه أن

۱- ۱) -لأن(یلقون)فی مثل هذه الموارد معناها نقل الأخبار و المطالب،کما جاء فی الآیه(۵۳)من سوره الحج لِیَجْعَلَ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ فِتْنَهً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ و جمله أَکْثَرُهُمْ کاذِبُونَ تتناسب مع الشیاطین،لأن الأفّاکین کلهم کاذبون لا أکثرهم(فلاحظوا بدقه).

۲- ۲) -«یهیمون»فعل مضارع من«الهیام»،و معناه المشی بلا هدف...

يكون فى أسفل السافلين،و يلبسونه ثوب الملاک الجميل و إن کان شيطانا لعينا...

و متى سخطوا على أحد هجوه هجوا مرا و أنزلوه فى شعرهم الى أسفل السافلين،و إن کان موجودا سماويّا.

ترى هل يشبه محتوى القرآن الدقيق المنطلقات الشعريه أو الفکريه للشعراء و خاصّه شعراء ذلک العصر،الذين لم تکن منطلقاتهم إلاّ وصف الخمر و الجمال و العشق و المدح لقبائلهم و هجو أعدائهم...

ثمّ إن الشعراء عاده هم رجال حطابه و جماهير لا أبطال قتال،و کذلک أصحاب أقوال لا أعمال،لذلک فإنّ الآيه التاليه تضيف فتقول عنهم: وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مٰا لاٰ يَفْعَلُونَ .

غير أن النّبى الکريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجل عمل من قرنه إلى قدمه،و قد اعترف بعزمه الراسخ و استقامته العجيبه حتى أعداؤه،فأين الشاعر من النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟! و ممّا تقدم من الأوصاف التى ذکرها القرآن عن الشعراء،يمکن أن يقال بأن القرآن وصفهم بثلاث علامات:

الأولى:أنّهم يتبعهم الغاوون الضالون،و يفرّون من الواقع،و يلجئون إلى الخيال.

و الثّانيه:أنّهم رجال لا هدف لهم،و متقلّبون فکريّا،و واقعون تحت تأثير العواطف! و الثّالثه:أنّهم يقولون ما لا يفعلون...و حتى فى المجال الواقعى لا يطبقون کلامهم على أنفسهم...

إلاّ أنه لا شىء من هذه الأوصاف يصدق على النّبى،فهو فى الطرف المقابل لها تماما! و لمّا کان بين الشعراء أناس مخلصون هادفون و أهل أعمال لا أقوال،و دعاه نحو الحق و الصدق«و إن کان مثل هؤلاء الشعراء قليلا يومئذ».فالقرآن من أجل

ألاّ يضيع حق هؤلاء الشعراء المؤمنين المخلصين الصادقين،استثناهم عن بقيه الشعراء،فقال عنهم: إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ .

هؤلاء المستثنون من الشعراء لم يكن هدفهم الشعر فحسب،بل يهدفون فى شعرهم أهدافا الهيه و انسانيه،و لا يغرقون فى الأشعار فيغفلون عن ذكر اللّه،بل كما يقول القرآن: وَ ذَكَرُوا اللّهَ كَثِيراً .

و أشعارهم تذكر الناس باللّه أيضا...و إذا ما ظلموا كان شعرهم انتصارا للحق وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا .

فإذا هجوا جماعه هجوهم من أجل الحق و دفاعا عن الحق الذى يهجوه أولئك فيذبون عنه...

و هكذا فقد بيّن القرآن أربع صفات للشعراء الهادفين،و هى الإيمان،و العمل الصالح،و ذكر اللّه كثيرا،و الإنتصار للحق من بعد ما ظلموا،مستعينين بشعرهم فى الذب عنه...

و حيث أن معظم آيات هذه السوره هو للتسليه عن قلب النّبى،و التسريه عنه، و عن المؤمنين القلّه فى ذلك اليوم فى قبال كثره الأعداء،و حيث أن كثيرا من آيات هذه السوره فى مقام الدفاع عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضد التهم الموجهه إليه من قبل أعدائه،و غير اللائقه به-فإن السوره تختتم بجمله ذات معنى غزير،و فيها تهديد لأولئك الأعداء الألدّاء،إذ تقول: وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

و بالرغم من أن بعض المفسّرين أرادوا أن يحصروا هذا الانقلاب و العاقبه المره للظالمين بنار جهنّم...إلاّ أنه لا دليل على تقييد ذلك و تحديده بها...بل لعله إشاره إلى هزائمهم المتتابعه و المتلاحقه فى المعارك الإسلاميه،كمعركه بدر و غيرها،و ما أصابهم من ضعف و ذله فى دنياهم،فمفهوم هذه الآيه عام،بالإضافه إلى ذلك عذابهم و انقلابهم إلى النار فى آخر المطاف.

بحوث

اشاره

١-لم كانوا يتهمون النّبى بالشعر

إن واحده من التهم التى كانت توجه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هى الشعر،و أنّه شاعر، فالآيات-آنفه الذكر-كانت ردا على هذا الاتهام أيضا...

لقد كانوا يعرفون جيدا أن القرآن ليس له أقل شبه بالشعر،لا من حيث الشكل و الظاهر و لا من حيث المحتوى،فالشعر فيه وزن و قافيه و أبيات مشطره، و ليس كذلك القرآن.و الشعر فيه تخيّل و تشبيهات كثيره و غزل ممّا ليس فى القرآن أيضا.

إلاّ أنّهم حيث كانوا يرون أثر القرآن الكبير فى جذب أفكار الناس و إيقاعه الخاص فى قلوبهم، فلإلقاء الستار على هذا النور الإلهى،سموه«سحرا»تاره، لأنّه كان ذا نفوذ و تأثير«خفى»فى الأفكار.و دعوه«شعرا»تاره أخرى لأنّه كان يهزّ القلوب و يأخذها معه! لقد أرادوا أن يذموا القرآن فمدحوه بهذا الكلام،و كان كلامهم سندا و دليلا حيا على نفوذ القرآن الخارق للعاده فى أفكار الناس و فى قلوبهم.

يقول القرآن فى تنزيه النّبى عن الشعر: وَ مٰا عَلَّمْنٰاهُ الشِّعْرَ وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كٰانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكٰافِرِينَ (١) .

٢-الشعر و الشاعريه فى الإسلام

لا شك أن الذوق الشعرى و الفن الشاعرى كسائر رؤوس الأموال،له قيمته فى صوره ما لو استعمل استعمالا صحيحا و له أثر إيجابى...إلاّ أنّه إذا صار وسيله تخريب و هدم للبناء العقائدى و الأخلاقى فى المجتمع،فلا قيمه له،بل يعتبر وسيله

١- ١) -يس،الآيه ۶٩.

ضاره عندئذ...

فالشعر ينبغى أن يؤدى دوره فى وجود الإنسان ليكون ذا قيمه كبرى،و أن لا يسوق الناس نحو الخيال أو الضياع أو الإشغال دون جدوى،لأنّه سيكون وسيله للضرر و الإضرار.

و يتّضح بهذا الجواب على السؤال التالى:

ماذا يفهم من الآيات المتقدمه،هل الشاعريّه أمر حسن أو غير حسن،و هل يوافق الإسلام الشعر أو يخالفه؟! فالجواب على ذلك أن تقويم (۱) الإسلام فى هذا المجال قائم على الأهداف و الوجوه و النتائج...و كما

قال الإمام على عليه السّلام حين كان بعض أصحابه يتكلمون على مائده الإفطار فى إحدى ليالى شهر رمضان،و جرى كلامهم فى الشعر و الشعراء،فخاطبهم أمير المؤمنين على عليه السّلام قائلا: «اعلموا أن ملاك أمركم الدين، و عصمتكم التقوى،و زينتكم الأدب و حصون أعراضكم الحلم». (۲)

فكلام الإمام على عليه السّلام إشاره إلى أن الشعر وسيله...و معيار تقويمه الهدف الذى قيل من أجله!...

إلاّ أنّه-و للأسف-استغلّ الشعر على امتداد تاريخ آداب الأمم و الملل لأغراض سيئه،و تلوّث هذا الذوق الإلهى اللطيف،فسقط فى الوحل بسبب البيئه الفاسده،و بلغ الشعر أحيانا درجه من الانحطاط بحيث صار من أهم عوامل الفساد و التخريب،و لا سيما فى العصر الجاهلى الذى كان عصر انحطاط الفكر العربى و أخلاقه!.فكان الشعر و الشراب و الغارات بعضها إلى جنب بعض ممّا مميزات ذلك العصر!

۱- ۱) -«التقويم»له معان متعدده منها تقويم الأود أى إقامه الاعوجاج،و تقويم الشىء إعطاء قيمته أو معرفتها،و هو هنا بهذا المعنى.و ما يجرى على السنه الكتاب و أقلامهم بلفظ(تقييم)خطأ مشهور و غير صحيح(المصحح).

۲- ۲) -شرح نهج البلاغه،لابن أبى الحديد ج ۲۰،ص ۴۶۱.

و لكن من يستطيع أن ينكر هذه الحقيقه،و هى أن الأشعار البنّاءه و الهادفه على امتداد التاريخ،خلقت طاقات كثيره و حماسه قصوى،و ربّما عبأت امه مغلوبه بوجه أعدائها،فشدتها على العدوّ فهزمته و انتصرت«بهذه الأشعار».

و فى فتره نضوج الثوره الإسلاميه رأينا بأم أعيننا كيف أثرت الأشعار الحماسيه فى نفوس الناس،فحركتهم و أثارتهم حتى جرت دماء الثوره فى مفاصلهم،و جعلتهم صفا واحدا و زلزلت قصور الأعداء و هزمتهم...

كما نسأل:من يستطيع أن ينكر أن شعرا أخلاقيا ينفذ فى أعماق الإنسان و يغيّر محتواه لدرجه لا يبلغها كتاب علمى غزير المحتوى...

أجل،إن الشعر كما

قال عنه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «إن من الشعر لحكمه و إنّ من البيان لسحرا». (۱)

و للكلمات الموزونه و إيقاعها-أحيانا-مضاء السيف و نفوذ السهم فى قلب العدو...

ففى بعض أحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-فى مثل هذه الأشعار-أنه قال: «...و الذى نفس محمد بيده فكأنّما تنضحونهم بالنبل». (۲)

أجل...قال النّبى ذلك حين كان العدو يهجو المسلمين ليضعف معنوياتهم و روحيّاتهم،فأمر النّبى شعراء المسلمين أن يردّوا عليهم بالهجاء المقذع،لذمهم و تقويه روحيّه المسلمين.

و

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى شأن أحد الشعراء المدافعين عن الإسلام«أهجهم فإنّ جبرئيل معك». (۳)

و خاصّه حين سأل كعب بن مالك«الشاعر المؤمن»الذى كان ينشد قصائد

۱- ۱) -نقل حديث الرّسول هذا جماعه كثيره من علماء الشيعه و السنه فى كتبهم«يراجع كتاب الغدير،ج ۲،ص ۹».

۲- ۲) -مسند أحمد،ج ۲،ص ۲۶۰.

۳- ۳) -مسند أحمد،ج ۴،ص ۲۹۹.

فی تقویه الإسلام-و کانت الآیات قد نزلت فی ذم الشعراء-فقال یا رسول اللّه:ما أصنع؟!

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «إنّ المؤمن یجاهد بنفسه و سیفه و لسانه». (۱)

و قد ورد عن أئمه أهل البیت علیهم السّلام وصف کثیر فی الشعر و الشعراء الهادفین و الدعاء لهم و إیصال الجوائز إلیهم،بحیث یطول الکلام فی ذلک«إن أردنا نقل الروایات عنهم».

إلاّ أنّه من المؤسف أنه علی طول التاریخ أسقط جماعه هذه المنحه الإلهیه و الذوق اللطیف،الذی هو من أجمل مظاهر الخلق،فأنزلوه من أوجه إلی الحضیض،و کذبوا فیه کثیرا حتی قیل فی المثل المعروف:«أعذبه أکذبه».

و ربّما سخّروه فی خدمه الجبابره و الظالمین و تملّقوا لهم،رجاء صله محتقره رخیصه...

أو أنّهم أفرطوا فی وصف الشراب و الفجور و الفسق أحیانا،إلی درجه یخجل القلم عن ذکرها! و ربّما أشعلوا الحروب بنیران أشعارهم،و جروا الناس إلی القتل و الغارات، و لطخوا الأرض بدماء الأبریاء.

إلاّ أن فی الطرف الآخر-و فی قبالهم-الشعراء الذین آمنوا بمبدئهم، و اشتدت همتهم،فسخّروا هذه القریحه الملکوتیه فی سبیل حریه الناس و التقوی، و مواجهه اللصوص و المستکبرین و الجبابره،فبلغوا أوج الفخر! و ربّما دافعوا عن الحق فاشتروا بکل بیت من أبیات شعرهم بیتا فی الجنّه. (۲)

ربما وقفوا فی وجوه حکام الظلم و الجور کبنی أمیه و بنی العباس الذین کانوا یحبسون الأنفاس فی الصدور،فتجلی القلوب بقصیده کقصیده دعبل«مدارس

ص:۴۸۹

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،ج ۷،ص ۸۶۹.
۲- ۲) -جاء عن الإمام الصادق أنّه قال:«من قال فینا بیت شعر بنی اللّه له بیتا فی الجنه»،«الغدیر،ج ۲،ص ۳».

آيات خلت من تلاوه»و أماطوا عن الحقّ لثام الباطل، فكأنّما كان يجرى على لسانهم روح القدس. (۱)

و ربّما أنشدوا الأشعار لإنهاض المضطهدين الذين كانوا يحسّون فى أنفسهم الاحتقار و الازدراء من قبل الظلمه...فهاجوهم و أثاروهم بتلك الأشعار...

و القرآن يقول فى شأن هؤلاء: إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا .

ممّا يلفت النظر أن هؤلاء الشعراء قد يتركون شعرا خالدا مؤثرا بليغا...حتى أن أئمّه الإسلام الكرام-كما تقول بعض الرّوايات-أوصوا شيعتهم و أصحابهم بحفظ أشعارهم كما ورد ذلك فى شأن«أشعار العبدى».إذ

ورد عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «يا معشر الشيعه،علموا أولادكم شعر العبدى،فإنّه على دين اللّه». (۲)

و نختتم هذا البحث بقصيده للعبدى،و هى من قصائده المعروفه،فى شأن خلافه الإمام على عليه السّلام وصىّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ قال:

و قالوا رسول اللّه ما اختار بعده

إماما و لكنّا لأنفسنا اخترنا

أقمنا إماما إن أقام على الهدى

أطعنا و إن ضل الهدايه قوّمنا

فقلنا:إذا أنتم إمام إمامكم

بحمد من الرحمن تهتم و لا تهنا

و لكننا اخترنا الذى اختار ربّنا

لنا يوم خم ما اعتدينا و لا حلنا

و نحن على نور من اللّه واضح

فيا ربّ زدنا منك نورا و ثبتنا (۳)

۱- ۱) -فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال: «ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس»«عيون أخبار

الرضا»...

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۴،ص ۷۱.

۳- ۳) -الکنی و الألقاب،ج ۲،ص ۴۵۵.

۳-ذکر اللّه:

قرأنا فی الآیات-آنفه الذکر-أن من خصائص الشعراء الهادفین هو أنّهم یذکرون اللّه کثیرا...

و

نقرأ فی بعض الأحادیث المرویّه عن الإمام الصادق علیه السّلام أنه یقول: قول اللّه عز و جل: وَ ذَکَرُوا اللّٰهَ کَثِیراً ما هذا الذکر الکثیر؟قال:«من سبح تسبیح فاطمه الزهراء علیها السّلام فقد ذکر اللّه الذکر الکثیر». (۱)

کما

جاء عنه علیه السّلام أنه قال: من أشدّ ما فرض اللّه علی خلقه ذکر اللّه کثیرا...ثمّ قال علیه السّلام:«لا أعنی سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر،و إن کان منه،و لکن ذکر اللّه عند ما أحلّ و حرّم!فإن کان طاعه عمل بها،و إن کان معصیه ترکها!». (۲)

ربّنا،أملأ قلوبنا بذکرک،لنختار ما یرضیک،و نترک ما یسخطک...

ربّنا،اجعل ألسنتنا بلیغه،و أقلامنا سیّاله،و قلوبنا ملیئه بالإخلاص،لنستعمل ذلک فی سبیلک و ابتغاء رضوانک،آمین ربّ العالمین.

انتهاء سوره الشعراء و نهایه المجلد الحادی عشر

ص: ۴۹۱

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۴،ص ۷۳.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۴،ص ۷۳،نقلا عن اصول الکافی.

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم
هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ
الزمر: ۹

المقدمة:
تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.
وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام
تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة
تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات
توسیع عام لفکرة المطالعة
تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:
مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩